محمد الصغير الإفراني

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي

تقديم وتحقيق
عبد اللطيف الشاذلي

محمد الصّغير الإفراني

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي

تقديم وتحقيق

عبد اللطيف الشّاذلي

الطبعة الأولى 1419-1998

بين يدي الكتاب

كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني معدود في طليعة المؤلفات الأصيلة في تاريخ المغرب - بعد روض القرطاس لابن أبي زرع و العبر لابن خلدون - لا تكاد تجد مؤلفا في التاريخ بعد الإفراني لا يرجع إلى النزهة ، من أمثال أبي القاسم الزياني في البستان ومحمد أكنسوس في الجيش وأحمد الناصري في الاستقصا .

ومع هذه الأهمية ، لم تطبع النزهة إلا مرتين منذ أزيد من قرن :علي الحجر بفاس ، وعلي الحروف بعناية المستشرق هوداس مع ترجمة إلي الفرنسية ،اعتمادا علي نسخ متأخرة لا تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة.

واليوم يبتسم الحظ لنزهة الحادي مع الزميل الباحث الأستاذ عبد اللطيف الشادلي الذي عني بقراءتها قراءة جديدة متتبعا مصادرها ، منقبا عن نسخها المخطوطة في المكتبات العامة والخاصة ،حتي حصل علي ما ينيف عن عشرين نسخة منها مخطوطات عتيقة انتسخت بعد وفاة المؤلف بعقدين أو عقود معدودات .

لقد وفق الأستاذ الشادلي في بحثه المتأني إلى تحقيق غرضين :

- توسيع ترجمة المؤلف الإفراني ومزيد من التعريف به وبآثاره العلمية ،بالنسبة لما كتب عنه منذ سنوات في معلمة المغرب (ص: 551، 552) فقد استقى معلوماته هنا من أربعة وعشرين مرجعا مغربيا وأجنبيا ،وتتبع مراكز دراسة الإفراني ومواطن إقامته الاختيارية والاضطرارية ، وعلاقاته العلمية والأدبية والروحية مع كبار رجالات عصره ، حاضرة وبادية .كما استقصى مؤلفاته ومقيداته مقدما عروضا مقتضبة عن مضمون ما زال منها مخطوطا - وهو الأغلب الأهم - وما أمكن الحصول عليه من معلومات عن المفقود منها أو ما هو في حكم المفقود ، وحسم في مسألة تاريخ وفاة الإفراني التي طالما اختلف فيها المتقدمون والمتأخرون ،وحصرها بين تاريخين متقاربين لا ثالث لهما ، حسب مستجدات الوثائق .

- إخراج نص النزهة أقرب ما يكون إلى ما كتبه الإفراني ، بفضل المقابلات الدقيقة بين النسخ والمراجعات العديدة للمصادر ، إضافة إلي تذليل الصعاب التي قد تعترض القارئ في هوامش مركزة تعرف بالأعلام البشرية والقبلية وتحدد المواقع الجغرافية ، وتشرح ما غمض من الكلمات والعبارات والإشارات التاريخية والحضارية .

وتأتي سلسلة الفهارس في آخر الكتاب ، وهي موضوعة بواسطة الحاسوب الذي درب المحقق علي استعماله في العديد من إنجازاته العلمية ،لتسهل عمل القارئ وتدله على مبتغاه في يسر ودقة .

الرباط في 22 ذي الحجة 1418 / 20 أبريل 1998

محمد حجي

إهداء

يسرنا أن نهدي هذا العمل لأستاذنا الجليل الدكتور محمد حجي تعبيرا عن اعترافنا بما قدمه من خدمات جليلة للبحث التاريخي ببلادنا، سواء بما قام به من سعي مشكور لإخراج عدد كبير من كتب التراث ، أو ما قام به من أعمال جلى في تكوين أجيال من الأساتذة المدرسين والباحثين في مجالات مختلفة من التاريخ العربي والإسلامي ، أو ما قام به - وما يزال - من إشراف ومشاركة في المشروع الكبير معلمة المغرب ومجلة الكتاب المغربي .

إن من العسير ، في هذا المجال ، الحديث عن كل منجزات أستاذنا الجليل في مجال تاريخ المغرب والتعريف به وبأصوله . لكننا نود أن نذكر بأننا ، ونحن في بدايات ممارستنا للبحث التاريخي ، أواخر الستينات ، كنا نجد العناء الكبير في الوصول إلي عدد من أصول تاريخ المغرب . وكنا ، نحن وبعض الزملاء ممن لذغهم ما لذغنا من "هواية " البحث التاريخي ، نتفق علي مواعيد للاطلاع علي النسخة الفريدة من كتاب نشر المثاني ، بالخزانة العامة . فإذا بالنشر اليوم ، بفضل الأستاذ حجي ، وبعض زملائنا المكافحين ، مطبوع محقق مفهرس ،في أربعة أجزاء رهن إشارة الباحث والمهتم .

فليجد أستاذنا الكبير في هذا العمل وهذا الإهداء ، تعبيرا عن التقدير الذي نكنه له ، والتزاما بالسير في الطريق الذي خطه ، راجين من العلي القدير احتساب كل ما قام به من جليل الأعمال في صحيفة حسناته .

مكناس في 25 أبريل 1998

عبد اللطيف الشادلي



ما كان لهذا العمل أن ينجز ، لولا ما لقيناه من دعم وتشجيع ومساعدة من عدد من الإخوة والزملاء ، منهم الأستاذ أحمد التوفيق ، محافظ الخزانة العامة بالرباط ، والأستاذ أحمد شوقي بنبين ، محافظ الخزانة الحسنية بالرباط ، فقد مهدا سبل الوصول إلى عدد من نسخ النزهة المخطوطة . والأستاذ عبد الله نجمي ، رئيس شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، والأستاذ أحمد بوكاري ، نائب قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش ، الذين ساعدانا في تحقيق بعض نقول النزهة . والأستاذ ادريس أوعويشة ، قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس ، الذي فتح لنا أبواب مكتبة الكلية ومكّننا من التغلب على كثير من المشاكل التقنية.

فليجد كل هؤلاء- وغيرهم ممن فاتنا ذكر أسمائهم - في هذه الكلمة تعبيرا عن شكرنا وامتناننا .

الإفراني مؤلف النزهة

تحدث عن الإفراني عدد من الباحثين [1]. ورغم مرور أزيد من قرن على صدور الطبعة الأولى لنزهة الحادي بأخبار

[1] ترجم للإفراني :

- الحوات، سليمان، تقييد

E. Levi-Provençal, les manuscrits arabes de Rabat

- ليفي برفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص، 89
- سركيس، يوسف إلياس، معجم ، 1668:2
- بركلمان، كارل، ملحق، 2 : 68
- بنسودة، عبد السلام، دليل، 242،153:1
- السوسي، محمد المختار، المعسول، 10: 205
- بنمنصور، عبدالوهاب، مقدمة روضة التعريف
- السوسي، محمد المختار، إليغ، 5 و الهامش 19
- السوسي محمد المختار، خلال جزولة ، 2 : 240-249
- كنون، عبدالله، النبوغ المغربي، 1: 288و296:2
- الأخضر ، محمد، الحياة الأدبية، 229
- الزركلي، خير الدين، الأعلام 67:7
- عنان، محمد عبدالله، فهارس الخزانة الملكية، المجلد 1، 334
- البغدادي، إسماعيل باشا الباباني، إيضاح المكنون، 4 : 638
- الكتاني، عبدالحي، فهرس الفهارس. 1027،800،688،598:2
- المراكشي، العباس بن ابراهيم ، الإعلام، 50:6
- القادري، محمد بن الطيب، التقاط الدرر، 439
- الفاسي، محمد العابد، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، 345:1
- المنوني، محمد ، فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية، 79، 101
- المنوني ، محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1 : 159
- الشاذلي، عبداللطيف، الإفراني . في : معلمة المغرب 551:2
- بوكاري، أحمد، الزاوية الشرقاوية، 202:1
- حجي، محمد، الزاوية الدلائية ، الطبعة الثانية ، 272

ملوك القرن الحادي ، ورغم مرور ما يقارب ثلاثة أرباع القرن على صدور أول ترجمة علمية للمؤرخ الإفراني ، ضمن كتاب "**مؤرخو الشرفاء**" لمؤلفه إيفارست ليفي برفنصال (الصادر سنة 1922) ، فإن حصيلة معرفتنا اليوم بالمؤرخ الإفراني لم تغن كثيرا.

ويمكّن تلفيق مختلف المعطيات الواردة في المصادر المشار إليها من الخروج بفكرة أقرب ما تكون إلى الوضوح عن حياة الإفراني ونشاطه العلمي.

أصل سلف الإفراني من إفرن سوس، قرب مركز بويزكارن الحالي. وقد أشار المختار السوسي إلى أن من بين القبائل العربية المستقرة في سوس ، إدعزى الإفرانيون الذين منهم المؤرخ [2] واشتهرت إفرن هاته بمدرستها العلمية التي تخرج منها عدد من علماء سوس [3].ومنها انتقل والد المؤلف إلى مراكش في تاريخ غير معروف، وبها ولد محمد الصغير ابن الحاج محمد بن عبدالله حوالي 1670/1080 .

تلقي الإفراني بداية تعليمه بمراكش . ومن أشهرشيوخه بها :أحمد بن علي المواسي (ت 1130/18-1717) .ومن مراكش ارتحل لطلب العلم بفاس ، وأخذ بها عن جماعة من علمائها، مثل أحمد بن عبدالحي الحلبي ومحمد بن عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي ، وقد أجازه ضمن إجازة عامة ، أشار عبدالحي الكتاني إلى أنه وقف عليها [4] . كما أخذ عن عالم الدلائيين، محمد المسناوى الدلائي ، وذكره في كتابه **الصفوة** ونقل عنه فيه كثيرا [5].

عاد الإفراني إلى مراكش سنة 1130/18-1717 [6] حيث

---

2 السوسي ، المختار.إليغ، 5

3 البايك محمد ، مادة: إفران ، معلمة، 2: 548

4 الكتاني ، عبد الحي ، فهرس الفهارس ، 598

5 حجي، محمد ، الزاوية ، 272

6 القادري ، التقاط ، 439

نجده متعاطيا للتدريس متصدرا لإقراء التفسير و **صحيح البخاري**.

وكان مجلس الإفراني العلمي حافلا متميزا بكثرة البحث والجدال ، يسيره الإفراني بواسع علمه وحيوية شبابه . و قد استكثر عليه بعض الطلبة المرتبة العلمية التي أصبح يتمتع بها، رغم صغر سنه [7]، فرموه بالزندقة ورفعوا أمره إلى القاضي ابن بوعبدلي محمد بن أحمد . وناظره بعض فقهاء مراكش مدة، فلم يتبين لهم شيء مما وصف به . وزادته هاته المناظرة شهرة ، وكثر المقبلون على دروسه. ثم ترك قراءة التفسير بالبحث واقتصر على ما هو متداول من كتب الحديث والفقه، معتمدا **صحيح البخاري**.

يظهر أن الإفراني أبعد عن مراكش في تاريخ غير معروف.ويؤكد معاناته من هذا النفي ما جاء في بعض قصائده حين يقول :

فكنت بداري مولعا بابن مالـك ولي همة في كل فن مسطر
فأخرجت منها مكرها دون بغيتي بأمر عليّ لايـرد مقـدر

كما انعكست مظاهر معاناته في كتابه **النزهة** ، حيث يصف ما حل به ب"المصيبة الفادحة .. التي هي في عرض الدين قادحة"

ويظهر أن الإفراني قضى مدة يتجول بعيدا عن مراكش . وهكذا نجده في زاوية أبي الجعد التي ربطته بشيخها محمد

---

7 نظم الإفراني قصيدة في موقف أعدائه ، جاء فيها :

إلى كم يهتك الحساد عرضي وجفني عنهم بالعلم مغـض
وما ذنبي إليهم غير أنـي رفعت عليهم من خير خفض

إلى أن يقول :

فقل لشيوخ مراكش هلموا بإنصاف لتصطبحوا بروض
ولا يحملكم كوني صـغيرا على إنكار مرتبتي ، وبغضي

ينظر : الناصري ،الدرر المرصعة ،ورقة 97 . أورده : معكول ،علي مصباح ،25 .

الصالح علاقة وطيدة ، وجرت بين الرجلين مراسلات ومكاتبات [8].
وتأكدت علاقة الإفراني بالزاوية الشرقاوية إبان محنته، حيث زار- في جماعة من أصحابه -شيخ الزاوية الشرقاوية محمد المعطي بن محمد الصالح ، وأقام في ضيافته مدة وسجل عنه قصائد في المديح النبوي [9] وانتهت سياحة هاته بالعودة إلى مراكش ، حيث نجده يقف على أطلال قصر البديع وقفة طويلة ، يستشف مما أنشده أمامها ما يختلج في صدره من ألم وحسرة .

نجد الإفراني في آخر حياته خطيبا وإماما بمسجد ابن يوسف ، حيث لقيه صاحب الدرر **المرصعة** في صدر سنة إحدى وخمسين ومائة وألف (39-1738) [10] تربطه بالقاضي محمد بوعبدلي علاقة يبدو أنها وثيقة ، حيث جرت بين الرجلين مكاتبات أدبية أورد المراكشي نماذج منها .[11]

ظل الاعتقاد راسخا مدة أن الإفراني توفي بمراكش سنة 1727-28/1140، منذ أن قدم الحوات هذا التاريخ، إلى أن شكك فيه برفنصال، فذكر أن الإفراني عمر طويلا وتوفي سنة 1151/ 1737 . ثم انتبه عبد السلام بن سودة إلى ما أورده صاحب **الرياحين الوردية** من أنه لقي الإفراني بمراكش سنة 1149/ 1736 ، وإلى ما أورده صاحب **التقاط الدرر** من أنه وقف على ما يؤكد استعارته لكتاب من خزانة جامع ابن يوسف سنة 1739/1152 ، وإلى ما ذكره عبدالحي الكتاني في **فهرس الفهارس** من كون الإفراني فرغ من مؤلفه **الوشي العبقري** سنة 1743/1152.

والمؤكد أن الإفراني توفي بين 28 شعبان 1154 (18 مارس 1742) و 4 جمادى 1157 (17 أبريل 1745) ، التاريخ الأول

---

8 بوكاري ، الزاوية الشرقاوية ، 203:1

9 المعداني ، سلوك الطريق ، 454

10 المراكشي، إعلام ، 6 : 51

11 المراكشي ، إعلام ، 64:6

يوافق تاريخ استعارة الإفراني كتبا من خزانة جامع ابن يوسف ، والثاني تاريخ محضر تسليم أربعة كتب كانت في حوزته [12] ودفن بالمقبرة التي بقرب جامع ابن يوسف بمراكش.

* * *

شخصية الإفراني من الشخصيات الفذة في تاريخ الفكر المغربي. إذ تجمع كل الدراسات التي تناولت حياته على استقامة الرجل ودماثه خلقه وخفة روحه واستغراقه في القراءة والتدريس والتأليف.ويظهر أنه شغل – لمدة –وظيفا رسميا؛فقد نسب له البغدادي خطة القضاء [13] كما ذُكر أنه كان أحد رجال الدولة في سلطنة المولى إسماعيل بمراكش [14]، واستنتج ليفي بروفنصال من تمكن الإفراني من الوقوف علي عدد من الوثائق الرسمية أنه كان من موظفي البلاط الإسماعيلي ، وترجح لديه هذا الرأي من كون الإفراني ألف في دولة السلطان مولاي إسماعيل كتابه **الظل الوريف** [15].

وبعد هاته المرحلة ظل الإفراني نموذجا للعالم المتفرغ لعلمه ينطبق عليه الوصف الذي وصفه به الحوات حين قال في حقه " الفقيه العلامة النبيه الفهامة المحدث الحافظ النقادة النحوي البياني الأديب البليغ الفصيح الخطيب"

وتعكس هاته الصفات طبيعة انشغالات الإفراني العلمية التي تؤكدها قائمة مؤلفاته :

الإفادات والإنشادات.

ذكره الحوات له في تقييده وقال عنه : هو تأليف لا كفاية

---

12 Deverdun,Un registre,p 55

وقد أورد في هذا المقال صورة لسجل الإعارة المذكور .

13 البغدادي ، إيضاح ، 4 : 638

14 سركيس ، معجم ، 1668

15 ليفي بروفنصال ، مؤرخو الشرفاء ، 90 ،96

له في الحسن [16]

درر الجمال في مناقب سبعة رجال.

ويسمى كذلك **زبدة الأوطاب في مناقب الأقطاب**، وهو في مناقب رجال مراكش السبعة، يشتمل على مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا ، في كل فصل سبعة أسماط. أتم منها المؤلف السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي ، ووصل للسمط الثاني في ترجمة القاضي عياض، ولم يتمه [17]. يوجد طرف منه بالخزانة الأحمدية بفاس ، ووقف المراكشي عليه بخط مؤلفه .كما جاء عند الكتاني أنه اطلع على مقدمة **درة الجمال** (كذا) وأورد نصا منه ، وقف عليه بخط الإفراني [18]

صفوة من انتشر في أخبارصلحاء القرن الحادي عشر.

فرغ من تأليفه ضحى يوم الثلاثاء 4جمادى الأولى 1137 (يناير 1725) وهو تراجم لمائتين وخمسين من الصلحاء والعلماء المغاربة والمشارقة، جعله ذيلا **لدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، وقد طبعت **الصفوة** على الحجر بفاس دون تاريخ،ولعله سنة 1309-1891. ومن نسخ **الصفوة** :مخطوطات الخزانة العامة بالرباط تحت أرقام : 117د، 671د،1128 ك ، وكذا بمكتبة كلية الآداب بالرباط ، ومنها ثمان نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط.

طلعة المشتري في توبة الزمخشري.

ذكره له الحوات في تقييده، وذكر أنه في ورقات لطيفة.

الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. أو روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، يشتمل على ثمانية فصول في ذكر نسب مولاي إسماعيل وولادته ونشأته ، وفي من أخبرعنه من أهل الكشف،

---

16 ابن سودة ، دليل ، 2: 440

17 المراكشي ،إعلام ، 6:56

18 الكتاني، فهرس الفهارس، 800

وفي بيعته ، وفي تمهيده البلاد ، وفيما فتح من الثغور، وفي حلمه وعدله ،وفي مشاهير أولاده.ذكر في أخره :كان الفراغ منه كتابة وتقييدا أواسط المحرم الحرام فاتح 1133(أواخر نونبر 1720) وكان الفراغ من استخراجه لمن رغب فيه نفعه الله به يوم الجمعة 24 المحرم الحرام فاتح عام 1146(7 يوليوز 1733)

وقد حققه عبد الوهاب ابن منصور ونشر بالرباط عام 1962/1382 ، ثم أعيد نشره في طبعة ثانية سنة 1995/1415

فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث.

وهو مناقشة لرخص اللحن في الدعاء لمن يريد قراءة الحديث ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك، وما اعتراه من لحن فلا يؤخذ به . مخطوط الخزانة الصبيحية، في 22 ورقة ، رقم 4/115.

المعرب في أخبار المغرب.ويسميه ابن سودة **المغرب في أخبار ملوك المغرب** [19]، وهو مفقود .

المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل.

أول مؤلفات الإفراني، ألفه سنة 1715/1128 وسماه محمد الأخضر :**المنهل السهل** [20] وهو شرح **لموشحة** ابن سهل، إبراهيم الإشبيلي (ت 1251/649) . وقد طبع **المسلك** على الحجر بفاس سنة 1906/1324، وقدم تحقيقه بحثا لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب ، بكلية الآداب بالرباط 1980-1981 1400/.

الممتنع السهل في ترجمة إبراهيم ابن سهل.

مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا رقم 2/86 في 44 ورقة .

واسطة العقدين في ترتيب الكناشتين السعيدتين.

وهو تقديم للكناشتين اللتين أعدهما علماء مراكش للسلطانين مولاي إسماعيل ومولاي المستضيء، جعل لهما الإفراني

---

19 ابن سودة ،دليل ، 1 :164

20 الأخضر ، الحياة الأدبية، 234

خطبة، ذكر فيها فضائل علم التاريخ . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 330 ك .

الوشي العبقري في ضبط لفظة المقّري.

فرغ منه قبل 1743/1156، ترجم فيه لأحمد بن محمد المقري، وهو مفقود .

ياقوتة البيان.

أرجوزة في البلاغة ، أولها :

يقول أخوف الورى مما اكتسب	محمدالصغير إفراني النسب
حمدا لمن علمنا البيـــــانا	وجعل للـــــذكر لنا تبيانا
وصلوات هاميـــات السحب	على النبي وآلــه والصحب
والقصد ضبط الاستعارة التي	من ضبطها ظبى العقول كلت
وحصر باقي أضـــرب المجاز	والله بالنية لــــي مجازي

مخطوط خزانة القرويين ، ثاني المجموع رقم 1297 .

شرح ياقوتة البيان.

شرح للنظم السابق ، وأول الشرح " نحمدك يا من ألبسنا من بديع المعاني مطارف أنيقة، ووفقنا لطلب المجاز بشرح الحقيقة " وقال في آخر الشرح المذكور : قال مؤلفه غالب أبيات القصيدة صدرت مني ارتجالا ، وأكثر تراكيبها لبت نداء القلم عجالا [..] قد ألفتها في إبان الحداثة مع شواغل لا يميز من ابتلى بها بين الإثنين من الثلاثة [..]ووقع الفراغ من الشرح والمشروح أوائل سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف [21].

وذكر المراكشي أنه في نحو نصف كراسة [22]وأورد نماذج من النص والشرح. ومن نسخ الشرح مخطوط الخزانة العامة بالرباطسابع المجموع رقم 74د ، وكذا رقم 496 ،ومخطوط خزانة القرويين رفقة المتن المذكور.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك الإفراني عددا من المقيدات والمحاورات والمسائل والمقطعات الشعرية متوسطة النظم.

---

21 العابد الفاسي، فهرس ، 3 : 345

22 المراكشي،إعلام 6: 57

كيف راودت الإفراني فكرة تأليف كتاب في تاريخ المغرب، وخصوصا في تاريخ دولة الشرفاء السعديين ؟ لقد جرب الإفراني الكتابة والتأليف ، ولم يقتصر اهتمامه على ميدان دون آخر؛ فقد ألف في الأدب والبيان والتاريخ والمناقب ، وكان ، وهو يفكر في تأليف **النزهة** ، قد تأكد من ملكته الكتابية وقدرته الإنشائية.
لقد ذهب ليفي بروفنصال إلى أن اهتمام الإفراني بتاريخ السعديين كان -إلى حد ما - رد فعل إزاء ما قوبل به كتابه **الظل الوريف** من الغضاضة، ويعتمد في ذلك على كون الإفراني ألف **النزهة** قبل **الصفوة** وبعد **الظل** [23] .

وتثير ملاحظة بروفنصال مسألتين :الأولى تهم تاريخ تأليف الكتب المذكورة ، والثانية تتعلق بالمقارنة بين النزهة والظل .

أما الأولى فهينة . **فالظل** ألف سنة 1720/1133 ، **والصفوة** سنة 1137 /1725 **والنزهة** سنة 1726/1139 [24] والذي اعتمد عليه بروفنصال في تاريخ تأليف الظل غير صحيح،فقد ذكر الإفراني في خاتمة **الظل** : "كان الفراغ منه كتابة وتقييدا أواسط المحرم الحرام فاتح 1133(أواخر نونبر 1720) وكان الفراغ من استخراجه لمن رغب فيه نفعه الله به يوم الجمعة 24 المحرم الحرام فاتح عام 1146(7 يوليوز 1733)" مما يعني أن "إخراج" **الظل** كان بعد حوالي سبع سنوات من "إخراج" **النزهة** .

ونزعم أن الإفراني بدأ إعداد بطاقات **النزهة** قبل تأليف **الظل** ، فهو يشير في مقدمة كتابه إلى أنه " لم أزل -منذ علقت

---

23 ليفي بروفنصال ، مؤرخو الشرفاء ، 94

24 جاء في أخر النسخ م 1 وم3 وم4 أن الإفراني فرغ من تحرير النزهة يوم 25 محرم 1139 (29 غشت 1726)

تميمة التمييز في عضدي، وجعلت سوار الطلب في زندي- متشوقا إلى أخبار الدولة السعدية [..] فقمت منتهزا الفرصة ، ومفرغا على خاتم السبق من الإجادة فصه " [25] وبدأ فعلا في تنفيذ مشروعه ، جامعا ما يقع تحت يده من مادة تاريخية متعلقة بالسعديين في بطاقات . "وكنت جمعت محصله في بطائق. فإذا رمت تهذيبه عاق منه عائق [..] ولما ألمت بنا تلك المصيبة الفادحة [..] نبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران، حتى نسجت عليها عناكب النسيان " [26].

ويتأكد هذا الزعم بمقارنة **النزهة بالظل الوريف** ، حيث نجد الإفراني ، حين يتحدث عن مولاي اسماعيل وولادته ونشأته ، يحيل على **النزهة** قائــلا : "حسبما قررناه في كتابنا المسمى **تحفة (كذا) الحادي في أخبــار القــرن الحادي** ." [27] بل إننا نذهب إلي أن الإفراني جمع كتابيه **النزهة** و **الظل** في نفس الوقت بحال تقريب ، واستغل مادة كل منهما في الآخر.واختلط عليه الأمر - أو على الناسخ - أحيانا ، فأدرج في **النزهة** ما كان مخصصا **للظل** .

وهكذا يفصل بين التفكير في المشروع وتنفيذه مدة طويلة ، قوامها فترة النفي عن مراكش والسياحة ، مما ألمحنا إليه . وبعد عودة الإفراني إلى مراكش، تفرغ للتأليف، خصوصا وأن صديقه وصفيه شيخ زاوية أبي الجعد، محمد الصالح ابن محمد المعطي طلب إليه ، وألح عليه في الطلب ، جمع تأليفه وتخريجه.بل يظهر أن الإفراني بدأ التأليف في زاوية أبي الجعد [28] وقد أشار الإفراني في بعض رسائله إلى محمد الصالح هذا ، إلى أنه أكمل كتابه **الصفوة** ، وخاطبه قائلا :"فإن أردت نسخة فابعث من ينسخها لك [..] وكذلك كتابنا **نزهة الحادي بأخبار ملوك**

25 الإفراني ، نزهة ،ص :26

26 نفسه ، ص :435

27 روضة التعريف ،ص:38

28 بوكاري ، الزاوية الشرقاوية ، 202

القرن الحادي "

ألف الإفرني **النزهة** ليسد بها الفراغ الذي لاحظه فيما خص به تاريخ السعديين من مؤلفات، وليكون تأليفه هذا تكملة للمؤلفات السابقة عن تاريخ البلاد :**روض القرطاس و روضة النسرين** ، فجاء الكتاب في مقدمة وواحد وثمانين فصلا، مقسمة إلى 3 أجزاء :

يشمل الجزء الأول ثلاثة وخمسين فصلا ، أي حوالي ثلثي التأليف . وهو يهتم بالملوك السعديين، مبتدئا بالتعريف بنسبهم وكيفية وصولهم للملك ، ثم يتتبع أخبارهم واحدا واحدا ، ابتداء بأبي عبدالله القائم بأمر الله ، وانتهاء بأحمد المنصور الذهبي ، في تصميم يقدم فيه اسم السلطان وبعض صفاته ونبذة عن منجزاته وبعض مشاهير مساعديه من وزراء وكتاب وحجاب .ولا يلتزم الإفراني بتخصيص سلطان واحد بفصل واحد ، حيث يلجأ أحيانا إلى بسط معلوماته عن السلطان الواحد في عدة فصول . ويتحكم في تعدد الفصول ، وفي طول أو قصر كل فصل حجم المادة التاريخية المتوفرة لديه .

ويشمل الجزء الثاني اثنين وعشرين فصلا ، يهتم بالفترة الفاصلة بين وفاة السلطان أحمد المنصور وبين بداية ظهور الشرفاء السجلماسيين . ويعطي حجم الفصول المخصصة لزعماء هذه الفترة فكرة عن أهمية الأدوار التي قاموا بها .فإذا كان عدد الصفحات المخصصة للزاوية الدلائية أو للمجاهد محمد العياشي أو للثائر أحمد بن أبي محلي، يتجاوز العشر ، فإن الصفحة الواحدة ، أو دون ذلك ، تكفي لذكر كل ما يتعلق بعبدالملك بن محمد الشيخ المأمون أو الوليد بن زيدان.

أما الجزء الثالث فيشتمل على ستة فصول خصصت للحديث عن دولة الشرفاء السجلماسيين.وهكذا خصص فصلا للحديث عن الدولة السجلماسية ونسب ملوكها ، وبين فصل آخر كيفية وصولهم إلى الملك ، فبيعة مولاي محمد بن الشريف ، فدولة السلطان مولانا الرشيد فدولة السلطان مولاي إسماعيل . وختم بفصل بين فيه محاسن الدولة الشريفة وعدّد مفاخرها.

عندما قدم هوداس نص **النزهة** المترجم إلى الفرنسية ، لم يفته أن يشير إلى أن الإفراني - كغيره من علماء المسلمين - لم يحدد لكتابه أي تصميم " فسار ، مثلهم ، علي غير هدى ، يسجل ما يتوارد على ذهنه من أفكار ، دون أن ينتبه أو يهتم بما سيؤدي إليه ذلك من اضطراب"[29]

والحق أن الإفراني لم يدخر وسعا في ترتيب مؤلفه وفق تصميم واضح المعالم. فقد حدد إطاره الزمني ،واتخذ "بطائق"خصص كل واحدة منها لفصل من فصول عمله . وكانت لديه منذ البداية نظرة واضحة لمشروعه ؛ فهو - عندما يشير إلى بعض الأحداث باقتضاب - ينبه القارئ إلى أنه سيعود إليها في مكان أليق بها .ثم عبأ تلك البطاقات بمادة تاريخية متنوعة ، قوامها مصادره - وهي غزيرة سنورد لائحتها في ملحق آخر الكتاب- وقد استفاد كثيرا من سعة حفظه وقوة ذاكرته ، حيث أكد أن " أنقال هذا الكتاب كلها من حفظي "، وهو ما تأكد لنا من مقارنة نقوله بأصولها ، حيث ترد دائما بالمعنى دون التزام بأسلوب المنقول عنه.كما اعتمد الإفراني علي عدد من التقاييد والمذكرات ، يسجل غالبا أنه وقف عليها "بخط مؤلفها ". واستعمل ما تيسر له التوفر عليه من وثائق ، أوردها بنصها ، مقدما خدمة جليلة للباحثين .وتميز الإفراني بحب اطلاع كبير ، جعله يستغل مادة تاريخية أصيلة ، من بينها المقبريات . وأكد عند وصف مدفع من غنيمة العرائش " كذا سمع من المشاهدين لذلك بعد السؤال عنه ".

وعلي العموم ، يمكن القول أن طريقة الإفراني تشكل مرحلة متميزة في تطور الكتابة التاريخية في المغرب .

ظلت **النزهة** متداولة في الأوساط المغربية العالمة، واستغل مادتها المؤرخون اللاحقون. ويعود أول اهتمام أوروبي بالكتاب إلى سنة 1824 حيث جاء ذكر **النزهة** في مؤلف مورا ، ضمن

---

29 Houdas,Nozhat-Elhadi,introduction,p IV

العدد العاشرمن مذكرات الأكاديمية الملكية للعلوم في لشبونة ، [30]
حيث قدم نسخة خطية من بين فصولها أخبار حكم السلطان
مولاي عبدالله بن إسماعيل، ملاحظا في نفس الوقت أن هذه
الإضافة المتعلقة بحكم السلطان المذكور هي من وضع مؤلف غير
الإفراني ، ضمه الناسخ ، خطأ،إلى نسخة **النزهة**.

وبعد ذلك استغل كرابر دي هيمصو **النزهة** في كتابه
مظاهر جغرافية وإحصائية عن امبراطورية المغرب ، الصادر في
جنوة عام 1834 [31] .ثم نشر دي سلان في المجلة الإفريقية ترجمة
الفصل الخاص بحملة السودان [32]. كما نشر في نفس المجلة بقلم
الجنرال داستوك [33] ترجمة الفصل الخاص بمعركة واد المخازن . ثم
نشر محمد بن رحال في المجلة الفصلية للجغرافية والأركيولوجيا
بوهران [34] (عدد اكتوبر - دجنبر 1887) ترجمة ثانية للفصل
الذي سبق لدوسلان أن قدمه.

وبعد ذلك قرر هوداس إصدار **النزهة** مع ترجمتها إلي
الفرنسية ، معتمدا على ثلاثة مخطوطات:الأول حصل عليه
بالاقتناء في تلمسان ، تم نسخه في 19 جمادى الأولى 1293. أما
المخطوط الثاني فزوده به قاضي تلمسان، في حين حصل على
المخطوط الثالث من مكتبة الجزائر.

وانطلاقا من هاته النسخ ، أصدر هودارس نص **النزهة**
مطبوعا بمطبعة أنجي سنة 1888.

وعلى هاته الطبعة صدرت ، دون تاريخ ، طبعة ثانية عن

30 Moura,in:Memorias da Academia das Sciencias da Lisboa,Tome x

31 Graberg de Hemso , Specchio geographico e statistico dell Impero di Marocco

32 De slane ,In Revue Africaine

33 Dastugue

34 Le Bulletin Trimestriel de Géograpgie et d'Archéologie d'Oran

مكتبة الطالب بالرباط ، تصويرا بالأوفسيط.

كما تجدر الإشارة إلى أن **النزهة** طبعت على الحجر بفاس دون تاريخ .

قد يكون من العسير حصركل نسخ **النزهة** التي تتوفر عليها مختلف المكتبات الخاصة والعامة في المغرب وخارجه، لذلك لا ندعي أننا استقصينا كل النسخ ، واقتصرنا علي ما تيسر لنا الوقوف عليه منها .

أولا : في الخزانة الحسنية

1- النسخة رقم 2934، صفحاتها 438 ، مقياس 140/210 مسطرة مختلفة - تم نسخها في رجب 1178 (دجنبر 1764-يناير 1765) وهي أقدم نسخة معروفة من **النزهة** .

2- النسخة رقم 158 ، ضمن مجموع ورقاته 121 ، مقياسه 140/200 مسطرته 15، تم نسخها في رمضان الأبرك 1196 (غشت/شتنبر 1782).

3- النسخة رقم 2790، ورقاتها 152- مقياسها 140/190 مسطرتها 20، تم نسخها في جمادى الثانية 1202 (مارس أبريل 1788).

4- النسخة رقم 4439 ورقاتها 142 مقياسها 180/280 مسطرتها 21، تم نسخها في جمادى الأولى (دجنبر 1791- يناير 1792).

5- النسخة رقم 3911، ورقاتها 140، مقياسها 140/200 مسطرتها 22 ، تم نسخها في شعبان 1206 (مارس - أبريل 1792).

6- النسخة رقم 1409 ، ورقاتها 177، مقياسها 190/260 مسطرتها 19 ،تم نسخها في جمادى الأولى 1250 (شتنبر أكتوبر 1834).

7- النسخة رقم 844 ، ورقاتها 145، مقايسها 170/220 ، مسطرتها 22، تم نسخها سنة 1288 (1871-72) ينقص عدة

ورقات في آخرها.

8- النسخة رقم 7346، ورقاتها 114، مقياسها 150/200 مسطرتها 25، مبتورة الآخر بنحو 12 ورقة .

9- النسخة رقم 343،ورقاتها 75 ، مقياسها 210/310 مسطرتها 31، ليس بها ما يدل على تاريخ نسخها.

10- النسخة رقم 1261 ورقاتها 137 ، مقياسها 270/ 210 مسطرتها 26 ، ليس بها ما يدل على تاريخ نسخها، وبها وثيقة تمليك مؤرخة بسنة 1260.

ثانيا : بالخزانة العامة الرباط

11- النسخة رقم 11 حجوي، صفحاتها 316 ، مقياسها 145/200، مسطرتها 21 . تم نسخها يوم الخميس 14 جمادى الأولى 1189 (17 يوليوز 1775)

12- النسخة رقم 70د ، ورقاتها 136 ، تم نسخها في 22 ربيع الثاني 1246 (11 شتنبر 1830)، اسم ناسخها محمد بن عمر بن أحمد الدغوغي الجراري.

13- النسخة رقم 3588 مقياسها 210/160 ، مسطرتها 21 ، تم نسخها يوم السابع من ذي الحجة 1276 (26 يونيه 1860)

14- النسخة رقم 117د ، صفحاتها 300 ،مقياسها 160/215 ، مسطرتها 24 ، تم نسخها في 5 ربيع الأول 1288 (25 مايه 1871) ، كتبت عناوينها وفواصلها باللون الأحمر .

15- النسخة رقم 365 ج ، صفحاته 330 ، مقياسها 210/150 ، مسطرتها 19 ، خط مغربي مزركش بالألوان .

16- النسخة رقم 366 ج ، صفحاتها 376 ، مقياسها 155/190 ، مسطرتها 18 ، وافق الفراغ من نسخها زوال ثاني ربيع الثاني عام مائتين وألف (2 فبراير 1785)

17 - النسخة رقم 904 ج ، صفحاتها 227 ، مقياسها 210/140 ، مسطرتها 21 ، تم نسخها في رابع رمضان المعظم

1296 (23 غشت 1879)

18- النسخة رقم 1595د مبتورة الآخر ، صفحاتها 294 ، مقياسها 210/130 مسطرتها 23.

19 - النسخة رقم 4د ، صفحاتها 249 ، مقياسها 225/170 مسطرتها 24

20 - النسخة رقم 1406 د ، ورقاتها 185 ، مقياسها 200/150 ، مسطرتها 19 ، تم نسخها صبيحة يوم السبت 24 رمضان 1256 (19 نونبر 1840)

ثالثا : خزانة ابن يوسف بمراكش

21- النسخة رقم 409 - صفحاتها 294 - مسطرتها 22 ، نسخت بتاريخ 1278 (62-1861) عليها نص تحبيس عزيزي بتاريخ 8 محرم 1321

رابعا : بالمكتبة الوطنية بباريس

22- النسخة رقم 4617

23- النسخة رقم 5367

خامسا : خزانات خاصة

24- نسخة تفضل الأستاذ محمد حجي بتمكيننا من صورة منها ، صفحاتها 275، مقياسها 250/180 ، مسطرتها 25 .

عملنا في التحقيق

توخينا من إعادة إصدار **النزهة** محققة تحقيقا علميا الوصول إلى الأهداف التالية :

أولا : إخراج نسخة أقرب ما تكون إلى النص الذي حرره المؤلف ، وذلك عن طريق مقابلة أكثر ما يمكن من النسخ المتوفرة.وقد تبين لنا -ونحن نباشر هذه العملية -أن الاطلاع على كل النسخ التي تهيأ لنا الوقوف عليها أمر يتطلب من الوقت ما لا يفي به مجهود الفرد الواحد. لذلك عمدنا إلى انتقاء عدد من النسخ الخطية، هذه قائمة بها :

1- النسخة الأم ، وهي النسخة المعتمدة ، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 2934، صفحاتها 438 ، مقياسها 210/ 150 مسطرتها 15 جاء في آخرها : وكان الفراغ منه عند غروب شمس يوم الجمعة الرابع من رجب الفرد عام 1178 بردانة ، كتبه لنفسه محمد بن عبدالرحمن بن محمد.

وقد اعتمدنا هاته النسخة باعتبارها أقدم نسخ **النزهة** ، ولما تتوفر عليه من مزايا الوضوح .

2- النسخة الحجرية ، طبعت بفاس ، دون تاريخ، ورمزها : حجرية .

3- نسخة تفضل بإعارتنا صورة منها الأستاذ محمد حجي، عدد صفحاتها 275، مقياسها 175/270، مسطرتها 25، خالية من تاريخ النسخ، رمزها : م 1

4- نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم 1595د ، صفحاتها 288 مقياسها 140/210، مسطرتها 23 - خط مغربي جميل دقيق إلى ص 40 ثم خط مغربي وسط ، متبورة الآخر في نحو ورقتين. رمزها م 2 .

5- نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم 4د ، صفحاتها 249،

مقياسها 140/200، مسطرتها 24، خالية من تاريخ النسخ.رمزها : م 3.

6- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 70د، صفحاتها 136، مقياسها 150/290 ، مسطرتها 34، تتضمن حواشي وهوامش معظمها نقول من **الصفوة** ، تم نسخها في الثاني والعشرين من ربيع الثاني 1246 (10 أكتوبر 1830) رمزها م 4.

7- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 117د صفحاتها 300، مقياسها 120/190، مسطرتها 24، وفي آخرها : وكان الفراغ منه يوم الخميس عند صلاة الظهر من الخامس من ربيع النبوي الأول الشريف المعظم عام 1288 (25 مايه 1871) رمزها م 5.

8- نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم 4439- ورقاتها 144، مقياسها 115/190 ، مسطرتها 21 ، وفي آخرها :"ووافي الفراغ منه صبيحة يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأول عام ستة ومائتين وألف (8 يناير 1791) " .رمزها م6.

ثانيا : تحقيق مصادر الإفراني في **النزهة**، عن طريق مقارنة النقول بأصولها .وقد تمكنا بفضل هاته الطريقة من التأكد من نقول الإفراني .

ثالثا : تقريب النص من القارئ عن طريق التعريف المختصر بأسماء الأعلام البشرية والجغرافية وعناوين الكتب والتعابير الحضارية الواردة في النص.وقد التزمنا طريق بسيطة تعتمد تعريفا مختصرا يتلوه لائحة مراجعه ، لمن أراد التوسع.

رابعا : فهرسة النص لتسهيل استعماله عن طريق تقديم فهارس الأعلام البشرية والجغرافية
النبوية والأشعار.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه][1]

قال عبيد الله [2]،الفقيرإلى ربه ، الغني به عمن سواه ، محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الإفراني النجار [3]، المراكشي الوجار [4][جبر الله صدعه] [5]آمين :

الحمد لله المتعالي عن تواريخ الأزمان ملكه . المتقدس في ملكوته عن الأمثال وكيف لا وكل ما في الكون [6]ملكه . القديم الذي لا يبيد سلطانه ولايتحول . المدبر الذي ليس بساه عن شيء من خلقه ولاناس . القائل وقوله الحق :"*وتلك الأيام نداولها بين الناس*" [7] فنجوم الأملاك [8]ما بين شارق وغارب في أفلاك الدول [9]. الباقي الذي كتب على خلقه الفناء ووسمهم به على الخرطوم ، وقادهم [10]لسكنى الأجداث قود الجمل المخطوم . فلا ينفع في عبور

1 سقط من معظم النسخ والمثبت من م 4 و م 5.

2 في المطبوع :عبيد الله سبحانه ، وفي م 4 :يقول العبد الفقير لربه الغني وسقطت الفقرة الأولى بكاملها في م 5.

3 الوفراني في المطبوع ، والإفراني في باقي النسخ ، وفي م 4 الإفراني النسب والنُّجَار ، وأيضا النِجار:الأصل .

4 الدار في م 4 . والوجار من الوَجْر، وهو مثل الكهف يكون في الجبل وتوسع فيه للدلالة على المسكن.

5سقط في م 4 ، وعوضها لطف الله به وغفر له .

6 الملكوت في م 2 و م 6.

7 تميز الآيات القرءانية *بالخط المائل* . قرآن كريم ، آل عمران ، الآية 139

8 الأفلاك في الحجرية و م 2

9 الأملاك في الحجرية و م 2 ، والأفلاك في م 1

10 وقاد كلهم في م 2

حقيقة مجازه **مختصر** السعد ولا **المطول** [11] . نحمده سبحانه أن ذلل لنا الأقلام ، فغاصت في بحر ظلمات المحابر على أوافيق [12] الدرر . وملكنا بها ثدي العلوم فاحتلبنا منها أباريق الدرر ، وارتدينا [13] [2] [14] بها من شرف العلم ما كل شرف سواه مؤول [15] .

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ، الذي رفع الله به عن أمتـــه الحرج والنصب ، وجمع فيه جميع الفضائل ، ولولا عجائب صنع [16] الله ما اجتمعت في لحم ولا عصب.المصطفى من بني هاشم شم الأنوف من الطراز الأول بعثه الله ومملكة الكفر لاتزداد إلا انتصارا [17] ، فتل عروشها ،وقال إن كنت ريحا فقد لاقيت [18] إعصارا ، ودرس رسمها وهل عند رسم دارس من معول . والرضى عن آله وأصحابه الذين أطلعهم الله نجوما في سماء هذه الملة ، وأعطاهم من الكتائب الألفية [19] جمع الكثرة بجمع القلة ، وخولهم من كرامته ما خول .

أما بعد ، فإن علم التاريخ من أشرف العلوم ، ومكانه من

---

11 لسعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني (ت 756/1355) شرحان لكتاب تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للقزويني جلال الدين محمد (ت 739/1338) ، الأول مطول ، والثاني مختصر . وعرف الشرحان بالمطول والمختصر.حاجي خليفة ، كشف الظنون ، 1 :474،473

12 سقط من النسخة الأم ، وأباريق في م 2 و م 4 وم6

13 ارتضينا في المطبوع ، وارتدينا في كل النسخ

14 الرقم بين معقوفين يحيل على ترقيم صفحات النسخة الأم

15 في كل النسخ المخطوطة، وفي المطبوع مؤمل وفي الحجرية مزول

16 صنع في جميع النسخ ، وفضل في المطبوع .

17 ومملكة الكفر لها انتصار في م 2.

18 لقيت في كل النسخ ، والمثبت من النسخة الأم .والجملة مثل سائر ، ذكره الميداني ، مجمع الأمثال ،1:30، رقم 113 ، وكذا اليوسي ، زهر الأكم ، 1:99.

19 في جميع النسخ ، والأكفية في المطبوع

العلوم الشرعية معلوم .وما زال الجهابذة الأحبار [20] يقطعون نفائس أوقاتهم في جمع الأخبار. ويعتنون بمسائلها ويرونها من أسنى ما يدخر. ويقدمونها ولا يقولون والأصل في الأخبار أن تؤخر . ولا شك أن النظر في ملح النوادر فيه تنشيط للأفكار السوادر [21] وإني لم أزل -منذ علقت تميمة [3] التمييزفي عضدي ، وجعلت سوار الطلب في زندي - متشوفا إلى أخبار الدولة السعدية ، وسائلا هل استنشق أحد نفحات أخبارها الوردية . فلما لم أجد إلا مجيبا بلا ، تيقنت أن رسم العلم قد غيره البلا ، وقمت منتهزا الفرصة ، ومفرغا على خاتم السبق من الإفادة فصه . علما مني بأني إن أحسنت [في التدوين ،ودبجت خوان الأخبار بما يشتهى من التلوين ، كان ما اشتهيته من] [22] الإصابة والتأييد ، وإلا كنت محركا لهمة غيري ومعينا له على التقييد . وفي كلا الحالتين فالتجارة رابحة ، وهمة النفس في لجة الخير سابحة . وقد كنت بدا لي أن ألم بدولة بني وطاس وأواخر بني مرين ، بما يكون ذيلا للرقم وروضة النسرين [23]. فرأيت الدولة السعدية عناية أهل زماننا بها أكثر ، والاقتصار عليها لا يكون به تاريخ الملك أبتر . وسميت هذا الموضوع – الذي حديث حسنه صحيح غير موضوع –

---

20 الأخيار في م 4

21 الهوادر في الحجرية وم 5 .والسدر الحيرة واضطراب الرأي

22 سقط ما بين المعقوفين من م3

23 كذا في م1 و م3 وفي م5 "ذيلا للرقم وروضة القرطاس وروضة النسرين " والمقصود في الأول رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب (ت 776/1374)، نشر بتونس 1316 ، وفي الثاني الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المنسوب لابن أبي زرع (ت بعد 710) ، وقد نشر سنة 1973 عن دار المنصور للطباعة والنشر. أما الثالث فالمقصود به روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الأحمر اسماعيل بن يوسف (ت 808/1405)،صدر سنة 1382/1962 بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور عن المطبعة الملكية .

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي . وهذه الدولة السعدية ، وإن كان ابتداؤها عام ستة عشر من القرن العاشر ، لكن إنما ظهرت واتسعت إيالتها في آخر[4] العاشر وأول الحادي.ولذلك أدرجناها في الحادي وما قارب الشيء فهو له في الحكم محادي .

واعلم أني ألفت هذا التصنيف من عدة كتب تزري بزهور الروض المنيف ، وسوف في الآخر أعين لك أسماءهم ، وأنصب مدارج الإمالة [24] لمن أراد أن يرقى سماءهم . فجدير بمن سرح فيه ألحاظه ، أن يسامح نسيجه ولا ينتقد ألفاظه ، ولا يكن من قوم ألجم الحسد ألسنتهم ، وأطالوا على فراش العصبية [25] سنتهم . لكن السلامة من الخلق قضية في المحال مفروضة ، وأعراض الأشراف لم تزل بألسنة اللئام مقروضة . والله يغيبنا في ذاته عن الهجو والقدح ، ويجعلنا ممن يرى أن كلام الخلق كله شبه المزح .

وهذا أوان الشروع في المقصود والله المعين على التمام بمنه وكرمه .

---

24 الإحالة في م 4.

25 المعصية في م2.

الفصل الأول [1]

ذكر الخبر عن نسبهم الشريف

وما قيل فيه من تنكير وتعريف

أما عمود نسبهم فقد ذكره غير واحد من المؤرخين ، ورفعه من لا يحصى من الشيوخ المعتبرين . وهذا نصه : محمد المهدي بن محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد[5] بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم [2] [بن محمد] [3] بن الحسن [4] بن عبد الله ابن أبي محمد المدعو ابن عرفة [5] بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المومنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه [وفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] [6] ورضي عن جميعهم .

قال الشيخ الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن القاضي [7] في

---

1 ترقيم الفصول إضافة من المحقق.

2 ابن قاسم في م 2 وم 6

3 سقط ما بين المعقوفين في م6

4 الحسين في الحجرية وم 5

5 في الحجرية وم 2 :عبد الله ابن أبي محمد المدعو بن عرفة ، وفي م 3 ابن أبي محمد بن عرفة

6 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية و م 1

7 أحمد بن القاضي، ترجم له محمد رزوق في مقدمة تحقيق المنتقي ،1:17 وعبد الوهاب ابن منصور ،أعلام المغرب العربي ،5:311.

كتابه **المنتقى المقصور على مآثر خلافة السلطان أبي العباس أحمد المنصور**[8] : أطلعني على هذه النسبة الشريفة أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي [9] قائد قواد ولي عهد المنصور ، مولانا أبي عبد الله محمد المامون . وبمثل هذا حدثني [شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور[10] . وحدثني] [11]شيخنا أبو راشد يعقوب بن يحيى اليدري [12] أنه رأى هذه النسبة أيضا مكتوبة بخط [أبي عبد الله محمد بن غالب بن جشار[13]وعليها استقلال القاضي] [14]أبي عبد الله ابن علال[15] ، انتهى منه .وهكذا رأيته بخط بعض الأشراف من السعديين أيضا ، وأظن أن فيه بترا بين قاسم ومحمد النفس الزكية ،[فإنه لا يعرف في أولاد محمد النفس الزكية] [16] من اسمه قاسم ، وإنما القاسم بن محمد [بن الحسن بن محمد] [17] بن عبد الله الأشتر بن محمد [6] النفس الزكية بن عبد الله الكامل.إلا أن هذا يقع من ذهول الناسخ أو

---

8 المنتقى المقصور علي مآثر الخليفة المنصور.نشر محققا بعناية محمد رزوق ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرباط ، 1986 ، في جزئين.

9 أحمد بن يحيى الهوزالي ت 994 / 1585 . ينظر عنه : عبد الوهاب بنمنصور ، أعلام المغرب العربي ،200:5 ، ولائحة المترجمين له فيه ،ص202 ، هامش :226.

10 أحمد بن علي المنجور، ت 995 / 1586 .ينظر عنه :حجي ،حركة ، 360:2

11 سقط ما بين المعقوفين في م 6

12 ينظرعنه : محمد رزوق، مقدمة المنتقى ، 244:1 ، الهامش 11.

13 المغيلي ، محمد بن أبي غالب المدعو ابن جشار (ت898 / 1492) ، ينظر عنه : محمد رزوق ، المنتقى، 244:1 ، الهامش 11.

14 سقط ما بين المعقوفين في م 2 و م6

15 ذكره ابن القاضي ، لقط ،256

16 سقط ما بين المعقوفين في م2 و م 6

17 سقط ما بين المعقوفين في م2 و م4 وم5 وم6

جهله بحقيقة الأمر، والله أعلم .

[وقوله :وأظن فيه بترا ، هو الصحيح . إذ لا يعرف في أولاد محمد النفس الزكية القاسم أصلا، ولا عده منهم أبو عبد الله المصعب الزبيدي[18] ولا ابن حزم[19] في **جمهرتيهما**[20] ولا غيرهما من النسابين الحفاظ . والذي ضعفه الشيخ المسناوي[21] في نسبهم أنهم من أولاد عبد الله الأشتربن محمد النفس الزكية ،لأن النفس الزكية – وإن كان له أولاد خمسة:عبد الله الأشتروعلي وحسين بالتصغير والطاهر وإبراهيم ، كما عند مصعب ، أو ستة بزيادة أحمد وتكبير الحسين ، كما عند ابن حزم – حسبما سبق . لكن ، قال الشريف المكي السمرقندي[22] في **تحفة الطالب**[23] أنه لم يعقب إلا من ولده الأشتر ، المقتول في كابل من أرض السند ، وأن الأشتر لم يعقب إلا محمدا المولود بكابل . قال :وأعقب محمد هذا على الصحيح ولده الحسن الذي يقال له الأعور ، وكان أجود بني هاشم ، وقتل أيام المعتزالعباسي[24] . وأعقب الأعور هذا أربعة رجال ، وهم :أبو جعفر محمد وأبو عبد الله الحسين

18 لعله محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الملقب بالمرتضى (ت 1205 / 1790) عالم باللغة والرجال والأنساب . زركلي، أعلام ، 70:7

19 علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (ت 456 / 1064) زركلي،أعلام ، 254:4

20 جمهرة الأنساب ، لابن حزم السابق الذكر .حاجي خليفة ، كشف الظنون ، 1: 605 ، ولم نتمكن من الوقوف على جمهرة الزبيدي .ومن مؤلفاته :جذوة الاقتباس في نسب بني العباس ، والروض المعطار في نسب السادات آل جعفر الطيار. ينظر: زركلي ، أعلام ،70:7

21 لم نتمكن من التعرف عليه.

22 لعله الشريف السمرقندي ، ت نحو 575 /1180 . ومن مؤلفاته : تحفة الفقهاء، ينظر : زركلي ، أعلام ، 318:5 .

23 لم نتمكن من التعرف على هذا المؤلف

24 محمد المعتز بالله ابن جعفر التوكل على الله ت 869/255 ، ينظر :زركلي ، أعلام ،70:6

بالتصغير، وقد انقرض عقبه في المائة السادسة ، وأبو عبد الله محمد، وقد كثر في ولده الأدعياء، فيجب الاحتياط في إثبات من ينسب إليه ، والقاسم . ولكل من الثلاثة عقب . قال الشيخ المسناوي ، بعد نقل كلامه :فتبين من هذا أن القاسم الموصول في عمود النسب المذكور بمحمد النفس الزكية ليس هو بابنه المباشر، وإنما هو ابن الحسن الأعور بن محمد الكابلي بن عبد الله الأشتر بن محمد المهدي ، وهو النفس الزكية ، وفيه إسقاط بين القاسم ومحمد النفس الزكية بثلاثة آباء، والله أعلم][25]

وما ذكره صاحب **المنتقى**[26] من أن محمدا القائم هو ابن عبد الرحمن بلا واسطة كذلك يوجد في بعض الكتب ،وليس بصواب . بل هو القائم بن محمد بن عبد الرحمن ، فأسقط محمد القائم بن عبد الرحمن .

وقد وقفت على رسالة بخط الإمام النظار أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار [27] بعث بها إلى السلطان أبي العباس المنصور في هذا المعنى ، ونصها: سلام الله ورحمته وبركاته على مولانا المنصور نصره الله نصرا عزيزا وأدام الخلافة فيه وفي ذريته إلى يوم الدين . يقبل بساطكم عبدكم محمد القصار زاده الله من رضاكم . وسمع أن في النسب الكريم العظيم ثلاثة محمدين فتبدل التثنية بالجمع ويحمل على أقله إذ لو كان أكثر لبين ويقال أحمد بن محمد ج عبد الرحمن وقال العبد الضعيف :

---

25 سقط ما بين المعقوفين من جميع النسخ ، والمعتمد من المطبوع .

26 المنتقى 242:1 والهامش 5

27 القصار ، ت 1012 / 1604 ، ينظر عنه محمد حجي ، حركة 363:2 ، والهامش 56.

روى أبــو داوود [28] ثـم الحـاكـم [29] ما صح من بعث المجدد اعــــلم
برأس كل مائة وابن الرســـول شرط في الحديث فالغير يزول
ولم نر من جدد الدين ســـوى إمامنا المنصـور فالكفـر توى[7]
بخيله وناره أحيــــي العلوم وأهلها وكتبها علــى العمـــوم
في كل يوم جوده على الشريـف مع الأسير والفقيـه والضعيـف
أمــا المساجـــد فكالجنـــات حسنا وتدريسا على الساعــات
أبقــاه ربـنا لإحيـــاء الديـن فـــي قــوة وغلــب متـين

ولو علمت يامولاي أن أحدا يحبكم أكثر مني ، ما عددت نفسي من المسلمين والسلام ، انتهى من خطه .

وأشار بقوله :فتبدل التثنية إلخ ..إلى أنه يقال عند سرد هذا النسب أحمد المنصور بن الحمدين بصيغة الجمع ، وأقل الجمع ثلاثة ، أويكتب أحمد بن محمد وبعده جيم لأن نقطها ثلاثة ،كل ذلك فرارا من التصحيف . وكذلك أيضا من التصحيف إسقاط ذكر محمد بن أبي عرفة ،فإن عقب النفس الزكية انتهى بينبع النخل [30] إلى السيد قاسم والسيد عبد الله ابني محمد بن أبي عرفة ، حسبما ذكره الشيخ النسابة أبو عبد الله الأزروقاني [31] في كتابه **الدوحة** [32] . وهؤلاء السادات يقولون إن أصل سلفهم وفد على المغرب من الينبع وأنهم أبناء عم السادات الأشراف أهل

---

28 سليمان ابن الأشعث ، إمام أهل الحديث في زمانه (ت275 / 889) له كتاب السنن ، ينظر عنه زركلي ، أعلام 122:3

29 محمد بن عبد الله النيسابوري، ت 405 / 1014 ، ينظر عنه :زركلي ، أعلام 227:6.

30 وتكتب ينبوع و الينبوع .موقع بالحجازعلي البحر الأحمرشمال غرب مكة المكرمة.

31 اسماعيل بن جمال الدين ت بعد 1210/606 .مؤلف كتاب : بحر الأنساب فيما وقع للسبطين من الأعقاب .

32 لم نتمكن من التعرف علي هذا الكتاب .

سجلماسة [33] [وأن السيد الحسن بن قاسم الداخل بلد سجلماسة] [34] [8] -كما سيأتي إن شاء الله - هو ابن عم جدهم الداخل لدرعة ، زيدان بن أحمد بن محمد والد قاسم والد الحسن الداخل.ولذلك قال في **المنتقى** [35]: لا خلاف أن نسبهم أصح شرف أهل المغرب ، لأن أصلهم من شرفاء الينبوع . وقصة إتيانهم من الينبع إلى درعة ، إذ أتى بهم أهلها من هنالك كما أتى أهل سجلماسة ببني عمهم قبل ذلك. وحكايتهم شهيرة بين المؤرخين فلا نطيل بذكرها . وأشار بذلك إلى مايزعمه السعديون من أن أهل درعة كانوا لاتصلح ثمارهم وتعتريها العاهات. فقيل لهم لو أتيتم بشريف إلى بلادكم ، كما أتى به أهل سجلماسة إلى بلادهم ، لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم .فأتوا بالسيد زيدان بن أحمد من الينبوع كذلك ، فصلحت ثمارهم . إلا أن من الناس من يطعن في هذا ، ونقل ذلك عن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد المقري التلمساني [36] . ولكن صرح غير واحد من فقهاء دولتهم بصراحة نسبهم وسلامة جرثومتهم من الطعن ، وقال به غير واحد من الأئمة المقتدى بهم ؛ كالإمام المنجور وأبي يوسف يعقوب اليدري والإمام أبي العباس أحمد بن بلقاسم الصومعي [37] والشيخ أبي

---

33 سجلماسة مدينة وإقليم ، ينظر عنهما :الوزان ، وصف 120:2

34 سقط ما بين المعقوفين من م 2

35 المنتقي،242:1

36 المقري ، ت 1041 / 1632. ينظر عنه :محمد حجي ، الزاوية ،115 و:حركة 376:2 . عبد الوهاب ابن منصور ، أعلام ،346:5

37 الصومعي ، ت1013 / 1604 ينظر عنه : حجي ، حركة ، 190:1و 504:2

العباس سيدي [9] أحمد بابا السوداني[38] وقال ابن عرضون[39] : إن نسبهم في غاية الشهرة فلا مطعن فيه .ولعل ما نسب للمقري من تصحيح أنهم من بني سعد لا من قريش ، لا يصح عنه ، فإنه صرح في كتابه **نفح الطيب**[40] بشرفهم ، وهو من آخر ما ألف بل ألفه في بلاد الشام . وفي **نوازل**[41] قاضي الجماعة الإمام أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، من جملة سؤال كتب به إليه الفقيه الصالح أبو زيد عبد الرحمن التلمساني[42] [وهو يقول : ولا شك أن مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته .وقد أخبرني الثقاة[43] من أصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير أبي العباس سيدي أحمد بن موسى[44] السملالي][45] أنه قال : مولاي عبدالله ياقوتة الأشراف هو صالح لا سلطان، انتهى. وناهيك بها

38 التكروري التنبكتي ، ت1036 / 1627 . ينظر عنه محمد حجي ، حركة 2: 383 والهامش 23 ، وكذا :محمد مطيع: التنبكتي ، في : معلمة 1:165. و عبد الوهاب ابن منصور،أعلام ، 333:5

39 أحمد بن الحسن بن يوسف (ت992 / 1584) ينظر عنه :عبد الوهاب ابن منصور ، أعلام، 195:5

40 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب .من طبعاته ما حققهاإحسان عباس ، دار صادربيروت ، 1388 / 1968

41 ترك السكتاني، ت 1062 / 1652 ، اجتهادات جمعها بعض تلامذته ،تعرف بنوازل السكتاني .ينظر عنه محمد حجي ، حركة ، 391:2 . ولا يوجد السؤال المذكور في نسخة الخزانة العامة رقم 1016 ج .

42 لم نتمكن من التعرف عليه

43 الثقة في الحجرية وم 4

44 أحد مشاهيرصلحاء المغرب ،ت971 / 1564.ينظر : عبد الوهاب بنمنصور ، أعلام ،180:5 ، والهامش 198 من ص 183 ، وكذا مصطفى ناعمي ، مادة أحمدأموسى، معلمة 160:1

45 سقط ما بين المعقوفين في م 1 وم3

شهادة على صحة شرفه وعلو طبقته في العدل . وستأتي هذه الحكاية في محلها بأتم مما هنا .

وقد ألف في خصوص دولتهم جماعة كالفقيه المشارك لسان المغرب [46] أبي فارس عبد العزيز بن محمد [بن ابراهيم][47] الفشتالي [48] وسمى كتابه **مناهل الصفا في فضائل الشرفاء** [49]، قال في **نفح الطيب**[10] : وعهدي به أنه أكمل منه ثمان مجلدات . وكذلك ألف فيهم الكاتب البارع أبو عبد الله محمد بن عيسى[50] وسمى كتابه **المدود والمقصور من سنا السلطان المنصور**[51] ، قال في **نفح الطيب** [52]أيضا: وهذه التسمية وحدها مطربة . انتهى.

واعلم أنه جرى على الألسنة وصف هؤلاء الأشراف بالسعديين ،ولم يكن لهم هذا الوصف في القديم ،ولا وقعت تحليتهم به في ظهائرهم وسجلاتهم وصدور رسائلهم . بل كانوا لايقبلون ذلك ، ولايجترىء أحد على مواجهتهم به . لأنه إنما يصفهم بذلك من يقدح في نسبهم ويطعن في وشيج أصلهم ، ويزعم أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن ، الذين منهم حليمة السعدية ،

46 المغرب في م1 ، العرب في م2

47 ما بين المعقوفين سقط في الحجرية وم1 وم3 وم4

48 الفشتالي ، ت1032 / 1622 . ينظر عنه : المريني ، شعر الفشتالي ،77.

49 مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، لم يتم تحقيقه كاملا بعد ،نشر مختصر الجزء الثاني بتطوان 1384 / 1964 ، حيث حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الله كنون ، ثم صدر سنة 1972 دراسة وتحقيقا لعبد الكريم كريم . وما زال الكتاب في حاجة إلي عمل مكتمل لتحقيقه ونشره . انظر : محمد حجي ،مناهل الصفا.

50 التملي (ت 990 / 1582) ينظر عنه محمد حجي ، معلمة 2559:8

51 مؤلف مفقود ، ويبدو أنه أتلف قصدا ،كما أتلفت معظم آثار ابن عيسى ينظر محمد حجي ، حركة ، 371:2

52 نفح الطيب ، 82:7

ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم .وكثير من العامة وإخوانهم من الطلبة يعتقدون أنهم إنما سموا بذلك لأن الناس سعدوا بهم ، ونحو ذلك مما لامعنى له .

وقد وقفت على رسالة بعث بها مولاي محمد الشيخ الأصغر بن مولانا زيدان إلى [11] الأمير المظفر مولاي محمد بن مولاي الشريف الحسني السجلماسي، و كان من فصولها أن قال له: بلغني أنك تعلن في النوادي من الحواضر والبوادي ، أن جرثومة انتمائنا لبني سعد بن بكر بن هوازن ، مع أنها من بني نزار بن معد وافية المكاييل ثقيلة الموازين ، وأننا من تدسي [53] أحد القصور بوادي درعة [54]ومنها أنبت الله أصلنا فأزهر وأثمر فرعه.فإن كان غرضك حط منطقة قدرنا من النسب ، فهذا من الغلو عليك عار ، وأن تحاول محونا من صحيفة الحسب ، فتلك أيضا دعوى لاتغلي أو ترخص علينا سوائق الأسعار .وقد صرفنا لك نسخة من **مناهل الصفا في أخبار الشرفا** ، ليطلع أنظارك الملوك على مايزيل ما في الخاطر من أشراك الشكوك .

فأجابه مولاي محمد بن الشريف عن هذا الفصل بأن قال له : وعتابكم أننا عزيناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، وناشرون ذلك في الحلل والمدن والقصور ، تالله ما فهنا بذلك [12] عن معايرة لكم ولا جهل بكم ولا بأن نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا أهل .بل اعتمدنا في ذلك ، بعد الله ، على ما نقله الثقاة المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ومكناسة الزيتون ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر، فما وجدوكم إلا من بني سعد بن بكر ، ولا معول على كتاب أحد من الفشاتلة ولا السيد أحمد بن القاضي المكناسي ولا ابن عسكر

---

53 يلزم التمييز بين تيدسي قرية بسوس ،وتيدسي قصر بوادي درعة .عن الأخيرة ينظر أحمد البوزيدي ، مادة تيدسي في :معلمة ،2661:8

54 عن إقليم درعة ، ينظر الوزان ، وصف ، 118:1 الهامش 7 ، وعن الواد ينظر هو أيضا ،254:2

الشريف الشفشاوني [55] ، ولا سواهم ؛ إذ الكل أهل بساطكم وأنس مزاحكم وانبساطكم . ولقد بلغتنا نسخة **مناهل الصفا** فلم نجد فيها مؤرخا صــــور وصفا [56] . وكفى في الظاهر والباطن ، قول الثقة مولانا عبد الله بن علي بن طاهرومع هذا فلم نتعمد دفعكم عن شرف النسب ولارفعكم عما وسمكم الله به من زينة الحسب .

انتهى الغرض من هذه الرسالة ، [وستأتي إن شاء الله مثبتة في موضع أليق بها من هنا] [57]

وأشار بقوله :قول الثقة مولانا عبدالله بن علي بن طاهر ، إلى مايحكى شائعا أن السلطان المنصور كان يوما جالسا مع الفقيه الإمام الورع الزاهد أبي محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر[13] الحسني [58] ، أحد السادات السجلماسيين ، وبين يديهما خوان يأكلان منه ، وذلك بقصر السلطان المذكور من حاضرة مراكش.فقال السلطان لأبي محمد : أين اجتمعنا -يعني في النسب - فقال له أبو محمد: في هذا الخوان ، ويروى:في هذا المشور . فاستشاط لها السلطان غضبا وأسرها في نفسه ، إلى أن احتال على أبي محمد بما كان السبب في تجرعه كأس المنون . فكان المنصور بعد ذلك ينادي أبا محمد فيجلس هو على الرخام في زمن كلب البرد وهيجانه ، من غير حائل ، وقد اتخذ المنصور لبدة صوف داخل سراويله [يجلس عليها] [59] لايحس معها بالبرد . فإذا

---

55 محمد بن علي بن عمر الشريف الشفشاوني ، قتل في معركة وادي المخازن ، ينظر عنه المراكشي،إعلام ،154:5

56 فانصف وكفى في الحجرية وم1 ، صفا فانصفا في م3 وم4 وم5

57 سقط ما بين المعقوفين في كل النسخ ، عدا الحجرية والمطبوعة

58 المدغري ،ت 1522/928 .ينظر :محمد حجي ، حركة،42:1 .ويكتب نسبه بالطاء أيضا، مطغري . وإن كان النسابون يميزون بين مطغرة تافيلالت ومطغرة تلمسان،فيكتبون مدغرة للدلالة على من سكن المغرب الأقصى،ومطغرة بالطاء،للمقيمين بالمغرب الأوسط.ينظر:محمد حجي ، حركة،520:2.

59 زيادة من م2

رآه أبو محمد جالسا معه تجلد واستحيى أن يقوم والسلطان معه وهما يتفاوضان في مسائل العلم ، فعل به ذلك أياما حتى سكنته علة البرد . فلم يزل أبو محمد يشتكي من ذلك إلى أن قضت عليه. وجواب أبي محمد من النوع البياني المسمى عندهم بتلقي المخاطب بغير ما يترقب ، على ما هو مبين في الكتب البيانية.وإنما سأله السلطان المذكور لما تقدم لنا أولا من أن هؤلاء السعديين يزعمون أن جدهم قدم من الينبع أيضا [14]كما سلف ، والسادات السجلماسيون ينكرون ذلك كل الإنكار ، ويقولون إنهم لم يجتمعوا معهم في قبيل ولا دبير ، والله أعلم .لكن صحح لنا غير واحد من أشياخنا أن الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الإنكار ، وأن السلطان أبا العباس المنصور أطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الإمام ابن عرفة [60] وشيخه الإمام ابن عبد السلام[61] بثبوت نسبهم ، فاطمأنت نفس ابن طاهر[لذلك . فكان بعد ذلك يصرح بصحة نسبهم ، ويزجر من يطعن فيه . وإمامة ابن طاهر][62] وعدالته شهيرة .وكذلك صرح بصحة نسبهم الإمام العلامة مفتي الحضرة المراكشية أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الفلالي [63] ، وهو من بني عم أبي محمد بن طاهر المذكور . وله في المنصور أمداح يعلن فيها بشرفه ، مع أنه كان من أهل العلم والدين والتحفظ فيما يكتب ويقول .

وعلى ما ذكرنا عنهم وأن جدهم قدم من الينبع ، قال ابن

---

60 محمد بن محمد بن عرفة ،ت803 / 1400.ينظر عنه:السراج ، الحلل ،561

61 محمد ابن عبد السلام الهواري ،ت 750 / 1349 .ينظر عنه ابن قنفذ شرف ،81 .الونشريسي ، وفيات 116 .ابن القاضي،لقط،201.السراج ، حلل،577

62 سقط ما بين المعقوفين في م2

63السجلماسي، ت1003 /1595 ، ينظر عنه :محمد حجي،حركة،379:2 الهامش 12

القاضي في **درة السلوك**[64] إن جدهم قدم من الينبع ، واستقر أوائلهم بدرعة فسكنوا بها وذلك في مبدأ المائة الثامنة [65]. وفي هذا العهد قدم جد شرفاء سجلماسة أيضا [15]كما سيأتي إن شاء الله .

هذا ما يتعلق بنسبهم الشريف ، وقد ضربنا صفحا عن مطاعن هنا، رأينا الإعراض عنها أولى . إذ من شرط المؤرخ أن لايتبع العورات ولا يهتك الأعراض. والله المسئول أن يمن علينا بالستروالعافية دنيا وأخرى ، بمنه وكرمه أمين .

---

64 درة السلوك فيمن حوي الملك من الملوك ، أرجوزة من 400 بيت ، ما تزال مخطوطة ، ينظر : محمد المنوني ،مصادر ، 141:1

65 هذا النص وارد في الدرة ،خطية خ ع بالرباط ،رقم 763 د ، ورقة 88 وجه

الفصل الثاني

ذكر كيفية اتصالهم بالملك وسبب ركوبهم لذلك الفلك

قال صاحب **درة السلوك**[1] : لم يزل أسلافهم مقيمين بدرعة إلى أن نشأ منهم أبو عبدالله محمد القائم بأمر الله ، فنشأ على عفاف وصلاح،وحج بيت الله الحرام ، وكان مجاب الدعوة ، ولقي جماعة من العلماء الأعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين . أخبرني بعض الفضلاء أنه لقي رجلا صالحا بالمدينة المشرفة ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فأشار له بما يكون منه ومن ولديه . وكان رأى رؤيا وهي أن أسدين خرجا من إحليله ، فتبعهما الناس إلى أن دخلا صومعة ، فوقف هو ببابها.فعبرت رؤياه بأنه سيكون لولديه شأن [16] عظيم وأنهما سيملكان الناس . ثم رجع إلى المغرب وهو مضمر للدعوة ، ويقول في كل محفل إن ولديه سيملكان المغرب ، ويكون لهما شأن ، من غير تردد منه ، ثقة بقول الرجل الصالح وتفسير رؤياه المذكورة .[فما زال إلى أن قام في سنة خمسة عشر وتسعمائة] [2] انتهى .

وأيضا من معنى تلك الرؤيا المذكورة ، مايحكى شائعا أن ولدي أبي عبدالله القائم ، وهما محمد المهدي وأخوه أحمد الأعرج ، كانا يقرءان بمكتب [3]وهما صبيان صغيران، فدخل ديك [4]فوثب على رأس كل منهما وصاح . فأول ذلك مؤدبها بأنهما سيكون لهما شأن عظيم ، فكان كذلك .[فما زال والدهما كذلك إلى أن قام في سنة

---

1 درة ، ورقة 88 وجه

2 سقط ما بين القوسين في م2 وم6

3 بالمكتب في م2 وم6

4 ديك المكتب في م2 وم6

خمسة عشر وتسعمائة][5]

وقال شارح زهرة الشماريخ [6] ما صورته:إن سبب قيام أبي عبد الله القائم أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر [7] ونزل بجوانبهم من كل جهة ، حتى أظلم الجو واستحكمت شوكة الروم وبقي المسلمون في أمر مريج ، لعدم أمير يجتمعون عليه وتجتمع عليه كلمة الإسلام ، لأن بني وطاس كانت قد فشلت ريح ملكهم في بلاد سوس وإنما كان لهم الملك في حواضر المغرب ، ولم يكن لهم من السلطنة بسوس إلا الإسم فقط . مع ما كان فيه بنو وطاس أيضا [17]من معاناة قتال الكفار بثغر أصيلا [والعرائش وطنجة] [8]وحجر بادس وغيرها من الثغور والمراسي.فلما رأى أهل سوس مادهمهم من تفاقم الأهوال وطمع العدو في بلادهم ، ذهبوا إلى الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن مبارك [9]، فذكروا له ماهم فيه من انتشار جماعتهم وافتراق كلمتهم ، وكلب العدو على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم . وطلبوا منه أن تجتمع كلمتهم عليه ، ويعقدون له البيعة [ويقوم بأمر الناس في إمضاء الحكم بينهم وجمعهم لقتال عدوهم .] [10]فامتنع من ذلك ، وقال لهم

5 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم3 وم4 وم5

6 زهرة الشماريخ في علم التاريخ أرجوزة من 206 أبيات ، لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1096 / 1685) ،وهي جزء من :الأقنوم في مبادئ العلوم وربما كان شارحها هو مؤلفها نفسه . ينظر :بروفنصال ، مؤرخو الشرفا،188 . ومحمد المنوني ، مصادر ، 159:1

7 في سنة 911 / 1505 أسس نبيل برتغالي مركزا للصيد سمي فيما بعد Santa Cruz de Cap de Gué حول منبع ماء سمي فونتي أو Fonte،ثم باع الحصن لملك البرتغال سنة 1513 ، ومن هناك امتد التوسع البرتغالي في سوس ينظر : أحمد التوفيق ،معلمة،591:2

8 سقط ما بين المعقوفين في م3 وم4 وم5

9 ت 1518/924.ينظر:ابن عسكر، دوحة،113.ولائحة مترجميه في الهامش.

10 ما بين المعقوفين سقط في الحجرية وم1 وم3 وم 4وم5

إن رجلا من الأشراف بتكمدارت [11] من بلاد درعة ، يقول إنه سيكون له ولولديه من بعده شأن . فلو بعثتم إليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق بمقصودكم . فبعثوا إليه ، وكان من أمره ما كان، انتهى.

ورأيت بخط الفقيه العلامة الحافظ أبي زيد عبدالرحمن ابن شيخ الجماعة أبي محمد عبدالقادر [بن علي بن يوسف] [12] الفاسي [13] ماصورته: ذكرلنا الوالد عن سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي [14] أن ابتداء دولة الشرفاء بسوس سببها أن بعض السادات ،وهو سيدي بركات [15]، توسط في فداء بعض الأساري . فأراد أن يكون اتفاقه مع النصاري على أن لا يقبضوا أسيرا.فكلمهم [18]في ذلك فقالوا له : حتى يكون لكم أمير ، فإن ملككم ذهب واضمحل .قال:ثم إن بعض أهل سوس سار إلى قبيلة جسيمة [16] يكايل القوت ،فأخذهم كسيمة ، وأكلوا بضاعتهم وامتعتهم . فذهبوا إلى شيخهم ، وكان ذا حزم وتدبير ، فرد لهم كل ماضاع لهم حتى لم يبق لهم شيء . فلما رجعوا إلى بلادهم قالوا : إن هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق أن نبايعه . فاجتمعوا وأتوه فطلبوه أن يرأسهم ، فامتنع واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الأمر للدين ، ودلهم على رجل شريف كان مؤذنا [17]

11 المدخل الشمالي لواحة فزواطة . ينظر :أحمد البوزيدي ،معلمة ،2152:7.

12 زيادة في م2 و م6

13 ت 1096 / 1684 ،ينظر :القادري ، نشر ، 325:2

14 السوسي الهشتوكي ، ت1048 / 1673 ، ينظر عنه عبد الوهاب بنمنصور أعلام ،377:5 ، والهامش 443 ،ص :386

15 التيدسي ، بركات بن محمد بن أبي بكر، ت 934 / 1528 .ينظر عنه:محمد حجي ، معلمة ،2662:8

16 كانت مجاورة لأكدير وتنسب لها فيقال أكادير كسيمة ، ينظر :الوزان ، وصف ،118:1

17 مؤدبا في م2 وم5 وم6

بدرعة ، فقال لهم : إن كان ولا بد فاقصدوا الشريف الفلاني ، فإنه يذكر أن ولديه سيملكان المغرب . فقصدوه واستصحبوه إلى بلادهم وفرضوا له مئونة ما يكفيه وأولاده ، وبقي عندهم في نحر العدو هنالك إلى أن كان ما كان .

وسيدي بركات المذكور هو الولي الصالح بركات بن محمد بن أبي بكر التدسي .ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه هو الذي أدخل الشرفاء لسوس سنة سبعة عشر وتسعمائة ، توفي رحمه الله عام خمس وثلاثين وتسعمائة ،انتهى . وفي **الدوحة** لابن عسكر[18] في ترجمة أبي عبد الله بن المبارك [19] المذكورقبل ،أنه هو الذي أمر قبائل السوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين ، أبي العباس الأعرج وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله ، لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد ، فكان من أمرهما ما هو معلوم ، انتهى. وفيه بعض مخالفة مع ما ذكر قبله ، لأن ما ذكره شارح **الزهرة** يقتضي أن ابن المبارك إنما حضهم على مبايعة أبيهما أبي عبد الله القائم بخلاف ماذكره في **الدوحة** ، ولعله أمرهم بالانقياد للجميع[19] والله أعلم .

وابن المبارك هذا من أكابر الأولياء من أهل التصريف المشاهد بالعيان، كان نزيلا ببلاد أقا [20]، وزاويته هناك شهيرة إلى الآن .وكان رحمه الله قطعي الولاية عند أهل السوس وظهرت له كرامات . منها أن نفرا من القبائل قدموا عليه بقصد الإنكار ، فأمر الشيخ أن تطبخ لهم العصيدة في قفاف من سعف الجريد، فجعلت القفاف على النار وأوقد عليها ، إلى أن طبخ لهم ما أمر

18 ص 113 من الدوحة المطبوعة

19 يرى كور أن سبب هذا الخلاف بين الروايات راجع إلى أن البعض يعتبر أول سلطان سعدي هو القائم بأمر الله بينما يرى البعض أن البيعة إنما كانت للأخوين محمد وأحمدينظر: Cour,Etablissement,p57

20 واحة جنوب جبل باني ، ومدرسة أقا بمحاداة الجبل من قرية تاوريرت جنوب الأطلس الصغير ، ينظر محمد البايك ،معلمة،580:2

به الشيخ ، والناس ينظرون جميعا . ومن ذلك أنه جعل لهم ثلاثة أيام [في كل أسبوع] [21] في كل شهر لا يحمل أحد فيها [20] سلاحا ولايتعرض بعض القبائل فيها لبعض .ومن انتهك فيها الحرمة عجلت له العقوبة ، حتى ذكروا أن أعرابيا قبض في تلك الأيام على يربوع ، فقال له بعض أصحابه : أطلقه، هذا يوم من أيام عافية سيدي محمد بن مبارك فأبى الأعرابي وضرب اليربوع فكسر رجله . فما هو إلا أن صاح الأعرابي : ياويحاه كسرت رجلي ، فما مشى عليها بعد . وكراماته شهيرة . ولما ثبتت ولايته عند القبائل السوسية أذعنوا له ، وانصتوا لقوله ، فأمرهم بالاجتماع على ما ذكرنا ، والله أعلم .

وفي **الدوحة** [22] أيضا ، في ترجمة الشيخ العالم الأكبرأبي محمد عبد الله بن عمر المضغري دفين درعة ، ماصورته :وكان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ وأخوه أبو العباس من تلامذته ، وبسببه كانت دعوتهما ، انتهى . وهذا مخالف لما تقدم أيضا ، إلا أن يتأول على أن كلا من ابن المبارك وابن عمر وغيرهما، حض على مبايعتهما أو ابن المبارك بالسوس وابن عمر بدرعة ونواحيها .

وفي **مرءاة المحاسن** [23] أن السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ ، ماهد دولة الشرفاء [21]، كان يتوهم من مشايخ الفقراء ويخاف منهم ،لدخوله الملك من بابهم.وقد اتفقت كلمة أولئك الأشياخ على أن أبا عبد الله محمد القائم ، إنما كان نهوضه بإشارة من الصالحين ،وإذن من العلماء العاملين . وكفى ذلك شهيدا على صحة نسبه الشريف عندهم ، وإلا لما خصوه بالإمامة العظمى التي لايمتطى صهوتها إلا شريف النسب قرشي المحتد.

21 ما بين المعقوفين سقط في م2 . وفي وفي الحجرية وم1 وم3 وم4 وم5 :في كل أسبوع أوفي كل شهر وفي م6 من كل شهر

22 ص 87 من المطبوعة

23 لأبي حامد العربي بن يوسف الفاسي ،ت1052 / 1642 .طبع على الحجر بفاس سنة1324 ، ينظر :محمد المنوني ، مصادر 147:1

هذا ما وقفت عليه في سبب اتصالهم بالملك ، وقد تركت أخبارا ولعت بها العامة في ذلك ، ورأينا إخلاء كتابنا منها أولى . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

لطيفة

رأيت بخط الفقيه الأستاذ مؤدب أولاد الملوك أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغى [24] رحمه الله ، ما نصه : كان سيدي علي بن هارون [25] يأخذ دولة الشرفاء أهل درعة من قول الله تعالى : *ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون* [26] ، انتهى . ولم يبين كيفية الأخذ لذلك من الآية الكريمة.ثم رأيت في **الرحلة** [27] لشيخ شيوخنا الفقيه العلامة العالم الإمام أبي سالم عبد الله بن محمد العياشـــــــــي ما صورته [28] :حدثني شهاب الدين أحمد [22] بن التاج [29] أن السلطان سليما العثماني ، أحد ملوك الترك ، وهو أول من ملك مصر منهم وانتزعها من يد السلطان الغوري [30] سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.وذلك أنه لما ملك الشام أراد أن يتملك العراق ، لأنها

---

24 الترغي المستاري ، ينظر عنه:سعيد أعراب ، معلمة ،2329:7

25 المطغري ، مطغرة تلمسان ، ت951 / 1545 . ينظرعنه:القادري ، نشر ،1: 184،82

26 قرءان كريم، سورة الأنبياء، آية 105

27 الرحلة العياشية أو ماءالموائد ،لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي ت 1090 /1679 نشرت في طبعة ثانية ، مصورة على الأوفسيط في جزئين،بعناية محمد حجي ، 1397 /1977

28 هذا النص وارد بالحرف في الرحلة العياشية 19:2

29 لعله أحمد بن تاج الدين الأنصاري، من أهل المدينة المنورة ، ت بعد 1073 / 1663 ينظر عنه :زركلي ،أعلام ، 106:1

30 قانصوه بن عبد الله الظاهري ، الملك الأشرف ، طومان باي ،ت922 /1516 ينظر عنه زركلي ، أعلام ،187:5

مساكن أسلافهم الترك . فلما أراد النهوض لذلك من الشام تعذر عليه الحال ، لقلة الأقوات وغلاء الأسعار. فكتب لسلطان مصر الغوري المذكور ، يستأذنه في الامتيار من بلده .وكان الشاه ملك العراق في ذلك الحين، لما سمع بتحرك السلطان سليم إليه ، كاتب الغوري - وكانت بينهما صداقة - يطلب منه أن يشغله ويثبطه ما استطاع . وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم وأنفة من تملكه لبلاد الشام . وخشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر إذاك هي أم البلاد الإسلامية ، وملكها أعظم الملوك ، لانتقال الخلافة العباسية بعد وقعة التتر من العراق إلى مصر وغيرها . وعندما طلب السلطان سليم من الغوري الميرة ، تعلل له بأن ذلك لايمكن في هذا الوقت لغلاء الأسعار ، واعتذر بأعذارضعيفة . ففطن سليم لقصده وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن السير إلى العراق . فحدثته نفسه بالوثوب [23]عليه ، وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر . فاستشار في ذلك كل من كان في حضرته من العلماء وذكر لهم عذره ، وأن الغوري منعه التزود من بلاده وهو محتاج إلى الزاد ، فكلهم قالوا له إن ذلك لا يبيح لك قتاله لأنه ملك بلاده ، ولم يخلع لك يدا من طاعة ، ولا بدأك بحرب ، فكيف يجوز لك الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب ؟ وكان من جملة العلماء الحاضرين المحقق ابن كمال باشا [31] وكان أصغرهم سنا ، فقال له [: أيها الأمير إنه يباح لك غزوه ، وفي كتاب الله أنك تدخل مصر في هذه السنة ، فقال له :] [32] وكيف ذلك ؟ فقال له : لا أفتي بين يدي هؤلاء الأئمة ، وهم مشايخ الإسلام ، حتى تؤجلهم سبعا ، لينظروا وليتدبروا . فإن الله سبحانه وتعالى قال : *مافرطنا في الكتاب من شيء* [33] ، [فكيف لا تكون هذه النازلة في كتاب الله الذي فيه بيان كل

31 أحمد بن سليمان ، شمس الدين ،ت 940 / 1534 .ينظر عنه :زركلي ، أعلام 1:133

32 ما بين المعقوفين سقط في م3

33 قرءان كريم ،سورة الأنعام ، الآية :38.

شيء؟] [34] فقال لهم سليم: إني أجلتكم سبعا لتبحثوا عن صحة ماقال ، فقالوا كلهم : أيها الأمير ما كان جوابنا الآن هو جوابنا بعد سبعة . فقال ابن كمال : لابد من التأجيل ،وقصده والله أعلم إظهار مزيته عند الملك ، وأنه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التأجيل والتلوم [35]، إذ لو أبدى ما عنده في المجلس ، لربما ادعى أن [24] ذلك يمكن الاهتداء إليه بالتأمل والتدبر. فأجلهم الأمير سبعا . فلما انقضت ، جمعهم وسألهم ، فقالوا : جوابنا فيما مضى هو جوابنا الآن . فقال ابن كمال : أيها الأمير إنهم ليقرءون في كتاب الله العظيم أنك تدخل أنت وجنودك مصر في هذه السنة ، إلا أنهم لا يهتدون لفهمه ، فقالوا : أين هذا ؟ فقال : قوله تعالى : *ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون*[36] فضحكوا منه وقالوا : أين هذا مما نحن فيه ؟ فقال :إن قوله تعالى : ولقد ، في قوة لفظ سليم بحساب الجمل ، فإن كل واحدة من الكلمتين عددها مائة وأربعون فتكون إشارة الكلام : سليم،كتبنا في الزبور من بعد الذكر عشرين وتسعمائة ،إن الأرض يرثها ؛ لأن الذكر عدده بدون آلة التعريف ما تقدم ، والأرض في الآية الكريمة ، على قول كثير من المفسرين ، هي أرض مصر ، والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك ، إذ لا أصلح منهم في عساكر المسلمين في أقطار الأرض ؛ لإقامتهم سنة الجهاد، وفتحهم أكثر البلاد النصرانية ،وهم على مذهب أهل السنة والجماعة[25] .وأما غيرهم من الأجناد ، فهم إما ممن فسدت عقائدهم [كأهل العراق وأكثر اليمن والهند ، وإما ممن ضعفت عزائمهم] [37]عن إقامة شعائر الإسلام كالمغرب ، وإما ممن استولت عليهم الدنيا كأهل مصر . وبالغ في تقرير هذا المعنى . وسر السلطان سليم بقوله ، وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط ولطف

---

34 ما بين المعقوفين سقط في الحجرية

35 التأمل في الحجرية

36 قرءان كريم ، سورة الأنبياء، الآية :105

37 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم 1 وم6

الإشارة . إلا أنهم قالوا : إن هذا لايكفي في إباحة قتال من لم يخلع يدا من طاعة ولا حارب أحدا من المسلمين . ولو كانت الإشارة القرءانية تدل على أن هذا سيكون، فلا بد من إظهار وجه تعتمده في الفتوى الفقهية ، فقال ابن كمال : أيها الأمير إن هذا سهل أيضا ، وذلك بأن تبعث للسلطان الغوري وتقول له :إني لما قدمت إلى هذه الأوطان ولم يتيسر الغرض الذي قدمت لأجله ، عزمنا على التوجه للحجاز لأجل فريضة الحج ، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم ، فأردت أن تأذن لي في المروربها والتزود منها . فإنه لا محالة مانعك وصادك عن المرور على بلاده .فإذا صدك عن حج البيت جاز لك قتاله وصار محاربا .فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك ، لأن الحيل في مذهبهم سائغة [38]. فكتب السلطان سليم للغوري [26] بذلك ، فراجعه الغوري بجواب سيىء وصرح بمنعه ، وقال له : لاتشرب من نيل مصر جرعة ماء إلا إذا مشيت على ظهور الموتى.فقوي حينئذ عزم السلطان سليم على غزو مصر بالسيف . فعظمت مرتبة ابن كمال عند سليم ، وخيره فيما شاء من الولايات . فاختار الفتوى وتولاها وحسنت سيرته فيها ، وتصدر لنشر العلم .والله يتقبل منه .

انتهى نص **الرحلة** المذكورة .

وكان دخول السلطان سليم لمصرعام عشرين وتسعمائة ، كما قاله ابن كمال. ولما دخل مصر قتل الخليفة العباسي ، وبه انقرضت دولة بني العباس [39]. وقتل جماعة من العلماء والصلحاء

---

38 جائزة في م4

39 "صارت القاهرة دار الخلافة العباسية بعد سقوط بغداد في يد التتار عام 656 / 1258 . ولما تغلب سليم على المماليك ودخل القاهرة ، تنازل له الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله ، وسلم له شارات الخلافة :الراية والسيف والبردة النبوية ومفاتيح الحرمين الشريفين ، فتلقب حينئذ سليم ، ومن أتى بعده من السلاطين العثمانيين بلقب خليفة المسلمين وحامي الحرمين ، وأصبحت القسطنطينية دار الخلافة الإسلامية ." محمد حجي ، حـــركة 1:69 هامش 10

وكثيرا من المجاذيب وأرباب الأحوال . لأن الغوري خرج بهم معه يستنصر بهم ، فلم يغن ذلك شيئا عن قدر الله عز وجل ، *قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا* [40].

قلت : فلعل الذي أخذ دولة السعديين من الآية يشير لاستنباط ابن كمال ، فإن الشرفاء السعديين نبغ أمرهم في حدود العشرين وتسعمائة ، كما سيأتي .والعلم عند الله سبحانه .

ونظير هذا مارأيته بخط الفقيه [27] قاضي الجماعة بالحضرة الإسماعيلية أبي عبد الله محمد بن عبدالرحمن المجاصي [41]، قال : استخرج بعض الأصحاب ،وهو السيد عبدالكريم السجلماسي [42] - الأربعة عشر مائة التي يقال لاتزيد عليها هذه الأمة المأخوذ من كلام دانيال النبي عليه السلام من قوله تعالى : فقد جاء *أشراطها* [43].[والله أعلم][44]

---

40 قرآن كريم ، سورة المائدة ،الآية 17

41 لعله محمد بن الحسن المجاصي الغياثي الأصل المكناسي ، ت1103 / 1691 ، ينظر عنه ابن زيدان ،إتحاف ، 47:4

42 لم نتمكن من التعرف عليه

43 قرءان كريم ، سورة محمد ، الآية 18

ومن أمثلة هذه الاجتهادات ما ورد في هامش ص 12 من م6 :"وقف كاتبه الحسن بن عبد القاهر الوافلاوي على تأليف للكاتب سيدي أحمد الغزال رحمه الله في أخذ اسم سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولانا إسماعيل من قوله تعالى *إنا فتحنا لك فتحا مبينا*. وهو الآن بأيدي السادات الفاسيين هـ وذكر الكاتب أيضا في رحلته لبلاد اصبانيا ،أعادها الله دار إسلام حين أراد الملاقاة مع الطاغية ،استنبط من قوله تعالى:*فإذا دخلتموه فإنكم غالبون* ، استيفاءالشروط ، فحصل على المعول. والله ولي التوفيق بمنه وكرمه .

44 زيادة في م2 وم6

الفصل الثالث

ذكر بقية الخبر عن دولة الإمام أبي عبد الله القائم

قال ابن القاضي : إن السلطان أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله اجتمع بالشيخ الصالح أبي عبدالله بن مبارك المتقدم الذكر بموضع يقال له أقا[1] من بلاد السوس الأقصى، فتكلم معه ثم رجع إلى قراره من بلاد درعة ، وذلك عام خمسة عشر وتسعمائة . [ثم في العام المقبل بعده ،وهو عام ستة عشر][2]، بعث له فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل واستدعوه إلى تقديمه عليهم وتسليم الأمر إليه . فلما دعوه لبى دعوتهم وأجاب رغبتهم ، وجاء معهم إلى قرية يقال لها تدسي[3] قرب تارودانت . فبايعه الناس بها وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأغراض على الجهاد مجتمعة . فندب الناس إلى مقارعة النصارى[وإجلائهم عن مرسى فنت[4] . فأتت معه جموع[28] حافلة من المسلمين ، وعمدوا إلى النصارى][5] فناوشوهم بالقتال فأتاح الله له النصر ، ومزق أشلاء الكفر بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها وأعاد شريد الدين إلى وطنه . فلما رأى ذلك المسلمون تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطائره الميمون ، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما لمكانته . ثم إنه رجع إلى مكانه من تدسي المذكورة ، فوقع بينه وبين بعض

---

1 تكتب في بعض النسخ أقة أو أق

2 ما بين المعقوفين سقط في م2 وم3

3 قرية بسوس قرب أولاد تايمة الحالية ، ينظر :محمد حنداين ، معلمة ،8: 2660

4 أوفونتي و تفتنت ، ينظر هوداس ، ترجمة النزهة ،ص32،هامش2

5 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2

الرؤساء هنالك منافرة أدت إلى ارتحاله عنها ورجوعه إلى درعة مقيما إلى عام ثمانية عشر . فرجع إلى مكانه من تدسي ، واطمأنت به دارها ، وأزال الله عنه ما كان أزعجه عنها .ثم ندب الناس إلى بيعة أكبر ولديه ،أبي العباس أحمد ، فبايعه الناس . ثم جاءه أشياخ حاحة [6]والشياظمة ، لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه ، فشكوا له العدو الكافر في بلادهم وشدة شوكته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل إليهم هو وولده ولي عهده المذكور.فأجابهم إلى ذلك ، وخرج معهم هو وولده إلى محل يقال له أفغل[7] من بلاد حاحة ، وترك ولده الآخر الأصغر أبا عبد الله محمد المهدي بالسوس ، يمهد به المملكة ، ويقعد أساس الملك ، ويباكر القتال مع العدو ويراوحه . وبقي الإمام أبو عبد الله القائم بمكانه من أفغل إلى أن توفي به عام [29] ثلاثة وعشرين وتسعمائة .وفي هذه السنة استولى الترك على الجزائر وتلمسان ، وتملكوا مدائن المغرب الأوسط ، ولم يكن لهم قبل ذلك في الغرب تملك ولا صولة. وسبب ذلك أن الشيخ الإمام العالم أبا العباس أحمد بن القاضي الزواوي [8]كانت له همة شديدة في غزو الكفار ، وقوة شكيمة عليهم .وله مع ذلك شهرة عظيمة في بسائط المغرب الأوسط وجباله .وفيه قال الشيخ سيدي عبد الله الهبطي [9]: مارأيت أحدا قام قيام الإراثة النبوية على أصلها المعروف من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين : سيدي أحمد بن القاضي في زواوة وسيدي سعيد بن عبدالمنعم في حاحة . ولما رأى أبو العباس المذكور قوة شوكة الكفار ، وانتشار أيديهم في بلاد المغرب ، وضعف المسلمين عن مقاومتهم ، كاتب الترك وعرفهم غرة هـــذه البلاد ، لما يسمع من شدة الأتراك في المعارك ونجدتهم في الحروب ،وإرهابهم للكفرة . فقصد بحسن نيته أن يرفعوا من

---

[6] إقليم بين واد شيشاوة والمحيط و سوس ودكالة ، ينظر :الوزان ،وصف ، 1:95

[7] إغيل في م 1 ،أفوغال في م2 ، ينظر عنها :أحمد التوفيق ، معلمة ،2:566 .

[8] ينظر عنه :ابن عسكر، دوحة ،126

[9] عبد الله بن محمد الهبطي ، ت963 / 1555 . ينظر عنه :ابن عسكر، دوحة،7

عزة الإسلام ما انخفض ، ويقوى بهم من أمره ماضعف ،وقال : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب .فأقبل الترك نحوه مسرعين ، وجعل هو يحض الناس على اتباعهم ، والانخراط في سلكهم ، والسمع والطاعة لأميرهم عروج التركماني الذي هو الباي فيهم [10] فدخل الترك الجزائر وتلمسان.ثم إنهم مكروا بالشيخ وغدروا[30] به خوفا على رياستهم ، فقتل رحمه الله شهيدا بعد الثلاثين وتسعمائة .ولما أخذ الترك تلمسان أكثروا فيها الفساد ، ونهب عروج أموال أهلها ، وأدار عليهم دائرة البوار والسوء ومزقهم كل ممزق ، وخرج عنهم إلى بني يزناسن [11]، فأشفق منه أهل تلمسان ، وخافوا منه إذا رجع إليهم أن يستأصلهم ، فجاؤوا إلى الشيخ الإمام عالم تلمسان إذاك ، أبي العباس أحمد بن ملكوة [12]، فشكوا إليه مانابهم منه ومايخافون من أوبته . فانقبض الشيخ انقباضا عظيما ، ثم ضرب الأرض بيده وقال :والله لايرجع لتلمسان أبدا ، اعتمادا منه على الله تعالى. فكان كما قال ، وقتل عروج ومن معه من الأعلاج والأتراك . فكان الشيخ ممن قال في حقه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : *إن من عباد الله من لو أقسم على الله في شيء لأبره* [13]

ولما توفي السلطان أبو عبد الله القائم بالمحل المذكور من بلاد حاحة ، دفن هنالك بإزاء ضريح الولي الصالح ، القطب الواضح ، شيخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي [14]، مؤلف **دلائل الخيرات** ، وذلك قبل أن ينقل إلى مراكش . ولما نقل الشيخ الجزولي على يد ولده السلطان أبي العباس أحمد الأعرج ، نقل السلطان المذكور أباه

---

10 عن تفاصيل دخول الأتراك الجزائر، ينظر:Cour,Etablissement,p75

11 اتحادية قبلية بالمغرب الشرقي .ينظر:أحمد العماري ، معلمة ،1506:5

12 ترجم له :ابن عسكر ، دوحة ،135

13 حديث شريف ، رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه

14 ت 870 / 1465 ، ترجم له مطولا:المراكشي ، إعلام،40:5 – 103

المذكور أيضا ، فدفن بإزاء ضريح الشيخ الجزولي حيث هو اليوم من مراكش . وكان سبب نقل الشيخ الجزولي أن عمرو المغيطي الشياظمي[15] ، ويعرف بالسياف ، قام بعد موت [31]الشيخ مظهرا طلب ثأر الشيخ الجزولي ممن سمه ، إذ مات مسموما ، ثم صار يدعو الناس إلى نفسه ، وأخرج الشيخ من قبره ، وصار يحمله . وأنى توجه به ينصره الله على أعدائه ، إلى أن قتل عمر المذكور في قضية طويلة . فلما ولى الأشراف خافوا أن يثور عليهم أحد فيفعل مثل ما فعل عمر ، فنقلوه إلى مراكش . وقيل أن الحامل لهم على نقله ، أنه ذكر لهم أن تحته كنزا ، فتعللوا للحفر عليه بقصد نقله إلى بلادهم ، والله أعلم . وكان ذلك في حدود الثلاثين والتسعمائة .[والأمر لله سبحانه من قبل ومن بعد] [16] .

---

[15] ت 890 / 1485 ، ينظر :الناصري ،استقصا،122:4

[16] زيادة في: م2 وم6

الفصل الرابع

ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي العباس الأعرج رحمه الله

ولد رحمه الله حسبما ذكره ابن القاضي عن بعض الثقاة عمن وثق به عن عبد العزيز بن يعقوب الأمين [1] سنة إحدى وتسعين وثمانمائة ، [وبويع بإشارة من أبيه كما تقدم عام ثمانية عشر وتسعمائة .] [2] ولما أخذ له والده البيعة على الناس وتوفي ، صرف همته إلى تمهيد البلاد واقتناء الأجناد وتعبئة الجنود إلى الثغور ، واستكثر من شن الغارات على العدو الكافر بتالمست [3] وأسفي [4] . وكان النصارى قد عاثوا في السواحل مفسدين وخيموا بشط البحر من كل جهة وناحية . فأجلاهم من تلك النواحي وطهر الله من نجسهم تلك البقاع والمناحي.ويقال أيضا أن النصارى دمرهم الله لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبي ، أخلوا أزمور وأسفي ورباط أصيلا [5] من غير قتال [6] . فسارع جماعة من المسلمين وفيهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن

---

1 لم نتمكن من التعرف عليه

2 ما بين المعقوفين سقط في الحجرية

3 على نهر تنسفت ، مقر زاوية سيدي عبد الجليل ، محمد كلاد، معلمة ،2166:7

4 ينظر:عبد اللطيف الشاذلي ، مادة أسفي (تاريخ)، معلمة ،427:2

5 احتل البرتغاليون أصيلا سنة 876 / 1471 ، وتم الجلاء عنها في رجب 956 /غشت 1550ثم سقطت من جديد في يدهم قبيل معركة وادي المخازن ، ينظر :محمد حجي ، معلمة 487:2

6 احتل البرتغاليون أزمور سنة 919 / 1513

ساسي [7] والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش [8] إلى ثغر أزمور يحرسونه حتى يجتمع فيه من المسلمين ما يقمع الكفرة ، ويذود عن بيضة [32] الإسلام ، مخافة أن يرجع إليه العدو بعد ذلك . فكان من قدر الله أن العدو رجعوا إليه ، فأخذوا جميع من وجدوه هنالك من المسلمين ، وأسروا الشيخين المذكورين ، إلى أن افتديا بعد ذلك . ويقال إن الشيخ الكوش لما افتدي وعزم على الخروج ، وكان ملكا لامرأة نصرانية ، قالت له إن عندي كتبا من كتب المسلمين فخذها ، فجعلها الشيخ في قفة وحملها على رأسه . فكان من جملة تلك الكتب تنبيه الأنام [9] المعروف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور.

ثم إن السلطان أبا العباس أحمد الأعرج لما بعد صيته ، وانتشر في البلاد ذكره ، وعلا أمره ، وملك سائر البلاد السوسية ، هرع الناس إليه وقصدوه من كل جهة ، ووفدوا عليه ، وكاتبه أمراء هنتاتة ملوك مراكش ودخلوا تحت طاعته . فدخل مراكش في حدود الثلاثين وتسعمائة . ثم إن المريني بلغه الخبر ، وهو بفاس، بدخول الأشراف إلى مراكش . فأقبل عليه في جموع عديدة مع وزيره ابن عمه مسعود بن الناصر [10]. فلما رأى السلطان أبو العباس مالا قبل له به من المريني تحصن منه بمراكش وشحن أسوارها وملأها من الرماة ، ونصب الأنفاض.ودام الحصار كذلك أياما.فيحكى أنه قيل للشيخ العارف بالله القطب الكبير أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني [11] ، وكان إذاك قد استوطن

---

7 ترجم له ابن عسكر ، دوحة ،110

8 ابن مسعود المراكشي ت 960 / 1552 . المراكشي ، إعلام ،276:8

9 تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا عليه الصلاة والسلام ، للمرادي ، عبد الجليل بن محمد ينظر :البغدادي ، كشف الظنون،486:1

10 ينظر:الناصري ، استقصا،147:4، وفيه أن المرافق للسلطان هو أخوه الناصر

11 ابن عجال المراكشي ،ت 935 / 1528 .ينظر عنه :المراكشي ، إعلام،235:8

مراكش بعد ما وقع من بني وطاس ما وقع من سجنهم له ولأصحابه . وهو الذي لما توجه إلى مراكش من فاس أخذ برنسه في يده وجعل يشير به وهو يقول : سيري معي ياسلطنة [33] فاس إلى مراكش .ثم إن أهل المدينة سئموا من الحصار ، فركب [الشيخ الغزواني] [12] مع أصحابه وخرج من باب مراكش المعروف بباب الشيخ أبي العباس السبتي [13] ، فوجد رماة المريني يرمون من بالأسوار من أهل المدينة . فوقف الشيخ يعتبر، فجاءت رصاصة وضربته في صدره، وخرقت الجبة عليه ، والتصقت بلحمه وصارت كالعجين ، كأنها وقعت في صخرة صماء . فقبض الشيخ عليها بيده ، وقال : هذه خاتمة حربهم ، إن شاءالله . ثم دخل الشيخ المدينة ، فوردت الأنباء على المريني في تلك الليلة بأن أولاد عمه قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح راحلا عن مراكش،وظهر مصداق ماقال الشيخ الغزواني .ولم يعد للمريني وصول لمراكش بعد ذلك ولا بلوغ لأحوازها ، بل كان السلطان أبو العباس يتلاقى معه في تادلا وأحوازها . وكانت بينهما معركة بموضع يقال له أنماي [14]، وذلك في ذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وتسعمائة ، فافترقا على إصطلاح . ثم حرك لهم المريني أيضا ، فالتقيا ببوعقبة أحد مشارع وادي العبيد . فوقعت الهزيمة على المريني ، وكان ذلك يوم الجمعة ثامن صفر عام ثلاث وأربعين وتسعمائة . ولما رأى الناس ما وقع بين السلطانين المريني وأبي العباس الأعرج من التهالك على الملك والتقاتل عليه وفناء الخلق[34] بينهم ، دخلوا بينهما بالصلح والتراضي على قسمة البلاد . وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم سيدي عمر

---

12 زيادة من م2

13 تنظر ترجمته وافية في "أخبار أبي العباس السبتي"لابن الزيات ، ملحقة بكتاب التشوف ، تحقيق: أحمد التوفيق .

14 علي واد تساوت ، أحد روافد أم الربيع ، وتسمى اليوم سيدي رحال ، نسبة لرحال الكوش ت 950 / 1543 . ينظر :الوزان ،وصف ، 137:1

الخطاب [15] دفين جبل زرهون [16] وسيدي المحجوب المعروف بأبي الروايين [17] وكان رجلا مجذوبا ، ذا قلق وانزعاج ، فجعل الناس يوصونه بالسكوت مخافة أن يفسد على الناس شغلهم . فلما دخلوا على السلطان أبي العباس الأعرج وأخيه محمد الشيخ ، وأعلموهما بما قدموا لأجله ، وجدوا فيهما فضاضة وغلظة ، وقلة مبالاة بذلك ، وامتنعا من المساعدة على ماأراد الناس . فحلف الشيخ سيدي عمر الخطاب لا دخلتما فاسا مادمت على وجه الأرض. [فما دخلاها حتى مات الشيخ الخطاب بعد مدة ، فكان بعضهم يقول:لو علم بنو مرين شيئا ماتركوا سيدي عمر الخطاب يدفن ، ولرفعوه في تابوت على الأعناق ، لأنه قال : مادمت على وجه الأرض][18]. هكذا ساق هذه الحكاية صاحب **ممتع الأسماع** [19] وذكر في **شرح زهرة الشماريخ** أن الصلح انبرم بين الطائفتين على أن للأشراف من تادلا [20] إلى سوس وللمريني من تادلا للمغرب الأوسط ، وأن ممن حضر الصلح المذكور قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن علي بن هارون المطغري [21] بالطاء ، مطغرة تلمسان ، والإمام الشهير أبو مـــالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي [22] وغيرهما من مشايخ فاس . ويذكر أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح ، وعقدوا شروطه ، وهدأت الأصوات ، وسكن اللجاج ، أتي

---

15 عمر بن عبد العزيز الزرهوني ، ت 1002 / 1594. :القادري،نشر،1:1 41

16تنظر حدود موقعه في :الوزان ،وصف ،294:1

17 محمد بن الحسين، ت 963 / 1555 .ينظر :ابن زيدان ،إتحاف ،24:4

18 تأخرت هاته الفقرة في م2 وم6 إلي ما بعد قوله :ممتع الأسماع

19 ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع ، للفاسي ، محمد المهدي بن أحمد،ت 1109 / 1698 . طبع على الحجر بفاس 1305 .ينظرعنه المنوني ، مصادر،165:1 والنص المذكور وارد في الحجرية ص :54

20 ينظر أحمد عمالك ، معلمة،2003:6

21 علي بن موسي بن هارون ،ت 1545/951.ينظر عنه: ابن عسكر، دوحة،51.

22 ت 955 / 1549 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة،350:2، والهامش 20

بدواة وقرطاس ليكتب الصلح ، فما وضعت الدواة بين يدي أحد من الفقهاء [35]الحاضرين إلا وجم وانقبض ودفعهما عن نفسه استحياء في ذلك المحفل ، أن يكتب مالا يناسب الجهتين.فقام قاضي الجماعة المذكور، وأخذ الدواة والقرطاس وأساودها ووضعها بين يدي أبي مالك المذكور . فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة مليحة ونسج الصلح على منوال عجيب ، واخترع لذلك أسلوبا بديعا تحير فيه الحاضرون ، وعجبوا من ثبات جأشه ، وجموع قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الفصحاء هيبة وإكبارا . فقام قاضي الجماعة ، وقبله بين عينه ، وقال له : جزاك الله عن المسلمين خيرا وما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر . وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة .

الفصل الخامس

ذكر الخبر عن خلع السلطان أبي العباس الأعرج وسجنه إلى وفاته وسبب ذلك

كان أبو العباس الأعرج من السلطنة وضخامة الدولة بالمحل الذي وصفناه قبل . وكان أخوه محمد الشيخ أصغر منه سنا ، تحت طاعته وواقفا عند إشارته . وكان أبو العباس يستشيره ويفاوضه في مهمات الأمور وعظيم النوازل ويستضيئ برأيه في ظلم المعارك . وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأي حازما في أموره.فكانت كلمتهما واحدة ورأيهما متفقا ، إلى أن دخل بينهما الوشاة فأفسدوا ما بينهما [1]، فتغيرت قلوبهما وتبدل الأمر بينهما ، حتى أفضى بهما الحال إلى المقاتلة . فانعزل كل منهما [بطائفة من الجيش][2] وتقاتلا مدة [36] مديدة. فتغلب الشيخ على أخيه أبي العباس ونزع خاتم الملك من يده واستولى على جميع ما كان بيده من الذخائر والعدد، وقبض عليه فسجنه ، هو وأولاده ، بمراكش.فكان يجري عليه الجرايات العظيمة ويعامله بأحسن المعاملة. وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة.فلم يزل أبو العباس في حكم الثقاف ، إلى أن قتلت الأتراك بالسوس الأقصى أخاه محمدا الشيخ المذكور ، كما سيأتي ، في أواخر ذي الحجة [3]من عام أربعة وستين وتسعمائة .فبلغ خبر مقتله لخليفته بمراكش القائد علي بن أبي بكر أزيكي [4]،فأسرع بقتل أبي العباس

---

1 عن تفاصيل هذا الخلاف ينظر:طوريس ،77

2 ما بين المعقوفين سقط في م1

3 ذي القعدة في م4

4 أَزَيْكُ في م3 .

وأولاده ذكورا وإناثا وصبية جميعا ، خشية أن يخرجه أهل مراكش من السجن فيبايعوه.وكان ابن مخدومه، أبو عبد الله الغالب،غائبا بفاس خليفة أبيه بها وولي عهده من بعده،كما سيأتي إن شاء الله مستوفى.وذكر بعضهم أن الشيخ العارف بالله الولي الشهير سيدي أبا عمرو القسطلي الأندلسي المراكشي[5]دخل ذات مرة على السلطان أبي العباس الأعرج قبل أن ينتزع الملك من يده، فأغلظ له الشيخ في القول وواجهه بما يكره . فلما خرج من عنده لامه بعض الأقارب وقال له :كيف تواجه السلطان بهذا؟وحذره من وثبات الملوك.فقال له الشيخ أبو عمرو:وكيف أخاف من المذبوح؟والله إني لأرى الذبحة في عنقه من الأذن إلى الأذن ، والله إن لم أدفن جيفته [37] ما دفنها أحد. فكان الأمر كذلك .فلما قتل أبوالعباس وأولاده لم يتجاسر[6]أحد على دفنهم، حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو،بمقربة من ضريح الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وهي القبة القريبة من ضريح الإمام المذكور، وتسمى بقبور الأشراف.فكانت مدة خلافة أبي العباس إثنين وعشرين سنة.

قال ابن القاضي:وكان بين قتله وقتل أخيه قبله ثلاثة أيام.

ومن حجابه محمد بن علي السملالي الأنكرطي [7] ومحمد بن أبي زيد المترازي [8] ومن كتابه سعيد بن علي الحامدي [9]، رحمهم اله تعالي.[والملك والبقاءلله وحده .][10]

---

5 ت 974 / 1576 ، ينظر عنه :عبد الوهاب بنمنصور ،أعلام ،2:96 والهامش 91 ، ص:96

6 يتجرأ في م1 وم3 وم4

7 الانكزاطي في م1 وم3 وم5 . لم نتمكن من التعرف عليه .

8 المتوازي في م1 وم3 . لم نتمكن من التعرف عليه .

9 ت 937 / 1565 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة،2:592 والهامش 4

10 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5

الفصل السادس

ذكر الخبر عن ولده زيدان بن أبي العباس الأعرج

قال صاحب **درة الحجال** [1]: اختلف هل بويع لزيدان [2] هذا بعد وفاة أبيه أبي العباس أم لا . وقال صاحب [3] **زهرة الشماريخ** : كان ولده زيدان بسلجماسة فبويع بها، فلم يتم له الأمر. وتوفي سنة ستين وتسعمائة .[والله تعالى أعلم][4]

1 درة الحجال في أسماء الرجال ، لابن القاضي ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،3 أجزاء،دار التراث، القاهرة، 1390 / 1970 . وورد النص في المطبوع ،278:1

2 حول دور زيدان في حروب محمد الشيخ والأعرج ينظر طوريس ،85

3 شارح في م3

4 مابين المعقوفين زيادة في م6

الفصل السابع

ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ

بن أمير المؤمنين أبي عبد الله القائم بأمر الله

[38] كانت ولادته رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، ويلقب بأمغار[1] ، ومعناه بلغه البربر الشيخ . ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي ، لقبه غير واحد من الأئمة به .نشأ رحمه الله في عفاف وصيانة ، وعني بالعلم في صغره،وتعلق بأهله ، فأخذ عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ في العلم درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة في الأحكام ويرد عليهم فتاويهم ، فيجدون الصواب معه ، وقع له ذلك مرارا . وله حواشي على التفسير ، وذلك مما يدل على غزارة علمه .

قال في **المنتقى**[2] :كان [3]أديبا متقنا [4]حافظا . حدثني شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة [حسن السيرة والمجاورة][5]، نقي الشيبة ، عظيم الهيبة ، ما رأيت بعد شيخي أبي الحسن علي بن هارون أحفظ منه للمقطعات الشعرية ، [والملح النثرية][6]كثيرا ما كان ينشد من الشعر بيتا واحدا هو :

الناس كالناس والأيام واحدة والدهر كالدهروالدنيا لمن غلبا

---

1 ينظر:أزايكو علي صدقي ، معلمة،763:3

2 ورد فيه النص في 1:286 – 290

3 في المنتقى :كان ملكا شجاعا مقداما عالما متفننا أديبا حافظا،

4 متفننا في م1 وم3

5 زيادة في المنتقى

6 زيادة في المنتقى

وكان حافظا للقرءان وفهمه جيدا [7]، ويحفظ **ديوان** المتنبي عن ظاهر قلب ، حافظا **لصحيح البخاري**[8][39] ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول في **شرح ابن حجر**[9] : ما صنف في الإسلام مثله ، عارفا بالتفسير وغيره ، وكان يحض على المشاورة ، ويقول لاسيما في حق الملوك ، وينشد قول الشاعر:

ومن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى

وكان يقول : ينبغي للملك أن يكون طويل الأمل ، فإن طول الأمل وإن كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح ، لأن الرعية تصلح بطول أمله ، وكان يقول : من طول أمله أخذ تلمسان وسبتة وغيرهما ، انتهى . وقوله كان يحفظ **ديوان** المتنبي سببه مارأيته في **الدوحة** [10]، قال : أخبرني الوزير المعظم أبو عبدالله محمد ابن الأمير أبي محمد عبدالقادر ابن السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ الشريف [11] ، قال: لما غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم ،عرف الشيخ أبا محمد بن عمر بذلك ، فكتب إليه وهو يقول له :أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي :

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد   وأعوزالصدق في الأخبار والقسم

قال : فعكف السلطان المذكور على **ديوان** المتنبي حتى علق بحفظه كله [40]ولم يعزب عنه بيت واحد منه ، انتهى.

---

7 وفهمه له جيد في المنتقي ،جيد في م1 وم3 ، جيد جدا في م2

8 الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ، لمحمد بن اسماعيل البخاري ، أمير المؤمنين في الحديث ، ت 256 /870

9 فتح الباري لابن حجر أحمد بن محمد الكناني العسقلاني ت 1449/852 ، ينظر عنه:حاجي خليفة ،كشف ،547:1 .

10 دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، لابن عسكر محمد بن علي الحسني الشفشاوني ت 986 / 1578 . صدر بتحقيق محمد حجي عن دار المغرب سنة 1396 / 1976 . والنص وارد في الدوحة ،89

11 ذكره صاحب تاريخ الدولة السعدية ، المجهول الإسم ص:37

وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور ، وهو عبد الله بن عمر المطغري ، أخذ عن أبي عبد الله القوري [12] والونشريسي ، مؤلف **المعيار** [13] وغيرهما . وكان علامة حافظا ، توفي ببلاد درعة سنة سبع وعشرين وتسعمائة. قاله [14] سيدي أحمد بابا في **كفاية المحتاج** [15]. والذي عند صاحب **الفوائد** [16]، أنه توفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، وهو أشبه بالصواب .
وكان ابن عمر شديد المحبة للسلطان أبي عبد الله وأخيه السلطان أبي العباس وقد تقدم في كلام صاحب **الدوحة** أن بسببه كانت دعوتهما ، وقد وفد ابن عمر لسوس على تلميذه السلطان أبي عبد الله مرارا . وقال أبو زيد في **الفوائد** : أخبرني أبو محمد عبدالله بن مبارك الأقاوي [17] قال : سمعت الإمام القاضي أبا عثمان الهوزالي [18] يقول : لما رجع ابن عمر المذكور من وفادته إلى درعة ، سأله فقهاؤها عن أهل سوس ،فقال لهم : وجدت فقهاءهم على ضعيف الفتاوي وفقراءهم على كثرة الدعاوي وعامتهم على كثرة المساوي، انتهى .

---

12 محمد بن قاسم ت 872 / 1467 ، ينظر عنه :ابن القاضي ، لقط ،263

13 الونشريسي ، أحمد بن يحيى التلمساني ت 914 / 1508 .ومؤلفه المشهور المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقيا والأندلس والمغرب .

14 في الكفاية ، 211:2

15 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، حققه محمد مطيع ، بحثا لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب ، الرباط ، 1987 .

16 الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، للتمنارتي ، أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الجزولي ت 1060/ 1650،والفقرة المذكورة واردة في مخطوط خ ع بالرباط رقم 3693 ، ص 78

17 السوسي ت 1015/1606 ، ينظر عنه :المراكشي ، إعلام ،291:8

18 سعيد بن علي الهوزالي ت 1001 / 1592 ينظر عنه :محمد حجي ، حركة ، 407:2

ومن فوائد ابن عمر المذكور أنه سئل عن مد [19] النبي صلى الله عليه وسلم[41] فأجاب بما نصه : وعليكم السلام معشر السادات ، ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد سألتموني عن مقدار الصاع النبوي ، فأقول وبالله تعالى التوفيق : مبلغ علمنا وآخر نظرنا مع طول بحثنا ، أن من أراد معرفته تحقيقا، ومعرفة مقداره عيانا،فليعد من حبوب الشعير الوسط المقطوعات الأطراف أربعة وثلاثين ألف حبة وستمائة حبة وثلاثة أخماس الحبة [20] ، لأن الرطل مائة وثمانية وعشرون درهما ، بالدرهم السني ، والدرهم السني خمسون وخمسا حبة ، ضعف مافي المد أربع مرات ، تكون الجملة ماذكرنا في الصاع آنفا . وإنما ألجأني لهذا العمل أني لما جئت من فاس المحروسة بالمد والصاع وبنصفه ، لقيت شيخنا الفقيه الجليل أبا علي الحسن بن عثمان بن عبد الله التاملي [21]، فقال هل [22] أتيتنا من فاس بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وبمده ؟ فقلت : قد أتيت بهما وبالنصف . ففرح بذلك فرحا بليغا ، فقال علي بهما .فقلت لصاحبي أخرجهما من حوائجنا . فلما نظر إليهما ضحك كالمستهزئ ، فقال : ورب الكعبة ما جئت بمده ولا صاعه، صلى الله عليه وسلم ، قد غلطوا فيهما غلطا [42] متفاحشا.فكأنه استكبرهما ، وكنت إذاك معتقدا فاسا وأهله ، فقلت : اتق الله أيها السيد كيف تنسب الغلط إلى مدينة الإمام والمسلمين ،وهذا الطابع فيهما ، وقد جعلوا العالم النحرير على

19 عن المد والصاع ، ينظر:

Habib,Mustapha,note sur deux mesures d'aumône,p 264
Pascon ,P.Description des mud et saa,p29

20 علق هوداس في الترجمة ، ص 48 ،هامش 1 بأن هذا الحساب غير صحيح ، وأن ناتج الجمع هو 37804 و 4/5. والصاع يساوي 4 أمدد،والمد 1.33 من الرطل ، والرطل 12 أوقية ،والأوقية 10.67 درهم ، والدرهم 50.4 حبة ، فيكون مجموع حبات الصاع 34331,10.ينظر :عمر أفا،النقود المغربية ،78

21 ت 932/1525 ، ينظر :محمد حجي،معلمة ،8:2558

22 هلا في م1وم4

النجارين ، فلا يبيعون صاعا ولا مدا حتى ينزل طابعه فيه ، بعد امتحانه . فقال لي : رد إلى بالك ، فشأن [23] غلطهم أنهم اعتمدوا قول الفقهاء في المد وزن رطل وثلث ، فوزنوهما من الأشياء الخفيفة . أرأيت لو وزنوهما من التبن كان أكثر وأكثر، فظهر لي صحة قوله فرجعت إلى طلب التحقيق ، فاعتمدت فيما ذكرت على ماذكره أبو راشد القفصي [24]. والصاع الذي جئت به من فاس في ملئه ثمان عشرة قبضة وملء هذا اثنتا عشر قبضة ، فبينهما مقدار الثلث . فمن أراد الاحتياط فليخرج زكاة الفطر بالأكبر ، ويعتبر بلوغ النصاب بالأصغر .

ومن أشياخ السلطان أبي عبدالله أيضا الإمام الشهير ، الصدر الكبير ، شيخ الجماعة بالصقع السوسي ، أبو علي الحسن بن عثمان التملي ، وذكره في **المنتقى** [25] .وكان عالما علامة حافظا مثابرا على التعليم ، مجانبا للراحة ، كثيرالسهر والتدريس والعبادة ، وكان إذا غلب عليه النوم ، يضع رأسه على حجر لتوقظه قساوة الحجر ، ولا يستغرق [43]في النوم . ويطول في مجلس تدريسه حتى كان يقرأ عليه في المجلس الواحد أربع عشرة دولة . وكان حافظا **لتوضيح** خليل [26]، لكثرة ملازمته في النسخ والتدريس ، يقال إنه نسخه أربع عشرة مرة . وكان حين كونه

---

23 مثار، في الحجرية وم1

24 ابن راشد في م2 وم4 . والمقصود محمد بن عبد الله بن راشد القفصي ت 1336/636 . ينظر عنه :زركلي،إعلام،234:6

25 ورد هذا النص في المنتقى المطبوع ،289:1

26 التوضيح لخليل بن اسحاق الجندي ت 1374/776 ، وهو شرح على كتاب منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب ،جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ت 1249/646 .

بفاس يتعيش بنسخه ونسخ **الرسالة** [28]. قال المنجور [29] في **فهرسته** [30] : حدثني بذلك كله ابن أخيه الفقه المشارك النجيب الخير الناصح الصالح أبو الحسن علي بن سليمان بن عبد الله بن عثمان [31] ، أعانه الله علي ما هو بصدده من الأخذ بأيدي المسلمين . وكان أبو علي رحل لفاس فأقام بها مدة ، وأخذ بها عن جماعة كالإمام الونشريسي مؤلف **المعيار** والإمام ابن غازي [32] وغيرهما.ثم رجع لبلده سوس ، ولما خرج من فاس شيعه شيخه الونشريسي.

وذكر في **المنتقى** [33]قال : حدثني أبو راشد ، أنه لما أكمل على ابن غازي قراءته وأراد الرجوع إلى وطنه ، جاء إلى الشيخ ليودعه ، فأخذ الشيخ ابن غازي بيده اليمنى وقال له : استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك ، ثم قال الشيخ ابن غازي بعد ذلك : الآن أجزأت فاس ، أي ولدت الإناث ، والمعنى على تأويل *وجعلوا له من[44] عباده جزءا* [34]، أي إناثا . ولأهل سوس اعتناء عظيم بفتاويه رحمه الله . وقد افتى بإباحة أكل ماصيد بالرصاصة ، وخالفه بعض أهل عصره حسبما في **نوازل** [35] أبي مهدي السكتاني.ومن بعض أجوبته مانصه : أحباس المسجد تزكى على ملك المحبس ، فإن حبس واحد ما فيه النصاب زكى واحد ، وإلا فلا.سواء حبس على مصالح المسجد أو العلم ، لقولهم :فالمعتبر

---

28 رسالة ابن أبي زيد ، عبد الله المالكي ت 999/389 . في النحو

29 ورد هذا النص في المطبوع ، ص51

30 المعروف من فهرس المنجور نسختان ،صغرى وكبرى.وهاته الأخيرة صدرت ،مطبوعة بتحقيق محمد حجي ، عن دار المغرب سنة 1976/1396

31 التملي ت بعد 1591/999.ينظر عنه:محمد حجي ، معلمة ،2559:8.

32 محمد بن أحمد المكناسي ت 1513/919 ، ينظر :م. حجي،حركة ،346:2

33 ورد هذا النص في المنتقى المطبوع ،291:1

34 قرءان كريم، سورة الزخرف، الآية 14

35 ورد في الأجوبة ،مخطوط خ ع بالرباط رقم 1016 ج ، ص 47-50

الجملة أي جملة ما حبس واحد لا جملة أحباس المسجد . وأما ما اشتري بالغلات فلا يزكى، فإنها لم تكن ملكا للمحبس ، والمسجد غير مكلف ، والمحبسون أموات غير مكلفين . ويبقى النظر فيما إذا كان المحبس حيا . وفوائده رحمه الله كثيرة .توفي سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

ومن أشياخ السلطان أبي عبد الله أيضا ، الإمام العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستني [36]، أخذ عنه علوما جمة ،منها التفسير.قال المنجور : وكنت أنا قارئه بين يدي أمير المؤمنين ، العالم العابد المقدس المجاهد أبي عبد الله المذكور وكان شديد المحبة له . قال المنجور [45]: ولما توفي الشيخ وذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التي توفي فيها لنخبر السلطان بوفاته وجدناه يقرأ ورده بجامع المريني [37] ، فخرج السلطان إلينا وهو يبكي بصوت عال يفجع من سمعه ، حتى رأينا منه العجب ، وما سكت إلا بعد مدة ،لما كان يعلم منه من صحة الدين ومتانته والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم ، وحضر جنازته . توفي رحمه الله عام تسعة وخمسين وتسعمائة .

وللسلطان رحمه الله عدة أشياخ ، وفيما ذكرنا كفاية ، والله أعلم،[والله تعالي ولي التوفيق][38]

36 ت 1551/959 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة ، 350:1

37 حمام المريني في م3 وم4 وم5 . ولعل المقصود هو جامع الزهر أو الحجر الذي بناه السلطان أبو عنان المريني .ينظر:محمد المنوني ، ورقات ،ص 29

38 زيادة في م6

الفصل الثاني

ذكر الخبر عن بيعة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ وتمهيده البلاد

قال في **شرح درة السلوك**[1]:كانت بيعة أبي عبد الله المهدي بمراكش سنة إحدى وخمسين وتسعمائة ، فاستولى على البلاد التي كانت بيده وبيد أخيه أبي العباس المخلوع، من إقليم تادلا إلى وادي نون [2]. ثم تحركت فيه الهمة السلطانية ، والشهامة الهاشمية وطمح بصره إلى الزيادة في مملكته ، وسما إلى الوغول في مدائن المغرب وقراه . فتوجه إلى مقاتلة [3]بني مرين ، ونكث ما بينه وبينهم من الصلح المتقدم .فرموا منه بداهية دهماء، ووقعت عليهم منه صاعقة صماء ، وصار يستسلبهم ملكهم [46] وما بأيديهم ، بما أتاح الله له من النصر ، إلى أن استولى على ما بأيديهم . وأول ما ملك من مدائن المغرب مدينة مكناسة افتتحها بعد سنة خمس وخمسين وتسعمائة ، بعد حصار ومقاتلة . قال صاحب **الدوحة** [4]: ولما تغلب على مكناسة ، وألح بالمطالبة على أهل[5] فاس ، جاءه الشيخ أبو الروائن وقال له : اشتر مني مدينة فاس بخمسمائة دينار ، فقال له السلطان : ما أنزل الله بهذا من سلطان ، هذا شيء لم تأت به الشريعة . فقال : والله لا دخلتها هذه السنة.فبقي أشهرا والأمر لا يزيد عليه إلا تعصبا.فقال الأمير أبو

---

1 ورد هذا النص في نسخة خ ع بالرباط ،رقم 763 ، ورقة 88 ظ

2 نول في الحجرية وم2 وم6 .وينظر عن نول :الوزان ، وصف ،108:2 ، الهامش 81

3 بقايا بني مرين في الحجرية وم1 وم4

4 ورد النص بالحرف في الدوحة المطبوعة ،ص:79

5 لأخذ فاس ، في الدوحة المطبوعة .

محمد عبد القادر[6] لأبيه : ياأبت ، افعل ما قال لك الشيخ أبو الروايـن ، فإنه رجل مبارك من أولياء الله تعالى . ومازال به كذلك ، حتى أذن له في الكلام معه . فكلمه الأمير عبد القادر فقال له : ادفع المال ، فدفعه له ، فقال له : عند تمام السنة إن شاء الله يقضي الله الحاجة ، وأمري بأمره سبحانه .ثم إن الشيخ أبا الروايـن فرق المال من يومه على الضعفاء والمساكين ، ولم يمسك لنفسه منه حبة واحدة . ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور إلى أن تمت السنة ، فدخل فاسا كما قال . قال صاحب **ممتع الأسماع** [7]: والشيخ أبو الروايـن هذا كان أحد الأسباب [47] في تمكين السلطان المذكور من الملك ، وإخراج بني مرين منه . فإنه لما رأى مرج الناس وهيجان النصارى دمرهم الله على بلاد الإسلام ، جعل ينادي يا حران [8]جيء فإني أعطيتك الغرب . والحران هو أحد ولد السلطان صاحب الترجمة ، [وهو أكبر أولاده ، حسبما يأتي ذكرهم] [9]وهو الذي كان يتقدم للحروب ، ولم يفتح والده من البلاد إلا مافتح له على يديه . ثم إن الشيخ أبا الراوين بعد أن قال ما قال ، رأى بعض الأكابر الأشياخ من أهل وقته وضع يده على بني مرين - قيل هو الشيخ أبو محمـــد عبد الواحد الزعري [10]وقيل هو الشيخ أبو العباس أحمد الشاهد المصباحي[11] ، أحد أولاد مصباح سلالة الأولياء - ركب بغلته وذهب إليه فلما بلغ داره وجد ببابها ولدا له فقال له : ياعم أبا الروايـن ، اعطني هذه البغلة ، فقال له : هي لك ، ونزل عنها ومكنه منها . فدخل إلى

---

6 ينظر عنه :المراكشي، إعلام،8:452 ، توفي 959/1551 قتيلا .

7 ورد هذا النص في نسخة الممتع الحجرية ، ص:104

8 محمد الحران ، ت 957/1550، كان البرتغاليون يسمونه "ملك سوس" منذ 1550 ، ينظرعنه De Castries,Généalogie,SIHM,Port,T IV

9 ما بين المعقوفين سقط في م1 و3وم4

10 لم نتمكن من التعرف عليه

11 ذكره في الممتع ، ص:103

والده الشيخ وأعلمه بذلك ، فخرج الشيخ وقال له بعد السلام عليه:ماثمن تلك البغلة ؟ فقال له : أن ترفع يدك عن هؤلاء الناس بني مرين فقال له قد رفعتها . ومثل هذا تقدم عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني. وذكروا أيضا عن الشيخ أبي الحسن على الصنهاجي[12] أنه كان يوما ينادي بقنطرة الصباغين بفاس : اخرجوا يا [48] بني مرين والله مانترككم ببلدنا أبدا ، انتهى .

وكان دخول السلطان الشيخ إلى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة . قال ابن القاضي في **شرح درة السلوك**[13]: ووافقه في التاريخ لما دخل مدينة فاس من القول بلدة سرك[14] بحساب الجمل، انتهى .

ولما تملك مدينة فاس وحل بها وألقى في دار ملكها عصا التسيار ، طمحت به الهمة العالية إلى تلمسان ، فانصرف إليها بجموع عديدة ، فملكها ونفى عنها الأتراك ، وانتشر حكمه في أعمالها ونواحيها إلى وادي شلف . وكان دخوله لتلمسان يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام سبعة بموحدة وخمسين وتسعمائة ، ثم رجع إلى فاس وقد اتسعت له مملكة المغرب ، ودانت له البلاد كلها ، واشتغل بترتيب ديوان الملك ، وتحسين شارة السلطنة وضبط أمور الخدم والعبيد . ويقال إنه لما دخل مدينة فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه الدراعات الصفر ، وسمة البداوة لائحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب الحاضرة ، والتخلق بأخلاق المدينة [49] وذكر أن ملك الأشراف إنما تأثل[15] على يد رجل وامرأة[16]. فالرجل قاسم الزرهوني، فإنه عمل

---

12 علي بن أحمد المعروف بالدوار ، ينظر عنه :ابن عسكر ، دوحة ،81

13 ورد هذا القول في الورقة 89 وجه

14 شرك في الحجرية، وسدك في م6

15 تأنق في الحجرية وم3 ، وتأتى في في م1

16 هذه الفقرة مأخوذة باختصار من تاريخ الدولة السعدية ،29،28 .ويعطي الكتاب المذكور تفاصيل كثيرة في الموضوع.

للسلطان محمد الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابه وكيفية مثولهم بين يديه.والمرأة العريفة بنت نجوا ، فإنها عملت سيرة الملك في داره وحالته في الطعام واللباس وعادته مع النساء وغير ذلك . فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة وازداد في عيون العامة حلاوة ، بسبب جريانه على العوائد الحضرية .[لأن أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة] .[17]فلم يزل السلطان أبو عبد الله يدور على مدن المغرب ويطيل الإقامة بفاس ، إلى أن ورد عليه أبو حسون المريني من تلمسان وأخرجه من فاس والله غالب على أمره ، ولا معقب لما أراد .

---

17 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم6

الفصل التاسع

ذكر الخبر عن دخول أبي حسون المريني مدينة فاس وإخراجه

أبا عبد الله محمد الشيخ منها

كان أبو حسون ، المعروف بالبادسي [1]، ابن الشيخ محمد بن أبي زكري المريني الوطاسي ، حين أخرجه أبو عبد الله الشيخ من دار ملكه [50]فاس وتملكها ، كما ذكرنا قبل مستوفى ، فر متوجها إلى الجزائر حقنا لدمه وطلبا للإغاثة .فلم يزل عند ترك الجزائر يفتل لهم في الغارب والسنام ، ويحسن لهم بلاد المغرب ، ويعظمها في أعينهم ويقول لهم : إن ملكها اليوم استلبني ملكي وملك آبائي ، وغلبني على تراث أجدادي ، فلو ذهبتم معي إلى قتاله عسى الله أن يتيح لنا النصر عليه ، ويرزقنا الظفر به والغلبة عليه . ولاتعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر،ووعدهم بمال جزيل.فأقبلوا معه في جيش حفيل ، وباشتهم صالح التركماني [2] إلى أن دخلوا مدينة فاس ، وخرج منها أبو عبد الله محمد الشيخ هاربا بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة . [وكان دخول أبي حسون لفاس ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة] [3].ولما دخل فاس ، فرح به أهلها فرحا شديدا ، وترجل هو عن فرسه ، وصار يعانق الناس كبيرا وصغيرا وشريفا ومشروفا ، وهو يبكي على ما دهمه وأهل بيته من فتن الأشراف . واستبشر الناس بقدومه ، وتيمنوا [51] بطلعته . ولم يلبث أبو

---

1 ت 1554/961 ، ينظر عنه:عبد الوهاب بنمصور ،أعلام ، 411:1

2 خلف صلاح رايس حسن بن خير الدين ، واستمر في باشوية الجزائر من 960 إلى 1552/963-1556 . ينظر: Cour,les beni Wattas,p214

3 ما بين المعقوفين سقط في م2 وم6

حسون إلا يسيرا حتى كثرت شكاية الناس له بالأتراك ، وأنهم مدوا أيديهم للحريم ، وعاثوا في البلاد . فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال لهم وإخراجهم من فاس ، وتخلف منهم نفر يسير .
ثم إن أبا عبد الله المهدي ، لما وصل [4]لمراكش بعد الكائنة عليه ، صرف همته لاستنفار القبائل وتعبئة الأجناد واتخاذ الأبطال ، فاجتمع له من الجيوش ما تقوى به عضده، فتوجه بهم إلى فاس .
فخرج أبو حسون في رماة فاس ، وما انضاف إليه من جيش الغرب ، فكانت الوقعة على أبي حسون . فتحصن بفاس وحاصره فيه . فلم يزل أبو عبد الله محمد الشيخ محاصرا له إلى أن قتل أبو حسون وافتتح فاس. وكانت الواقعة بينهما بموضع يقال له مسلمة . فقتل أبو حسون ودخل السلطان أبو عبد الله مدينة فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وتسعمائة ، هكذا ذكره بعضهم . والذي عند صاحب **الدوحة** [5]أن دخول أبي حسون لفاس كان سنة ستين ، وأن رجوع السلطان أبي عبد الله ودخوله لفاس كان في ذي القعدة سنة ستين وتسعمائة .
وأبو حسون المذكور هو علي بن محمد بن محمد [6]بن أبي زكـــري [52]الوطاسي . وكان بويع بفاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، ثم قبض عليه ولد أخيه أحمد بن محمد [7]وخلعه وأشهد عليه بخلعه.وبويع أحمد بن محمد يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذي الحجة من السنة المذكورة .قال ابن القاضي : وقد رأيت البيعة التي كتبت له بخط الإمام أبي مالك عبد الواحد الونشريسي من إنشائه ، وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأبي العباس

---

4 استقر بمراكش ، في م1 وم6

5 في الدوحة ص 55 و111 ، بالمعنى.

6 المحمدين ، بالتثنية، في م2وم3وم5

7 الوطاسي المعروف بالبرتغالي ، ينظر :الناصري ، استقصا ،149:4

الحباك [8] والفقيه أحمد الماواسي [9] وغيرهما . وانظر ما وجه كتب البيعة لأحمد ، مع أن خلع أبي حسون لا موجب له ، والونشريسي من أهل الورع كما ستراه عن قريب .ولعله لأمر لم يظهر لنا ، والله أعلم .

[ولم يزل السلطان أحمد متماديا على الملك إلى أن أسره السلطان أبو عبد الله ودخل فاسا ، وفر أبو حسون للجزائر ، وقبض] [10] السلطان أبو عبد الله على الوطاسيين وبعث بهم مصفدين لمراكش ، ثم غدر بهم ، فيما قيل ، بعد أن أظهر العفة عنهم ، وسرح السلطان أحمد من ثقافه ، والله غالب على أمره .

وفي دخلة السلطان أبي عبد الله الثانية لفاس أمر بقتل الفقيه [53] الصالح قاضي الجماعة بفاس أبي محمد عبد الوهاب ابن محمد الزقاق [11]، لأنه اتهمه بالميل إلى أبي حسون. ويحكى أنه لما مثل بين يديه ، قال له : اختر بأي شيء تموت ، فقال له الفقيه اختر أنت لنفسك فإن المرء مقتول بما قتل به ، فقال لهم السلطان :اقطعوا رأسه بشاقور . فكان من قدر الله سبحانه أن السلطان قتل به أيضا ، كما سيأتي ، من صدق فراسة الفقيه أبي محمد . وكان أبو محمد هذا فقيها مشاركا ، ووقعت بينه وبين معاصره الإمام اليستني منازعة في مسألة خلف الوعيد من الله ، فزعم أبو محمد أنه يصح من الله خلف الوعيد ، وخالفه اليستني وألف كل منهما في المسألة ، والصواب مع اليستني [12]. وكان قتل أبي محمد في ذي القعدة من عام واحد وستين وتسعمائة . وفي هذه الدخلة أيضا أمر بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ الفقيه

---

8 أحمد بن محمد ،ت 1531/938 ، ينظر :ابن القاضي ، جذوة ،1:133

9 أحمد بن محمد ، ذكره :محمد حجي ، حركة ،2:355 .

10 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3

11 ينظر عنه :محمد حجي ، حركة ،2:351

12 تنظر تفاصيل هذه القضية في : محمد حجي ، حركة ،1:285

أبي علي حزوز المكناسي [13] لكلام بلغه عنه ، وأنه كان يذكره في خطبته ويحذر الناس من اتباعه والانقياد له ، ويقول في خطبته : جاءكم من سوس الأقصى [البعاد ، شخص ما شرف ولا ساد ، ولا اتبع طريق الرشاد] [14]وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ،في كلام آخر لم أتحقق لفظه . فقتله رحمه الله في ذي القعدة [54]من السنة المذكورة . وذكر في **الدوحة** [15]أن سيدي أبا الرواين بعث إلى أبي علي حرزوز وهو يقول له : اشتر نفسك مني ، فلم يكترث بكلامه.فقال أبو الرواين للرسول : ارجع إليه وقل له إنه سيقتل ذبيحا هو وولده ويعلقان على باب دارهما في القرب.فبلغ ذلك الفقيه أبا علي حرزوز ، فذهب مسرعا حتى أتى الشيخ أبا الرواين ، فقال :ياسيدي ما هذا الذي تقول ، فقال : هفوة صدرت ومشيئة سبقت ، فقال له : ياسيدي نفعل كل ما تقول ، فقال له : ما يكون إلا ما كان . ثم تراخى الأمر مدة من ثلاثة أشهر فكان الأمر كما قال، انتهى . ويحكى شائعا بمكناسة أن ولد أبي علي حرزوز كان يوما جالسا بباب دارهم ، وكان في الطريق طين ، فمر أبو الرواين وعليه ثياب رفيعة كأنه ذاهب لصلاة الجمعة ، فقال له ولد أبي علي : إن كنت تحب الله فتمرغ في هذا الطين ، فجعل الشيخ يتمرغ فيه ، لما قدم له الله ثم قام فقال له : أقنعت ؟ قال : نعم ، فقال له : هكذا تتمرغ أنت وأبوك في الحديد.فكان الأمر كما قال . وقد قتل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي أيضا قبل دخلته الأولى لفاس الفقيه الإمام المفتي الخطيب أبا محمـــد عبد الواحد [55]ابن أحمد الونشريسي . وذلك أنه لما ألح بالمطالبة لأخذ فاس وصعب عليه أمرها ، قيل له : لا سبيل لك إليها ولا يبايعك

---

13 الحسن بن أحمد المكناسي ، ينظر عنه :ابن عسكر ،دوحة ،82 والهامش .

14 سقط في كل النسخ والمثبت من الحجرية

15 ورد هذا النص في الدوحة ص :79 ، وهو فيها أبو علي حرزوز ، وكذا في الترجمة المخصصة له ، ص 82

أهلها إلا إذا بايعك ابن الونشريسي . فبعث إليه ورغبه ، فقال له : بيعة هذا السلطان ، يعني أبا العباس أحمد بن محمد الوطاسي ، في رقبتي ، ولا يحل لي حل ربقتها إلا بموجب شرعي ، وهو غير موجود . فلما امتنع ابن الونشريسي من الإجابة ، أمر السلطان محمد الشيخ جماعة من المتلصصين أن يأتوا به من فاس ، ويخرجوه له بظاهرها . فأتوه وراودوه أن يذهب معهم ، فلما امتنع من الذهاب معهم قتلوه . وذكر بعضهم أن السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ كتب لأهل فاس وهو يقول لهم : إن دخلت فاسا صلحا ملأتها عدلا ، وإن دخلتها عنوة ملأتها قتلا . فأجابه ابن الونشريسي بأبيات أغلظ له فيها وأولها :

كذبت ورب البيت[16] لا تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى

[وما أنت إلا مسرف[17] ومعـــــانـد تمثل للجهال بالسمـــة المثلـــــى][18]

فأحنق ذلك عليه السلطان وأمر بقتله . وحكي أنه كان يقرئ **صحيح البخاري** بين العشائين بجامع القرويين ، وينقل عليه كلام ابن حجر في **فتح الباري** عليه ويستوفيه ، لأنه شرط المحبس ، فقال له ولده : يا أبت إني سمعت أن اللصوص أرادوا الفتك بك الليلة في مجلسك ، فلو تأخرت عن القراءة الليلة ؟ فقال له : أين وقفنا من القراءة في **البخاري** ؟ فقال له ولده : على كتاب القدر ، فقال له : كيف نفر من القدر إذن ، انطلق بنا إلى الميعاد[56] . فلما افترق المجلس خرج الشيخ من باب الشماعين ، أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار عليه اللصوص ، وأرادوا حمله، فأخذ بعضادة باب المسجد فضرب أحدهم يده فقطعها ثم أجهزوا عليه رحمه الله هنالك بباب المسجد المذكور ، في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمائة .قال المنجور في **فهرسته**[19] واشتهر عن الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المدعو

---

16 وبيت الله في م6

17 مفسد في م2 وم6

18 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5

19 ورد هذا النص بالحرف في الفهرس ص:55

بأبي شامة [20] أنه رأى هذا الشيخ في المنام بعد مقتله ، فسأله عن حاله وما فعل الله به ،فأنشد يقول :

لقد عمني رضوان ربـي وفضلـه ولم أر إلا الخير في وحشة القبـر

وإني لأسـأل الله بعـد بفضلـه ليحفظني يوم الخروج إلى الحشر

وما بعد ذاك من أمور عويصـة كنشر الكتاب والعبور على الجسر

بجاه النبـي الهاشمـي محمـد وأصحابه والآل ذي الشرف الغـر

وكان أبو محمد الونشريسي رحمه الله إمام وقته غير مدافع صحيح الدين ، متين الورع ، مهيبا ذا سمت حسن وحال مستحسن فصيح العبارة متقدما على أهل عصره في صناعة الإنشاء وعقد الشروط والوثائق . ولما زوجه أبوه الإمام الكبير مؤلف **المعيار** -وهو شاب - وأعرس ، أطلق الفقيه القاضي المفتي أبو عبد الله محمد ابن عبد الله اليفرني المكناسي [21]مؤلف **المجالس المكناسية** يده على الشهادة، وقال لأبيه : هذه هديتي لهذا العرس،يعني الشهادة .وكانت خـطة [57] الشهادة عند هذا القاضي عزيزة ومزية كبيرة ، حتى كان يقول : من طلبها مني فكأنما خطب لي ابنتي . وأصاب في ذلك ، لأن بعض القضاة كان يقول للشهود أنتم القضاة ونحن المنفذون . فخرج أبو محمد عبد الواحد من الإعراس إلى الشهادة بالسماط . ثم امتد به الحال إلى أن ولي القضاة بفاس مدة نحو من ثمان عشرة سنة ، ثم تخلى عنه إلى الفتوى بعد موت الشيخ ابن هارون . وكان شاعرا مجيدا له أزجال وموشحات مع رقة طبع واهتزاز عند سماع الألحان وآلة الطرب ، لاعتدال مزاجه وقوام طبعه . قال المنجور [22] : من رقته

---

20 الدكالي ت 964/1556 ، ينظر عنه :ابن عسكر ، دوحة ،57 والهامش .

21لم نتمكن من التعرف عليه ولا علي مؤلفه

22 فهرس ، ص 54 ، بالحرف .

وذكائه أنه كان يدرس يوما **فرعي** ابن الحاجب [23] بالمسجد المعلق برحبة الزبيب ، فاجتازت من هنالك عمارية مصحوبة بطرب من زمارة [24] وأطبال وبوقات ، فأخرج الشيخ رأسه من الطاق فأصغى إلى ذلك ، ثم قال ما تأتى هذا لأصحاب هذه العمارية حتى أنفقوا فيه مالا معتبرا ونحن نسمعه مجانا ، فكيف لا نفعل ؟ ولما توفي أبوه قيل إنه لا يحسن دروس أبيه ، فجلس على كرسي أبيه بالمدرسة المصباحية لتدريس **المدونة** [25]. وحشر الناس يختبرونه،وحضر الإمام ابن غازي [26]، فأجاد كما ينبغي . فأعجب ابن غازي وقبله بين عينيه وقال : لو لم تحسن الدرس لقمت مقامك حتى تحسنه [58] وتأخذ مرتبة أبيك ، لما كان بين ابن غازي وبين والده من الصداقة . وكان يحضر مجلسه أعيان الطلبة كالشيخ ابن مجبر [27] المساري صاحب **حاشية المكودي** ،والزقاق ،

---

23 عثمان بن عمر ، ت 1249/646 .ينظر عنه: زركلي ، 211:4.من مؤلفاته:منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل ، صنفه أولا ثم اختصره ،وهو المعروف بمختصر المنتهى ومختصر ابن الحاجب .ينظر:حاجي خليفة ،2: 1256 و 1853 .

24 في الفهرس :من الزمارة المسماة عند العامة بالغيطة والأطبال والبوقات .

25 مدونة سحنون في الفقه ، لعبد السلام بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ت 845/240 ينظر :زركلي ، إعلام ،4: 5 .

26 محمد بن أحمد ،ت 1513/919 ،ينظر عنه:ابن عسكر، دوحة،45 ،

27 ابن يحيى في م1 وم3 وم4 وم5 ، والمقصود محمد بن أحمد بن مجبر المساري ت 1576/984 . ينظر عنه :ابن القاضي،لقط،314،جذوة،1: 250 والهامش 359 . وله حاشية على شرح المكودي ، عبد الرحمن بن صالح (ت 807/ 1404) الذي جعله على ألفية ابن مالك ، كما له شرح على مقدمة ابن آجروم .

وغيرهما . ونظم أيضا إيضاح المسالك [28] لأبيه ، وزاد عليه وشرحه ، ومن شعره قوله في تاريخ قنطرة الرصيف ، [لما جددها السلطان أبو العباس الوطاسي] [29]:

جسر الرصيف أبو العباس جدده فخر السلاطين من أبناء وطـــاس

فجاء في غاية الإتقان مرتفعا لمن يمر بـه من عدوتـي فـــاس

وكان تاريخه في نصف عام غنى من هجرة المصطفى المبعوث للناس

وكان السلطان الوطاسي المذكور واقفا عند إشارة أبي محمد الونشريسي ، لا يتعدى رأيه ولا يخالف أمره ، كما وقع له معه في مسألة رجل إسلامي يعرف بعبد الرحمن المنجور ، وكان تاجرا جماعا للمال شهد عليه في حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول المبرزين باستغراق ذمته ، فأخذه السلطان وقتله وصير سائر أملاكه لبيت مال المسلمين.فرغب أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا عشرين ألف دينار ويسقط عنهم بينة الاستغراق ويرد إليهم أملاكهم ، فقال السلطان لحاجبه : اذهب إلى الشيخ عبد الواحد الونشريسي ، وشاوره في ذلك ، وعرِّفه بأني في الحاجة إلى[59] هذا المال لأجل هذه الحركة . فذهب الحاجب وأخبره بمقالة السلطان ورغبه في قبول ذلك ، فقال له الشيخ :والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لأجل سلطانك ، إذهب إليه وقل له إني لا أوافق على ذلك ولا أرضاه. فرجع الحاجب للسلطان وأخبره بمقال الشيخ ، فرجع السلطان عما عزم عليه. ونظير هذا مع جرى معه أيضا ، وذلك أن الناس خرجوا يوم العيد للصلاة ، فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت إلى أن خرج الوقت . وحينئذ أقبل السلطان في أبهته ، فلما وصل للمصلى نظر الشيخ الونشريسي للوقت فرآه قد فات ، فرقى المنبر وقال : يا معشر

---

28 إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك ، واسم النظم :سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس ، والسنا مخطوط الخزانة الملكية، الرباط ،رقم 6155 . ينظر:محمد حجي ،حركة ، 145:1

29 زيادة في م 4

المسلمين عظم الله أجركم في صلاة العيد فقد عادت ظهرا . ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة ، وصلى بالناس صلاة الظهر. فخجل السلطان واعترف بخطيئته ، رحمهم الله .

وأخبار أبي محمد الونشريسي رحمه الله كثيرة ، وفي هذا القدر الذي ذكرناه كفاية ، والله تعالى أعلم .

الفصل العاشر

ذكر الخبر عن ضخامة دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي واتساع إيالته

لما افتتح أبو عبد الله مدينة فاس واستولى عليها ، اتسعت له مملكة المغرب من باب تلمسان إلى تخوم الصحراء ، ودانت له الرقاب ، واجتمعت عليه الكلمة . وكان قد استولى على تلمسان وأعمالها إلى وادي شلف [1]، وكان دخوله لتلمسان يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى [60]سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، كما تقدم ، بعد أن أقام محاصرا لها تسعة أشهر ومات في محاصرتها ولده مولاي محمد الحران . ثم تراجعت عليه الترك وأخرجوه من تلمسان ، فانصرف عنها إلى المغرب ، إلى أن عاود المجيء إليها عام سبع وستين ، لما بلغه قيام أهلها على الترك وانحصار الترك منهم لقصبتها . فأقام مرابطا عليها أياما،ثم رجع ولم يدخلها عليهم .قال ابن القاضي : كان رحمه الله ماضي العزيمة، قوي الشكيمة ، عظيم الهيبة ، كثير الحركة ، ذا همة عالية وشهامة غالية ، حتى قعد قواعد الملك ، وأسس مبانيه ، وأحيى مراسم الخلافة الدارسة ، ومعالمها الطامسة . وكان ذا سعد وبخت عظيم الرغبة في الجهاد ، ذا يد بيضاء في الإسلام ؛ فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقام النصارى فيه اثنين وسبعين سنة . وكان منصورا بالرعب حتى تركوا أسفي وأزمور من غير قتال ولا إيجاف عليهم ، وأصيلا ، انتهى. وتقدم في كلامنا ما يخالف هذا في ترجمة الأعرج . وكان نزول النصارى بأزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة .وفي هذه السنة بنى النصارى حجر

1 ينظر عنه :الوزان ، وصف ،2:251.

بادس [2] ، وفي أواخر المحرم منها أخذ النصارى مدينة وهران ، ونكب أهلها ، فما منهم إلا أسير أو قتيل ، إلى أن أعادها الله للإسلام على يد الأتراك في حدود العشرين ومائة وألف .

---

2 حجر بادس ، جزيرة على بعد 65 مترا من الشاطئ ، والحصن الذي بناه الإسبان سموه حصن اليابسة ،ينظر :محمد ابن عزوز حكيم ، معلمة 969:3

الفصل الحادي عشر

[61] ذكر الخبر عن أولاد السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ وتسميتهم وتسمية حجابه وقضاته

كان له رحمه الله عدة أولاد نجباء، أنجبهم مولاي محمد المعروف بالحران [وبه عرف وهو أكبرهم] [1] وهو الذي كان يتقدم للحروب، ولم يفتح لأبيه من البلاد إلا ما فتح على يديه. وهو الذي كان ينادي سيدي أبو الرواين ويقول قبل أن يكون للأشراف ذكر: ياحران جيء فإني قد أعطيتك الغرب. فلم يفقه الناس قوله،إلى أن ظهر مولاي محمد المعروف بالحران هذا. ومنهم الوزير أبو محمد عبد القادر، توفي سنة تسع وخمسين وتسعمائة. وأبو محمد عبد الله الغالب بالله، وأبو مروان عبد الملك الغازي في سبيل الله، وأبو العباس أحمد المنصور، وأبو سعيد عثمان [2]، وأبو السعادة عبد المومن [3]، وأبو حفص عمر [4]، وغيرهم [5]. قال المنجور في فهرسته [6]: حضرت يوما بمجلس مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي، وقد حضر عنده أولاده الصناديد الأمراء: مولانا محمد الحران ومولانا عبد

---

1 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم4

2 ت 1558/965، ذكره دي كاستر في قائمته، وكذا SIHM,PORT, 25/1/1559

3 ت 1567/974، ينظر طوريس، تاريخ الشرفاء، 232

4 لم يذكره دي كاستر في قائمة الملوك السعديين.

5 ذكر منهم طوريس، ص 159: عبد الرحمن. وذكر أولاده كذلك ص 222،

6 لم يرد هذا النص في الفهرس المطبوع.

القادر ومولانا عبد الله ، فدخل شيخنا الإمام العالم أبو عبد الله اليستني ، فلما نظر إلى بنيه حوالي أبيهم ، أنشد [62]بيتا من **تلخيص المفتاح** [7] :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما   بني حوالي كالأسود الجئادر [8]

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمهم الله.

وأما حجابه فمنهم علي بن أبي بكر أزيك الحاحي ، وموسى بن بوجمادة العمري [9]، وغيرهما .

وأما قضاته :فبفاس أبو الحسن علي بن أحمد الخصاصي ، وبمراكش أبو الحسن علي بن أبي بكر السكتاني [10]

---

7 تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للقزويني محمد بن عبد الرحمن (ت 739 /1339) وأصله القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي، سراج الدين محمد بن يوسف (ت 626/1228) ، كان غير مصون عن الحشو والتطويل ، فألف التلخيص . ينظر :حاجي خليفة ، كشف ،473:1 و 1726:2

8 ألخوادر في م3 ، الحوادر في م1 وم4

9 من الأعلاج – فيما يظهر – كان يقوم بدور الترجمان في لقاءات للسلطان مع الإسبان ينظر :SIHM,ESP,T II,pp 270,273 et note 2

10 ترجم له :ابن عسكر، دوحة،7

الفصل الثاني عشر

ذكر الخبر عن سيرته ولمع من سياسته

كان رحمه الله مولعا بتدبير الرعية مستيقظا في مسائله ، حازما في أموره، غير متوقف في الدماء.وهو أول من استخرج [في المغرب] [1]الضريبة المسماة على ألسنة العامة بالنائبة [2]، وفرض على الناس المغارم والمطالب.وكان لا ينزه عنها أحدا ، حسبما ذكره ابن عسكر في **الدوحة** [3]، أظنه في ترجمة سيدي خالد المصمودي ، وأنه رماها حتى على أولاد سيدي خالد المذكور ، مع ما لأبيهم من الشهرة بالولاية والصيت المديد في تلك البلاد [4].
وحسبك أن من كرامات سيدي خالد الباقية إلى الآن [63]، أنه كتب في حجر بأصبعه : لا إله إلا الله ، فأثر في الحجر وانتقش فيه ، كأنما نقش في شمع . وما نزه السلطان عنها أولاده حتى ظهرت له مع أبيهم كرامة ذكرها في **الدوحة** فراجعها[5] .

وقد رأيت رسالة كتب بها السلطان أبو المعالي زيدان بن المنصور للشيخ أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ، فكان من فصولها ما صورته :ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما أورده الناس في الخراج . أما ما بنوا عليه فرضه في أول الإسلام والدول العظام ، فلا نطيل به لشهرته . وأما

---

1 سقط مابين المعقوفين في الحجرية وم2 وم4 وم5 وم6

2 ينظر عن النائبة :الناصري ،استقصا،135:2

3 ورد في الدوحة المطبوعة ،115

4 نص الحجرية: الشهرة بالولاية المديدة والكرامات العديدة

5 ترجمة خالد المصمودي في الدوحة ،116

في المغرب خصوصا ، فأول من فرضه عبد المؤمن بن علي [6] ، وجعله على إقطاع الأرض ، بناء على أن المغرب فتح عنوة ، وإليه ذهب بعض العلماء ، ومنهم من يقول : إن السهل فتح عنوة ، والجبل صلحا . فإذا تقرر هذا وعلمت أن أهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا ، فبقي السهل كله إرثا لبيت المال ، تعين أن يكون الخراج فيه على مايرضي صاحب الأرض ، وهو السلطان . والجبل تتعذر معرفة ما كان الصلح عليه ، ولا سبيل إلى الوقوف [64] عليه ، فيرجع فيه إلى الاجتهاد . وقد اجتهد سلفنا الكرام في فرضه لأول الدولة الشريفة ، على حسب وفق أئمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الأمر على النسق القويم.
إلى أن هبت عواصف الفتنة لأيام ابن عمنا صاحب الجبل [7] ، وإدالة مولانا الإمام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله ، عند الزحف بالأتراك ، وامتدت به الفتنة بالجبال إلى أن هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله بمولانا الإمام المقدس بالجبل العاصم للإسلام من طوفان الأهوال ، قدر ، رضى الله عنه ، الأشياء حق قدرها ، ورأى المغرب غب تلك الفتن قد فغر أفواهه لالتقامه عدوان عظيمان ، من الترك وعدو الدين الطاغية . فاضطر ، رحمه الله ، إلى الاستكثار من الأجناد لمقاومة الأعداء ، والذب عن الدين وحماية ثغور الإسلام . فدعا تضاعف الأجناد إلى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء إلى تضاعف الخراج ، وتضاعف الخراج إلى الإجحاف بالرعية [65] ، والإحجاف بالرعية أمر يستنكف رضي الله عنه من ارتكابه ، ولا يرضاه في سيرة عدله طول أيامه . فلم يبق له حينئذ إلا أن أمعن النظر في أصل الخراج ، فوجد بين السعر الذي بني عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطي الرعية من زمن الفرض وبين سعر الوقت أضعافا ، فحينئذ تحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ، أو دفع ما يساوي بسعر الوقت . فاختاروا السعر

---

[6] الموحدي ت 1162/558 ، ينظر :المراكشي،إعلام ،391:8.

[7] يقصد محمد المتوكل ، المعروف بالمسلوخ،ابن عبد الله الغالب (1574-1576)

مخافة أن يطلع إلى ما هو أكثر ، فأسعفهم إليه رضي الله عنه . وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد من أهل الدين ولا من أهل السياسة . ليت شعري لو طالبنا نحن الرعية اليوم بسعر الوقت الذي طلع إلى أضعاف مضاعفة اليوم ، ماذا تقولون ، وقد انتقدتم علينا ما هو أخف من ذلك . والحاصل ، راجعوا رضي الله عنكم ما عند الإمام الماوردي[8] في **الأحكام السلطانية** في ضرب الخراج ، فقد استوفى الكلام في ذلك .

انتهى نص المحتاج إليه من الرسالة [9].

وكانت هذه النائبة في زمن السلطان أبي عبد الله ، تفرض على الكوانين وتوظف على حسب السكان ، ويفرض الشيء الخفيف في ذلك .وجرى على ذلك ولده السلطان الغالب ، وأقره بعده السلطان المعتصم .[66] ثم اشتد أمرها في أيام المنصور ، وتفاقم الحال بعده .

وقد وقفت على رسالة كتبها السلطان أبو مروان عبد الملك الغازي المعتصم لأخيه المنصور يأمره بفرض مئونة محلته على بعض القبائل.ومنها تعلم خفة الأمر في زمانه ، ونصها :

من عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني أيد الله تعالى أمره وأعز نصره ، إلى أخينا الأعز الأنجب باب أحمد ابن مولانا الوالد ، حرس الله تعالى كريم إخائه ، سلام كريم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإنا كتبناه إليكم من محلتنا السعيدة بتامسنا [10]، ولا زائد – بحمد الله – إلا الخير والعافية والنعم الضافية . هذا وأنه ساعة وصوله إليكم تخرجوا من الخدام لعمالة مكناسة وزمور وأولاد جلول ، من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومئونتها .

---

8 علي بن محمد ت 1085/450 ، ينظر عنه :زركلي،أعلام ،327:4.

9 سيورد الإفراني نص هاته الرسالة كاملة في الفصل 61 .

10 المنطقة الممتدة بين بورقراق شمالا وأم الربيع جنوبا .ينظر عنها :محمد حجاج الطويل ، معلمة ،2180:7.

وتأمرهم برفعه وإبلاغه لمدينة سلا . وقدر ذلك : صفحة شعير وعشرون مدا قمحا لكل نائبة ، وصاع سمن وكبش لأربع نوائب . وأكد عليهم ، رعاك الله ، أن يعتنوا بذلك وبإيصاله للمكان المذكور من غير عطلة ، وهذا ما وجب به الإعلام إليكم ، والله يرعاكم بمنه والسلام . انتهى.

ومن هذا [67] المعنى ما يحكى أن أبا عبد الله القائم ، لما بويع بصقع السوس ، ورأى ضعفه وقلة ما بيده ، مع أن الملك لا يتأتى إلا مع المال ، أمر أهل السوس بيضة لكل كانون . فاجتمع من ذلك آلاف لا تحصى ، لأن الناس استهونوا أمر البيضة . فلما اجتمع عنده البيض ، أمرهم أن يأتي كل من أتى ببيضة بدرهم.ففعلوا فاجتمع له مال وافر ، فأصلح به شأنه ، وقوي به جيشه . وهذه أول نائبة فرضت في دولة الأشراف ،والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الفصل الثالث عشر

ذكر الخبر عن مآثر السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي وما وقع في أيام دولته من الأحداث

قال في **المنتقى**[1]: كانت له رحمه الله مآثر حسنة ، منها بناء جسر نهر سبو وجسر وادي أم الربيع . وسيأتي في كلامنا في ترجمة المنصور ما يخالف هذا. ومنها أنه أول من اختط مرسى أكدير [2]بالسوس الأقصى سنة سبع بموحدة وأربعين وتسعمائة ، لما أخلى النصارى دمرهم الله من الموضع المعروف بفنت ، علي مقربة من أكدير المذكور.وكان له في اختطاطه رأي مصيب وفراسة تامة.وفي سنة [68]ثلاث وثلاثين وتسعمائة [وقع مطر غزير بمراكش ، حتى امتلأت [3]البيار ، وتهدمت الديار [وصار الناس يؤرخون بعام البيار][4]. وفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة] [5][كانت حركة مللوا[6]][7] . وفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر بامتحان أرباب الزوايا المتصدرين للمشيخة خوفا

---

1 ورد هذا النص في المطبوع .290:1

2 بعد تحرير الحصن سنة 1541/947 ، خطط السعديون لحصن فوق إغير ، المنكب .ينظر أحمد التوفيق ، معلمة ،591:2

3 سالت البيار ، وكادت تصير واديا في الحجرية

4 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم6

5 سقط ما بين المعقوفين في م2

6 مالوا في م5

7 سقط ما بين المعقوفين في المطبوع

على الملك ، لأنه دخله من بابهم .[8] فامتحن جماعة كسيدي عبد الله الكوش ، فأخلى زاويته بمراكش ، وأمر برحيله لفاس . وفي الدوحة ، في ترجمة أبي علي الحسن بن عيسى المصباحي [9]، قال : لما امتحن السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ زوايا المغرب قيل لأبي علي : ألا تخشى من هذا السلطان ؟ فقال إنما الخشية من الله تعالى.وكان السلطان يطالب أرباب الزاويا بودائع أموال بني مرين ، ويتهمهم بذلك . وبعث خديمه يوما لأبي عثمان سعيد ابن أبي بكر[10] دفين مكناسة يطالبه بذلك ، فوجده جالسا بناحية من زاويته يضفر الدوم ، وإذا بطائر - لعله اللقلاق -سلح أمامه ، فما رفع أبو عثمان بصره حتى سقط الطائر ميتا متطاير الريش [11]. فلما رأى ذلك خديم الملك فزع وولى لسيده هاربا . وفي سنة تسع -بمثناة -وخمسين ، قدم عليه بمراكش الفقيه العالم [69] الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي [12] نزيل الجزائر ، سفيرا [13]بينه وبين سلطان الترك أبي الربيع سليمان شاه [14] صاحب القسطنطنية العظمى بقصد المهادنة بين السلطانين وتحديد البلاد بينهما.وفي قدمة الخروبي هذه لمراكش أنكر علي سيدي أبي عمرو القسطلي قصه لشعر الشارب [15] ، وقال إنه بدعة . فقالوا

8 عن هذا الموضوع وما راج حوله من مناقشات ، ينظر:عبد اللطيف الشاذلي ، التصوف والمجتمع،273

9 ينظر النص وترجمة المصباحي في الدوحة ،85

10 ترجم له :ابن عسكر ، دوحة ،77 و:المراكشي ، إعلام،141:10

11 الرأس في م2 وم3 وم6

12 ترجم له :زركلي ،إعلام ،129:5 ، تتخللها مصادر الترجمة .

13 تنظر تفاصيل هاته الوفادة العثمانية ورد محمد الشيخ وما تلاه من تطورات في : المجهول ، تاريخ الدولة السعدية ،30 والهامش 44

14 المعروف بالقانوني 1520-1566

15 التائب في م4، وهو الصحيح . ينظر عن المسألة :عبد اللطيف الشاذلي ، التصوف والمجتمع ، 157

له:إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله بإذن والإذن له لا يعمكم،فإن الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم ، يعم أتباعه ، والإذن للولي لا يعم أتباعه.وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث له رسالة أبدع له فيها وهي شهيرة . وتوفي الخروبي سنة ثلاث وستين وتسعمائة [بالجزائر،ودفن خارجها.والله سبحانه أعلم .][16]

---

16 سقط ما بين القوسين في م2

الفصل الرابع عشر

ذكر الخبر عن وفاة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي وسببها وكيفيتها

لما تغلب رحمه الله على بلاد المغرب ودانت له حواضره وبواديه ، تاقت همته [العلية] [1] إلى بلاد المشرق ، فكان يقول : لا بد لي أن أذهب إلى مصر ، وأخرج منها الأتراك من أجحارهم وأنازلهم في ديارهم . فتخوفه منه السلطان [سليمان العثماني وكان أبو عبد الله لا يسمي سلطان] [2] العثمانة [70]إلا سلطان الحواتة ، لأن الغالب على هؤلاء الأتراك سفرهم في السفائن . فأنهي ذلك للسلطان خان سليمان العثماني ، فبعث له أرساله ، فلم يحفل بهم أبو عبد الله . بل قال لهم ، أخبروا صاحبكم أني مقتحم عليه بلاده ومتوجه للقائه . فلما رجعت الأرسال للعثماني ، وأخبروه بمقالة أبي عبد الله وما واجههم به ، بعث لترك الجزائر أن يأتوه برأس أبي عبد الله . فبعثوا رجلا من أبطالهم يقال له صالح الكاهية في شرذمة من أجنادهم ، مظهرين له أنهم هربوا من العثماني ، ورغبوا في خدمته والتحصن به ممن طلبهم ، ونيتهم المكيدة والاغتيال حيث أمكن . فلما قدموا على السلطان أبي عبد الله فرح بهم غاية الفرح وأظهر السرور بمقدمهم . وكان أبو عبد الله - لما دخل مدينة فاس في المرة الثانية - وجد جماعة من الأتراك تخلفوا عن الجيش الذي قدم به أبو حسون المريني

1 العالية في الحجرية وسقط ما بين المعقوفين في م3 وم4

2 سقط ما بين المعقوفين في م3

الوطاسي من الجزائر ، كما تقدم ، فضمهم أبوعبد الله إليه وجعلهم على حدة في جيشه ، وسماهم الإنكشارية ، وقدم بهم إلى مراكش . وكان أبو عبد الله يركب فيهم ويقدمهم ويدنيهم منه ويأمن فيهم، وما علم أن الترك - كما قال الشاعر - :

لا تأمنن تركيا فيما يقول ولو[3] من العبادة حتى طار في السحب

إن جاد يوما فذاك الجود من غلط وإن تمرد عن أم له وأب

[71] ولما قدم صالح الكاهية فرحوا به وجنحوا له ، إذ كل غريب للغريب نسيب[4]، إن الغريب يعجب الغريب . فلم يزل صالح مع أصحابه ينظرون في المكيدة ويتربصون الدوائر بالسلطان أبي عبد الله ، إلى أن أمكنتهم الفرصة منه وهو بحركته بجبال درن، بموضع يقال له اكلاكل[5]، فدخلوا عليه خباءه على حين غفلة من العسس ، فضربوا رأسه بشاقور ضربة واحدة أبانوه بها، واحتملوه في مخلاة ، وذهبوا به يخوضون في أحشاء الظلمة[6]، وامتطوا مطية الخوف والعناء، وخرجوا عامدين إلى جهة سجلماسة كأنهم أرسال إلى تلمسان، لئلا يفطن بهم أحد . فأدركوا في بعض المواضع ، فقاتل منهم طائفة حتى هلكوا ، وهرب بعضهم بالرأس إلى أن أبلغوه للسلطان بالقسطنطينة . فلم يزل معلقا بها إلى أن تلاشى . وقتل معه في تلك الليلة الفقيه مفتي مراكش أبو الحسن علي بن أبي بكر السكتاني ، والكاتب أبو عمران الوجاني[7].

وحكي صاحب **ممتع الأسماع**[8] أن سيدي أحمد الشريف ، نزيل بني سلمان من جبل لمطة ، وكان صاحب حال وله قدم راسخ

---

3 جاء الصدر في الحجرية :لا تركنن لتركي وإن عظمت ...

4 مثل سائر ، ذكره الميداني، مجمع الأمثال ،171:2.

5 ثلاثل في م1 وم4 وم5 وينظر عن هذا الموقع طوريس ، 42 . وعن اكلاكل ينظر:أحمد بوشرب ،معلمة 617:2

6 الظلماء في الحجرية وم1 وم3 وم4

7 الوجني في الحجرية وم2 ، الوجيني في م6 ،ولم نتمكن من التعرف عليه

8 الحجرية ،ص:100

في الطريق ، وقعت له وحشة في باطنه بينه وبين سلطان الوقت - يعني أبا عبد الله- أدى ذلك [9] إلى أن صرف همته إلى إهلاكه . فدخل عليه في الغيب ليوقع به بشاقور في يده ، أو ورد عليه بذلك وارد أزعجه [10]. فإذا بسيدي [72] سعيد بن أبي بكر ، دفين مكناسة ، قائم على رأس السلطان المذكور، ويده على رأسه كالحافظ له [فلم يكن إلا أن التفت إليه] [11] فقال له كالمنكر عليه : إلى هنا اذهب ، فمالك إلى ذلك من سبيل، فرجع . قال في **الممتع** وهكذا اتفق في الخارج [12]، فإن الترك قطعوا رأس السلطان بشاقور ، إلا أن الوقت كان متأخرا . وحال سيدي أحمد المذكور حال صالح ، انظر تمام كلامه . وكان قتل السلطان أبي عبد الله رحمه الله تعالى يوم الأربعاء التاسع [13] والعشرين من ذي الحجة عام أربعة وستين وتسعمائة . وحمل إلى مراكش ، فدفن قبلة جامع المنصور في قبور الأشراف هنالك ، وقبره شهير.

ومما نقش على رخامة قبره [14]:

حي ضريحا تغمدته رحمات	وظللت لحده منها غمامات
واستنشقن نفحة التقديس منه فقد	هبت من الخلدلي منها نسيمات
لموته كدرت شمس الهدى فكست	من أجله السبعة الأرضين ظلمات
يا مهجة غالها غول الردي قنصا	وأثبتت سهمها فيها المنيات
دكت لموتك أطوا د العلا صعقا	وارتج من نعيك السبع السماوات
وشيعت نعشك المزجى إلى عدن	[73] من الملائك ألحان وأصوات
[كان الثريا صعيدا تعتليه وقد	أصبحت تحت الثرى تعلوك ذرات]

---

9 إذ ذاك في م2 وم6

10 وارد جبري في الممتع

11 زيادة من الممتع

12 نص الممتع :وهذا الذي اتفق له وقع في الخارج ، وحاله كان صحيحا.

13 الثامن في م5 ، ويوافق يوم 29 حجة 964 يوم سبت .

14 تنسب الأبيات لعبد العزيز الفشتالي، ينظر : نجاة المريني ، شعر الفشتالي

يارحمة الله عاطيه سلاف رضى	تدور منها عليه الدهر كاسات
قضى فوافق في التاريخ منه جلى	دار إمام الهدى المهدي جنات

[وتقدم ذكر من قتل معه ، وقتل أخيه أبي العباس الأعرج في السجن بعده بثلاثة أيام ، رحم الله الجميع بمنه وكرمه.][15]

15 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4

الفصل الخامس عشر

ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي محمد مولانا عبد الله ابن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف رحمه الله

صفته : كان رحمه الله تعالى أدعج العينين ، مستدير الوجه متسعه ، أسيل الخدين ، مشرق الوجه، ربعة القد . وكانت ولادته بتاردنت[1] بعد العشريـــــــــن و تسعمائة . ويلقب من الألقاب السلطانية بالغالب بالله ،لقبه بذلك غير واحد من الأئمة . ونشأ في عفاف وصيانة ، وحفظ القرآن العظيم ، وأخذ بطرف صالح من العلم . وكان ولي عهد أبيه ، ولما وافته الأنباء بمقتل أبيه بايعه أهل فاس ، ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد . وذكر شارح **زهرة الشماريخ** أن الفقيه الميقاتي المعدل بمنار القرويين ، أبا عبد الله المزوار [2]، كان بصيرا بعلم الأزياج والحدثان ، بينما هو ليلة يراقب الطالع والغارب ، وقد ابهر الليل واسود ديجوره ، رأى نجم السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ قد سقط . وكانت بينه وبين مولانا عبد الله معرفة وخلطة ، فأسرع في الذهاب إليه ليخبره بما رأى . فلما بلغ باب فاس الجديد [74] وجده مغلقا ، فاستأذن الموكلين به في افتتاحه ، فامتنعوا . فقال لهم : إني جئت للخليفة في أمر مهم عنده ، وإن لم تعلموه بمكاني الساعة لحقكم منه غدا ما تكرهونه . فأنذروا الخليفة به فحمل له رسالته فأخبره منها بما رأى ، ونعى إليه أباه . فلم يكذب في ذلك ، واستعد وتهيأ .فلم

1 ينظر عنها :محمد حنداين ، معلمة ،2141:7

2 لم نتمكن من التعرف عليه ، وانظر علاقته بأبي عبد اله المزوار المراكشي ، قاضيها . ترجم له :المراكشي ، إعلام،292:5

تمض إلا أيام قلائل فوافته الأخبار بمقتل أبيه في تلك الساعة التي قال له المعدل ، فوجدته على أهبة واستعداد [3]. ولما بلغ أهل مراكش مبايعة أهل فاس إياه ، وافقوا عليها . فاستوثق له الأمر ، وتمهد له ملك أبيه . وكان ذلك كله في المحرم من سنة خمس وستين وتسعمائة .

3 أورد تفاصيل هاته المسألة :المجهول ، تاريخ الدولة السعدية ، ص34

الفصل السادس عشر

ذكر الخبر عن سيرته وثناء الناس عليه وما قيل في ذلك كله

كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بالملك ولين عريكة . ولما استبد بالخلافة ألان الجانب ، وخفض الجناح، وسار سيرة حسنة ، حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا ، وانتعش الناس . حتى كان يقال : ثلاث عينات هم عيون الزمان : مولاي عبد الله وسيدي عبد الله بن حسين الشريف [1] وسيدي عياد السوسي [2] . ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب الجامع الأعظم [75]بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني [3] إلى قاضي الجماعة الفقيه أبي مهدي سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني [4] وهو يقول : ولا شك أن مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته . وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير أبي العباس سيدي أحمد بن موسى السملالي عنه أنه قال مولانا عبد الله ياقوتة الأشراف ، هو صالح لا سلطان . وقد قال لي الفقيه عبد الرحمن بن عمر البوعقيلي [5] سأل فلان سيدي أحمد ابن موسى عن القطب ؛ فقال له : أنا، فقال له : ومن بعدك ؟ قال : فلان . قال ، ومن بعدك ؟ فقال له : مولاي عبد الله ، فقال له : ومن بعده ؟ فقال له : كفاك . ولم يجبه . وناهيك بشهادة الشيخ له بما ذكر.

---

1 المغاري ت 976/1568 ، ينظر عنه :المراكشي ، إعلام،277:8

2 لم نتمكن من التعرف عليه

3 لم نتمكن من التعرف عليه

4 الرجراجي ت 1062/1652 .ينظر عنه:المراكشي ،إعلام،413:9.

5 ت 1007/1599 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة ،159:1 و411:2

وقد اشتهر عند الناس من الخاص والعام أن مولانا عبد الله كان سلطانا عدلا ورجلا صالحا واستفاض ذلك . ثم رأيت في الرسالة التي كتب ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور لأبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ما يخالف ذلك ، ويوذن أنه كغيره من الملوك . وذلك أن أبا المعالي أنكر على أبي زكرياء تعرضه لأمور السلطنة وإنكاره على الملوك [76]، ودخوله في ذلك ، وأن ذلك فضول منه. لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في زمن يزيد بن معاوية [6] وما تصدى أحد منهم لعزله ، وما قام به ولا شغل نفسه بذلك . لأن السلطان لا ينعزل بالفسق والجور . إلى أن قال له ما نصه : واعلم أيضا أن والدك أفضل منك بدليل *أباؤكم خير من أبنائكم إلى يوم القيامة* [7] وكان عمنا مولانا عبد الملك رضي الله عنه وسمح له على ما كان عليه واشتهر عيانا ، وكان والدك في زمنه ودولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ، ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ، ولا أنكر عليه ولا عرض بما يسوء ملوك الوقت ، ولا سمع ذلك منه. فإن كان راضيا بفعله فهو مثله ، وإن لم يرضه فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى كادت تكون قطعية. وقد اشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته . وقد كان على عهد مولانا عبد الله برد الله ضريحه .وكان المولى المذكور [على ما كان عليه واشتهر عنه . وما برح الشيخ المذكور] [8] يدعو له بالبقاء ولدولته بالدوام ، ويظهر حبه . وكان المولى المذكور[77] يعزل ويولي ويقتل . وكان شرد منه لزاوية المرابط الأندلسي [9] وولد أزيك وأمثالهم . وكان يقدم للشفاعة ويشفع ، ولا يتعقب ولايعتب ولا يبحث عما وراء ذلك ، باق على عهده ومودته .وكان المولى المذكور بعث لابن حسين

6 ت 750/132 ، ينظر عنه :زركلي ،أعلام،189:8

7 لم نتمكن من تخريج هذا الحديث في المراجع التي وقفنا عليها.

8 سقط ما بين القوسين في م2

9 تنظر علاقته بمحمد الأندلسي ، محمد حجي ،معلمة ،826:3

بسد داره فسدها ومافتحها حتى أمره بفتحها . ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولاجعله سببا لفتح باب الفتنة . وكان قواد المولى المذكور مثل وزيره ابن شقرة [10] وعبد الكريم بن الشيخ [11] وعبد الكريم بن مومن العلج [12] والهبطي [13] والزرهوني [14] وعبد الصادق بن ملوك [15] وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم لبعد عصره، قد انغمسوا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الذهب والفضة . وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور ، وابن حسين ، والشرقي [16]، وأبو عمرو القسطلي ، ومحمد بن ابراهيم التمنارتي ، والشطيبي [17]، وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ، ولا اكتساب الفضيلة دونهم . فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر ،الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيره إليهم . ومثل من ذكر من الأولياء كان علامة الزمان وواحد وقته ، شيخ مشايخ افريقية [78]وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطيني [18] الشيخ المتكلم في الصوفية ، صاحب الآيات البينات ، وقد كان من سكان

10 أو شقرا ، توفي قتيلا في معركة خندق الريحان 1576/984، ينظر عنه المجهول ، تاريخ الدولة السعدية، 35 -المراكشي ، إعلام ،172:4 و 187:9 . وكذا :SIHM ,ESP,T III ,P241

11 لم نتمكن من التعرف عليه

12 لم نتمكن من التعرف عليه

13 لم نتمكن من التعرف عليه

14 موسى الزرهوني ت 1578 ، ينظر عنه : SIHM,ESP;T I

15 لم نتمكن من التعرف عليه

16 محمد الشرقي ابن أبي القاسم الزعري ت 1010 /1601

17 محمد بن علي ت 1555/963 ،ينظر عنه : ابن القاضي ، لقط ،303 . القادري ، نشر ،89:1

18 لم نتمكن من التعرف عليه

تونس ، وكان ملوك تونس وما انضاف إليها من الفساد الذي لا ينحصر. واشتهر أمرهم حتى عرفوا به في المشارق والمغارب . ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر والأمر بالمعروف حتى قبضه الله إليه .

انتهى محل الحاجة من هذه الرسالة المذكورة [19].

فمقتضى كلام أبي المعالي هذا خلاف ما استفاض الآن وشاع عن الرجل . وكلام أحمد بن موسى الجزولي المذكور ووصفه له بالقطبانية لعله أراد قطبانية الملك . فقد رأيت في كتاب **قوت القلوب** [20]لأبي طالب المكي رحمه الله ، ما نصه : وقال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري[21] رحمه الله : الخليفة إذا كان غير صالح فهو من الأبدال . وإذا كان صالحا فهو القطب الذي تدور عليه الدنيا . قال أبو طالب : قوله من الأبدال يعني أبدال الملك.

وقريب من هذا ما رأيته أيضا في آخر كتاب **المنتقى المقصور** لابن القاضي ، وأن السلطان إما أن يكون وليا أو قطبا . وأحسن من هذا كله ما رأيته في **قواعد** [22]الشيخ زروق : أن الإمام أحمد بن حنبل [23]كان يقول :السلطان إذا كان صالحا [79] فهو خير من صالحي الأمة وإذا كان فاسقا فصالح الأمة خير منه ، وهذا قول عدل ، انتهى.

وحكي صاحب **الممتع** [24]أن السلطان مولاي عبد الله ، رحمه الله تعالى ، ذهب لزيارة الشيخ سيدي أحمد بن موسى الجزولي

---

19 سترد الرسالة كاملة في الفصل 61

20 قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب محمد بن علي ت 386/986. ينظر :حاجي خليفة ،كشف ،2:1361

21 ت 283/896 ، ينظر عنه:زركلي،أعلام ،3:143

22 قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة ، لأحمد بن محمد البرنسي الفاسي ت 889/1484 ، ينظر عنه :حاجي خليفة، كشف الظنون ،2:1358

23 ت 241/855 ، ينظر عنه :زركلي ،أعلام، 1:203

24 ص 56 في النسخة الحجرية باختصار.

المذكور ، وسأله تمهيد الملك له من غير طعن ولا ضرب . واعتذر بأنه لايمكنه العيش بدونه ولا يأمن علي نفسه ولا تأويه أرض إن تخلى عنه . فقال الشيخ : يا عرب يابربر يا سهل ياجبل أطيعوا السلطان مولاي عبد الله . فلم يزل ملكه ممهدا في هدوء وسكون إلى أن نزل الترك مرة بمرسى[25] طنجة وسبتة .فتخوف منهم ، فرد بريده للشيخ . فلما لحق به البريد سمع الشيخ يقول قبل أن يراه : يا ترك ارجعوا إلى بلادكم ، ويا مولاي عبد الله هنّاك الله في بلادك ، فرجع الرسول . ووردت الأنباء على السلطان بانزعاج الترك ورحيلهم في تلك الساعة التي قال فيها الشيخ ما قال . ثم إن الشيخ لما قدم مراكش استدعاه السلطان لداره وصنع له طعاما، فأبى أن يأكله ، وقال له : من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما ، ومن أكله [80]وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة، انتهى.

وقوله بمرسى طنجة وسبتة ،لعل صوابه :وحجر بادس. فإن الترك قد نزلوا به، كما قال ابن القاضي في درة **الحجال** ، وسيأتي . وذكر بعضهم أن السلطان مولاي عبد الله لما رأى عمارة الجزائر وسفنهم لا ينقطعون عن مرسى حجر بادس ومرسى طنجة وتخوف منهم ، اتفق مع الطاغية أن يعطي له حجر بادس ويخليها من المسلمين[26] . فتنقطع بسبب ذلك مادة الترك من المغرب ، ولا يجدون سبيلا إليه . فنزل النصارى على حجر بادس، وأخرجوا المسلمين ، ونبشوا قبور الأموات وأحرقوها ، وأهانوا المسلمين كل الإهانة . ولما بلغ خبر نزولهم عليها لولده مولاي محمد - وكان خليفة على فاس - خرج بجيوشه لإغاثة المسلمين ، فلما كان بوادي اللبن بلغه استيلاؤهم عليها ، فرجع وتركها لهم . ونحو هذا ما ذكر

---

25 أتى الترك إلى بوغاز... في الممتع .

26 تفاصيل المسألة في :المجهول ، تاريخ الدولة السعدية،40

عنه أن قائده ابن تودة [27] دخل البريجة [28] التي بثغر أزمور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل في الغد بقيتها ولا يبقي للكفر بها أثرا . فكتب له السلطان مولاي عبد الله ينهاه عن ذلك . فتراجع النصارى إليها بعد أن ركبوا البحر عازمين [81] على الجلاء منها.ونظير هذا قضيته مع أهل غرناطة ، وأطال فيها بما استنكفت أنا عن كتبه هنا . وهذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها . ولست أدخل في عهدتها ، لأنني إنما رأيتها في أوراق مجهولة المؤلف [29] اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية . وظني أنها من وضع بعض أعدائهم ، لحطه من قدرهم ، وإخراجهم عن النسب الشريف ، ووصفه دولتهم بالدولة الخبيثة . فلذلك تجنبت منها كثيرا من الأخبار التي لا تظن بأولائك السادات الأشراف رحمهم الله . قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي رحمه الله في **طبقاته** [30]، إن المؤرخين على شفا جرف هار ، لأنهم يستطيلون على أعراض الناس، وربما وضعوا من الناس تعصبا أوجهلا أواعتمادا على نقل

---

27 ابن ودة في الحجرية وم2 ،وفي المجهول ، تاريخ الدولة السعدية ،42 .والمقصود :عبد الكريم ابن تودة ، من أسرة نابهة في منطقة الغرب ، صاهر المسلوخ ، وشارك إلي جانبه في معركة وادي المخازن ، وفر إلى البرتغال ثم عاد إلى المغرب حيث نال حظوة لدى المنصور ، إلى وفاته 1601/1010.ينظر عنه :
SIHM ,ANG,T I,P390,NOTE 1

28 عن البريجة ، أو مازيغن ، ينظر : أحمد بوشرب ، معلمة ،4:1213 .وتذكر المصادر الأوروبية هذه العملية التي جرت بتاريخ 30 مارس 1547 حيث استدرج قائد البريجة وهزم .ينظر:
La défaîte de Lui Loureiro à Mazagan ,In SIHM,PORT,p:209 ,

29 المقصود:تاريخ الدولة السعدية التاكمادرتية ، لمؤلف مجهول الإسم .نشره جورج كولان ، ضمن منشورات معهد الدراسات العليا ، الرباط. ثم أعيد نشره بتقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، منشورات عيون المقالات ،1994

30 تاج الدين ، عبدالوهاب بن علي ت 1370/771 ، له :طبقات الشافعية الكبرى، ومختصراه: الطبقات الوسطى والصغرى.ينظر:زركلي ،أعلام،4:184

من لا يوثق به.قال :فعلى المؤرخ أن يتقي الله تعالى .إلا أن الملوك لايستغرب في حقهم أن يهدموا أساس الشريعة ليبنوا منار رياستهم ويستهونوا عظائم الأمور لتطيعهم الرعية ساعة . وكيف لا وشراع أفئدتهم تلعب به رياح الشهوات ، فلتقي سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن [82]كافة عصاة هذه الأمة المشرفة بمنه وفضله وكرمه .

الفصل السابع عشر

ذكر بقية أخبار مولانا عبد الله رحمه الله وما وقع في أيامه

من الأحداث

قال ابن القاضي[1] : لما ولي مولانا عبد الله الخلافة ، اشتغل بتأسيس ما بيده وتحصينه بالعدة والعدد ، ولم تطمح نفسه للزيادة على ما ملك أبوه قبله . وفي جمادى الأولى[2] من سنة خمس وستين وتسعمائة ، حرك له الباشا حسن بن خير الدين التركي[3] في جيش حفيل من الأتراك . فخرج مولاي عبد الله لملاقاته . فالتقيا بمقربة من وادي اللبن من عمالة فاس ، فكانت الدائرة على حسن ، فرجع منهزما يطلب صياصي الجبال إلى أن بلغ بادس، لأنها كانت للأتراك يومئذ ، فرجع مولاي عبد الله لفاس ولم يدخلها لوباء كان فيها ساعتئذ ، وهو وباء عظيم كسا سهل المغرب وجباله وأفنى كماته وأبطاله . ولما رجع مولاي عبد الله من معركته تلك ، أمر بقتل أخيه أبي سعيد عثمان لأمر نقمه عليه ، فقتل [83]في السنة المذكورة . وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان سنة أربع وستين وتسعمائة كسفت الشمس كسوفا عظيما. وبعد صلاة الجمعة أول يوم من المحرم فاتح عام سبعة وسبعين بموحدة فيهما وتسعمائة [حدثت زلزلة عظيمة .

---

1 ورد هذا الخبر في :ابن القاضي،لقط،306 ، بالمعنى.

2 جمادى الأخيرة في م2

3 تولى حسن باشوية الجزائر ثلاث مرات :1545-1552، 1557-1561، 1562-1567

وفي أواخر شوال يوافقه وسط مارس من الشهور العجمية عام ثمانية وسبعين] [4]وتسعمائة قدم جراد كثير. [وفي ذي الحجة من سنة خمس وثمانين وتسعمائة] [5] قتل الفقيه السيد محمد الأندلسي ، وكان متظاهرا بالزهد والصلاح حتى استهوى كثيرا من العامة وتبعوه. وكانت تصدر منه مقالات في الطعن على أئمة المذاهب رضي الله عنهم ، ينحو فيها منحى ابن حزم الظاهري ويتفوه بمقالات شنيعة في الدين ، فأمر السلطان بقتله . فاعتصم بالعامة ، ووقعت عليه فتنة ، إلى أن قتل وصلب بباب داره من رياض الزيتون ، انظر **الدوحة** . وفي عام واحد وثمانين [6] وتسعمائة ، كانت وقعة البارود التي انهدمت بها القبة الواسعة بجامع المنصور ، وانشقت بها صومعة الجامع المذكور، وذلك باحتيال من أسرى النصارى ؛ فحفروا تحت الأرض وملأوه بالبارود لينقلب الجامع [84]بأهله يوم الجمعة . فكفى الله المؤمنين شر تلك المكيدة ، ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوه.

وفي عشرة السبعين -بموحدة - أنشأ مولانا عبد الله رحمه الله ، جامع الأشراف ، والسقاية الملصقة بالجامع المذكور ، التي عليها مدار المدينة بالمواسين . وهو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التي بجوار جامع على بن يوسف اللمتوني[7] . وليس هو الذي أنشأها كما يعتقده كثير من الناس ، بل الذي أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله تعالى ، حسبما ذكره ابن

---

4 سقط ما بين المعقوفين في م2

5 سقط ما بين المعقوفين في م2 وم6 ، وفي م3وم4 . وم6 : وفي سنة ، ثم بياض بقدر كلمتين.

6 وتسعين في الحجرية

7 علي بن يوسف بن تاشفين ت 1142/537 ، ينظر عنه :المراكشي،إعلام ،9: 47 ، والمترجمون له في هـ 44،ص :47

بطوطة[8] في رحلته[9]. وشاع على الألسنة أن السلطان مولاي عبد الله بنى ذلك بصنعة الكيمياء ، وأن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن موسى علمها له لما تتلمذ له كما سلف . وهو كذب وجهل.فإن الذي ينقل عن الشيخ سيدي أحمد بن موسى أن رجلا جاءه وطلب منه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له الشيخ : حروف الكيمياء خمسة ، وهي عدد أصابع اليد . فإن أردتها ياأخي فعليك بالحراثة والفلاحة فتلك كيمياء الناس لا كيمياء الرصاص والنحاس . وأيضا فإن الشيخ من أكابر الأولياء وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب [85] الفتنة ، وسببا بليغا من أسباب المحنة ، فإن هذه الصنعة من أعظم أبواب الفتن . وكان الشيخ ينشد هذا البيت لزائريه :

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقد أجمع أولياء الله تعالى على التحذير من خطة الكمياء وطلبها ، وذلك لأحد أوجه ثلاثة : أولها أنها من المستحيلات ، كما ذكره ابن سينا[10] مستدلا بقوله تعالى : *لا تبديل لخلق الله*[11] . وكما أنه ليس في قدرة المخلوق أن يبدل القرد إنسانا والذئب غزالا ، كذلك ليس في قدرته أن يبدل الرصاص ذهبا والنحاس فضة . ولقد تناظر فيها رجلان فقال مجيزها : أتنكر ما تشاهده في الصبغ وتغيير الجسد الأحمر إلى الأصفر والأبيض إلى الأسود . فقال له مانعها : لا أنكر ذلك الصبغ لأنه ليس تغيير أصل ، وإنما أنكر أن ثوب الصوف الأبيض ترده صنعة الصبغ قطنا أو حريرا

---

8 شمس الدين محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت 1377/779 ، ينظر عنه :محمد زنيبر، معلمة ،1268:4 .

9 تحفة النظارفي غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.صدر ضمن منشورات أكاديمية المملكة ،1997،في خمسة أجزاء،قدم له ووضع خرائطه وفهارسه :عبد الهادي التازي .وورد النص في 230:4.وعن المدرسة ،ينظر :الوزان،131:1 .

10 الحسين بن عبد الله ، شرف الدين ،ت 1037/428 . ينظر : زركلي ،إعلام ،2: 241

11 قرآن كريم ، سورة الروم ،الآية 29

أحمر أو أخضر . وأما الصبغ فلاشك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرجه ذلك عن أصله ، ولا يسلب عنه اسم النحاس ، بل يقال فيه نحاس أبيض . كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف .
ثانيها أنها جائزة الوجود لكنها معدومة في الخارج ، كما ذهب إليه [86] أبو الفرج ابن الجوزي [12] رحمه الله ، فقال :ثلاثة متفق على وجودها في الغالب ، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب : الكيمياء والغول والعنقاء . وأخبارها كلها على وجه السماع والإسنادات ، وحكاياتها كالموضوعات عن العجماوات الجمادات . ثالثها أنها على تقدير وجودها ومعرفتها يحرم تناولها والبيع والشراء بها ،وقد سئل عنها أبو اسحاق التونسي [13] رحمه الله ، فقيل له : أحلال هي إن كانت خالصة ؟ فقال لو دبرت الفضة أو غيرها من الأجساد ، حتى تصير ذهبا خالصا لا شك فيه ، فمتى لم يقل بائعها لمبتاعها هذا كان فضة أو غيرها من الأجساد ، فدبرته حتى صار ذهبا كما ترى ، لكان غاشا مدلسا ، قال : ومتى ذكر ذلك لم يشتره منه أحد [بفلس] [14] ، ويقال كذلك يدبره غيرك فيرجع إلى أصله . ومن لم يبين فيها فهو داخل في قوله عليه السلام :*من غشنا فليس منا* [15] ، فتكون صنعتها حراما . [وقال ناصر الدين المشدالي [16] : لا أعلم قائلا يقول بتحليل

12عبد الرحمن بن علي ت 1201/597 ، ينظر عنه :زركلي ، أعلام ،316:3

13 لم نتمكن من التعرف عليه .

14 زيادة في م 1 وم3 وم 4

15 حديث شريف ، رواه مسلم في الصحيح ، وابن حجر في الفتح ،20:13

16 لم نتمكن من التعرف عليه .

الكيمياء][17]. وذكر ابن عبد البر [18]عن القاضي أبي يوسف [19]أنه قال : من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء افتقر . وكان أبو محمد صالح [20]يقول[87] : اتركوا ثلاثة لئلا [21] تجركم إلى ثلاثة ، اتركوا شراب الرب مخافة أن يجركم إلى شرب الخمر ، واتركوا الاشتغال بصنعة الكيمياء لأنها توقع في الغش والتدليس ، واتركوا مجالسة العجائز فإنها تجركم إلى مجالسة الصغار منهن . وقيل لبعض الفضلاء : لم لم تتحدث بهذه الصنعة، فإنها تسلي الخاطر ، فقال: قيل للحمار لم لم تجتر ؟ فقال : إني أكره مضغ الباطل وأنشد :

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها
قريب ولكن في تناولها بعـــد

وبالجملة فما شاع عن مولانا عبد الله في ذلك لا أصل له .وقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة في جامع الأشراف لما بني مدة ، ويقال أن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود – لعنهم الله – والله أعلم .

---

17 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية والمطبوع وم3 وم6 .

18 يوسف بن عبد الله ، حافظ المغرب ، ت 1071/463 .ينظر عنه:زركلي، أعلام 240:8.

19 يوسف بن يعقوب البصري ثم البغدادي ت 910/297 .ينظر عنه:زركلي،أعلام ،258:8 .

20 لم نتمكن من التعرف عليه .

21 مخافة في م1 وم4 .

الفصل الثامن عشر

ذكر وزرائه وحجابه وكتابه وولاة مقامه

أما وزراؤه ، فمنهم ابن أخيه الأمير الأجل الفقيه الأحفل أبو عبد الله مولاي محمد [1] ابن أخيه الأمير مولاي عبد القادر ابن السلطان مولاي أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي رحمه الله . وكان من أنبل وزرائه وألطفهم مسلكا وأخفهم روحا ، له عارضة في النظم والنثر . وذكر صاحبنا أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسي رحمه الله في كتابه **الإعلام بمن مضى وغبر من أهل القرن الحادي عشـــر** [2] [88] ما صورته [3]: قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر من مراكش لفاس، ومعه الفقيه قاضي الجماعة أبو مالك عبد الواحد الحميدي [4] والفقيه الإمام أبو العباس أحمد المنجور. فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد وتلظى للشوق في جوانبهم أوار،[أنشد الحميدي متمثلا] [5] :

وأبرح ما يكون الشوق يوما　　　إذا دنت الديار من الديـــار

فأنشد الوزير لنفسه بديهة :

أمولاي هذا المستقى وربوعـه　　　[وهذي نواعير البلاد تنــوح [6]

---

1 ت 1567/975 ، ينظر عنه :المراكشي ، إعلام،5:151 ، والهامش 1 ،ص:153

2 ت 1718/1131 ، وقد حققت المؤلف المذكور: فاطمة نافع ،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط .

3 ورد النص في المحقق ، ص:31

4 عبد الواحد بن أحمد ت 1595/1003 ، ينظر عنه:محمد حجي ،حركة ،2: 361

5 زيادة في م2

6 تبوح في م4

وذاك المصلي مسرح الشوق والأسا][7] وهذي منازل[8] الديار تلوح
[فقال القاضي الحميدي أيضا بديهة :
وتلك القباب الخضر شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جموح
يمسن كأملود من الروض يانع شذاهن من حول الديار يفوح][9]
فقال أبو العباس المنجور مذيلا أيضا بديهة :
ويرفلن في الحلات يرقمن بالحلا وفيهن أنواع الجمال وضوح
يبادرن ترقيع الكرى بمحاجر لإقبال حب طال منه نزوح

ولما بلغت الأبيات للشيخ الإمام الأستاذ أبي العباس أحمد الزموري [10] قال مذيلا أيضا :
مل إلى الحسناء تحت نقابها كشمس بدت تحت السحاب تلوح
تجلت ربوع المستقي بجمالها وأنت إلى تلك القباب تروح

[89]وجعل بعضهم البيتين الأولين للإمام سيدي عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي ، وكان كاتبا عند الوزير المذكور. ويجعل موضع أمولاي :أخلاي ، والبيتين بعدهما للوزير . والمُسْتَقَى -بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية وبعدها ألف مقصورة -اسم بستان معروف .

ونظير هذا ما ذكر صاحبنا المذكور في **إعلامه** [11]قال : كان الوزير المذكور مع كاتبه الإمام سيدي عبد الواحد الشريف في بعض الأسفار ، وأرسلت السماء بغيثها المدرار ، فقال الوزير :

---

7 سقط ما بين المعقوفين في م3

8 منازيل في م1

9 سقط ما بين المعقوفين في م2

10 ت 1001/ 1593، ينظر:عبد الوهاب بنمنصور،أعلام، 210:5، والهامش 238 ،ص:211

11 ص 32 من المحقق

لـلــه أشكو غداة السفح إذ ركدت سري المطايا وحادي الريح يحـدونا

فأجابه كاتبه المذكور :

والغيم في الأفق قد أرخى ذوائبه بأسهم الـودق لاينفـك يرمـــــينا

فقال الوزير :

حتى استوى الماء في الآكام واستترت مـعالـم الـرشد للقـرب يهدينـــا

فظلت الخيل في الأمواج سابحـــة سبح الأساطيـل ليت الدار تهدينا

فأجابه الكاتب أيضا رحمه الله :

والنفس في قلق لفقد مــــألفها والشـوق يحدوبنا والحال يقصيـنـا

فقال الوزير المذكور رحمه الله :

كأننا لم نبــت والوصل ثالثنا حتى غدا الطير فوق الصرح يغشينـا

[90] وأخبار هذا الوزير رحمه الله كثيرة ومحاسنه [أثيرة ، وخصاله السنية عظيمة خطيرة][12] توفي رحمه الله في عشرين من جمادى الثانية عام خمسة وسبعين بموحدة وتسعمائة .

ومن حجابه القائد عبد الكريم بن مومن بن يحيى الجَنوي العلج [13]، وابن تودة وقاسم الزرهوني [14]، وأحمد الهبطي [15]. ومن ولاة مظالمه : أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسي [16]، وهو والي الشرطة ، وكان فقيها مشاركا . وذكر بعضهم أن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن موسى في بعض قدماته على مولاي عبد الله انحشر الناس لزيارته ، فوقف أبو عمران هذا يذود الناس عنه وهو يقول لهم : رحمكم الله من زار خرج . فسمعه الشيخ فقال له : لاتقل ذلك بل قل : من جار خرج.

وأما كتابه : فمنهم السيد محمد بن عبد الرحمن

---

12 سقط ما بين المعقوفين في م 1 وم 3 وم 4

13 لم نتمكن من التعرف عليه

14 لم نتمكن من التعرف عليه

15 لم نتمكن من التعرف عليه

16 لم نتمكن من التعرف عليه

السجلماسي [17] ، والسيد محمد بن أحمد بن عيسى [18] وغيرهما .
وأما قضاته بمراكش : فالفقيه قاضي الجماعة أبو القاسم بن علي الشاطبي [19] وبفاس أبو عبد الله العوفي [20]، وعبد الواحد بن أحمد الحميدي .

17 ت 1571/979 ، ينظر عنه :ابن القاضي ، لقط،311

18 هو التملي المذكور قبل .

19 ت 1594/1002 ، ينظر عنه:محمد حجي ،حركة ،2:378

20 تنظر صلته بمحمد بن عبد الرحمن العَوفِي ت 1675/1086 . ذكره :القادري نشر،2:87

الفصل التاسع عشر

ذكر الخبر عن وفاة مولانا عبد الله رحمه الله تعالى وسببها

قال الفقيه أبو العباس أحمد القاضي رحمه الله في شــــرح **درة السلوك**[1] [91] توفي أبو محمد مولانا عبد الله الغالب بالله في السابع والعشرين من رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، بسبب غم كان يعتريه [2]. وهذا الغم الذي كان به هو المسمى على ألسنة العامة بالضيقة ، أعاذنا الله منها . وذكر غيره أنه توفي في شوال بسبب تكلفه للصيام فعدت عليه العلة الموصوفة . وشاع على الألسنة أنه بات يصلي ليلة سبع وعشرين ، فوافته المنية وهو ساجد ، وذلك كذب . ودفن رحمه الله [3]عند ضريح أبيه بقبور الشرفاء ، وقبره معروف.ومما كتب على الرخامة التي على قبره :

أيا زائري هب لي الدعاء تكرما ... فإني إلى فضل الدعاء فقيـــــر
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم ... إليَّ ، وصيتي في البلاد شهيـــر
فها أنا ذا صــرت ملقى بحفــرة ... ولـم يغـن عني قائـد ووزيـــر
تزودت حسن الظن بالله خالقي[4] ... وزادي بحسن الظن فيـه كثير[5]
ومن كـان مثلي عالما بجنانـه ... فهو[6] بنيل العفـو منه جديـــر
وقد جاء أن الله قــال تفضــلا ... إلى ما يظن العبد بي سيصيـــر

---

1 ورد هذا النص في مخطوط خ ع 763 ،ورقة 89 ظ

2 نص المجهول ،ص :41:وقد ابتلاه الله بالضيقة

3 ودفن أول يوم من شعبان ، عام 981 ، في المجهول ، تاريخ الدولة السعدية،42

4 راحمي ، في الحجرية وم1

5 كبير ، في م1 وم3

6 فذاك ، في الحجرية ، فذا، في م2

وحكي أن ابنه أبا عبد الله لما قرأ هذه الأبيات عاقب ناظمها . وقال له : إن في قولك بحفرة دسيسة وتلويحا إلى الحديث : *القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر[92] النار*[7] ، فهلا قلت ببلقع أو نحوه .

---

7 لم نتمكن من تخريجه

الفصل العشرون

ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله مولاي محمد ابن السلطان الغالب مولانا عبد الله ابن السلطان مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني رحمه الله تعالى

بويع بعد وفاة أبيه سنة إحدى وثمانين وتسعمائة . وكان أبوه عهد له بالخلافة في حياته. فلما توفي أبوه انعقدت له البيعة المستأنفة بحاضرة مراكش . ووصلت له البيعة لمدينة فاس . قال ابن القاضي : وأمه أم ولد ، وكنيته أبو عبد الله ، ولقبه المتوكل على الله ، ويعرف عند العامة بالمسلوخ ، لأنه سلخ جلده بعد وفاته وملىء تبنا كما سيأتي إن شاء الله . ووصفه غيره بأنه كان متكبرا غير مبال بأحد ، ولا متوقفا في الدماء ، شديد العسف على الرعية . [وكان مع ذلك فقيها عالما مشاركا في الفنون][1] أديبا مجيدا ، قوي العارضة نظما ونثرا . ومن شعره قوله في الغزل :

خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا   فحلا عقالي قد أضر بي الربط

ولا تجعلا من لام أو من تلوما   فإن بحور اللوم ليس لها شط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه الإمام والشيخ الأستاذ أبو العباس[93] أحمد الزموري رحمه الله ، فقال :

ألا فاعجبوا من عاذل لي قد أغربا   فكم ذاد عن عيني كراها وأذنبا

وفي شرعتي حل الخلاعة مذهبا   خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا

فحلا عقالي قد أضر بي الربط

---

1 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4

ألا فارعووا عن عذل صب تظلمـا وبالبين صار القلب منه متيـــما
وألحاظـه تنهل مـن عبـرة دمـا ولا تحفلوا من لام أو مـن تلومـــا

فإن بحور اللوم ليس لها شط

ومن شعره أيضا قوله :

فقم بنا نصطبح قهواء فائقـــة[2] في وجهها عسجد في وجهه نقط
وانهض إليها على رغم العدا قلقا فإن تأخير أوقات الصبا غلــط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه المذكور أيضا فقال :

كم شادن بسهام اللحظ آونـــة رمى فؤادي وكم حوراء سافـــكة
وفي العقار اغتنم دأبا مسالمة[94] فقم بنا نصطبح قهواء فانيـــة

في وجهها عسجد في وجهه نقط

وخل عن عاذل باللوم قد نطقـا وبكتنه وأكد فيه مصطفقـــا
لا يعرف الشوق إلا والتزم أرقا وانهض إليها على رغم العدا قلقا

فإن تأخير أوقات الصبا غلط

ومن شعره أيضا رحمه الله قوله :

ساروا فسار فؤادي إثر ظعنهـم وخلفوني نحيل الجسم حيرانـا
لاافتر ثغر الندى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحانا

وقد خمسه أيضا الفقيه المذكور فقال :

استخبروا خبري بعد انفصالهم قد أضرمت في الحشا نار بعادهـم
وصبوتي لو ترى نفسي بغيرهم ساروا فسار فؤادي إثر ضعنهـم

وخلفوني نحيل الجسم حيرانا

قد كان صفو حياتي يوم قربهـم ولوعتي في اقترابي من بساطهم
والآن بقيت في فيفا غرامهـــم لا افتر ثغر الندى من بعد بينهـم

ولا سقي هاطل وردا وريحانـا

[95] ولـم تـطـل خلافتـه رحمـه اللـه ، إلا أنـه بـقـي إلـى أواخـر

---

2 صهباء صافية في الحجرية ، باقية في م1 وم3

سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، فأتاه عمه أبو مروان عبد الملك بجيوش الأتراك ، فاستلبه ملكه وبزه دولته .

وكان خليفته بمراكش القائد علي بن شقرا ، وحاجبه أحمد بن حم الدرعي[3] ، وكتابه يونس بن سليمان التاملي وعلي بن أبي بكر[4] وغيرهما .

---

3 لم نتمكن من التعرف عليه

4 التاملي ، ت 1576/984 ، ينظر عنه :المراكشي،إعلام،9:187

الفصل الواحد والعشرون

ذكر الخبر عن مجيئ أبي مروان مولانا عبد الملك بن مولانا محمد الشيخ بجند الأتراك وغلبته على ابن أخيه مولانا محمد بن عبد الله المذكور

لما توفي السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ رحمه الله، ولي بعده ولده مولاي عبد الله رحمه الله، كما تقدم، وكان أخواه مولانا عبد الملك الغازي وأحمد المنصور بسجلماسة. وحين بلغتهما وفاة أبيهما واستيلاء أخيهما على الملك بعده، فرا إلى تلمسان خوفا على أنفسهما منه، ولحق بهما أخوهما مولاي عبد المومن. فبقيا بها مدة ثم فرا إلى الجزائر. ولم يزالا مقيمين بها إلى أن بلغهما خبر وفاة أخيهما عبد الله، واستبداد ولده مولاي محمد بعده بالملك. فسار عبد الملك إلى اصطنبول- وهي القسطنطينية العظمى - قاصدا للسلطان مراد[1] العثماني ابن السلطان سليمان المدعو بسليمان شاه ابن السلطان سليم خان العثماني. فنزل عليه وطلب منه أن يمده بجيش يذهب به إلى المغرب [96]، فينتزع الملك من ابن أخيه. فتعصب[2] عليه السلطان مراد ولم يوافقه على غرضه. فلم يزل عنده هو وأمه سحابة الرحمانية إلى أن أجابهما إلى ذلك. وذكر بعضهم أن سبب ذلك أن تونس تغلب عليها العدو الكافر، فسكن نصفها، وسكن المسلمون نصفها، بعد أن ضربت عليهم الجزية، ورضوا بالبقاء تحت الذمة. وذلك بسبب أن ملك إفريقية وملك تونس كانا أخوين

---

1 مراد الثالث: 1574-1595

2 تعصب في م1 وم2 وم3 وم4 وم5، تغضب في م6

ونشبت بينهما نيران الحروب ، إلى أن تغلب ملك افريقية على أخيه ملك تونس . ففر ملك تونس إلى طاغية النصارى ، فجاء معه بجيوش الروم ، إلى أن تملكوا تونس كما ذكر ، وفعلوا فيها الأفاعيل العظيمة ، وانتهكوا حرمات المساجد . وذكر المنجور في فهرسته [3] أن أبا الطيب الظريف التونسي [4] كان واعظا بجامع الزيتونة ،[قبل أن يدخلها العدو][5]، رحل لفاس بعد أخذ العدو لتونس فخاطبه قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن علي بن هارون رحمه الله بأبيات منها :

شاقك الغيث إذا الغيث انهمر	حضرة الأنس البديع المؤنس
[لم يكن إلا كلمح بالبصر	أو بريق لاح لي من تونس
يا لها من فجعة زيد الخبر	إنها شقيقة الأندلس][6]
كم خدود في وجوه كالقمر	خدها دمع جرى من نرجس
حالكات غيرت منها الصور	ذل أسر بعد عز الأنفس
[97]أصبحوا أسرى بأيدي من كفر	ملكت أرقابهم بالأفلس
يالترك بقسي ووتر	أخرجوهم من ظلام حندس
واستعينوا بعلي وعمر	وأبي بكر الرضى مع أنس
وارغبوا الله مساء وبكر	فعسى فتح من الله عسى
رب بشرني بنصر وظفر	عاجلا قبل حلول الرمس
وأرى الكافر مقبوضا يجر	بارتفاع البيض فوق الأرؤس
وأبو الطيب طاب ونشر	كتبه يقرأ فوق الكرس
وعلا الإسلام والحق انتشر	بعلوي هاشمي الأنفس

فأجابه أبو الطيب رحمه الله بأبيات منها قوله :

---

3 ورد النص في الفهرس المطبوع ، ص47

4 ترجم له :السراج ، الحلل السندسية ،3:307

5 زيادة من الفهرس المطبوع

6 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4

أيها الشيخ الفقيه المعتبر	سيد العصر وصدر المجلس[98]
قد تفضلتم بنظم كالدرر	حل من قلبي محل النفس
هاجني شوق اقتفاء للأثر	إن أكن عن دركه ذا فلس
كلما هب نسيم للسحر	وقعت أطياره للغلس

وقال[7] **في النفحة المسكية**[8]: إن النصارى لما استولوا على تونس ، وانتزعوها من يد بقية الأمراء الحفصيين ، قسموا البلاد بينهم وبين من بقي تحتهم من المسلمين نصفين ، فسكن النصارى قلعة البلد وما والاها ، وسكن المسلمون باقيه ، بعد أن هدم النصارى في جانب المسلمين كل ما كان حصينا من باب ودار وحائط . ثم بنوا حصنا آخر منيعا على باب المدينة خارجها . ثم بنوا مثله في وسط بحيرة ممتدة من المرسى إلى باب المدينة . وعند المرسى حلق من البحر يدخل إليها وبها سمي حلق الوادي ، وليس هناك واد عذب . ثم بنوا على المرسى حصنا عظيما وقشتيلا منيعا متقنا ، عجز الترك لما أخذوه عن هدمه ، وملئوه بالأنفاض والعدة والرجال والقوت . بحيث أيقنوا أنهم ملكوا تلك البلاد ، وأنه لا يأتي من يقدر على إخراجهم .ثم إن الترك انتدبوا إليها وخرجوا إليها . فيقال إن السلطان مراد بينما هو نائم ذات ليلة وقف عليه رجلان [99]في النوم ، وقالا له : إن لم تغث الغرب فما أنت من المسلمين . فتوضأ ورجع إلى فراشه ، مستعيذا بالله من الشيطان.فوقفا عليه وقالا له ما قالا أولا ، فقال لهما في المرة الثالثة : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا ابن العروس[9] وهذا

---

7 ورد هذا النص في المخطوط رقم 2829 ك ، ورقة 10 وجه

8 النفحة المسكية في السفارة التركية،لعلي بن محمد التمكروتي الدرعي ت 1594/1003 وقد نشرت النفحة مصورة عن نسخة خطية مغربية مع ترجمة إلى الفرنسية 1929 ينظر : محمد حجي ، حركة ،26:1 .ومحمد المنوني، مصادر، 138:1

9 أحمد بن عبدالله ، ت1463/868 .عبد الوهاب بنمنصور،أعلام ،50:5

ابن الكلاعي [10]،وهما من صلحاء تونس ، فانتبه وقص رؤياه على أصحابه . فأعلموه بخبر تونس وكيف وقع بها الواقع . فوجه لها جيوشا حافلة في البحر . وفي كتاب النفحة المسكية[11] أيضا أن عدد السفائن التي وجه إليها أربعمائة وخمسين سفينة من القسطنطينية العظمى ومن غيرها من سائر إفريقية ،فيها مائة ألف مقاتل وأزيد . وبعث معهم مـــــولانا عبد الملك رحمه الله . فهزم الله الكفرة ، ومكن من رقابهم السيف وطهر البلاد من نجسهم ، بعد أن حاصرهم أربعين يوما ، وذلك عام اثنين وثمانين وتسعمائة [12]. فكان مولانا عبد الملك أول من أرسل بالبشارة مع أصحابه إلى السلطان العثماني . فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية [13]، فأعطت للسلطان المذكورما كتب به ابنها، والتمست منه أن يعطيها في بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معه للمغرب، فأعطاها ذلك . فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان إلى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه إلى تملك ما كان بيد آبائه.فطلبه أهل الجزائر بالراتب،فقال [100]لهم أسلفوني وعلي الخلاص .فاتفق أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة . وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف [14]. وقال في شرح الدرة [15]أن عبد الملك طلب من رئيس الأتراك أن يعينه بحصة منهم توصله إلى حد بلاده ليدخلها . إذ الجند كله جند والده ، فلا يمكن أن يقاتلوه ويضربوه في وجهه لتعظيمهم إياه . فأسعفه على مراده وأرسله مع عصابة

---

10 لم نتمكن من التعرف عليه

11 ورقة 10 وجه ، من مخطوط النفحة

12 كان فتح حلق الواد على يد سنان باشا سنة 1573/981 ،السراج ، حلل ،2: 222

13 تفاصيل توصل الرحمانية بالخبر في :المؤلف المجهول ، تاريخ الدولة السعدية ،46

14 تنظر تفاصيل ذلك في: Cour,Etablissement,p142

15 ورد النص في مخطوط خ ع 763 د ، ورقة 90 وجه .

وحصة قليلة . فأقبل بهم إلى موضع يقال له الركن [16] من أحواز بني واريتن من بوادي مدينة فاس المحروسة .فلما سمع بذلك نجل أخيه مولاي محمد بـــــن عبد الله خرج إلى لقائه بنفسه . فالتقى الجمعان بالموضع المذكور . فلما التقى الجمعان فر رئيس جند الأندلس سعيد الدغالي [17] إلى عبد الملك ، وكان عبد الملك يكاتب دائرة مولاي محمد وبطانته ورؤوس أجناده ، ويعد طائعهم ويوعد عاصيهم . فلما سمع مولانا محمد بفرار جند الأندلس إلى عمه مع قائدهم ، فت في عضده ، وفشلت ريحه ، وأيقن بالنكبة ، ظنا منه أن جنده كله فعل مثل الدغالي . فكان ذلك سبب جزعه وفراره من المعركة ، وسبب انخرام ملكه وإقامة ملك عمه . ويقال إن بعضهم لما رأى القائد كرمان [18] وأولاد عمران [19] هربوا إلى عبد الملك جاء إلى محمد وقـــال له : إن القائد ابن شقرا غدر وفر إلى عبد الملك ، فارتاع [101]محمد لذلك وانقلب منهزما وانتهبت خزائنه وأوقدوا فيها النار ، حتى رئي البارود من الجبال.ودخل محمد إلى فاس الجديد وأخذ ما يعز عليه من الذخائر ، ثم فر متوجها إلى مراكش . فلحق به القائد علي بن شقرا بوادي النجا بمقربة من فاس وأغلظ له في القول ولامه على عدم التثبت والتأني والصبر ،وكان أمر الله قدرا مقدورا .

---

16 ينظر عن الركن :أحمد بنجلون،معلمة،2359:7

17 سعيد بن فرج ، ذكره : محمد رزوق ، الأندلسيون ،في عدة مواضع

18 لم نتمكن من التعرف عليه .

19 ينظر عنهم :محمد الشياظمي ، معلمة ،910:3 .

الفصل الثاني والعشرون

ذكر الخبر عن دولة أبي مروان مولانا عبد الملك واستيلائه على المغرب

قال ابن القاضي[1] : كان دخول أبي مروان عبد الملك[2] إلى فاس واستيلاؤه عليها بعد هزيمة ابن أخيه أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، وبعد أن دخلها وبايعه أهلها وبقي فيها أياما ، طمحت نفسه إلى اتباع ابن أخيه بمراكش . ولما عزم على التوجه تلقاء مراكش ، طلبه الترك أن يردهم إلى بلادهم ، وأن يعطيهم المال الذي اتفق معهم عليه ، وهم يسمونهم بلغتهم البقشيش.فأعطاهم أربعمائة أوقية لكل واحد[3] .واستسلف المال من كبراء فاس حتى يتسع عليه الحال . فأعطاهم خمسمائة ألف ، وأعطاهم أيضا عشرة من الأنفاض ، منها النفض الكبير الذي له عشرة أفواه[4] . وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به أنفسهم، وركب لوداعهم بنفسه إلى نهر سبو . ثم رجع وتوجه لمحاربة ابن أخيه بجنده [102]الذي أقامه هو وكان غرس يده ، وبما انضاف إليه من جند ابن أخيه ، فسار بهم إلى مراكش . ولما سمع ابن

---

1 لقط ، 313

2 ألف BAUTISTA،وبطلب من عبد الملك كتابا -نثرا وشعرا- في مدحه وتعداد مزاياه .ينظر: LOUPIAS,CRONICA

3 في المؤلف المجهول ، 40 أوقية للرجل ، ص:51

4 في المجهول، ص :51:وأعطاهم عشرين من الأنفاض التي ترك مولاي محمد أولهم النفض المعتبر الذي له تسعة أفواه .

أخيه بخروجه إليه وقصده مراكش ، تهيأ لملاقاته وسار لمنازلته . فالتقى الجمعان بموضع يقال له خندق الريحـــان - على مقربة من الشراط - من أحواز سلا . فكانت الهزيمة أيضا على محمد ابن عبد الله ، وفر مثل دأبه وعادته ،وتبعه عمه أبو العباس المنصور خليفة أبي مروان . فلما سمع محمد باتباعه بعد بلوغه إلى مراكش [فر عنها لجبال درن ، وأسلم له مراكش][5]. فدخلها أبو العباس المنصور نائبا عن أخيه أبي مروان. فلما استقر المنصور بمراكش ، لحق به أخوه السلطان أبو مروان ، ودخلها وأقام بها مدة. ثم خرج منها في طلب ابن أخيه ، فعميت عليه أنباؤه ، فرجع أبو مروان لمراكش . ثم إن ابن أخيه لم يزل يجول في جبال السوس ، لا يقر له قرار ، إلى أن انضافت إليه طائفة من الصعاليك ، واجتمع له منهم ما يشبه الجيش ، فتوجه بهم إلى مراكش . فسمع به أبو مروان ، فخرج لملاقاته . فخالفه محمد في الطريق وسلك طريقا غير طريق أبي مروان ، وقصد مراكش فدخلها ، باتفاق أهلها ، ونصروه وكتبوا له البيعة . إلا أنه لم يتمكن من القصبة ، لأن أبا مروان ترك بها أخته الست مريم[6]في نحو الثلاثة آلاف من الرماة ، فتحصنوا بها وبلغ الخبر أبا مروان بحلوله [103] مراكش فرجع مسرعا إلى أن وافاه بمراكش . فحاصره بها وكتب إلى أخيه أحمد المنصور، [وكان خليفته على فاس] [7]، أن يأتيه بجيش من فاس . فأتاه به المنصور مسرعا وكان أحمد المنصور - لما دخل مراكش أولا ، وهرب ابن أخيه محمد إلى سوس - طلب من أخيه أبي مروان أن يخلفه على فاس ، فأعطاه إياها . وكان الوزير عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي[8]حاضرا للطلب والعطية . فأنكر ذلك عليهما ولم يره صوابا ، وقال لهما : لا ينبغي لكما أن تجلسا حتى يحكم الله بينكما وبين ابن أخيكما . فغاظ ذلك أحمد المنصور

5 سقط ما بين المعقوفين في م3

6 ينظر عنها : SIHM,ESP,T:I,P:416,T:III,P:282

7 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم 2

8 المدعو عزوز المزوار، ينظر عنه :المراكشي ، إعلام، 8:449

وظن أن ذلك من سوء رأي عبد العزيز فيه ، ومن بغضه في جانبه،ولم ينصتا لمقالة الوزير . فذهب المنصور خليفة إلى فاس . فلما رجع المنصور إلى مراكش بالجيش تلاقى مع عبد العزيز، فقال له : وقفت على الرأي أول الفكرة آخر العمل . فبانت للمنصور نصيحته وزال عنه ما كان يختلج في صدره عليه.ولما جاء المنصور بجيش فاس فر محمد إلى السوس ، وبقي أهل مراكش متمادين على الحصار ، إلى أن اتفق أبو مروان مع أعيان جراوة ، فأدخلوه من الأسوار وبعض الأنقاب . ولما توجه محمد إلى السوس تبعه المنصور ، فكانت بينهما حروب عظيمة أتاح الله فيها النصر للمنصور ، وهزم محمد كعادته . ففر إلى جبال درن [ثم فر منها إلي نواحي فاس] [9] ثم فر منها إلى بادس وبقي به مدة ثم فر إلى سبتة ثم دخل طـــنجة ، مستصرخا [104]بعظيم الروم . ولله عاقبة الأمور، [يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولا يسأل عما يفعل.] [10]

9 زيادة في م5 و م6

10 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5

الفصل الثالث والعشرون

ذكر الخبر عن استصراخ مولانا محمد بن مولانا عبد الله بالنصارى وما وقع في ذلك

كان مولانا محمد بن عبد الله - عفا الله عنه - لما ضاق ذرعا بعمه أبي مروان ولم يجد منه ملجأ ولا مفرا ، ذهب للطاغية النصراني عظيم نصارى بردقيس[1] . فاستصرخ به واستغاثه على عمه . فأغاثه وبعث معه جيوشا عظيمة . ومن هناك كتب مولانا محمد رسالة إلى أعيان المغرب من علمائه وأشرافه وذوي الرأي فيه ، يخطىء عليهم في نكث بيعته ونقضها ومبايعة عمه من غير موجب شرعي . وقال لهم : ما استصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة من المسلمين ، وقد قال العلماء إنه يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه . وهددهم في رسالته ، وأبرق وأرعد ، وقال : فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله . وسمى النصارى أهل العدوة ، واستنكف عن تسميتهم نصارى .

فأجابه علماء الإسلام رضي الله عنهم عن رسالته تلك برسالة دافعة لجيش أباطيله ، وفاضحة لركيك تأويله، وهذا نص تلك الرسالة المذكورة حرفا حرفا :

الحمد لله كما يجب الحمد لجلاله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وأرساله . والرضى عن آله وأصحابه الذين هاجروا لدين الإسلام وهجروا [105] دين الكفر ، فما نصروه ولا استنصروا به . حتى أسس الله دين الإسلام بشروط

1 المقصود DOM SEBASTIAO 1557-1578

صحته وكماله .

وبعد ، فهذا جواب عن كافة الشرفاء والعلماء والصلحاء والأجناد والرؤساء من أهل المغرب ، وفقهم الله ، لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدي رحمه الله ، عن كتابه الذي استدعاهم فيه لحكم الكتاب واستدل بحججه الواهية المتنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب : لو رجعت على نفسك باللوم والعتاب لعلمت أنك المحجوج المصاب . فقولك : خلعنا بيعتك التي التزمناها وطوقنا بها أعناقنا وعقدناها، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ولا عن سبيل خارج عن الشرع مبتدع . وإنما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه ، وعلى سبيل الحق وتحقيقه . وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بالأدلة الشرعية التي تزينه . نعم ، كنت سلطاننا بما عقد لك والدك من البيعة وترك لك من الأموال والذخائر والعدة والعدد والحصون ، مالم يتهيأ مثله لأحد من أسلافكم الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين . فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق جهاده،حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا،وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا [106]فلما وصل إليك ذلك ، ألقت إليك العباد أعنتها ، وملكتك أزمتها ، غير مبدلين ولا مغيرين ، ولا باغين ولا منكرين ، إلى أن قام عليك عمك بحجته التي لا يمكنك جحدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها . فخرجت مبادرا له بدفعها . ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها . وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل بها جندا من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من ألويتك وبنودك . فما هوإلا أن جرى القتال ، وحضر النزال ، رجعت على عقبك هاربا هروب مطرود بقصاص . وجنودك تناديك ولات حين مناص . فتركت عددك ومحلتك بكل ما فيها ، وجعلتها لعدوك ينهبها ويسبيها . وهربت عن مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونك لم تركتنا وإلى من تكلنا ، فلم تلتفت إليهم.وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الأموال والأعداد الوافرة من الرجال والأسوار المرتفعة المانعة ، والمدينة المشهورة

الجامعة . فأصبح أهلها ، واليد العادية من السفهاء والمفسدين ، تريد أن تمتد إلى الحريم والأموال والأولاد ، والطارف والتلاد . ولا دافع عن الضعفاء والمساكين إلا الله سبحانه ، الذي قال في [107] مثلهم ومن أصدق من الله قيلا: *لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا*[2]. فما أمكنهم بعد هروبك عنهم وإسلامك لهم فوضى ، إلا النظر في أمرهم وإعمال الفكر في التدبير على أنفسهم . فبينما هم كذلك إذا بعمك وجنوده على باب مدينتهم قائما بحجته سالكا في ذلك سبيل أبيه رحمه الله ومحجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم وظهر، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر. إذ كان مولانا محمد الجد الأكبر عهد لأولاده مولانا أحمد ومولانا محمد الشيخ وإخوانهما وأولادهما ألا يتولى الخلافة منهم ولا من أولادهم إلا الأكبر فالأكبر. فالتزموا ذلك إلى أن كبر أولادهم . فطلب جدك من عمك الوفاء بذلك ، فامتنع . فقاتله على ذلك حتى تم له الأمر وانتظم . فعهد لوالدك الذي كان أكبر أولاده ، فلم ينازعهم أحد في ذلك إلى أن ألقى والدك رحمه الله ذلك وعهد إليك ، ولم ينازعك أحد . فأبى الله إلا أن يحق الحق فأعطى الملك لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك.فإن سلمت هذا فأي حجة تدلي بها ؟ وأي طريق تعتمد عليها ؟ وإن أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجدك من قبله ، لثبوتها لعمكم مولانا أحمد ، إذ لا حجة حينئذ لجدكم في القيام على عمك مولانا أحمد . فخلافته صحيحة لبيعة جدك له . فلم [108] يبق إلا التغلب الذي تدلي به في مسألة عمك وفي قيامه عليك . فإن كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك فحجتك أبين في السقوط ، لعدم ثبوت الخلافة لمن عقدها لك ، إذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا . فلم يبق بينكم إلا "الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا ". فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجد ، رحمه الله . وعليه فالخلافة لعمك القائم عليها ، إذ هو أكبركم في هذا التاريخ . فإن قلت : إن ما عقده الجد غير صحيح ، قلنا :فقد ذكر الإمام الماوردي رحمه الله ورضي الله عنه في كتابه **الأحكام**

---

2 قرآن كريم ، سورة النساء،الآية 97

السلطانية له في باب عقد الخلافة : أن عبد الملك بن مروان[3] رتبها في الأكبر فالأكبر من بنيه ، فلم ينازعه أحد في ذلك . فإن قلت : فعل عبد الملك ابن مروان ليس بحجة ، قلنا سكوت العلماء على ذلك -وهم من هم في زمانه -هو الحجة ، إذ لا يمكن لهم أن يسكتوا على باطل . وإقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها ، يقوم مقام الإجماع الذي هو حجة الله في أرضه.وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضي الله عنه في **صحيحه** في كتاب الإمارة ما نصه ، قال قال : رسول الله صلى الله عليك وسلم ، يرفع *لكل غادر يوم القيامةعند [109] رأسه لواء يعرف به يقال هذه غدرة فلان بن فلان . ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة غدرهم* [4]. قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى[5] رحمه الله في كتاب **إكمال المعلم على شرح فوائد مسلم** : يعنى لم يحضهم ولم ينصح لهم ولم يوف بالعقد الذي تقلده من أمرهم . وفي الباب بنفسه عنه عليه السلام ما نصه : *ما من أمير استرعاه الله رعيته ،فلم ينصح لهم إلا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام* [6]. وفي كتاب **الإكمال** بنفسه ، قال القاضي : والذي عليه الناس أن القوم إذا بقوا فوضى مهملين لا إمام لهم ، فلهم أن يتفقوا على إمام يبايعونه ويستخلفونه عليهم ، ينصف بعضهم من بعض ، ويقيم لهم الحدود . فلما أسلمتهم وأصبحوا بغير إمام ، وعمك يدلي بحجته التي ذكرنا لك ، مع ما حفظوه من كلام النبي

---

3 ابن الحكم الأموي ت 705/86 ، ينظر :زركلي ، أعلام ،165:4

4 حديث شريف ،رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد ،بلفظ:لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره.

5 عياض بن موسى ت 1149/544،ينظر :المراكشي ، إعلام،397-319:9 ، ومصادره في الهامش 310 ، ص:397

6 حديث شريف ، أخرجه البخاري ، صحيح ،80:9 ، باب من استُرعِي رعية فلم ينصح .

صلى الله عليه وسلم ، وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك لهم ، وبقوا فوضى مهملين ، لم يسعهم إلا الرجوع لما عليه الناس ، رضوان الله عليهم . فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التي لا يسعك جحدها إلا على وجه المكابرة . فاطمأن الناس وسكنوا ، وانفتحت السبل ، وأقيمت الحدود ، وارتفعت اليد العادية . فإن قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التي التزموها لك ، قلنا : إنما يلزمهم القتال أن لو أقمت بين أظهرهم [110] ، فيكون قتالهم على وجه شرعي.لأن القتال على الحدود الشرعية إنما يكون بعد نصب إمام يصدر الناس عن رأيه ، ولا يمكنك أيضا جحدها . إيه ، ثم وصلت مراكش الغراء ، التي تجبى إليها الأموال من البوادي والأمصار ، وتشد إليها الرحال من سائر النواحي والأقطار ، فلقيك أهلها بالرحب والسرور ، وأنواع الفرح والحبور . فوجدت خزائنها تتموج ملئى من كل شيء . فأما أسوارها ورجالها فهي كما قيل : تربة الولى والبرج البني الجلي والدرهم الحلي ، فحللتها وتمكنت من أموالها وخزائنها.ووافقك أهلها ، فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك في سلطانك ولا أنكروا .فطلبت أيضا قتال عمك وجندت جنودا لا يجمعها ديوان حافظ ، ولا يحيط بعَدِّها لسان لافظ . فخرجت إليه تجر أعنة الخيل وراءك كالسيول ، والرماة ملأت الهضاب والتلول. فما كان من حديثك إلا أن وقع القتال ، وحضر النزال ، فبادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا للرؤساء من أجنادك والقادة . فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا . فتركت أيضا محلتك بما فيها من حريمك وأموالك وعدتك . ثم أسرعت هاربا لمراكش ، فما صدك عنها أحد من أهلها ولا قال لك أحد لست ببعلها . فعملوا على القتال معك والتمنع بأسوارها الحصينة [111] والحصار داخل المدينة . فلما كان الليل غدرتهم وغدرت بناتك ونساءك وأخواتك وعماتك ، وخرجت عنهم من القصبة ، وتركتهم لا بواب عليهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس . فيا لها من مصيبة ما أعظمها ، ومن داهية ما أدهمها . ولولا فضل الله

ولطفه ، ووعده بتطهير أهل البيت ، لامتدت إليهم أيدي السفلة من الفسقة . فأي حجة تبقى لك بعد هذا ؟ وأي كلام لك بين الرجال يا هذا ؟ ثم جاءك عمك أيضا بما سلف من الحجج ، فوجد أهلها في لطف الله سبحانه ، وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية . فأنقذهم الله به أيضا ، فبايعوا عمك واطمأنوا وسكنوا.ثم هربت إلى الجبل عند صاحبه فصرتما في نهب أموال الرعية وسفك دمائهم وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصغرين بحكم القرآن ، الداخلين تحت عهد سيد الثقلين في الأمن والآمان . فأنت وإياهم في استيلائك عليهم وظلمك كما قيل :

إن هو مستـــول على أحد إلا على أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبي صلى الله عليه وسلم : *أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة*[7].ثم خربت العامر ، وأفسدت ما شيد الأسلاف للإسلام من المآثر. فلما رأى أهل السوس [112] الأقصى ذلك ، أيقنوا أنك إنما قصدت خراب الإسلام وأهله . فتنكب عنك أهل الدين والعلم منهم ، وبقيت كما قيل في خلق كجلد الأجرب . فإن قلت : إن أولائك الخلق لم يبايعوا عمك ، فتنقض بهم ما قررناه . قلنا : لم يطعن في خلافة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد علمت من الناس ، والإجماع تام على صحة بيعته . ويسمى من تخلف عنها باغيا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : *تقتلك الفئة الباغية*[8]. فقتله أصحاب معاوية رضي الله عنه . والحديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام . والقاعدة أن ما اجتمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يعد خلاف من خالفه خلافا . وهذا كله بالنظر إلى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين ، والأخذ في التخليط العظيم

---

7 أصله الحديث الشريف :من قتل نفسا معاهدة بغير حقها ..ينظر:ابن خزيمة ، التوحيد ،365.

8 حديث شريف :أبشر عمار، تقتلك الفئة الباغية.أخرجه الترمذي .وأخرجه البدر العيني ، عمدة القاري ، 208:2 بلفظ:ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية .

على المسلمين ، بأن اتفقت معهم على دخول أصيلا ، وأعطيتهم بلاد الإسلام . فيا لله ويالرسول الله ، هذه المصيبة التي أحدثتها وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد . ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك إليهم ، ورضيت بجوارهم وموالاتهم ، كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : *يا أيها الذين آمنوا [113] لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم* [9]. قال أبو حيان [10]رحمه الله : أي لا تنصروهم ولا تستنصروا بهم . وفي كتاب القضاء من **نوازل** الإمام البرزلي [11]رحمه الله : أن أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله ، استفتى علماء زمانه رضوان الله عليهم،وهم ما هم ، في استنصار ابن عباد الأندلسي [12]بالكتب إلى الإفرنج أن يعينوه على المسلمين . فأجابه جلهم رضي الله عنهم بردته وكفره . فتأمل هذا مع قضيتك تجدها أحروية ومناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ابتداء ، وأنه متى طرأ الكفر وجب العزل . وناهيك بقول النبي صلى الله عليه وسلم :*عليكم بالسمع والطاعة* [13]. وما أفتى به العلماء رضوان الله عليهم من ردة من استنصر بالنصارى على المسلمين، فهو نص جلي في وجوب خلعك وسقوط بيعتك . فلم يبق لك إلا منازعة الحق سبحانه في حكمه، *ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب* [14]وأما قولك في النصارى أنك رجعت إلى أهل العدوة ، واستعظمت أن تسميهم بالنصارى ، ففيه المقت الذي لا يخفى . وقولك : رجعت إليهم حين

---

9 قرآن كريم ، سورة المائدة ،الآية 51

10 التوحيدي ، علي بن محمد ت حوالي 1010/400،زركلي،إعلام ،326:4

11 أبو القاسم بن أحمد البلوي ت 844 /1440 ، من مؤلفاته :جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام .ينظر عنه :زركلي ،أعلام،172:5

12 محمد بن عباد، المعتمد على الله ت 1095/488 ، زركلي ،أعلام،181:6

13 حديث شريف ، صحيح البخاري ،باب السمع والطاعة للإمام ،61:4

14 قرآن كريم سورة الأنفال،الآية13

عدمت النصرة من المسلمين ففيه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله ، أحدهما[114] أنك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال ، وأن الحق لم يبق من يقوم به إلا النصارى ،دمرهم الله ، والعياذ بالله . والثاني أنك استعنت بالكفار على المسلمين.وفي الحديث أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحد شفرة ، فقال : يا محمد جئت لأنصرك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت تومن بالله ورسوله واليوم الآخر. فقال : لا أفعل. فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : *إني لا أستعين بمشرك* [15]. وما سمعته من قول العلماء رضي الله عنهم في الاستعانة [بهم إنما هو أن تجعلهم خدمة لأزبال الدواب، ونحو ذلك ، لا مقاتلة . فأما الاستعانة][16] بهم على المسلمين فلا يخطر إلا على بال من قلبه وراء لسانه ، [وقد قيل قديما لسان العاقل وراء قلبه .] [17]وفي قولك يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه ، وجعلك قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا بجواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، ففي ذلك من مصادمة للقرآن [والحديث ما لا يخفي، وهو عين الكفر أيضا ، والعياذ بالله . وقولك فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] [18]، إيه ، أنت مع الله ورسوله ومع حزبه . فتأمل ما قلت . وفي الحديث : *يتكلم أحدكم بالكلمة تهوي به النار[115] سبعين خريفا* [19] .

ولما سمعت جنود الله وأنصاره ، وحماة دينه من العرب والعجم ، قولك هذا حملتهم الغيرة الإسلامية والحمية الإيمانية ،

15 حديث شريف:إنا لا نستعين بمشرك .أخرجه أبو داود.

16 سقط ما بين المعقوفين في م2

17 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم3

18 سقط ما بين المعقوفين في م3

19 حديث شريف :إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا ، يهوي بها في النار سبعين خريفا.أخرجه الترمذي في السنن والحاكم في المستدرك .

وتجدد لهم نور الإيمان وأشرق عليهم شعاع الإيقان . فمن قائل يقول [لا دين إلا دين محمد صلى الله عليه وسلم] [20]ومن قائل يقول : سترون ما أصنع عند اللقاء ، ومن قائل يقول : ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ، ومن قائل يقول : إنما قصد التشنيع بالمسلمين ، إذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الأفعال القبيحة ، إلى غير ذلك . فجزاهم الله عن الإسلام خيرا ورضي الله عنهم وبارك فيهم . فلله دَرُّهم من رجال وفرسان وأبطال وشجعان ، فلولم يكن منهم إلا ما غيّر قلوبهم على الدين ، لكان كافيا في صحة إيمانهم ، وعظيم إيقانهم . فقد بلغ نور غضبهم في الله سبحانه ساق العرش، والحب في الله والبغض في الله من قواعد الإيمان. وقولك أيضا متبرئا من حول الله وقوته : فإن لم تفعلوا فالسيف . فهو كلام هذيان يدل على قلة حياء قائله فقط.أسيفك هذا نبا وأنت مع المسلمين أربعا وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ، ثم زال نبوه الآن بالكفار ؟ فهذه أضحوكة ، فتأملها [116]. وأما ما نسبتم لإمام دار الهجرة[21] فكفاك عجزا أن لم تعين لنا نصا جليا نعتمد عليه لنصبه فيما تحتج به . [إلا أنك أكثرت سواد القرطاس مغربا بذكره لا معربا بنصه] [22]وما نسبتم للحنفية من أكل الميتة عند الضرورة ، وإباحة الغصة بخمر، فهومما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان . فعدولك عن ذلك إلى نص الحنفية ، إما قصور وإما إلغاء لمذهب مالك رضي الله عنه ، وهو النجم الثاقب . وأما قولك ، أنتم أهل بغي وعناد ، فلا نسلم لك ذلك إلا لو أقمت بين أظهرنا ، وقاتلت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا . فأما إذ هربت عنا وتركتنا ، فالحجة عليك لا علينا . على أنك في كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره. وقد قال العلماء رضوان الله عليهم : من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير . وذلك معزو لزعيم العلماء أبي الوليد بن رشد

---

20 ما بين المعقوفين زيادة في م1 وم3 وم4

21 الإمام مالك بن أنس ت 795/179 ، ينظر :زركلي ،أعلام،257:5

22 زيادة في المعتمدة وم4

والقاضي أبي الفضل عياض رحمهما الله . وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ، كيف وقع لأمرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ، هل حصلوا على شيء مما قصدوه ؟ أو بلغوا شيئا مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكم بردتهم، ففاتتهم الدنيا والآخرة ، والعياذ بالله . وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم ، وقيامهم معك وعولت على بلوغ الملك بحشودهم [117] وأنى لك هذا مع قول الله تعالى : *اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا*[23] . *ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون*[24]. وفي الحديث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : *لن تغلب هذه الأمة ولو اجتمعت عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا*[25]، وعنه صلى الله عليه وسلم «*سيقاتل آخر هذه الأمة الدجال*[26]، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : *سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته ألايهلككم بسنين كسني يوسف فأعطانيها ، وسألته ألا يغلبهم عدوهم الكافر فأعطانيها ، وسألته الا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها*[27]. والكل عليك وإياك نعني . وما ذكرته عن عمك المنصور فاعلم أنه لما بلغه خبرك واستنصارك بالكفار ، عقد ألويته المنصورة بالله في وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة وصحيح البخاري ، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير ، والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين ، والفتح الشامل الشامخ المبين . فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء

---

23 قرآن كريم ،سورة المائدة ،الآية 3

24 قرآن كريم ، سورة التوبة ،الآية 32

25 حديث شريف ،أخرجه أبو نعيم في الحلية ،باب أخبار المهدي .

26 لم نتمكن من تخريجه

27 حديث شريف لفظه في الترمذي في باب الفتن في الثانية :وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق

قد فتحت لذلك ، وقضي ما هنالك . وبلغه كتابك الذي كان هذا جوابا عنه وهو بوسط تامسنا ، معه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيه البركة [118] ولولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جيوش الإسلام وجنود أهل الإيمان والمباهاة بها والافتخار بكثرتها، لما قررنا لكم أمرها . إذ لا اعتماد له أيده الله عليها،وكذلك هم لا اعتماد لهم وله إلا على حول الله وقوته ، ونصره وتأييده . والناس على دين الملك .وقد قاتلك وأنت في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة لم تنصرلك فيها راية . فأي شؤم ونحس حلا بديار الروم بإن حللت بهم ؟ فالله لك ولهم بالمرصاد . فارجع إلى الله أيها المسكين وتب إليه ، فإنه يقبل التوبة من عباده في كل وقت وحين . ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله. وهذه نصيحة إن قبلتها وموعظة إن وفقت إليها . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.وهو نعم المولى ونعم النصير . وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام .

الفصل الرابع والعشرون

ذكر الخبر عن غزوة وادي المخازن وما وقع فيها للمسلمين من النصر المبين

قال في المنتقى[1] : هذه الغزوة من الغزوات العظيمة والوقائع الشهيرة . حضرها جم غفير من أولياء الله تعالى ، حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر . حدثني شيخنا أبو راشد يعقوب اليدري عمن يثق به أن الرجل من حاضري ذلك المعترك يستبق [119] للنصراني لينتهز فيه الفرصة ، فما يصله حتى يجده ميتا [من غير فاعل يرى لذلك] [2] وكان خروج النصارى في هذه الوقعة بجيوش حافلة وجموع عديدة ، يقال إنهم كانوا زهاء مائة ألف وخمسة وعشرين ألف مقاتل ، وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين وإدارة رحى الهوان على أهل الدين . فعظم ذلك على الناس ، وامتلأت قلوبهم رعبا ، وصدورهم كربا ، وبلغت القلوب الحناجر،واشتعلت على أهل العقول من ذلك نيران الهواجر ، إلى أن أتاح الله لهم نصر دينه وإعلاء كلمته . وظهر من لطيف صنع الله تعالى ما لم يخطر لأحد ببال . وسبب ذلك كله أن محمد بن عبد الله لما دخل من طنجة، قصد الطاغية واستصرخه على عمه ، وطلب منه المعونة . فشرط عليه الطاغية أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك كله . فقبل ذلك منه محمد بن عبد الله والتزمه. واسم هذه الطاغية بستيان البرتقالي ويقال برتقيس . فخرجوا بجيوش وافرة وسلف بيان نهايته حسبما أنهاه ابن القاضي . والذي عند غيره أنهم كانوا

1 ورد هذا النص في المنتقى المطبوع ،672:2

2 زيادة من المنتقى

نحوا من ستين ألفا . وقال في **المنتقى** [3]: عدد الكفرة مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا ، الخمس والعشرون ، بقيت في السفن والمائة ألف حضرت للقتال ، أسر بعضهم وقتل الباقي . وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه .[120] قال بعضهم وكان عدد الأنفاض التي يجرونها مائتين من الأنفاض . فشنوا الغارات على أهل السواحل ، فأعلم أهلها السلطان عبد الملك ، وكان بمراكش ، وشكوا له كلب العدو عليهم . فكتب عبد الملك من مراكش إلى الطاغية : إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى العدوة ، فإن تبثت إلى أن أقدم عليك ، فأنت نصراني حقيقي شجاع ، وإلا فأنت كلب ابن كلب . فلما بلغه الكتاب غضب وشاور أصحابه ، هل نقعد هنا حتى يلتحق بنا من خلفنا من أصحابنا ؟ فقال لهم محمد بن عبد الله الرأي أن نتقدم ونملك تطوان والقصر والعرائش ، ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من الذخائر. فأعجب ذلك الرأي أهل الديوان ولم يعجب الطاغية . وكتب عبد الملك إلى أخيه أحمد أن يخرج من فاس وأحوازها بالجيوش ويتهيأ للقتال . وكتب عبد الملك إلى الطاغية : إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة ، أما ترحل إلي واحدة ؟ فرحل العدو من موضع يقال له تهدارت [4]، ونزل على وادي المخازن بمقربة من قصر كتامة . وكان من عبد الملك مكيدة . ثم إن الطاغية قطع بجيوشه وعبر جسر الوادي ونزل من هذه العدوة . فأمر عبد الملك بالقنطرة أن تهدم ، ووجه لها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادي لا مشرع له ، ثم زحف عبد الملك إلى العدو بجيوش المسلمين وخيل الله المسومة .و انضاف له [121] من المتطوعة كل من رغب في الأجر وطمع في الشهادة . وأقبل الناس سراعا من الآفاق وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل .

---

3 في نفس المكان

4 نهر جنوبي طنجة ، ومرسى عند مصبه . ينظر:حسن الفيكيكي ، معلمة ،7: 2231

وكان ممن حضره من الأعيان أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي رحمه الله وغيره . وسمعت أن الشيخ الغوث سيدي أبا العباس السبتي ، رحمه الله ، رئي فيها جهارا على فرس أشهب [6] ، يحض الناس على التقدم . ولا يستنكر مثل هذا ، فإن الشهداء أحياء عند ربهم . فالتقت الفئتان، وزحف بعضهم إلى بعض ، وحمى الوطيس ، واسود الجو بنقع الجياد ودخان مدافع البارود ، واشتد القتال وكثر الضرب والطعن ، واستمر النزال . فلما قامت الحرب على ساق والتفت الساق بالساق ، توفي عبد الملك عند الصدمة الأولى منه . وعندما أضرمت نار القتال وكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد إلا حاجبه ومولاه رضوان العلج [7]، فإنه كتم موته ، وصار يختلف إلى الخباء ويقول إن الأمير يأمر فلان أن يذهب إلى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا أن يتقدم ، وفلانا أن يتأخر . وقال شارح **الزهرة** ، ولما مات عبد الملك ، لم يظهر الذي كان سائس المحفة موته . فصار يقدم دواب المحفة نحو الكفرة ويقول للجند : الملك يأمركم بالتقدم إلى الكفرة . وعلم أيضا بموته أخوه المنصور فكتمها . ولم يزل كذلك والناس في المناضلة ومداناة القواضب واحتساء كؤوس الحمام ، إلى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم الدهر ، واثمرت كمائم رماحهم زهور الظفر.[122] فولى المشركون الأدبار ، ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف في رقابهم ، ففروا ولات حين فرار . وقتل الطاغية

---

5 يوسف بن محمد الفهري ت 1604/1013 ، ينظر:القادري ، نشر، 103:1

6 أنثي ، في الحجرية وم1 وم3 وم4 .

7 ذكر المجهول، تاريخ الدولة السعدية،ص61 :" وكان القائد الطايع هو حاجب السلطان .فاشتد الأمر بالسلطان ...فصارحاجبه القائد المذكور...يشير على أمر السلطان بالأمروالنهي ، ولم يظهر موته ." ورضوان المذكور علج من أصل برتغالي ، اعتقه عبد الملك السعدي واتخذه حاجبا، ثم أصبحت له حظوة كبيرة عند المنصور، ت 1581/989 .ينظر عنه :SIHM ,FR;T:II,P36,NOTE:6

بستيان البرتقالي غريقا في الوادي . وقصد النصارى للقنطرة ، فلم يجدوا لها أثرا . فكان ذلك من أكبر الأسباب في هلاكهم وأعظم الحبائل في اقتناصهم . ولم ينج من الروم إلا عدد نذر وشرذمة قليلة ، وبحث في القتلى عن محمد بن عبد الله فوجد غريقا في وادي لكس [8]، وذلك أنه لما رأى الهزيمة ألقى بنفسه فيه ورام قطعه فغرق فيه . فاستخرجه الغواصون ، فسلخ جلده وحشي تبنا وطيف به في مراكش وغيرها . وممن وجد في القتلى صـــــريعا أبو عبد الله محمد بن عسكر صاحب **الدوحة** ، فإنه هرب مع المسلوخ ، وكان من بطانته ودخل معه بلاد الروم . فوجد ما بين جيف النصارى قتيلا ، وتكلم الناس في أمره حتى قيل إنه وجد على شماله مستدبرا للقبلة ، وفي ذلك يقول الفقيه العلامة سيدي محمد ابن الإمام الشهير سيدي عبد الله الهبطي [9] رحمه الله في **منظومته** التي نظم فيها أصحاب أبيه [معتذرا عن ابن عسكر المذكور ومشيرا إلى توهين ما قيل فيه :][10]

ومنهم الشيخ الذي لا ينكر ... محمد أخو الدهاء عســكر
فإن يكن أتى بذنب ظاهــر ... فعرضه من الشكوك طاهر
رأيته في النوم ذا بشـارة ... وهيئة حسنة وشــــارة

وكان التقاء الجمعين يوم الإثنين منسلخ جمادى الأولى عام ستة وثمانين وتسعمائة . قال في **المنتقى** [11]:وكان [123] قدر

---

8 في الوادي في م2، واد تكس في م1 وم3 . ومن المعلوم أن واد المخازن يشكل رافدا لواد لكوس ويصب فيه.

9 المعروف بالصغير ت 1593/1001، ومنظومته هي المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضي النصيح ،عرف فيها بوالده .ينظر:محمد حجي،حركة،1: 154 و467:2

10 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3

11 في المطبوع ،672:2

المقاتلة خمسا وأربعين درجة ، أو اثنتين وخمسين درجة [12]، على ما حدثني به بعض الميقاتيين . وتوفي عبد الملك في زوال اليوم المذكور ، وبايع الناس أخاه أبا العباس أحمد المنصور، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال في درة الحجال [13]: فانظر لحكمة الله الواحد القهار ، أهلك ثلاثة ملوك في يوم واحد ، وهم : أبو مروان ، وابن أخيه محمد بن عبد الله ، والطاغية بستيان ، وأقام واحدا وهو أبو العباس المنصور .

ولما بلغت الهزيمة إلى الطاغية الأعظم ، بعث إلى المنصور ، بعد استبداده بالملك ورجوعه لفاس كما سيأتي ، يلتمس منه الفداء لمن بقي بيده من الأسارى . ففداهم وجمع في ذلك أموالا سنية . وذكر بعضهم أن الأسارى الذين وقع فداؤهم لما توجهوا إلى بلادهم ووصلوا لملكهم قال لهم الطاغية : لم لم تأخذوا القصر والعرائش وتطوان قبل أن يصل ملكهم إليكم ؟ فقالوا له : امتنع من ذلك الأمير الذي أمرته علينا . فأمر بهم فأحرقوا جميعا .

غريبة

وفيها مضحكة : ذكر بعضهم أن النصارى دمرهم الله ، لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة وفنى من فنى منهم ، ورأى أساقفتهم قلة الروم وخلاء البلاد لكثرة من مات منهم ، أباحوا للعامة فاحشة الزنى ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم . ورأوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم ملتهم ، أخزاهم الله ودمرهم وأخلى منهم الأرض .

---

12 المدة التي تستغرقها الشمس – في الظاهر – لقطع قوس من 45 أو52 درجة . تعليق من المترجم ، ص 136 ،هامش 1

13 في المطبوع ،124:2

الفصل الخامس والعشرون

ذكر الخبر عن سبب وفاة مولانا أبي مروان عبد الملك

وبقية أخباره

قال ابن القاضي : كان سبب وفاة عبد الملك [124] أنه شم سما ، وذلك أن قائد الأتراك الذي كان معه ، واسمه رمضان العلج ، بعث لبعض قوادهم أن يتلقاه بكعك مسموم ، هدية لعبد الملك وقت جوازهم عليه . قصد بذلك قتله بعد أخذه مدينة فاس ليثبت لهم الملك فيها . فلم يكمل الله مرادهم لما شاهدوا من عظيم جيش المغرب وكثرته ، فكان ذلك سبب موته ، انتهى . ولما توفي حمل إلى مراكش فقبر بها ، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام .

ومن حجابه : القائد رضوان العلج ، ومن كتابه : محمد بن عيسى[1] ، ومحمد بن عمر الشاوي [2]، وقضاته : قضاة ولد أخيه .

وكان يتزيى بزي الأتراك ، ويجري مجراهم في كثير من شئونه . وكان يتهم بالميل للأحداث ، وربما كان يظهر ذلك كما سلف . ويلقب من الألقاب السلطانية بالمعتصم . وكان أخوه أبو العباس أحمد المنصور خليفة له على فاس [وما والاها، وكانت][3]له نيه محبة تامة . وكان يظهر أنه ولي عهده ، ويرشحه لذلك كثيرا .

وقد وقفت على رسالة كتب بها إليه أبو مروان تدل على ذلك ونصها :

باسم الله الرحمن الرحيم [،وصلى الله على سيدنا ومولانا

---

1 هو التاملي المذكور آنفا

2 ينظر عنه :المراكشي ،إعلام ،180:5

3 سقط ما بين المعقوفين في م 1 وم 3 وم4

محمد وآله .][4] من عبد الله المعتصم بالله ، المجاهد في سبيل الله ، أمير المؤمنين عبد الملك ، ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى ، أيد الله أمره وأعز نصره [5]وأسعد زمانه المبارك وعصره ، وأبقى بمنه فخره . من إملائه أيده الله [125] وأدام نصره ، إلى أخينا الأعز الأحظى ، بب أحمد ، حفظه الله . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أما بعد ، فاعلم أني لا أحب أحدا بعد نفسي كمحبتي لك ، ورغبتي في انتقال هذا الأمر من بعدي إلا لك لا لغيرك . غير أني نعتاد منك التراخي في الأمور ، حتى أنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعتبره . إلى أن يتطرق إلى ما لا يتلافى جبره من الأمور، التي تكاد -لولا لطف الله – أن تذهب بهذا الملك وتهد أركانه ، ويبلغ العدو منها مناه ومراده . من ذلك في هذا التراخي إهمالك أمر الجند الذي بالعرائش وإغفالك له ، مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة إليه من المؤونة والبارود والرصاص ، الذي لا يتسقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك . وجعلت تقابل خطابهم بالإهمال وعدم المبالاة ، إلى الأن . ساعة يرد عليك كتابنا هذا ، قبل وضعه من يدك ، ابعث لهم مؤونة عشرة أيام ، بينما نصل إن شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجونه زائدا على ذلك ، مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولاتراخ . بحيث لا نقبل منك عذرا في هذه المسألة التي لا تحتاج للإهمال ولا بد ولا بد . وقد بلغنا أن صاحب النصارى بقرب أصيلا في خمس عشرة مائة من النصارى ، وتمنيت أن لو حركتك الهمة لاقتحامه في مكانه بجيش يكسيه أردية الصغار ويرجع ساعة رؤيته إلى عادته من الذل والفرار . فانتبه من الغفلة [126] وافتح عين الانتباه واليقظة ، فإن الساعة لا تقتضي إلا الحزم والتشمير عن ساعد الجد والاجتهاد والعزم ، والسلام .

---

4 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم6

5 ذكره ، في الحجرية وم2 وم6

الفصل السادس والعشرون

ذكر الخبر عن أولية السلطان أبي العباس مولانا أحمد المنصور الذهبي رحمه الله

صفته :كان،رحمه الله،طويل القامة ، ممتليء الخدين ، واسع المنكبين ، تعلوه صفرة ، رقيق البشرة ، أدعج ، أسود الشعر ، أكحل العينين ، ضيق الفم[1] ، براق الثنايا ، جميل الوجه ، مليح الصورة ، ظريف المنزع ، لطيف الشمائل ، حسن الشكل . كانت ولادته ،رحمه الله ،سنة ست وخمسين وتسعمائة.وأمه الحرة [المرأة][2] مسعودة[3] بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي ، وكانت من الصالحات ، حريصة على اقتناء المفاخر ، راغبة في فعل الخير . قال في **المنتقى**[4] وهي التي أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش،وحبست عليه أوقافا عظيمة . وكان ذلك عام خمسة وتسعين وتسعمائة . وهي التي بنت جسر وادي أم الربيع ، وغير ذلك . وتوفيت ،رحمة الله عليها ، سحر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من صفر في متم الألف . ومن المستفيض أنها رئيت بعد موتها فسئلت ما فعل الله بها ، فقالت :غفر لي بسبب أني كنت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة ، فسمعت المؤذن قد شرع في الآذان ، فرددت علي ثيابي إعظاما لذكر الله تعالى ، حتى فرغ

---

1 الفلج في م2 وم 3 وم 4

2 سقط ما بين المعقوفين في م3 وم4

3 ت 1591/1000 ، ينظر :المراكشي ،إعلام ،271:7

4 ورد النص في المنتقي المطبوع ، 257:1 ، وفيه نص التحبيس المشارإليه هنا والنص مقتبس بالمعنى.

المؤذن من آذانه ، فشكر الله لي ذلك فغفر لي . [127] ونشأ المنصور رحمه الله في عفاف وصيانة . وكانت مخائل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التمائم ، وكان والده المهدي ينبه على أنه واسطة عقد أولاده . قال في **مناهل الصفا**[5] : حدثني الشيخ المسن القائد أبو محمد مومن بن الغازي العمري أن المنصور أقبل يوما في حياة أبيه ، وهو صبي ، والمجلس غاص بالأكابر، فاندفع يخترق الصفوف.قال:فصاح بي المهدي إذاك وأنا أصغر القوم فقال : يا مومن ارفعه فسينفعك وينفع عقبك ، فابتدرت حمله . وكان كذلك، فإن المنصور لما افضت إليه الخلافة كان القائد مومن بن الغازي هذا عنده بالحظوة الرفيعة والمنزلة العالية. قال[6] أبو فارس [عبد العزيز الفشتالي][7]: ولما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم ، استقدمه من فاس وأوصاه بالمنصور جدا ، وقال له : إن الفائدة فيه ، أو كما قال . وكان المنصور يحدث أنـــه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم - في النوم وأنواره تشرق ، قال فوقع في نفسي أن أسأله عن نصيبي من الخلافة . فكاشفني عليه الصلاة والسلام بما في خاطري، وأجابني بما حقق لي منالها [8]. ثم أشار لي بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاما الإبهام منها إلى السبابة والوسطى ، وقال : أمير المؤمنين . وحدث [128] الفقيه سفير الخلفاء العالم الولي أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الدرعي الجزولي [9] أنه اجتمع ببعض أهل المكاشفة بمصر، فسأله عن السلطان محمد الشيخ المهدي وعن أولاده ، فسميتهم له واقتصرت على الكبار منهم ،

---

5 ورد النص في المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم ،27 ، بالمعنى

6 ورد هذا النص في المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم ، ص :28

7 ما بين المعقوفين زيادة من م6

8 مقالتها في م2 وم5 وم6

9 المذكور آنفا ، وينظر كذلك :أحمد البوزيدي ، معلمة ،2192:7

[ولم أذكر المنصور لأنه كان أصغرهم سنا إذاك][10] فقال لي : بقي منهم من لم تذكر ؟ فقلت له : أحمد ، فقال لي : ذاك واسطة عقدهم ووجه صفقتهم . فكان الأمر كذلك.وقال الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التمنارتي [11] في كتابه **الفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة** [12]: أخبرني [13] الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغي ، صاحب الحسبة بتارودانت ، أنه رأى في منامه كأنه في حلقة يسرد فيها **صحيح البخاري** بمحل من دار الخلافة بها ، وأبو العباس المنصور يومئذ بها قبل ولايته،قال : فرأيت في طرة الكتاب ورى الزند . فكنت أتأمل معناه ، فالتفت فإذا أنا برجل في ناحية انعزل فيها على طنفسة . فوقع في نفسي أن أسأله ، فأتيته بالكتاب وقلت له يا سيدي ما معنى هذه الكلمة التي في طرة هذا الكتاب ؟ فقال لي قل: لمولاك أحمد أنا الذي أوريت زندك ما دمت على الحق ، فإن عدلت عنه فأنا بريء منك . فقلت له : ومن أنت ياسيدي ؟ فقال لي : رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لم يمض إلا قليل ، فولي الخلافة وحمدت سيرته.

[129] قال أبو زيد وناهيك من زند أوراه النبي صلى الله عليه وسلم .[وهذا يدل على أن ولاية الإسلام لا تنعقد إلا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم] [14] وقد اشتهرت المرائي بذلك . ويقرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب **ابتهاج القلوب في مناقب سيدي عبد الرحمن المجذوب** [15] : أن الولي الصالح

---

10 سقط ما بين المعقوفين في م4

11 ت حوالي 1650/1060 ،من مؤلفاته الفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة.ينظر عنه :محمد حجي ، حركة ،1:25 والهامش 62 ،2:413، والهامش 27

12 ورد النص في مخطوطة خ ع بالرباط 3693 د ، ص:34

13 أخبرنا في الحجرية

14 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية

15 لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، ت 1685/1096 ،مخطوط خ ع بالرباط رقم 3265 ك

سيدي كدار المالكي [16] ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ، فشكا إليه أولاد مطاع ، لما رأى ما هم عليه من الفساد في الأرض . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يأتيهم أحمد . فكان الأمر كذلك . أتاهم بالقرب السلطان أحمد المنصور فأخذهم وفل جمعهم، كما سيأتي إن شاء الله ، انتهى.

وذكر في **المنتقى** [17] قال : مرض المنصور ذات مرة في صغره مرضا شديدا حتى أيس منه ، فرأت أمه شخصا في النوم وهو يقول لها : زوريه سيدي الدراس بن اسماعيل [18] - نفع الله به -فإنما أصابته عين . فزورته إياه ، فعوفي . وأخباره من هذا النمط يطول تتبعها .

---

16 محمد بن يحيى المعروف بعلال ، الشهير بكدار المالكي ، ت 1605/1014 . ينظر عنه :أحمد الوارث ، معلمة،1659:5

17 في المنتقي المطبوع ،387:1 ، بالمعنى.

18 الدراس بن إسماعيل ، ويكنى أبا ميمون ،ت 967/357 . ينظر عنه :ابن القاضي جذوة ،194:1 والهامش 256،ص:196 .

الفصل السابع والعشرون

ذكر الخبر عن دولة المنصور وأول أمرها

قد ذكرنا كيفية مبايعته قبل ، وأنها كانت عقب وقعة وادي المخازن في يوم الإثنين منسلخ جمادى الأولى عام ستة وثمانين وتسعمائة . واجتمع عليها أهل الحل والعقد ممن هنالك من الأعيان ـ ثم لما أقبل[1] المنصور من تلك الغزوة ، ودخل فاس في يوم الخميس عاشر جمادى الأخيرة من السنة المذكورة ، جددت له البيعة [130]بفاس، ووافق عليها من لم يحضرها في حومة الوغا من الناس.ثم بعث لمراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه ، فأذعن الكل للطاعة وسارعوا للدخول فيما دخلت فيه الجماعة .

ولما تمت للمنصور المبايعة بوادي المخازن كان أول ما بدأ به أن الجيش طلبوا منه أرزاقهم واستنجزوا منه أعطياتهم ، حسبما جرت به العادة من قبله معهم . فطالبهم هو بخمس الغنيمة ، لأنهم جعلوها نهبة ولم يقتسموها على الوجه الشرعي . فصعب إخراجها منهم ، لعدم التعيين وجرأة الناس على الغلول . فسلم لهم فيها وسمحوا له في رواتبهم [وأعطياتهم .وكان ذلك صلحا وقطعا للكلام فيما بينهم. والأمرلله سبحانه.][2]

---

1 قفل ، في م1 وم3 وم4

2 سقط مابين المعقوفين في م1 وم3 وم4

الفصل الثامن والعشرون

ذكر الخبر عن بعث المنصور للآفاق يخبرهم بهذا الفتح المبين

قال الفشتالي :لما وقعت غزوة وادي المخازن ، وكبت الله فيها الكفر وأهله ، ونصر الدين ، واستوثق الأمر للمنصور وتمت له البيعة بفاس ، كتب المنصور لصاحب القسطنطينية العظمى ولسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب ، يعرفهم بما أنعم الله به عليه من إظهار الدين وإهلاك عبدة الصليب ، واستئصال شوكة الروم ، ورد كيدهم في نحورهم . فوفدت عليه الأرسال من سائر الأقطار مهنئين له على ما فتح الله له وعلى يديه . وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر . ثم تلته أرسال طاغية برتقال إريك [1]، القائم بأمر الروم بعد هلاك ولد أخيه بستيان بوادي المخازن . فجاءوا بهدية عظيمة وضعوها يوم دخـــولها لفاس على [131]العجلات والكراريط . فعجب الناس منها عجبا بليغا . وكان مما فيها ثلاثمائة ألف دقات من ريال الفضة . وأما الطرف والحوائج النفيسة ، فأمر لا يحصى . ثم ورد أرسال صاحب قشتالة [2]بهدية عظيمة ، منها اليواقيت الكبار التي انتزعها الطاغية من تاج أبائه، وربيعة مملوءة من الدر الفاخر وقضيب الزمرد ، وغير ذلك [3] .وتكلم الناس فيما بين هدية برتقال وهدية طاغية قشتالة أيهما أعظم . ولم يعرف أهل العقول التفاوت بين الهديتين . ثم وافته أرسال السلطان خاقان العثماني ومـــعهم هديته ، وهي سيف محلى لم ير قط مثله مضاء و لا أصفى متنا . ثم قدمت أرسال طاغية الفرنجة [4]، ويقال لهم اليوم افرنصة ، وبها

1 الكاردنال إنريك ENRIQUE

2 فليب الثاني PHILIPPE II,1556-1597

3 تنظر تفاصيل الهدية في CAILLE,Petite Histoire,p:88

4 هنري الرابع HENRI IV de Bourbon 1589-1610

يعرفون اليوم ، ومعهم هدية عظيمة . ولم تزل الوفود مترادفة ببابه والأرسال تصبح وتمسي على أعتابه ، إلى أن لم يبق أحد ممن تتشوف النفوس لمبعثه . وحينئذ اطمأنت نفس المنصور ، وقرت عينه بتمهيد الأمر له .

وفي جمادى الأولى عام سبعة وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضا مخوفا، وطال به حتى كادت الأمور أن تختل . ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر أبي عبد الله محمد الطبيب [5]. ولمااستقل من مرضه أحسن للطبيب المذكور، ونثرت عليه من الخلع يوم خروجه مالا يحصى . وكان يوم خروجه يوما مشهودا ، وفي ذلك يقول الفقيه اللغوي الأديب أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي [6]المعروف بالنابغة :

تردى أذى من سقمك البــر والبحـر	وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
[132]وبات الهدى خوفا عليك مسهدا	وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمــر
فلما أعاد الله صحــتك التـــي	أفاق بها من غمه البدو والحضــر
تراءت لنا الدنيا بزينـــة حسنهـا	وعاد إلى أيامها ذلك البشـــر
وصاربك الإســلام في كل بلـــدة	يهني ويدعو أن يطول لك العمـــر
وصحت لـــنا الآمال بعد اعتلالهـا	وعاد إلى الإيناع أغصـانها الخضـر
ولا غروإن خافــت على عيلم[7] النـدا	إذا اغبر وجه الأرض واحتبس القطـر
بسيب أبـــي العباس أنضت عجافها	قديما فخافت أن يعاودها الضـــر
لئن جـــدلت بيض المعالي فقد غدت	نشوى الكماة البـيض واللدن السمر
بقيـــت لهذا الدين تحمي دمـــاره	ويحميك رب العرش ما بقى الدهـر

---

5 ذكره في المناهل ، تحقيق عبد الله كنون، ص:26 ،ونعته بشيخ الأطباء"أحد كبار مواليهم المعلوجين ".

6 ت1012/1604 ، ينظر عنه:محمد حجي، حركة،2:408

7 سمط في م1 وم4 ، سمك في م2

الفصل التاسع والعشرون

ذكر الخبر عن أخذه البيعة لولده وولي عهده محمد الشيخ المامون وسبب ذلك

قال الفشتالي[1] : لما أبل المنصور من مرضه المذكور، وعاد إلى حاله من الصحة، أجمع رأي أعيان الدولة واتفقت كلمة كبرائها على أن يطلبوا منه تعيين من يلي الأمر بعده ، ويكون ولي عهده . وكان المنصور مهابا ، فلم يقدر أحد على مراجعته في ذلك . فاتفقوا على أن يكون البادئ لذلك القائد مومن بن الغازي العمري لما له من الإدلال[2] على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية . فقال له القائد المذكور : يامولانا ، قد حفظ الله الإسلام بإبلالك من هذا المرض ، وعصم الدين بإبقائه عليك . وقد بقي الناس في أيام سقمك في حيرة عظيمة ، ودخلهم من[133] الدهش مالا يخفى عليك ، فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الإسلام عليه بعدك ، ويشار بالخلافة إليه ، لكان أولى وأليق بسياسة الملك . وإن ابنك الأبر أبا عبد الله مولانا محمدا المأمون حقيق بذلك وجدير بسلوك تلك المسالك ، لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة ، زيادة على ما هو عليه من التيقظ في أموره والحزم في شئونه . وقد ظهرت للناس محاسن سيرته واطلعوا على جميل سريرته . فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار به عليه ، وقال له : سوف أستخيرالله في ذلك ، فإن كان من عند الله يمضه . فلبث المنصور أياما يستخير ربه في ذلك . وشاور من يعلم أهليته للمشورة من أهل العلم والصلاح . فلما انقضت أيام

---

1 في المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم،ص:4 5 ،بالمعنى والاختصار.

2 الدالة في م1 وم3

الاستخارة ، وتواطأت العقول على حسن تلك الإشارة ، جمع المنصور أعيان حاضرة مراكش وأعيان مدينة فاس، وغيرهم من أشياخ القبائل ووجوه الناس من البوادي والحواضر . وأوصى بالعهد لولده أبي عبد الله محمد الشيخ المامون المذكور ، وذلك في يوم الإثنين [لليلتين خلتا من][3] شعبان عام سبعة [4]وثمانين وتسعمائة . وكان المامون إذاك خليفة أبيه على فاس ، ولم يحضر بيعته . فبعث له المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبايع بحضرته.ولم يقنعه ما كان أخذ له من البيعة وهو غائب [134] ولما بعث له للمجيء خرج المنصور خارج مراكش بعساكره ونزل بتانسيفت[5] في الثاني عشر من صفر عام تسعة وثمانين وتسعمائة،ولم يزل بعسكره ذلك متلوما ومنتظرا لقدوم ولده المامون ، إلى أن قدم في غرة جمادى الثانية من العام المذكور. فكان يوم ملاقاتهما من عجائب الزمان . ولما اصطف جيش المامون وجيش المنصور ، ترجل المامون عن فرسه وتقدم حافي القدم ، فعفر وجهه بين يدي والده ، ثم قبل رجله والمنصور على فرسه بين الصفين . فدعا له بخير وأظهر الفرح بقدومه . وكان المامون قد عبأ جيشه تعبئة لم ير مثلها ، ورتبهم ترتيبا حسنا في لباسهم وسائر أمورهم . فسر المنصور بذلك.وبعد أيام من بلوغه ،أمر به فأجلس في سرادقه الأعظم الذي لم يكن للملوك قبله مثله ، كما سيأتي . وأمر أهل الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده ، واقتضيت منهم الأيمان بمحضره . وقام الشعراء فأفصحوا عن وصف الحال . وغمر المنصور الناس بالعطاء .وكان ذلك يوما مشهودا . وبعد أيام من ذلك أمر المنصور بالمامون أن يرجع لحضرة فاس فرجع ، ودخل المنصور لحضرته السعيدة [مراكش حرسها تعالى .][6]

---

3 سقط مابين المعقوفين في م1 وم3 وم4

4 تسعة في م2

5 نهر وحوض ، ينظر عنه :أحمد هوزالي،معلمة،2215:7

6 سقط مابين المعقوفين فيم1 وم3 وم4 وم5

الفصل الثالث[1]

ذكر الخبر عن مخالفة الأمير داود ابن عبد المومن [135]] ابن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ]. وشقه العصا على عمه أبي العباس المنصور وما وقع في ذلك

قال الفشتالي[2] :لما وقعت البيعة للمامون وتكامل أمرها ، ثار الرئيس الأجل أبو سليمان داود[3] بن المولى عبد المومن ابن الإمام المهدي ، وهو ابن أخي المنصور ، وفر إلى جبال سكساوة[4]، وشق العصا على عمه ، ودعا لنفسه . فانثالت عليه شرذمة من البرابر وغيرهم ، ونجم أمره وكثرت في أذن الرعية جعجعته . فبعث له المنصور قائده الزعيم أبا عبد الله محمد بن ابراهيم ابن القاسم بن بجة[5] فناوشه القتال بجبل سكساوة فهزمه . فهرب إلى جبال هوزالة ، فتحزبوا عليه وقويت بهم شوكته . وبقي يشن بهم الغارات على أهل درعة ، إلى أن ضاقوا به ذرعا . فشكوا أمره أيضا للمنصور فبعث له قائده المذكور فلم يزل في مقاتلته إلى أن شرده من هوزالة . ففر منها إلى الصحاري ، واستقر به الرحل في عرب الوداية من عرب الجنوب . فلم يزل عندهم إلى أن هلك عام ثمانية وتسعين[6] وتسعمائة ، وكفى المنصور أمره .

---

1 زيادة في م6

2 في المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم،ص:57 .

3 كان قائدا في جيش عبد الملك سنة 1578 ،و توفي 1589 أو1590 (989 هـ)

4 ينظر عنها :الوزان ، وصف ،1:140

5 ذكره في المناهل، تحقيق عبد الكريم كريم،315

6 وثمانين في م3 وم4

الفصل الحادي والثلاثون

ذكر الخبر عما وقع للمنصور مع السلطان مراد العثماني

وما سبب ذلك

قد ذكرنا قبل أن المنصور وردت عليه الأرسال بالتهاني من ملوك الأقاليم ، وأن ممن وفد على أبوابه أرسال ملك العثامنة ، فقدموا [136]عليه بهدية سنية ، وتشاغل المنصور عنهم وتركهم بحضرته مهملين . وتأخر عن جواب خاقان ملك القسطنطينة العظمى السلطان مراد ابن السلطان سليم التركماني ، فغاظه ذلك.ولم يزل الرئيس علي علوج وزير البحر يسعى بالمنصور عنده ، ويذكره بما وقع من أبيه من القدح في إمارة الأتراك ، والطعن عليهم ، [ويهون عليه أمره ، إلى أن أذن له في منازلته بالمغرب،][1]ويأخذ عليه بآفاقه ، إلى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته . فأخذ الوزير في التهيئة لذلك . فبلغ الخبر للمنصور ، فارتحل لفاس وشحن الثغور وملأ المراسي ، وكان على أهبة وكمال استعداد . وبعث أرساله إلى السلطان المذكور بهدية عظيمة . وكان من أرساله القائد الأنجب أحمد بن ودة العمري [2] والكاتب الشهير [يحيى بن] أحمد بن علي الهوزالي [3]، فركبوا في البحر من ثغر تطوان . فبينما هم علي ثبج البحر في أثناء الطريق ، لقيهم وزير خاقان ، علوج المذكور ، وهو قاصد للمغرب بنية مصادمة المنصور ، فلما رآهم سقط في يده وأيقن بخيبة مسعاه . ففاوضهما فيما قصداه ، وأيأسهما من تدارك الأمر ، وقال

---

1 سقط ما بين المعقوفين في م2 والحجرية

2 لم نتمكن من التعرف عليه.وورد بصيغة العمراني في:م3 وم4 وم5

3 ت 994/1585 ، ينظر عنه:عبد الوهاب ابن منصور، أعلام،5:200 .

لهما : إن الخرق قد استع على الراقع ، ولو كان لصاحبكم غرض في المسالمة ما بقي أصحابنا بأبوابه كالكلاب ، والباديء أظلم . فلم يزل علوج بالقائد ابن ودة إلى أن رده معه وترك الهوزالي [137] يبلغ الرسالة . ظنا منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة خاقان ، وابن ودة الذي عنده مظنة التدبير وكماله ومساجلة [4] الملوك رده معه . فلما بلغ الهوزالي إلى خاقان أظهر من فراسته ولطافته في مخاطبته [5] ما تحير منه خاقان، واعتذر له عن تأخير المنصور الجواب [بما لا يعود بوهن على مرسله ولا يفيد غلبة لمخاطبه . فقبل خاقان الاعتذار] [6] ، وقبل الهدية بقبول حسن . وكتب مع الهوزالي لوزيره علوج بالرجوع عن منازلة المنصور ، فرجع به الهوزالي يطير فرحا ، ولم يغب على علوج إلا قدر الشهر . فقرع لها علوج سن الندم وأسف على ما فرط منه . وبعث خاقان أرساله مع الهوزالي للمنصور يلومه على التراخي في أمور الملوك . فلما وردت عليه الأرسال أحسن نزولهم ، وتلقاهم بالترحيب ، وردهم مكرمين. وبعث معهم الفقيه الإمام قاضي الجماعة أبا القاسم محمد بن علي الشاطبي والقائد الأنجب عبد الرحمن بن منصور الشياظمي المريدي . فلما وردا على خاقان فرح بهما كل الفرح . وصنع الشاطبي كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين ، وقرر فيه حق أهل البيت ، وأطرى المنصور غاية الإطراء ، وحض على اتحاد كلمة الإسلام ، وقريء ذلك على خاقان يوم السلام عليه . ففرح [138] بذلك خاقان واهتز لسماعه . ثم بعد أيام بعثهم خاقان وأحسن إليهم كل الإحسان . ولما تكامل الغرض ، وصح جسم الملك من ذلك المرض ، ورجعت الأرسال في أحسن الأحوال ، رجع المنصور إلى مراكش . وفي خروجه من فاس خرج أعيان فاس ومشيخة العلم بها وقرئ البخاري بين يديه ، على عادة الخلفاء رضي الله عنهم . وكان ذلك كله عام تسعة وثمانين وتسعمائة .

---

4 مجالسة ،في م2

5 ملاطفته في م2 ،لطافة مخاطبته في م3 وم4 وم5

6 سقط ما بين المعقوفين في م2

الفصل الثاني والثلاثون

ذكر الخبر عن فتح لبلاد توات وتيكرارين وما وقع في ذلك

لما استقر المنصور بمراكش مرجعه من فاس ، وأمن مقاتلة الأتراك ، طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد توات وتيكرارين [1] وما انضاف إليهما من القرى والمداشر؛ إذ كان أهلها قد انكفت عنهم أيدي الملك منذ أزمان ، ولم يستول عليهم سلطان قاهر . فسنح للمنصور أن يجمع بهم الكلمة ، ويردهم إلى أمر الله . فبعث إليهما القائد محمد بن بركة [2] وقائده أحمد بن الحداد العمري المعقلي [3] في جيش عرمرم ، بلغوها عن سبعين مرحلة من مراكش . وكانوا قد تقدموا إلى أهلها بالأعذار والدعاء للطاعة . فامتنعوا من الإذعان واستزلهم الشيطان . فنازلوهم وقامت الحرب بينهم على ساق ، وطالت المعركة أياما . فمكن الله منهم وحق عليهم القول ، فأصبحوا كأمس الذاهب . وانتهى الفتح للمنصور ، ففرح بذلك غاية . وقال في ذلك الشعراء قوافي ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين [4] وتسعمائة .

---

1 تيكرارين جمع مفرده كرارة وتعني المعسكر، ينظر:الوزان،وصف،133:2، ومحمد حجي،حركة،629:2

2 لم نتمكن من التعرف عليه ، ذكره في المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم ،315

3 لم نتمكن من التعرف عليه

4 وتسعين في م1 وم3 وم4

الفصل الثالث والثلاثون

ذكر الخبر عن فتح المنصور لبلاد السودان وكيفية ذلك وسببه

لما استولى المنصور على بلاد توات وتيكرارين وأعمالهما ، تاقت همته لبلاد السودان ، لكون تلك البلاد مجاورة [139] لبلاد السودان . فلما أجمع أمره على ذلك، رأى أن يبدأ أولا بمراسلة ملوك السودان ويدعوهم إلى الطاعة ، فإن أذعنوا كفى الله المؤمنين القتال . وإن امتنعوا ، يحكم الله بينه وبينهم . فكتب [1] إلى سلطانهم سكية [2] في شأن معدن الملاحة الكائن بتغازى [3] ومنه يجلب لسائر بلاد السودان ، يقول له أن على كل حمل مثقالا من الذهب ، عونا لجيوش الإسلام . فلما بلغت رسالته سكية أظهر الامتناع من ذلك ، وأبى من مساعفته . وكان المنصور لم يكاتبه في ذلك حتى استفتى علماء إيالته وأشياخ الفتوى بها ، فأفتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا إنما هو للإمام لا لغيره ، وأنه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك إلا عن إذن السلطان أو نائبه. وكانت الرسالة المتوجهة لسكية من إنشاء الإمام العلامة الأشهر ، مفتي الحضرة المراكشية أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي ، لأن كاتب الإنشاء أبا فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي كان مريضا في الوقت . ولما فرغ من إنشائها ، وبقي عليه الصدر ، لم يدر كيف يقول في مخاطبته سكية ، ولا كيف يمدحه ، وهل يتوغل

---

1 عن تفاصيل هاته المراسلات ينظر:Pianel,les préliminaires,p185

2 أسكيا /سُكية/أسقيا:لقب تشريفي يعني الملك عند حكام دولة سنغاي.ينظر:محمد حجي،معلمة،2:432

3 تَغَازَى،قرية شمال مالي الحالية،وحولها سبخة إجل .ينظر:ابراهيم حركات ، معلمة ،2439:7

في المدح أو يتوسط ؟ فكتب أبو مالك حين تحير في ذلك للمنصور بما نصه : أيدكم الله ونصر أعلامكم ، إن مخاطبة هذا الرجل الذي هو في مرتبة مماليك الحضرة المولوية أمر تلعثم فيه لساني ووقف عن خوض لجته بناني، لأن النأي عن هذه المحجة [140] قد مد بيني وبينها حجابا ، وأغلق في وجهي بابا ، فلا آمن إن اقتحمته من الوقوع في تفريط أو إفراط ، وخير الأمور لو علمتها الأوساط [4]، لكن لا سبيل إليّ لمعرفته إلا بعد علم الطرفين ، والعبد محجوب عن ذلك دون مين ، فتركت أيدكم الله الصدر لمن هو به مني أقعد ، وتحاميت عقده لمن هو له أعقد ، أبي فارس عبد العزيز الذي أفاضت عليه أبوابكم وأضاءت له سبل هذا المخبر أقماركم ،وإلا قرعت هواتف لسان الحال سمعي من قوله :

ياباري القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس اعط القوس باريها

4 مثل سائر:خير الأمور أوساطها.أورده:اليوسي ،زهر الأكم ،245:2

الفصل الرابع والثلاثون

ذكر الخبر عن آل سكية ملوك السودان وأوليتهم

قال الإمام التكروري في كتابه **نصيحة أهل السودان**[1] :
إن آل سكية أصلهم من صنهاجة ، وملكوا كثيرا من بلاد السودان ، وأول ملوكهم الحاج محمد سكية ، بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم تاء . وكان الحاج محمد المذكور رحل في أواخر[2] المائة التاسعة إلى مصر والحجاز ، بقصد حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام . فلقي بمصر الخليفة العباسي ، فطلب منه أن يأذن له في إمارة بلاد السودان ، وأن يكون خليفة له هنالك ، ففوض له الخليفة العباسي النظر في أمور ذلك الإقليم ، وجعله نائبا عنه على من وراءه من المسلمين.فآض الحاج إلى بلده وقد بنى رياسته على قواعد الشريعة ، وجرى على منهاج أهل السنة .ولقي بمصر أيضا الإمام شيخ الإسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده ، وتعلم منه الحلال والحرام [141] وسمع منه جملا من آداب الشريعة وأحكامها ، وانتفع بوصاياه ومواعظه.فرجع إلى السودان فنصر السنة وأحيى طريق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ، ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم . فصلحت الأحوال وبرىء جسد الرشاد هنالك من الداء العضال . وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لأئمة الدين ،محبا للعلماء مكرما لهم غاية الإكرام يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء . ولم يكن في

---

1 هذا المؤلف مفقود

2 أوائل في م2

إيالته[3] كلها بؤس ولا بأس ، بل كانت رعيته في خصب عيش وأمن سرب . وفرض عليهم شيئا خفيفا من المغارم ، وظفه عليهم .وزعم أنه ما فعل ذلك حتى استشار فيه الإمام السيوطي «شيخه المذكور. ولم يزل على سيرته الموصوفة إلى أن اخترمته المنية . فقام بالأمر بعده ولده داود ، فأحسن السيرة ما شاء ، وتبع طريقة أبيه إلى أن مضى لسبيله ، ولحق بربه . فقام بالأمر بعده ولده إسحاق، فعدل عن بعض سيرة أبيه وجده ، ولم يكن في أموره واقفا عند حده . وعليه انقرض ملك آل سكية .

وكان تحت طاعتهم من بلاد السودان مسيرة ستة أشهر.والملك لله وحده، وتصاريف الأمور سبحانه إليه.

---

3 أيامه في م3

الفصل الخامس والثلاثون

ذكر الخبر عن مشاورة السلطان المنصور أصحابه في غزو إسحاق[142] سكية واقتحام بلاد السودان عليه

قال الفشتالي [1]: لما رجعت أرسال المنصور إليه من عند إسحاق سكية ، وأعلموه بمقال سكية وامتناعه واحتجاجه بأنه أمير ناحية والمنصور أمير ناحية وأنه لا تجب عليه طاعته ، شاور المنصور أصحابه ، وجمع أعيان دولته وانتقى أهل الرأي والمشورة ، فاجتمعوا،وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا .وقال لهم المنصور : إني عزمت على منازلة أمير كاغو [2] وصاحب السودان ، وبعث الجيوش إليهم ، لتجتمع كلمة الإسلام وتتفق . لأن بلاد السودان وافرة الخراج ، كثيرة المال ، يتقوى بها جيش المسلمين ، ويشتد بها ساعد كتيبة المؤمنين . مع أن صاحب أمرهم والمتولي لسلطنتهم اليوم معزول عن الإمارة شرعا ؛ إذا ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى . فلما نثل المنصور ما في كنانته ، وأبدى ما في وطابه ، وفرغ ما في عبيته من أسراره ، سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشئ ، فقال لهم : أسكتتم استصوابا للرأي ، أم ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ؟ فأجابوا كلهم بلسان واحد ورأي متفق : إن ذلك رأي عن الصواب منحرف وإنه بمهامه عن الآراء السديدة ، ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك . فقال : وما بيان ذلك ؟ فقالوا : إن بيننا وبين السودان مهامه فيح ، يقصر عنها الخطا وتحير فيها القطا . وليس فيها ماء ولا كلأ ، فلا يتأتى السفر فيها لاعتساف طرقها ، مع كونها مخوفة مملوءة

---

1 المناهل، تحقيق عبد الكريم كريم،126

2 ذكرها الوزان، وصف ،1:33

الجوانب ذعرا . وأيضا فإن دولة [143]المرابطين على ضخامتها ودولة الموحدين على عظمتها ودولة المرينيين على قوتها، لم تطمح همة أحد منهم لشيء من ذلك ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذلك إلا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها . وحسبنا أن نقتفي أثر تلك الدول ، فإن المتأخرلا يكون أعقل من الأول . فلما قضى أولائك الأقوام كلامهم ، وأبدوا إليه رأيهم ، قال لهم المنصور : إن كان هذا غاية ما استضعفتم به أمري ، وقابلتم به رأيي ، فليس فيه حجة ولا ما يخدش فيما عندي. أما قولكم بيننا وبينها صحاري مخوفة ومفاوز مهلكة من جدبها وعطشها ، فنحن نرى التجار على حالة ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ، ويخوضون في أحشائها مشاة وركبانا ، ومثنى وفرادى،وقط لم تنقطع ركاب التجار عنها . وأنا أقوى أهبة منهم،وللجيش همة ليست للقوافل . وأما قولكم إن من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك . فاعملوا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الإفرنج ومن بذلك الساحل من أمم الأروام ، والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك ، وزادوا بحرب ابن غانية ، والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان . ونحن اليوم قد انسد عنا باب الأندلس باستيلاء العدو الكافر [144]عليه جملة، وانقطعت عنا حروب تلمسان ، ونواحيها من الجزائر ، باستيلاء الترك عليها . ثم إن أهل تلك الدول ، لو أرادوا ما أردنا ، لصعب عليهم إدراكه . لأن جيوشهم فرسان رامحة ورماتهم ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة بالصواعق . وأهل السودان لم يكن عندهم الآن إلا الرماح والسيوف ، وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة . فمقاتلتهم سهلة وحربهم أسهل من كل شيء .وأيضا فإن بلاد السودان أنفع من افريقية ، فالاشتغال بها أولى من منازلة الأتراك ، لأنه تعب كثير في نفع قليل . فهذا جواب ما عرض لكم ، ولا يحملنكم ترك الملوك الأول ذلك على استبعاد القريب واستصعاب السهل ، فإنه كم ترك الأول للآخر ، وقد يفتح على المتأخر بما لم يفتح به على المتقدم .

فلما فرغ المنصور من خطابه ، استحسن الحاضرون جوابه ، واستملحوا إشارته ، واستجادوا رأيه ، وقالوا له : طبقت المفصل وألهمت الصواب ، ولم يبق لأحد ما يقول، وصدق من قال : عقول الملوك ملوك العقول . فانفصل الجمع على البعث للسودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور في رأيه .

قلت : وقع في كلام المنصور أمران يحتاجان إلى مزيد بيان،الأول : ما قاله من أن الملثمين لم تكن لهم سلطنة على السودان ، والذي أحفظه لابن خلدون وغيره أنهم ملكوا غانة واقتضوا منها الإتاوات والجزية ، وغانة دار ملك السودان وهي مدينتان على ضفتي النيل .الثاني ما قال إن البارود حدث ولم يكن في تلك [145] الدول الفارطة ، فالذي وقفت عليه في تاريخ حدوثه ما قاله شيخ شيوخنا الإمام الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي رحمه الله في شرحه **لمنظومته فيما جرى به العمل بفاس** قال : كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة ، حسبما ذكره بعضهم في **تأليف** له في الجهاد ، وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ، ففرقع له فأعاده فأعجبه ، واستخرج منه هذا البارود[3] ، انتهى. والله أعلم سبحانه وتعالى يفعل في ملكه ما يريد.

---

[3] ينظر عن هذا الموضوع:الناصري ، استقصا،36:3 ،وخصوصا:محمد المنوني،الأسلحة النارية،102.ونظم الدولة المرينية،81

ذكر الخبر عن بعث المنصور جيوشه إلى السودان

لما اتفق رأي المنصور مع أهل الشورى من أعيان دولته على البعث للسودان ، اختار من حماة جيشه وأبطال جنده وأنصاره من يعلم نجدته ويعرف كفايته ، فهيأ جيشا عظيما وتخير من الإبل كل بازل وكوماء ، ومن الخيل كل عتيق وجرداء ، وعقد لواء الجيش للباشا جودر[1] مولاه ، فخرج في زي عظيم وهيئة لم ير مثلها . وكان خروجه من مراكش في السادس عشر من ذي الحجة عام ثمانية وتسعين وتسعمائة .وكتب المنصور إلى قاضي تينبكت[2]، وهو الإمام العلامة أبو حفص عمر ابن الشيخ سيدي محمود بن عمر أقيت الصنهاجي ، يأمره بحض الناس على الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة . [ولم يزل جودر ينتقل من مراكش ، مرحلة فمرحلة، إلى أن بلغ عمائر تينبكت واحتل بعمالتها ، فلقي هناك إسحاقا في جنوده.[3]]وكان إسحاق سكية ، لما سمع بخروج الجيوش له وتوجهها إليه ، حشد جنوده وبعث في المدائن حاشرين. وجمع جموعا عديدة ، ويقال إنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل ، وكان على أهبة واستعداد . قال الفشتالي[4]ولم يقنع بالجيوش التي جمع ، حتى أضاف إلى ذلك أشياخ السحرة [146]

1 ترجم له المراكشي ،إعلام ،102:3 ،وذكر أنه كان حيا سنة 1590/999 ويسميه ابن القاضي ،منتقى،833:2:جودر الخصي . وأصل الرجل من غرناطة وعاش بسلا إلى أن دخل في خدمة السعديين وقاد جيش الأندلس مدة ،إلى أن قتله محمد الشيخ المامون في دخلته لمراكش ، فيمن قتل .ينظر SIHM,ANG,T:II,P:66;NOTE:1 ,PB,T:1,P212

2 تنبكتو، كما في الوزان ، وصف ،165:2

3 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5

4 المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم،137

وأهل النفث في العقد وأرباب العزائم والسيميا، ظنا منه نجع ذلك وهيهات:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

فلما التقت الفئتان، نكص إسحاق على عقبه و انتثرت جموعه و فل غربه . والتحمت الحرب من لدن الضحى إلى قرب العصر.فطحنتهم رحى الحرب وصيرتهم كأعجاز نخل خاوية . ونجا إسحاق بنفسه في قليل من حاشيته.وكان جيش إسحاق إنما سلاحهم الحرشان الصغار والرماح والسيوف، و لم تكن عندهم هذه المدافع . فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا . ومن حينهم ولوا الأدبار، وحق عليهم البوار،وحكمت في رقابهم سيوف جودر وجيوشه . حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين، والسيوف عاملة فيهم. وكان ذلك كله في السادس عشر من جمادى الأولى عام تسعة و تسعين وتسعمائة. ولما فر إسحاق تبعه جودر، بعد أن استولى على تينبكت و سائر ما يواليها من المدائن والقرى.وبعث جودر للمنصور يخبره بالفتح وبهدية عظيمة، فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا، ومائتين من الرقيق و غير ذلك .ولم يزل في مطالبة إسحاق [147]إلى أن قطع بحر النيل ، فقطعه جودر بجيوشه وتبعه إلى أن حاصره في مدينة كاغو ، وهي كانت دار ملك إسحاق . ثم إن إسحاق راسل جودر يطلب منه الصلح على ضريبة يبذلها له في كل سنة، و أموال طائلة يؤديها ، على أن يتركه في دار ملكه . فأعجب ذلك جودر وبعث للمنصور يستشيره في ذلك . فأنف من ذلك المنصور وامتنع كل الامتناع . وكتب لجودر على ظهر رسالته بخط يده : *أتمدونني بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون*[5]. وكان جودر، حين طال عليه الحصار بكاغو وسئم من طول الإقامة وشكا إليه الجيش وخامة تلك البلاد

---

5 قرآن كريم، سورة النمل، الآية 35

واستيلاء الأسقام عليهم،رحل عنهـــا وكر راجعا إلى تينبكت، ريثما يأتيه جواب المنصور عن ذلك الصلح الذي طلب به إسحاق .

فحنق المنصور عليه حين رجع القهقرى و انقلب [6] إلى ورا. وأرسل الباشا محمودا [7]وعزل به جودر عن إمارة الجيش، وأبقاه تحت أمره. فلما وافى محمود بمنازلة إسحاق والتضييق عليه في كاغو، [رجعوا إلى مدينة كاغو.][8] وكان إسحاق، لما تخوف من استيلائهم عليها ، أمر في خلال ذلك بنقل الأقوات منها وإخلائها. فلما ضيقوا عليه خرج هاربا من كاغو، وظن أنهم لا يتبعونه فتجاوز كاغو إلى مدينة كوكية وقطع النيل ، فقطعوا خلفه . ولم يزالوا في اتباعه إلى أن مات إسحـــاق و[148] أدبرت أيامه، وانصرم سماط ملكه.

فانتظمت الممالك السودانية في سلك طاعة المنصور ما بين البحر المحيط من أقصى أرض المغرب إلى بلاد كنوا [9]المتاخمة لبلاد برنو. فأذعن صاحب برنو للطاعة. و تنتهي مملكة برنو إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر.قال الفشتالي : فكلمة المنصور نافذة فيما بين بلاد النوبة والبحر المحيط من ناحية المغرب ، وهذا ملك ضخم و سلطان فخم لم يكن لمن قبله.والله يؤتي ملكه من يشاء.

ولما فتح الله عليه ممالك البلاد السودانية، حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحيرالناظرين ،حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي. و كانت ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار، دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك .ولأجل ذلك لقب

---

6 التفت في م1 وم3

7 ذكره في المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،ص:81 ،وقال عنه:مولاه مملوكه الفتى محمود باشا. وانظر صلته بمحمود بن زرقون وكان يتكلف بتدبير أموال السلطان ، ينظر عنه :10/1/1587, SIHM,ANG,T:III

8 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3

9 كنوا بالكاف المعقودة في الحجرية

بالذهبي، لفيضان الذهب في أيامه.
ولما وافت المنصور وفود البشائر بالفتح، سر بذلك سرورا عظيما وأمر بالمفرحات في بلاد المغرب وتزيين الأسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام .وأتته الوفود من كل ناحية يهنئونه على ما منحه الله من النصر المكين و الفتح المبين. و قال الشعراء في ذلك ، وقام به في المحافل الخطباء، [149] ومما قيل في ذلك ما أنشده أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي ،فقال [10]:

جيش الصباح على الدجا متدفق	فبياض ذا لسواد ذلك يمحـق
وكأنه رايات عسكرك التـي	طلعت على السودان بيضا تخفـق
لاحت وأفقهم ليال كلـه	كعمود صبح في الدجا يتألـق
نشرت لتطوي منه ليلا دامسا	أضحى بسيفك ذي الفقار يمـزق
أرسلتهن جوائحا و جوارحا	في كل مخلبها غراب ينعـق
وسرت فكان دليلهن إليهم	مشحوذ عزمك والسنان الأزرق
لهي الليالي قد جلا أحلا كها	نور النبوة من جبينك يشـرق
صعقت بهن رعود نارك صعقة	رجت لصيحتها العراق وجـلق
سحقا لإسحاق الشقي و حزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه	من جيش جودرك الغضنفر فيلـق
جيش أواخره ببابك سيله	عرم وأوله بكاغـو محـدق
لم يشعروا إلا وأسواد الـردى	ضربت عليهم من قناك وخنـدق
كتب الإله على عداتك أنهم	قنص لسهمك غربوا أو شرقوا
ضلت ملوك ساجلوك على العلا	سفها وشأوك في العلا لايلحـق
إن يشبهوك ولا شبيه يرى لكم	في الخلق أين من اللجين الزئبـق
بشر ملوك الارض أنك فاتح	بالمشرفي على الولا ما أغلقوا
و بفاصل لك ذو الفقار مفرق	ما جمعوه وجامع ما فرقوا
دامت طيور السعد وهي غوارد	بالمشتهي لك والمسرة تنطـق

---

10 وردت هاته القصيدة في :نجاة المريني ، شعر الفشتالي ،355

[قال ابن القاضي في شرح درة السلوك [11]: كان فتح السودان المذكور سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وإليه أشرت بقولي من قصيدة ،

فتح مبين هو تـاريخه فاعجب لفتح ما له من جناح

[[وقوله :و إليه أشرت ...إلخ لم يظهر لي مأخذ التاريخ من هذا البيت . فإن عدّ ما قبل لفظة التاريخ لا يوافي بالغرض ، وكذا ما بعدها ، ومجموعها يزيد على المراد . فلعله محرف ، وهو كذا بالأصول]][12]

ولقد هدى الله تعالى وأرشد صاحبنا أبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن عمران السلاسي [13] إلى أخذ تاريخ الفتح المذكور ، بحساب النيم [14]، بعد إسقاط ألفات الوصل وحرف التضعيف ، من قوله تعالى:*إن الله لقوي عزيز*.. إلى قوله *ولله عاقبة الأمور*[15]. وهو منزع لطيف .وذكر لي أن الكوشي [16] المفسر نص على أن الآية من باب الإخبار بالمغيبات][17].

---

11 هذا النص ، فيما يظهر ، يوجد في الورقات المبتورة آخر مخطوط خ ع رقم 763.

12 هامش في الحجرية ، آخره :انتهى،مصححه .

13 ت 1609/1018 ، ينظر عنه:القادري ، نشر ، 148:1

14 ينظر عن حساب النيم: DE SLANE,TOME XIX ,NOTES ET EXTRAITS: P241, ، تعليق المترجم

15 قرآن كريم ، سورة الحج ، الآيتان 40-41

16 الكواشي في الحجرية وم2 وم5 وم6 . والمقصود :أحمد بن يوسف ، موفق الدين الكوشي المفسر ت 1281/680 ،من مؤلفاته كشف الحقائق ، ويعرف بتفسير الكوشي . زركلي ،أعلام 274:1

17 سقط ما بين المعقوفين في م1 و م3 وم4

وكان محمود لما استوثق له الأمر هنالك ، بعث نصف جيشه مع هدية للمنصور فيها من الذخائر ما لا يحصى، وهي إثنى عشر مائة مملوك من الجواري والغلمان ، وأربعون حملا من التبر، وأربعة سروج[18] ذهبا خالصا، وأحمالا كثيرة من اليانبور[19] وكوز من الغالية و قطوط الغالية، وغير ذلك من الأشياء النفيسة ذات الأثمان العالية . ولم يزل محمود هنالك خليفة للمنصور.

وفي مقامه هنالك قبض على الإمام العلامة الهمام علم الأعلام أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بابا[20]، وعلى أهل بيته . فحملوا مصفدين في الحديد لمراكش ومعهم حريمهم ونهبت أموالهم وذخائرهم وكتبهم.

قال في **بذل المناصحة**[21]: سمعته يقول : أنا أقل عشيرتي كتبا، نهبت له ستة عشر مائة مجلد .وكان القبض عليهم في أواخر المحرم عام اثنين و ألف ، ووصلوا لمراكش في رمضان من العام بعده ،واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عنهم.فسرحوا في يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عام أربعة وألف .ففرحت بذلك قلوب المؤمنين.ولما أدخل أبو العباس بعد التسريح من السجن على المنصور وجده يكلم الناس من خلف حجاب ، وبينه وبينهم شملة مسدولة فقال له : إن الله تبارك وتعالى يقول : *وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب.*[22] وأنت قد تشبهت برب الأرباب، فإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنا الحجاب ، فنزل المنصور

---

18 خروج في م2

19 اليابلور في الحجرية ، اليابنوز في م1 وم3

20 عنه وعن مؤلفاته ، ينظر:حسن الصادقي .

21 بذل المناصحة في فعل المصافحة ،لأحمد بن علي البوسعيدي ، ينظر :محمد حجي ،حركة ،264:1، هامش 42.وذكر أن مؤلف فهرس الفهارس (197:1) وقف عليه .والكتاب يعتبر اليوم مفقودا .

22 قرآن كريم ، سورة الشورى ، الآية 50

ورفع الأستار، فقال لـــه أبو العباس :أي حاجة لك في نهب متاعي وضياع كتبي وتصفيدي من تينبكت إلى هنا ، حتى سقطت من فوق ظهر الجمل واندق ساقي ؟ فقال له المنصور : أردنا كي تجتمع الكلمة [151] وأنتم في بلادكم من أعيانها ،فإن أذعنتم أذعن غيركم . فقال له أبو العباس :هلا جمعت الكلمة بترك تلمسان وما يليها من البلدان ، فإنهم أقرب إليك منا .فقال له المنصور: قال النبي صلى الله عليه وسلم *اتركوا الترك ما تركوكم* ،[23] فامتثلنا الحديث .فقال له أبو العباس : ذاك زمان،وبعده قال ابن عباس :لا تتركوا الترك وإن تركوكم .فسكت المنصور ولم يجد جوابا، وانفض المجلس .ولما سرح أبو العباس تصدرلنشر العلم وهرع الناس للأخذ عنه. ولم يزل بمراكش إلى أن مات المنصور.لأنه ما سرحهم من السجن حتى شرط عليهم سكنى مراكش. ولما مات المنصور أذن له ولده زيدان في الرجوع إلى بلاده ، فرجع إليها وكان يتشوق لرؤيتها ويسكب العبرات عند ذكرها، ولم ييأس من روح الله في العود إليها .ولما خرج من مراكش بقصد بلده، شيعه أعيان الطلبة ، فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : *إن الذي فرض عليك القرءان لرادك الى معاد*[24] ،على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر، فيرجع سالما . فانتزع أبو العباس يده بسرعة وقال له : لا ردني الله إلى هذا المعاد ولا رجعني لهذه البلاد.وسلم عليهم وذهب لبلاده بسلام وأمان ، رحمة الله عليه .[25]

---

23 حديث شريف ، صحيح الإمام البخاري ،باب قتال الترك ،4:1 5

24 قرآن كريم ، سورة القصص ، الآية4 8

25 وقع اختلاف بين النسخ بين تقديم وتأخيرفي الفقرات ، وفضلنا التتابع الزمني للسرد.

ومن شعر أبي العباس متشوقا إلى بلاده ومتشوفا إلى تحصيل ذلك قوله :

أيا قاصدا كاغوا فعج نحو بلدتي ... وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي

سلاما عطيرا من غريب و شائق ... إلى وطن الأحباب رهطي و جيرتي

وعز أقاربا هناك أعزة ... على السادة الألى فنيت بغربتي[152]

أبي زيدهم شيخ الفضائل والهدى ... وصنو أبي عمي وأقرب أسرتي

وسيفي بسيف البين سل لفقدهم ... وهد الموت ركني وعمدتي

ولا تنس عبدالله ذا المجد و الندا ... فقد مد حزني فقد قومي و عشرتي

وشبان بيتي ساروا عن أخيرهم ... إلى ملك الأملاك في وقت غربتي

فوا أسفا مني وحزني عليهم ... فيا رب فارحمهم بواسع رحمة

الفصل السابع والثلاثون

ذكر الخبر عن وقيعة المنصور بعرب [الخلط وغيرهم من أهل أزغار][1] وسبب ذلك

هؤلاء العرب من مختار وسفيان، أصلهم من جشم القبيلة المشهورة .وكانوا في القديم من شيعة بني مرين، وهم الذين أقدموهم من المغرب الأوسط ، وبه كان قرارهم .وكانت لهم في الدولة المرينية صولة ومرتبة . فلما أدبرت أيام بني مرين واستولى على ملكهم أبو عبدالله محمد الشيخ المهدي، انحاشوا إليه وأظهروا الخدمة والنصيحة . فلما جاء أبو حسون المريني بالأتراك ، حسبما شرحناه [153] قبل، أوقعوا الهزيمة على المهدي من أبي حسون ، كما سلف ، خلعهم من الجندية، ووظف عليهم الخراج، ومحا اسمهم من ديوان الخدمة، ونقل أعيانهم لمراكش واتخذهم رهائن عنده . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أيام المنصور، فرأى مقاتلتهم يوم وادي المخازن وإبلاءهم فيه البلاء الحسن ، فاختار نصفهم للجندية وأبقى نصفهم الآخر في غمار الرعية، ونقلهم لأزغار[2] فسكنوا فيه . فعتوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم لأولاد مطاع فنهبوهم وضيقوا ببني حسن فكثرت الشكاية بهم للمنصور، فضرب عليهم سبعين ألفا،فلم يزيدوا إلا شدة. فبعث لهم ليرسلوا طائفة منهم لتيكرارين فامتنعوا من ذلك .فبعث القائد موسى ابن أبي جمادة العمري لهم، انتزع الخيل منهم ، وأبقاهم رجالة ، ثم حكم فيهم السيوف، فمزقهم كل ممزق . ومن ثم خمدت شوكتهم ولانت للغامز قناتهم.

---

1 ما بين المعقوفين زيادة في م3

2 الهضاب المجاورة للأطلس المتوسط ، ينظر:عبد العزيز التوري، معلمة ،1:345

الفصل الثامن والثلاثون

ذكر الخبر عن تجديد المنصور البيعة لولده

وفي شوال عام اثنين وتسعين وتسعمائة ، جدد المنصور البيعة لولده ولي عهده محمد الشيخ -الملقب بالمامون - على إخوته خصوصا، لأنهم كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ ، فأراد أن يستوثق له من إخوته بعد البلوغ، حسما لمادة النزاع بينهم.فارتحل المنصور من مراكش لتامسنا، وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكيتي ليأتي بولي عهده من فاس.فتوافى [154] القصدان بتامسنا ، وباشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه.وحضر الأعيان وأهل الحل والعقد ، وأحضر المصحف الكريم الذي هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، وهو من ذخائر الخلفاء، وأحضر **الصحيحين** البخاري و مسلم، وقرىء ظهير البيعة .فتولى قراءتها الفشتالي وبجنبه القاضي أبو القاسم الشاطبي يفسر ما أشكل في لفظ الظهير.ولما أخذ البيعة أخر أولاده إلى غد يومها، فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على ذلك .

ورأيت في بعض رسائل زيدان بن المنصور، وقد ألم بهذه البيعة فقال : إني حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب الغرب، وحضرأولاد السلطان فاستحلفهم له إلا أنا ، فإنه رضي الله عنه قال :فلان لا يحلف ولا يحتاج إليه ، فما نأمر به يفعله.وعظم ذلك على إخوتي وظهر في وجوههم الكراهة.[1]

ولما [2]انتهى المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للإمارة، ويقسم بينهم البلاد حتى لا يبقى في نفوسهم إحن، ولا تنطوي قلوبهم على ضغائن. فعقد لأبي فارس شقيق المامون،

---

1 سترد هاته الرسالة في الفصل 61

2 سقطت هذه الفقرة ، وكذا كل الفصل 39 وطرف من الفصل 40 ، في م5 ، ثم أعيد الساقط دون التزام بالاسترسال،

على السوس وسائرعمائره، وعقد لأبي الحسن علي على مكناسة وما والاها، وعقد لزيدان [155] على بلاد تادلا . ثم عكس لأمراقتضاه الحال ، فنقل زيدان لمكناسة، ونقل أبا الحسن لتادلا ، ولم يزل أمرهم على ذلك .

الفصل التاسع والثلاثون

ذكر الخبر عن ثورة الناصر بن السلطان الغالب بالله على عمه أبي العباس المنصور وما وقع في ذلك

كان الناصر في حياة أبيه الغالب خليفة على تادلا ونواحيها. ولما توفي أبوه قام بالأمر أخوه المتوكل -كما استوفينا شرحه قبل هذا - قبض المتوكل على الناصر فاعتقله ، فلم يزل معتقلا مدة خلافته . ولما انتزع المعتصم الملك من يد المتوكل كما أسلفناه فيما مر، سرحه من اعتقاله وأحسن إليه ولم يزل تحته في أرغد عيش. فلما توفي المعتصم يوم وقعة المخازن فر الناصرلأصيلا، وكانت بيد الكفرة ، ثم عبر منها لجزيرة الأندلس فكان عند طاغية قشتالة مدة ، إلى أن بعثه الطاغية إلى مليلة وزين له الشقاق لتتفرق كلمة الإسلام . فخرج الناصرلمليلة ونزل بها لثلاث من شعبان عام ثلاثة وألف .فتسامعت به الغوغاء وسقط الناس وهمجهم ، فأقبلوا إليه يذرفون وسارعوا نحوه يهرعون .فتكاثرت جموعه وتوافرت عساكره وشيوعه ،فخرج منها قاصدا لتازا [1]، فدخلها وأتته القبائل المجاورة لها، كالبرانس وغيرهم، فتألبوا عليه وتمالئوا على [156]إعزازه ونصره.ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم : إن النصارى يغرمون حتى على البيض.ولما سمع المنصور بخبره أحزنه أمره ، وتخوف منه غاية ؛ لأن الناصر اهتز المغرب لقيامه وتشوفت له العيون ، لميل القلوب عن المنصور لشدة وطأته واعتسافه للرعية . قال في ابتهاج

---

1 أو تازة ،ينظر عنها:محمد بلعربي ،معلمة ،2024:6.

القلوب [2]، في ترجمة الولي الصالح أبي الحسن على بن منصور البوزيدي ، أنه كان يوما سائرا مع أصحابه على بغلة.فقـــال لهم :يافقراء أتسمعون ما تقول بغلتي؟ إنها تصيح بالنصر لمولاي الناصر، وكذلك الحجر والشجر، وإني أرى غير ذلك . فكان الأمر كما قال ؛ فقد اهتز كل شيء لقيام مولاي الناصر،ثم قتل قريبا، ولم يتم له الأمر. ثم إن المنصور بعث لهم جيشا وافرا ،فهزمهم الناصر واستوثق له الأمر. فأمر المنصوروولي عهده بمنازلته ، فخرج إليه في تعبئة حسنة وهيئة تامة.فلما التقى الجمعان كانت الدائرة على الناصر. فهرب على تازا وفر هاربا. فاحتل بلجاية،بليدة من عمل بلاد الزبيب. فلحق به ولي العهد . فلم يزل في مقاتلته، إلى أن قبض عليه ، فقتله وقطع رأسه وحمل لمراكش.وكان ذلك عام خمسة وألف .

وذكر الشيخ أبو علي اليوسي[3] في **المحاضرات** [4]ما صورته : لما قام على المنصور ابن أخيه أو ابن عمه الناصر، قال سيدي أحمد بن القاسم الصومعي [5] : إن الناصر يدخل تادلا، بمعنى دخـــــول [157] الملك. فلما بلغ الخبر إلى سيدي محمد الشرقي [6]،قال : مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر يدخل تادلا فظنه الناصر. فهزم الناصر وقطع رأسه وحمل إلى مراكش ، فدخل تادلا في طريقه.

وقوله :ابن عمه ، الصواب ابن أخيه.ولما قتل الناصر فرح بذلك المنصور وجاءته الوفود بالتهنئة.وكتب بالفتح لسلطان مكة

---

2 ورد النص في الممتع المحقق،ص:416

3 الحسن بن مسعود ، ينظر عنه :محمد حجي ، الزاوية الدلائية،104.كما ينظر:عباس الجراري ، بيو بيبليوغرافيا اليوسي ،مجلة المناهل – العدد 15 السنة 6 شعبان 1399/ يوليو 1979 عدد خاص باليوسي.

4 ورد النص في المحاضرات ،119

5 التادلي ، ت 1013/1604.ينظر عنه: محمد حجي ،حركة،2:504.

6 ينظر عنه:أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية ،43 .

وهو السلطان حسن بن أبي أنمى[7] وللشيخ العارف بالله سيدي أحمد البكري الصديقي[8]، والإمام بدر الدين القرافي[9] وغيرهم، يعلمهم بما منحه الله من الفتح والعزوالظفر. وقال في ذلك الكاتب البليغ أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي.

تهنأ أمير المؤمنين فقد جــــرت   لسطوتك الأقدار جري السوابــق

أضاءت بك الأيام واحلولكت عـــلى   عدوك وارتجت رؤوس الشواهـق

وذاك الذي قد خيب الله سعـــــيه   تردى فلم تنفعـه نصرة مـــارق

فكان كما قــد قيل لـكـن رأســــه   أتي سابقا والرجل ليست بسابق

وأشار بذلك إلى قول بعضهم في الوزير بن الفرس[10] –حين قتل وصلب –وقد رآه منكوس الرأس :

لقد طمح المهـر الجمـوع لغـاية   تقطع أعنـاق العتـاق السوابــق

جرى فجرت رجلاه لكن رأســــــــــه   أتي سابقا والرجل ليست بسابق

---

7 ت 1601/1010 ، ينظر عنه :زركلي ،أعلام،218:2

8 أحمد بن محمد ، ت 1638/1048 ، ينظر عنه :زركلي ،أعلام ،129:1

9 محمد بن يحيى ، ت 1600/1009

10 لعله عبد المنعم بن محمد ت 1203/599، زركلي ،أعلام،168:4

الفصل الأربعون

ذكر بناء المنصور للبديع وسبب ذلك

قال في **مناهل الصفا**[1]: كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وإنفاقه فيه جلائل الأموال ونفائس الذخائر ، هو أنه أراد أن تكون لأهل البيت به مأثرة وشفوف على دول البرابر وغيرهم من المرابطين والموحدين ومن بعدهم من بني مرين ، فإن كلا من أهل تلك [158] الدول ابتنى بناء يحيى به ذكره . ولم يكن لأهل البيت في ذلك المعنى شيء تزداد به حظوتهم ، مع أنهم أحق الناس بالمجد الأصيل والسؤدد الأثيل . فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت ، لأن البناء كما قيل في فوائده :

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها   من بعدهم فبألسن البنيان

إن البناء إذا تعاظم شأنه   أضحى يدل على عظيم الشان[2]

[ولما عزم على الشروع فيه][3]، أحضر أهل العلم ومن يتسم بالصلاح ، فتحينوا أوان الابتداء ووقت الشروع فيه ، فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته عام ستة وثمانين وتسعمائة ، واتصل العمل فيه إلى عام اثنين وألف ، ولم يتخلل ذلك فترة .

وحشد له الصناع حتى من بلاد الافرنجة . فكان يجتمع كل يوم من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم ، حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس أعلاقهم ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن ،على ماقيل.وكان المنصور قد اتخذ معاصر للسكر ببلاد

---

1 المناهل، تحقيق عبد الكريم كريم،254

2 الباني في م2 وم6

3 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4

حاحة وشوشاوة وغيرهما ،حسبما ذكره الفشتالي في **المناهل**[4] .
وأما جبصه وجيره وباقي أنقاضه ، فإنها جمعت من كل جهة وحملت من كل ناحية ، حتى أنه وجدت بطاقة فيها أن فلان دفع صاعا من جير حمله من تينبكت ، وظف عليه في غمار الناس [159] .وكان المنصور مع ذلك يحسن للأجراء غاية الإحسان ، ويجزل صلة العاملين بالبناء ، ويوسع عليهم في العطاء ،ويقوم بمئونة أولادهم ، كي لا تتشوف نفوسهم وتتشعب أنظارهم.

وهذا البديع دار مربعة الشكل [5]، وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيئة ، واحتف بها مصانع أخر من قباب وقصور وديار ،فعظم بذلك بناؤه وطالت مسافته.ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعظم المصانع ، يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان[6] ويبخس الزهراء[7] والزاهرة [8]،ويزري بقباب الشام وأهرام القاهرة . وفيه من الرخام المجزع والمرمر الأبيض المفضض والأسود، وكل رخامة طلي رأسها بالذهب الذائب ، وموه بالنضار الصافي ، وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشرة.وجعل في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين ، حتى كأنه خمائل الزهر أو برد موشى . وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدارات به ، مع بريق النقش ورائق الرقم بخالص الجبص، فتكاملت فيه المحاسن .وأجرى في فنائه ماء غير آسن. وبالجملة فإن هذا البديع من المباني المتناهية البهاء والإشراق ، المباهية لزوراء العراق ، ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وفتنة

---

4 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،185 – تحقيق عبد الكريم كريم ،254 .

5 عن البديع وتصميمه ينظر:Koehler:la casba, Meunier:le grand riad

وقد بين MEUNIER ، ص 129 ،أن التصميم الذي أدرجه وندوس في رحلته وعنونه ب"تصميم القصر الملكي بفاس " هو في الواقع تصميم لقصر البديع ،

6 قصر مشهور بصنعاء في اليمن ،تعليق من المترجم

7 قصرشيده عبد الرحمن الثالث في قرطبة ،تعليق من المترجم

8قصر بناه المنصور بن أبي عامر،تعليق من المترجم

المحيى، ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ،وفي ذلك قيــل :[160]

كل قصر بعد البديـع يــذم   فيه طاب الجنى وفيه يشــم
منظر رائق وماء نميــــر   وثرى عاطر وقصر أشــم
إن مراكشا به قـد تـناهـت   مفخرا فهي للعلا الدهر تسمو

وبه من الأشعار المرقومة في الأستار ، والأبيات المنقوشة في الخشب والزليج والجبص ، ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول . وعلى كل قبة ما يناسبها،وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها ، وتتبع ذلك يطول . لكن لابأس أن نلم بشئ هنا بثمالة من ذلك الحوض ، ونخوض في بحار تلك البدائع بعض الخوض ، إذ في ذلك عبرة لمن اعتبر ، وترويح للقلوب بكيفية فعل الدهر بمن غبر.

فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينيـة ، قال في **نفح الطيب** [9] : إنما سميت بالخمسينية لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل من إنشاء الكاتب البليغ أبي فارس الفشتالي [10]على لسان تلك القبة المذكورة :

سموت فخر البـدر دوني وانحـطـا   وأصبح قرص الشمس في أذني قرطـا
وصغت من الإكليـل تاجا لمفـرقــي   ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطـا
ولا حـت بأطواقي الثريا كأنهـــا   نثير جمان قد تتبعتـه لقطـــا
وعـديت عـن زهـر النجوم لأنـنــي   جـعلت على كيوان رجلي منحطـا
وأجريت من فيض السماحة والنـدا   خـليجا على نهر المجرة قد غطــى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمــت   إليه وفود البحر تغرف مـا أنطــى
تنضنض ما بين الغروس كأنــه   وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا[161]
حواليه من دوح الريـاض خرائــد   وعـين تجر مـن حمائلها مرطـــا [11]

---

9 ورد هذا النص في النفح ،50:6 ،

10 وردت هذه القصيدة في النفح ، وفي روضة الآس ،ص:138، وفي المنتقى،2: 590كما أوردتها نجاة المريني ، شعر الفشتالي ،ص:341

11 وغيد ..مرطا في م2 ، وفي النفح :خمائلها.

إذا أرسلت لدن الفروع وفتحت   جنا الزهر لاح في ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم إذا سرى   كما مال نشوان تشرب إسفنطا
يشق رياضا جادها الجود والندى   سواء لديها الغيث أسكب أم أبطا[12]
وسالت بسلسال اللجين حياضها   بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه ديمة[13]   هي الشمس لاتخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء في جنباتها   سنا البدر يبدو من نجوم السما وسطا
إذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها   على جسمها الفضي نهرا بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها   نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
إذا اتسقت بيض القباب قلادة   فإني لها في الحسن درتها الوسطى
تكنفني بيض الدمى فكأنها   عذارى نضت عنها القلائد والربطا
قدود ولكن زادها الحسن عريها   وأجمل في تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت   قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيا لك شأوا في السعادة هائل   بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت   تطوف بمغناها أماني الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كناسها   حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطا
فلك به طاب لا الأثل والخمطا   ووسدن فيه الوشي لا السدر والأرطا
تراه من المسك الفتيت مدبرا   إذا مازجته السحب عاد بها خلطا
وإن باكرته نسمة الطيب قد سرى   إلى كل أنف عرف عنبره قسطا
أقرت له الزهراء والخلد وانثنت   أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
[162]خباب وراق [14]المجد فيه مطنب   على خير من يعزى لخير الورى سبطا
إمام يسير الدهر تحت لوائه   وترسي سفان العلا حيثما حطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق   يفلق هامات العدا بالظبا خبطا
تطلع من خرصانه الشهب فانثنت   ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا

---

12 أخطا في النفح .

13 دمية في م4

14 جناب رواق في المنتقى والنفح .

كتائب نصر إن جرت لملمة | جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا
إذا ما عقدن راية علوية | جعلن ضمان العز[15] في عقدها شرطا
فما للسنا تلك الأهلة إنما | سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدي المعلوات عنانها | فيعتاض من فيض الزمان بها بسطا
يد لأمير المؤمنين بكفها | زمام[16] يقود الروم والفرس والقبطا
أدار جدارا للعلا وسرداقا | يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

وقال[17] أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة :

جميل بدائعي سحر العيونا | ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت نقوشي واستطارت | سنا يعشي عيون الناظرينا
وأطلع سمكي الأعلى نجوما | ثواقب لا تغور الدهر حينا
وجوي من دخان الندا ألقى | على الأرض الغياهب والدجونا
علوت دوائر الأفلاك سبعا | لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الأهلة والحنايا | أساور والخلاخل والبرينا
تكنفني حياض مائجات | أمامي والشمائل واليمينا
يفيد حسنها الطرف انفساحا | وفيهاالفلك والكور والسفينا
[163]تدافع نهرها نحوي فلما | تلاقى البحر في جري دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى | فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها | لئالي تزدري العقد الثمينا
فخرت وحق لي لما اجتباني | لمجلسه أمير المومنينا
هو المنصور حائز فضل سبق | وباني المجد بنيانا مكينا
وليث وغا إذا زأر امتعاضا | يروع زئيره هندا وصينا
إذا أمت كتائبه الأعادي | بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب | تدقهم رحى أو منجنونا
إمام بالمغارب لاح شمسا | به الشرق اكتسى نورا مبينا

---

15 الفتح في الحجرية

16 زمان ، في المنتقى

17 وردت القصيدة في المنتقى،588:2

[بقيت بذي القصور الغر بدرا يلوح بأفقهن مدى السنينا][18]
تحف بكم عواكف عند بابي ملائكة كرام كاتبونا
لك البشري أمير المومنين ادخلوها بسلام آمنينا

وقال أيضا [19] مما كتب ببهوها بمرمر أسود في أبيض :

لله بهو عز منه نظير لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش بناه نقش قلائد قد نضدتها في النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها وشي وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة قد زان حسن طرازها تشجير
وإذا تضوع نده نوءا ففي أنماطه نور به ممطور
شأو القصور قصورها عن وصفه سيان فيه خورنق وسدير
فإذا أجلت اللحظ في جنباته يرتد وهو بحسنه محسور[164]
وكأن موج البركتين أمامه حركات سجف صافحته دبور
صفت بضفتها تماثيل فضة ملك النفوس بحسنها تصوير
فتدير من وصف الزلال معتقا يسرى إلى الأرواح منه سرور
مابين آساد يهيج زئيرها وأساود يسلي لهن صفير
ودحت من الأنهار أرض زجاجة وأظلها فلك يضيئ منير
راقت فمن حصبائها وفواقع يطفو عليها اللؤلؤ المنشور
ياحسنه من مصنع فبهاؤه باهى نجوم الأفق وهي تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الأسمى تخير رصفه فخر الورى وإمامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة وأقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة رميت بجحلفها اللهام الكور
وجرى إلى أقصى العراق لرعبها جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبي ابن الوصي سليل من حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندى لكنه متموج سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحمله ووقاره ولجيشه يوم النزال ثبير

---

18 البيت كله سقط في الحجرية.

19 وردت هذه القصيدة في المنتقى ،589:2، كما أوردتها نجاة المريني ، شعر الفشتالي ،327.

دامت معاليه ودام مجـــده طوق على جيد العلا مـــزرور
وتعاهدته من الفتوح بشـــائر يغدو عليه بها المسا وبكور[165]
ما دام مـــنزل سعـــده يرقى به نصر يرف لواؤه المنصـــور
وجرت به مرحا جياد مســـرة وأدار كأس الأنس فيه سميـــر

ومما قاله الفشتالي[20] أيضا، وكتب في بعض المباني البديعة مانصه :

مـــعاني الحسن تظهر في المغاني ظهور السحر في حدق الحسان
مشابه في صفات الحسن أضحـت تمت بها المغاني للغوانـــي
بكـل عمـــود صبـــح مـــن لجين تكون فـــي استقامة خوط بان
مفصلــــة القـــدود مثــلثـات مواصلة العناق من التدانـــي
تردت سائر الحـــسن يـــزري بحسن السامري الخسروانـــي
وتعطو الخيزرانة من دمـــاهـا بسالبـــه القطيع البرهمانـــي
لجـــدك تنتمي لكن نمـــاها إلـى صنعـاء ما صنع اليـدان
يديـــن لك ابن ذي يزن ويعنـــو لهـا غمدان في أرض اليمـان
غدت حرما ولكن حـــل فيهـــا لوفدكم الأمـــان مـــع الأمـــاني
مبـــان بالخلافـــة آهـــلات بها يتلو الهـدى السبع المثاني
هـــي الدنيا وساكنـــها إمـــام لأهـل الأرض من قـاص ودانـي
قصور ما لهـا في الأرض شـبه ومـا فـي المجد للـمنصور ثـان

وقال [21]أيضا فيما كتب على المصرية المطلعة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء ، وكان إنشاؤها في جمادى الأولى [166]عام خمسة وتسعين وتسعمائة:

باكر لدي من الســـرور كئوسـا وارض النـديم أهلة وشموســا
واعرج على عرف المنيف سماؤها تلـق الفراقد في حماي جلوسا
وإذا طلعت بأوجها قمر العـــلا لاتـــرتضي غير النجوم جليسـا
شرف القصور بريقها لما احتبت عني على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما وردا تحير من بـــديع حبيسـا

---

20 أوردت هذه القصيدة نجاة المريني،443

21 أوردت هذه القصيدة نجاة المريني،337

ملــــك أرى كل الملـــوك ممالكــا   لعـــلاه والدنيــا عليه خيـــســا
دامت وفود السعد وهي عواكـف   تصل المقيـل لـديه والتعريسا
وهناك في شرف الخلافـة دولـــة   تلقـى براياتها طلائع عيســـــا

وقال بعض الكتاب مما طرزت به الأستارالمذهبة المحكمة الصنعة لتستر بها النواحي الأربعة من القبة الخمسينية ، وتسمى هذه الأستار عند أهل المغرب بالحائطي ، ففي الجهة الأولى:

متـع جفـونك في بديع لباســـي   وأدر على حسني حميا الكـاس
[هذي الربا والروض من جرعاتـها   على ما اغتدى بالعارض البجاس][22]
أنى لروض أن يـروق بهـــــاؤه   مثلــي وأن يجري على مقيـاس
فالروض تغشــاه الســـوام وإنما   تـأوي إلى كنـفي ظبـاء كنــاس

وفــــي الجهـــة الثانيـــة :

مـن كل حسن كالقضيب إذا انثنى   تــزري بغصن البانــة الميــاس
ولقد نشرت على السماك ذوائبي   ونظـرت من شزر إلى الكنـاس
[167]وجررت ذيلي بالمجـرة عـابثا   فخرا بمخترعي أبـي العبــاس
مانيط مثلي في القباب ولا ازدهت   بفتـــى سـواه مـراتب وكـــراس

وفــــي الجهـــة الثالثـــــة:

ملـــك تقاصرت الملـوك لعــــزه   ورمـــاهم بالـــذل والإتعـــاس
غيث المواهب بحركل فضيلـــــة   ليـث الحروب معسـر الأوطاس
فرد المحــاسن والمفـــاخر كلهـــا   قطب الجمال أخو الندا والباس
ملك إذا وافـــى البلاد تـــأرجت   منـــه الوهاد بعاطر الأنفـــاس

وفـــــي الجهـــــة الرابعــــــة:

وإذا تطلــــع بـــدره من هالـــــة   يعشـي سنـــاه نـــواظر الجلاس
أيامـــه غـــرر تجلـــت كلهـــا   أبهـى مـــن الأعـيـاد والأعـــراس
لازال للمجد الســـني يشيـــده   ويقيـم مبـــناه علـــى الأســاس
ما مال بالغصن النسيم وحببت   درر النـدا فـــي جيده الميــاس

22 سقط البيت كله في م 1

وقال بعض الكتاب أيضا مما نقش بعضادتي باب من الأبواب :

ياناظـرا بالله قـف وتأمـلـن   وانظر إلى الحسن البديع الأكمل
وإذا نظرت إلى الحقيقة فلتقل   السر في السكان لا في المنـزل

وقال الفشتالي [23] مما نقش ببعض الأبواب :

هذي وفود السعد نحوي تنتمي   وطلائع البشرى لبابي ترتمي
وسمت إلى عرفان عرفك مثل ما   يسمو الحجيج إلى سقاية زمزم
حطت بمصراع السعود بشائـر   لاحت على الشرفات مثل الأنجم
وأوان صنعي أن تقول ولا تُبَـل   فبديـع أحمـد جنـة المتنعـم

[168] قال الفشتالي :لما عرضتها عليه استحسنها إلا أنه كره لفظة الجنة وتغير عليها كثيرا .

وكان الفراغ من بناء البديع عام اثنين وألف . وفي تاريخه يقول الوزير الأديب القائد أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي [24]، وهو مما نقش في باب الرخام أحد أبواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه   ياما أميلح مـرءاه وأبهـاه
فهـو البديع الذي راقت بدائعـه   وطابق اسم له فيه مسمـاه
صرح أقيمت على التقوى قواعده   ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعـين الحفـظ تكـلؤه   تـاريخه من تمام قل هو الله

وقال الوزير المذكور أيضا فيما نقش علي أحد أبواب البديع :

باب أتـى كبـراعـة استـهـلال   وكأنما القصر المشيد التـالي
ولـذاك سمـى بالبديـع وجاءب   الإغراب والتجنيس والإيغال
وأتى التمام فقلت في تاريخه   بيت بـلا عقـد ولا إشكـال
صرح على التقوى من الله انبنى   في طالع السعـد والإقبـال

وقال أيضا فيما كتب بنباح الزجاج :

إن شئت تاريخ كمال البديع فقل   إيوان أحمد إيوان السعادات

---

23 أوردت هذه القصيدة نجاة المريني،408

24 ترجم له :المراكشي ،إعلام ،191:9 والهامش 165،ص:192 . ويسميه الفشتالي المرابط الشيظمي ،250:1،والهامش 39

وقال أيضا في تمام البديع مبينا له :

يامليكا ملكه فيمـــن مـلك كطلوع الفجر من بعد الحلك
[تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لك][25]

قال في **نفح الطيب** [26]: اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء [169] فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن ؛ وهي البديع والمسرة والمشتهى، وفيها يقول المنصور موريا :

بستان حسنك أبدعت زهراتـه ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثني ياحسنه رمانة للمشتهى

والذي ذكره صاحب **البيان المعرب في أخبار المغرب** [27] وهو الشيخ أبو عبد الله بن عذاري الأندلسي [28] ، حسبما رأيته في السفر الثاني منه : أن أول من أنشأ المسرة التي بظاهر جنان الصالحة[29] عبد المومن بن علي كبير الموحدين . قال : وهو بستان عظيم ،طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها ، فيه كل فاكهة تشتهى ، وجلب إليه الماء من أغمات [30]، واستنبط له عيونا كثيرة.قال ابن اليسع : وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مومنية ، بحسب رخص الفاكهة بمراكش . ولعل المنصور جدّد معالم المسرة بعد اندراسها ، وأفاض سجال الحياة على ميت أغراسها . وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا ، وبنوه بعده ، وفي ذلك يقول أبو فارس الفشتالي [31]:

---

25 سقط هذا البيت في م 1

26 نفح ،81:7

27 لم يرد هذا النص في البيان المطبوع

28 ابن عذَاري ، أحمد بن محمد ت حوالي 1312/712 ،ينظر :محمد المنوني ،مصادر ،66:1، والهامش 1،ص:67

29 بحيرة الصالحة، ينظر:محمد رابطة الدين ،معلمة،1088:4

30 ينظر عنها:محمد رابطة الدين ، في :معلمة،539:2

31 أوردت هذه القصيدة نجاة المريني،283

هذا البديـع يعـز شبـه بدائـع أبـدعتهـن بـه فـجـاء غريبـا
أضنى الغزالة حسنه حسدا لذا أبدى عليها للأصيل شحوبا
شيدتهـن مصانعا وصنائعـا أنجزن وعدك للعلا المرقوبـا
[170]وجريت في كل الفخار لغايـة أدركتهن وما مسيت لغوبـا
فانعم لملكك فيـه دام موفـرا تجني به فنن النعيم رطيبـا

ولما أكمل المنصور البديع ، وفرغ من تنميق بردته ، وتطريز حلته، صنع مهرجانا عظيما ، ودعا الأعيان والأكابر . فقدم لهم من ضروب الأطعمة وصنوف الموائد،وأفرغ عليهم من العطايا ، ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل . وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة في الوقت بالصلاح فقال له المنصور عابثا به : كيف رأيت دارنا هذه يا فلان ؟ فقال له : إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب . فوجم لها المنصور وتطيّرمنها . وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر مولانا إسماعيل بن الشريف أيده الله . فإنه أمر بهدمه عام تسعة عشر ومائة وألف [32]، لموجب يطول شرحه . فهدت معالمه ، وبدلت محاسنه وفرق جموع حسنه ، وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس . حتى صار مرعى للمواشي ومقيلا للكلاب ووكرا للبوم . وحق على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه . ومن العجيب أنه لم تبق بلد بالمغرب إلا ودخلها شيء من أنقاض البديع . ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخي الأندلس أن الزاهرة التي بناها المنصور ، وهي من عجائب الدنيا في إتقان البنيان ، مر عليها في أيام المنصور بعض أهل البصائر ، وهي في نهاية العمران والازدهـاء [171] بساكنتها ، فقال : يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك في كل دار. قال : فضرب الدهر ضرباته ، وسلط عليهم أيدي العدوان ، فهدمت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها للعراق .

ولما دخلت البديع مقفلي من الرحلة ، ورأيت ما هالني ، قرأت

---

32 يوافق هذا التاريخ 08-1707ويذهب دي كاستر إلي أن مولاي اسماعيل أمر بهدم البديع سنة 1684.ينظر De Castries,Cimetière,p 353

عليها أبياتا أنشأها محيي الدين بن عربي [33] في كتاب **المسامرات** لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة :

ديار بأكنـــاف الملاعـب تلمـع وما إن بها من ساكن وهي بلقـع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أحيانا وحيـنا ترجـــع
فخاطبت منها طائـــرا متفـــردا له شجن في القلب وهو مـــروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكـي فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار في **تحفة القادم** [34]:

قلت يوما لدار قوم تفانـوا أين سكانك الكرام علينـا
فأجابت هنا أقاموا قليـلا ثم ساروا ولست أعلم أينا

وأنشدت أيضا قول الشاعر:

وقفت بالزهراء مستعبـرا معتبـرا أنـدب أشتاتـــا
فقلت يازهرا ألا فارجعـي قالت وهل يرجع مـن فاتـــا
[فـلـم أزل أبكي وأبكي بها هيهات يجدي الدمع هيهاتا] [35]
كأنما آثار من قد مضــى نـــوادب يـنـدبـن أمـواتـا

لطيفة

تأملت لفظ البديع ، فوجدت عدد نقط حروفه [172]بحساب الجمل مائة وسبعة عشر . وهذا القدر هو الذي بقى فيه البديع قائما عامرا.فإنه فرغ منه عام اثنين وألف ،وشرع في هدمه عام تسعة عشر ومائة وألف . فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه . وذلك من غريب الاتفاق .

والبقاء والدوام والملك التام لله الملك الديان ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

33 ت 1240/638 ،ذكر الزركلي ، أعلام ،281:6،من مؤلفاته:محاضرة الأبرارومسامرة الأخيار.كما ذكره حاجي خليفة،كشف،1610:2

34 محمد القضاعي البلنسي ت 1259/658 ، وقد نشر الكتاب بتحقيق إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي ،1986/1406، والنص المذكور غير وارد فيه .

35 هذا البيت سقط في الحجرية وم1 وم3 وم4 وم6

الفصل الحادي والأربعون

ذكر الخبر عن سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وتعبئة جنوده

قال الفشتالي [1]: كانت السيرة على عهد أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي ، وولده الغالب ، وولده المتوكل ، سيرة العرب في الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك. ولما ولي المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح إليها في سائر شؤونه ، لما رأى منها في بلاد الترك ، حيث كان بها . فكره الناس ذلك ، وأنفوا منه وقوفا مع العوائد.فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرتي العرب والعجم . واصطفى من العجم موالي ورباهم بنعمته ، وأشمل لهم درر إحسانه . منهم مصطفى باي ، ومعناه بلغة الأتراك قائد القواد، ويختص به قائد الإصباحية ، وكان برسم حراسة الباب العالي . ومنهم الباشا محمود ، وهو صاحب خزائن الدار، بيده مفاتيح بيوت المال . ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج . ومنهم الباشا جودر فاتح السودان ، وهو قائد جيش الأندلس [173] ،وكان لأهل الأندلس جيش عظيم رماة . ومنهم عمر قائد جيش السوس . فهؤلاء أكابر جيش العلوج . وتليهم طائفة أخرى منها بختيار وبغا. ثم إن جيش العجم من الأتراك والعلوج قسمه إلى أقسام ، منها : البياك [2]وهم أهل القلانس الصفرية المذهبة ذوات الأعراف من ريش النعام الملون ، يقفون سماطين أمام قبته أو فسطاطه . والسلاق أهل القلانس الطويلة المسبولة على المناكب،ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة، ويزيدون عند الحزام بأجنحة طوال يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته ، ويركزونها في الجعاب المنوطة بالقلانس من

---

1 المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،161

2 تنظر استعمالات هذه الألقاب في :

Dziubinski,p80 : وكذا SIHM,FR,T:I,P:603.ANG,T:II,P:274-283-356

أعلى الجباه ، ويرسلونها إلى وراء. يقف هؤلاء خلف البياك . وبلبردوش وهم أهل اللقاقيف ؛ وهي رماح قصيرة غليظة العصا مغشاة بالحرير ، مرصعة بمسامير بيض ، ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ، ينبت من ريشتي كل سنان منها أضلاع مستقيمة . ويقف هؤلاء خلف السلاق .والشنشرية ، وهم أهل الطعام وضعا ورفعا لاغير ، وقائدهم بختيار من سبي وقعة وادي المخازن . والقبجية ، وهم أهل حفظ الأبواب وغلقها وفتحها . وقائدهم مولود الشاوي . وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا ، وتطوف على مسائف السور المحيط بالدار[174]. ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما بالإيوان [3]، وتعهد أنماط الجلوس وكنفها .والشواش ، وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب وسلم وإنهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر. قال الفشتالي : وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول ، فإذا خرج في يوم عيد أو ملاقاة أو لتهنئة ، خرجوا مترتبين هكذا. وكل قائد يقف عند انبعاث جيل جيشه تحت ألوية ، محفوفا بجيش من رؤساء جنده أهل الخيل ، وهم الذين يدعون عندهم بلكباشات [4]، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه . قال الفشتالي : والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر النار ؛ أن يتقدم أولا جيش السوس ، ثم يردفه جيش شراقة ، وكل منهما ينقسم على جيلين ، ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي العلوج ومن انضاف إليهم ، وعسكر الأندلس ومن لبس جلدتهم ، ودخل زمرتهم . وهذان يسيران صفين متواليين لاستواء مرتبتهما. وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء . غير أن الموالي يكونون في الميمنة لمزية الولاء . وكلاهما يحظى [175] بموالاة ركابه.ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالي وجودر قائد الأندلس وترفع على رأس كل منهما الرايات . ويحفه عسكرمن بلكباشات . ثم تتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من

---

3 بالأبواب في الحجرية وم2

4 باكباشات في م1 وم3

البياك والسلاق وبلبردوش[5] ، تسير الفرق الثلاثة أمام المنصور صفوفا متوالية [6]. فأما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه اليزنية المنصوبة أمامه ، ومنهم صاحب المظل المرفوع على رأسه كالغمامة [7]، يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم أبرويز. وإذا مشى للمسجد لجامع المنصور من جهة قبور الأشراف أو للمشتهى على رجله ، حمله أبرويز بنفسه . ثم يسير عن يمينهم وشمالهم السلاق. ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقاقيف . وتتكيف من الجميع صورة تزرع في القلوب الرعب. وتسير النجائب فيما بين سماطي هذه الدخلة مجنوبة صفا صفا ، إلى ألوية عساكر النار يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا . وكانت نجائب الخلفاء يقودها الرجالة [176] من الوزغة ، وهذا أكمل مزية . وجيش الاصباحية الذي لنظر باي لارباي ينقسم إلى كتيبتين عظيمتين : تسير إحداهما ذات اليمين والأخرى ذات الشمال أمام الركب ،ويرفع اللواء العظيم الأبيض المدعو باللواء المنصور[8]، علامة على شعار الدولة ، على رأس المنصور يسامته من خلفه . وهنالك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة . وأمامه الطبل العظيم الذي يسمع دويه من مسافة بعيدة ، ومن خلفه الطبول الأخرى ، معها الغيطات-واحدها غيطة- يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها فينفخون فيها ، فتنبعث منها أصوات وألحان لاتحرك الطبع ولاتبعثه على شيء دون الحرب . فإنها تشجع الخيل [9]وتقوي جأش الخائف، حكمة فيلسوفية . وهنالك مزامير أخرى وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرنبطة ، مما أحدثه

---

5 بلبردروش في م1 وم3 ، بلبلدروش في م4

6 متساوية في م1 وم3

7 العمامة في الحجرية

8 المنصوري في م1

9 الجبان في الحجرية

أيضا في دولته ، وزادت به دولته فخامة وضخامة . ويردف خلف هذه الألوية والآلة من خلف أمير المؤمنين في موكب عظيم .

فهذا ترتيب جيش المنصور باختصار من **مناهل الصفا في أخبار دولة الشرفا** .

وذكر بعضهم أن المظلة التي وصف أنها تكون فوق [177] رأس المنصور، هي من مستحدثات ملوك الدولة السعدية . والذي أعرفه في كتب التاريخ أنها كانت من قديم . ففي ابن خلكان [10] في ترجمة يعقوب وزير العزيز بن نزار [11]، أنه لما توفي خرج العزيز لجنازته وعليه الحزن، وركب بغلته بغير المظلة ، وكانت عادته لايركب إلا بها. ولعل الملوك السعديين أول من استحدثها بالمغرب [12]، والله أعلم .

وما ذكره الفشتالي من توافر جنود المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك . وقد ولعت العامة في ذلك بأخبار واهية ، وزعموا أن المنصور خرج مرة للرميلة بظاهر مراكش ، ولم يعلم أصحابه بخروجه فحين علموا بخروجه تبعوه خفافا وثقالا فأمر بعدّ ما معه هنالك من الجيش ، فوجد ثمانين ألفا ، فقال : ياسبحان الله خاطرنا بنفوسنا حيث ركبنا في هذا العدد ، لقلته . ولا يخفى مافي هذا الكلام من الهذيان والزيادة . والذي ذكره الشيخ أبو العباس أحمد أفقاي الاندلسي [13] في كتابه المسمى برحلة **الشهاب**

---

10 أحمد بن محمد البرمكي ت 1282/681 ،مؤلف وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .ينظر زركلي ،أعلام ، 220:1

11 ترجم له ابن خلكان ،وفيات، 831:7 .وهو النص الذي أورده الإفراني هنا

12 يري دزيوبنسكي ، ص:83 أن عبد الملك السعدي هو الذي أدخل المظلة المغرب

13 ترجم له :محمد حجي ،معلمة ، 566:2 .نفسه ، رحلة أفوقاي ، في :جولات، 2: 592 محمد جادة ، مادة الترجمة، معلمة ، 2319:7 .والكانوني ، جواهر الكمال ، 87 وأورد قسما من الرحلة.عبد الوهاب بن منصور :أحمد بن قاسم الفقاي .

إلى لقاء الأحباب[14] ما معناه : قال : إن جزيرة الأندلس استردادها من أيدي الكفرة سهل واسترجاعها منهم قريب ، ولما دخلت [178] في أيام المنصور مراكش ، وجدت عنده من الخيل نحو ستة وعشرين ألفا . فلو تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين .

انتهى بالمعنى ونقلته من حفظي ، وكذلك أنقال هذا الكتاب كلها من حفظي . والله ولي التوفيق .

---

14 يعتبر هذا الكتاب مفقودا،انظر :محمد رزوق ، ناصر الدين،ص:6،هامش2 .وقد أخبرنا المستعرب الهولندي كوننكسفيلد مؤخراأنه عثر على الكتاب ،وأنه بصدد إصداره.كما تنظر معلومات جديدة في :عبد الرحيم الوهابي ،ملحق جريدة العلم ،عدد 24 رمضان 1418 / 23 يناير 1998

الفصل الثاني والأربعون

ذكر طرف من شجاعته وشهامته وحزمه وضبطه وشهامته

كان المنصور[1] شجاعا بطلا مقداما ، لايكثرت إلا بالشجعان والأبطال ، ولايصطلي إلا بنار الطعان . وله بصيرة بمكائد الحرب وخدع القتال . وقد أنشده وزيره أبو الحسن على بن منصور الشيظمي في بعض معاركه مع المتوكل بيتي الكاتب أبي عبد الله محمد بن عيسى فيه :

هوالغيث ثم البحر في الجود والندا وليث إذا جد الطعان هصور
يفوق السهام عزمه وانبعاثه ويقصر عنه في الثبات ثبير

فأجابه المنصور ببيتي أبي فراس :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أوالقبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

ومن حزمه أنه كان متطلعا لأخبار النواحي باحثا عن الأنباء، غير متراخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ، ولا يبطئ بالجواب ، ويقول : كل شيء يقبل التأخير إلا مجاوبة العمال عن رسائلهم . وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم إلا في أوقات مخصوصة . قال الفشتالي[2] : ولقد كنا بالباب يوما ، يعني [179] معشر الكتاب ، قبل أن يخرج علينا المنصور. فورد النذير على الكاتب البليغ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الفشتالي[3]، بأن ولدا له في النزع . فلم يملك نفسه أن ذهب لداره .فخرج

---

1 لم يذكر الإفراني مصدره ، وهذه الفقرة واردة في المناهل ،تحقيق عبد الله كنون،145-160

2 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،158

3 ت 1612/1021 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة،2:399

المنصور على إثر ذلك ، فسأل عنه ، فقيل له أنه ذهب لداره .
فاستشاط لها غضبا وبعث وراءه فجيء به مزعجا . وما شككنا
في عقوبته.فلما مثل بين يديه قال له : ماذهب بك ؟ فذكر له عذر
ولده ، وأنه اشتد به المرض ، ولم ينجح فيه دواء الأطباء . فرق له
وقال له : إن أمراض الصبيان قلما ينجح فيها إلا طب العجائز،
ولا كعجائز دارنا . فابعث من يسألهن .

ومن حزمه أنه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف
المعجم [4]، يكتب بها ما يريد ألا يطلع عليه أحد . يمزج بها الخط
المتعارف ، فيصير الكتاب مغلقا . إذا سقط أو ضاع أو وقع في يد
عدوه لم يدر ما فيه ، ولا عرف معنى ما اشتمل عليه . فكان إذا
خرج أحد من أولاده أو عماله ، ناوله خطا من تلك الخطوط ، يفك
بها رسائل أمير المؤمنين إليه ، ويكتب عنوانه كذلك .

ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقي فكان يكاتب به علماء
المشرق كتابة أحسن ما يوجد في خط المشارقة . ومما وقع له في
ذلك أنه بعث بطاقة بخط يده بالخط المشرقي [180]الكاتبه البليغ
أبي عبد الله محمد بن عيسى يستدعي منه كتابا . فبعث به إليه
ابن عيسى الكتاب المذكور صحبة هذين البيتين :

سقتني كأس السرور دهاقا   خطوط أتتني من مهرق
رأت كف أحمد في الغرب بحرا   فجاءت إليه من المشرق

---

4 وقف كولان على وثيقة نقلت من خط عبد الواحد بن مسعود عنون ،فيها الرموز المذكورة ومقابلها الحروف الهجائية العربية ، وعلق عليها طويلا .ينظر
Colin,le système cryptographique,p:221
كما قدم عبد الهادي التازي ، رموز،37 كلام الفشتالي في الموضوع ومستخلص كولان في المقال السابق وصورة من الوثيقة المذكورة .

الفصل الثالث والأربعون

ذكر هيئته في السفر وحالته فيه وما يناسب ذلك

قال شارح **زهرة الشماريخ** : إن المنصور كان قليل الأسفار وإنما سافر لفاس مرتين لاغير. وكان متفرغا للذاته مكبا على شهواته أيام خلافته ، انتهى . وبه يعلم أن ماشاع على الألسنة من أنه يمكث بفاس ستة أشهر وبمراكش مثلها ، ليس بصحيح ، والله أعلم . وكان المنصور إذا سافر استعد غاية الاستعداد ، وأحسن في التهنئة والتعداد . قال صاحب **النفحة المسكية** [1]: كان له قصر من عود مسمر بمسامير وحلق ومخاطيف وصفائح مفضضة ، على هيئة عظيمة . وقد أحدق بذلك كله سرادق كالسور نسيج كتان كأنه حديقة بستان أو زخرفة بنيان ، وفي داخلها القباب الملونة من حمراء وسوداء وخضراء وبيضاء كأنها أزاهير الرياض . قد نقش ذلك أحسن النقش ، وملىء بأبهى الفرش . وللسرادق الذي هو كالسور أبواب كأنها أبواب مشيدات القصور. يدخل منها إلى دهاليز وتعاريج [181] ثم ينتهي منها إلى القصر الذي فيه القباب . والقصر كأنه مدينة تنتقل بانتقاله . وهو من الأبهات الملوكية التي لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين[2].

وهذا السرادق يسمى بالسياج ، وفيه يقول العالم الإمام الأكبر مفتي الحضرة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف ، والكاتب الأرفع البارع أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي ، قال في **مناهل الصفا** : خرج المنصور لزيارة ضرائح الصلحاء بأغمات ، فتأخرت وراءه ، فلحقني أبو

---

1 مخطوط خ ع رقم 2829 ،ورقة 51 ،وجه

2 يظهر أن بعض سلاطين بني وطاس اتخذوا الفسطاط ، كما في الوزان ، وصف

مالك المذكور وأنا في أخريات الناس فقال لي[3] :

أبا فارس بان الخليط وودعوا

فقلت :	وولوا وحسن الصبر مني شيعوا
فقال :	وغرد حادي البين وانشقت العصا
فقلت :	وكاد فؤادي للنوى يتقطع
فقال :	إلى الله أشكو فرقة منهم فقد
فقلت :	تجرعت من كاس النوي ما تجرعوا
فقال :	لئن شرد السلوان عني بعدهم
فقلت :	ففي صحبة المنصور أنسي أجمع
فقال :	تدور عليه هالة لقبابه
فقلت :	ومركزها قصر الخلافة يلمع
فقال :	سياج بها بحر الندا متموج
فقلت :	ومن أفقه شمس الإمامة تطلع

وكان المنصور خرج لزيارة رجال أغمات في شارة حسنة [182]. فلما بلغ أغمات مكث فيها يومين . وفي اليوم الثالث خرج لزيارة الإمام أبي عبد الله الهزميري[4]، وعاج على طريق الشيخ سيدي عبد الحميد[5]ووقف عند الجبانة الكبرى . فدعا ماتيسر وفرق مالا على ذوي الحاجات على يد القاضي أبي القاسم الشاطبي والفقيه الأمين علي بن سليمان التاملي . وكان معه الفقيه القاضي أبومالك عبد الواحدالحميدي،استقدمه من فاس برسم القراءة معه .وكان الحميدي لوذعيا خفيف الروح . وفي هذه السفرة صدرت من الحميدي الأبيات التي تبارى في معارضتها فقهاء الدولة وشعراؤها .وذلك أن الفقيه الفاضل الكاتب أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العنابي[6]، بعث بكبش سمين وعسل للقاضي الحميدي تحفة.فكتب له الحميدي مداعبا بهذه

---

3 أوردته :نجاة المريني،شعر الفشتالي ،349

4 محمد بن عبد الكريم ، ينظر عنه :المراكشي ،إعلام ،253:4

5 لم نتمكن من التعرف عليه

6 ت حوالي 1581/989 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة ،540:2

الأبيات [7]:

أيا كاتب السر يا من بـدت ... محاسنه في الورى باهـــرة
هديت إلى الشفا ولناصلة ... فأكرم بها منحة ظاهـــرة
وكبشا سمينا لـه كلـوة ... تفوق الكلى نعمة زاهـــرة
فلازلت تثبت كتب الإمـام ... رسومـا لأعدائه قاهـــرة

وقال أبو مالك سيدي عبد الواحد بن أحمد الشريف :

أشيخ الجماعة يا قطبهـا ... ومن في العلا مركز الدائـــرة
شننت بأبياتكم غـــارة ... وأحييت لي همة غابـــرة
وذكرتني مربعا لم تـــزل ... مقيما بها مقلتي ساهـرة[183]
وحركت فكري بعلم غـــدت ... بصدري مراسمه داثـــرة
فهذا جواب لأبياتكـــم ... إلى ابن بدور العلا الســافرة
سليل الأفاضل حقا ومـــن ... محاسنه في الورى ظاهـــرة

وقال أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي [8]:

أبحر علوم طغت زاخـــرة ... وشمس معارفها الباهـــرة
لك الفضل عفوا فقد أصبحت ... كتائب نظمكم ثائـــرة
وهزت صوارم إبداعـــها ... فصلت بها صولة قاهـــرة
بقيت تشن بها غـــارة ... لتنشر أمثالك السائـــرة

وقال أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي :

نسجـت أبـا مـالك حلـة ... بصنعاء أفكارك الحاضـــرة
وأجريت ماء البديع إلـى ... رياض فكاهتك الساحـــرة
وأضفيت قيد المعالي علـى ... مواكب أغراضك الظافـــرة
عيـون البيـان ولـكنـها ... لغير النهى لم تكن ناظـــرة
فخذها بديهة من قد غـدت ... وجـوه فصاحـتـه سافـــرة

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي المعروف بالنابغة :

أيـا تحفـة الـدهـر ياناظـره ... وطـرفـة أيامـه الناضـــرة
وبدر العلوم التي قـد نضـت ... دجى الجهل أنواره الباهـــرة

---

7 وقع اضطراب في م2 وم3 وم6 في ترتيب هذه المقطعات .

8 أوردته نجاة المريني في شعر الفشتالي،322

ومن كرعت في حياض المعاني   له فطنة بالذكا ساحرة
أنظمك أم قرقف بابلي   ولفظك أم نفثة الساحرة
تعلل أرواحنا مذ غشاها   بأرواح روضتك الزاهرة
أم مسك دارينا سرى موهنا   حكى عرف أخلاقك العاطرة[184]
فككتم به عن أسار القوافي   قيودا بأرجائها دائرة
فلازلت ياشيخنا يهتدى   بنورك في الليلة الساهرة

وقال القائد الوزير الفقيه أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي :

أيا علم العلم ياناشره   وحامل رايته الظافرة
وقاضي القضاة التي فاخرت   به الشرق مغربنا ظاهرة
وناظم عقد المعاني التي   جرت دونها المثل السائرة
وأزرت بفعل الطلا في النهى   كذا بشذا الروضة الزاهرة
وظلت تردد حسن الثنا   وترويه عن نفسك الطاهرة
وأخلاقك الغر لا قصرت   عن الندر بالدرر الفاخرة
وأيقظت عمدا عيون البيا   ن من كل فتانة ساحرة
تشير بمعنى لطيف إلى   محاسن أخلاقك الباهرة
وتنبت سحر البلاغة في   مهارق ظلت لكم شاكرة
رويدك نبهت سرب المعاني   بعيد الكرا فاهتدت حاضرة
ونبهتكم من بليغ بنا   حديد الذكا نافذ الباصرة
يطبق منها المفاصل غير   هيابة ذي قوى ظاهرة
تصرف أقلامه بالكلام   كما الريح بالمزنة الماطرة
ولولا المضاء بلا نبوة   لشبهتها بالظبا الباترة
فلله درك من ماجد   محاسنه جمة وافرة
ومن سيد جامع للذكا   حلو الشمائل والنادرة

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي [185]:

أمحيي رسوم القضا الداثرة   وإنسان مقلته الساهرة
ومطلع شمس المعارف من   مغاربها حكمة ظاهرة
وبحر العلوم التي أوجبت   له العز والفخر في الآخرة
وقاضي عساكر ملك غدت   لأخمصه السبعة السائرة
ودانت له الأرض طولا وعرضا   فأرسل أملاكها سائرة

إلى بابه تبتغي وطئة وأمنا لسطوته القاهرة
كفاك افتخارا أبا مالك حضورك أيامه الزاهرة

وقال أبو علي الحسن بن عبد الكريم:

أشيخ العلوم التي قد سرت بدائع أبياته السائرة
طلعت وكنت كنجم الصباح وسدت بأخلاقك العاطرة
إذا مانويتم طلاب العلا فكل المعالي لكم سافرة
أتتني بالأمس أبياتكم رياض المعاني بها زاهرة
فشعرك ذكر عبد المجيد وأضحت فصاحته داثرة
فلو مد في عمر البحتري لأعجب من فطنة باهرة
علوت وفقت قضاة الورى فدم هكذا مركز الدائرة

ذكر الخبر عن طرف من جوده وسماحته وقصد الناس له من الأصقاع البعيدة

كان المنصور رحمه الله سخي النفس ، جواد الطبع ، لايبالي بما يجود به ، ويعطي عطاء من لا يخاف الفقر. قال الفشتالي[1] : وكان الشيخ علم الأعلام أبو العباس أحمد بن علي المنجور يقول : ما عهدنا بذل المئين [186]في الصلات إلا في أيام الشرفاء ، ولا عهدنا بذل الألوف إلا في أيام المنصور. وقال في **المنتقى**[2]: إن المنصوروهب أزيد من الألف ، كما وقع له مع الكاتب البارع أبي عبد الله محمد بن عمر الشاوي المعروف بالجزائري. وكان قديم الصحبة للمعتصم ، واغترب معه في بلاد الجزائر مدة مديدة وسنين عديدة ، فلما أفضت الخلافة للمنصور سوّغه مغارم مسفيوة بحذافيرها ، مكافأة له على الهجرة . إلا أن المنصور استثنى أعشار الزيت. فكتب له ابن عمر بأبيات ليشملها العطاء،فأعطاها له أيضا ، فكان يبيع منها بالآلاف من العين .

وهذه الأبيات التي كتب بها إليه :

أبحر الندا خير الملوك سجية	وأفضل سلطان رقى فوق منبر
لقد سرت في الإسلام أحسن سيرة	وخصصت بالنصر العزيز المؤزر
أمولاي لا حظني بجودك إنني	فقير نوال من لدنك موفر
فهذا زمان[3] الزيت قد جاء مقبلا	ولي رغبة فيه بغير تنكر
فمنها اشتعالي في الدجا وتطيبي	ودهن طعامي ثم منها تعطري
لأني بليد الطبع اشتاق ريحها	ففي الزيت يامولاي مسكي وعنبري

1 المناهل ،تحقيق عبد الله كنون،ص:155

2 المنتقى، 446:1

3أوان في الحجرية

ومن جوده أنه أعطى للشريف الأديب أبي الفضل محمد بن الفضل المعروف بابن العقاد المكي [4] نحو أربعة آلاف أوقية ، دون الخلع والكسى التي كان يخلع عليه أيام الإقامة ، ودون الكتب التي منحه . وكتب له كتابا لخاقان ملك الأتراك يوليه خطة القضاء باليمن [187] فنفذ له ذلك خاقان ، كما اشتهر. وكان ابن العقاد قدم من مكة وافدا وقدم بإثره إمام الدين الخليلي [5] من بيت المقدس، و قدم رجل آخر من أهل المدينة المشرفة المسمى الشريف [6]. قال في **نفح الطيب** [7]: لما اجتمع هؤلاء الوافدون ببابه قال له الخليلي يوما : يا أمير المؤمنين، إن المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال شد أهلها إليك الرحال . هذا مكي وذاك مدني وأنا مقدسي ثم أنشد:

إن أمير المؤمنين أحمد بحر الندا وفضله لا يجحد

فطيبة ومكة وأهلها والمسجد الأقصى بذاك شهدوا

[قال في **المنتقي** [8] : فلما بلغ إلى قوله : فطيبة ومكة ، أشار بيده إلى كل واحد من صاحبيه الذين معه ، ولما بلغ إلى قوله والمسجد الأقصى ،أشار بيده إلى نفسه ، ثم قال: نصرك الله ، لم يتفق مثل هذا الملك قصدت إيالته . فتبسم لذلك أيده الله وأجزل لهم في العطايا وإجراء النفقة عليهم ، كما هو دأبه بكل وافد عليه من أي بلد كان . فهمته دائما طالبة للعلو تواقة للسمو] [9] . قال أبو زيد في **فوائده** [10]، إمام الدين الخليلي ابن الفقيه المعمر أبي عبد الله محمد بن يوسف البطايحي المقدسي الشافعي ، إمام مسجد

---

4 ت بعد 1582/990 ، ينظر عنه :ابن القاضي،درة،239:2

5 ذكره ابن القاضي ،منتقى،252:1

6 في النفح :انتمى للشرف ، ينظر الهامش الموالي .

7 ورد هذا النص في النفح ،80:7

8 المنتقى،253:1

9 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 و م5

10 الفوائد ،52

الخليل، وهو الذي جال في البلاد ولقي المشايخ بمكة والمدينة ومصر والشام . انتقل للقسطنطينية فسكنها مدة ، ومنها وفد على المنصور بالمغرب ، ونزل مراكش وتارودانت . وتوفي في بعض قدماته من تارودانت لمراكش قتيلا بالطريق سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، رحمة الله عليه . ومن شعره قوله:

هو والله عفيف نزه ... وله عرض مصون ما اثلم
وخبير بمداراة الورى ... ومداراة الورى أمر مهم

وقوله :

أحق بالصفع في الدنيا ثمانية ... لالوم في واحد منها إذا صفعا
[188] المستخف بسلطان له خطر ... وداخل في حديث اثنين مندفعا
ومتحف بحديث غير سامعه ... وداخل الدار تطفيلا بغير دعا
وطالب الخير ممن لاخلاق له ... وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
وطالب الرفق من أعدائه وكذا ... ضيف تأمر فاحفظها أخي لمعا

وأشار بذلك لما قرأته في كتاب بستان الأدب [11] قال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : من أتى مائدة لم يدع إليها ، والمؤتمر على صاحب البيت ، والداخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس في مجلس ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لايسمعه منه ، وطالب الرفق من أعدائه ، وراجي الفضل من اللئام .

ومن إفادات إمام الدين الخليلي أيضا قال : رفع شيخنا مفتي المسلمين بالديار المقدسية شمس الدين محمد بن أبي اللطف [12] سؤالا نظما ، وهو :

مذا تقول يا إمام عصره ... يا فائقا بالعلم أهل دهره
أنت الذي قد حزت فضلا وافرا ... وفاح مسك عطره من نشره
هل لبس السروال طه المصطفى ... وهل يسن لبسه لستره
[أم لا وعجل بالجواب سيدي ... بسرعة تحظى بطول أجره] [13]

---

11 لم نتمكن من التعرف عليه.

12 ت 1587/996 ، ينظر عنه:ابن القاضي،درة،2:229.

13 سقط ما بين المعقوفين في م2

فأجابه رضي الله عنه بما نصه :

من بعد حمد الله تلو شكره على جزيل فضله وبره[189]
مصليا على رسوله الذي أرسله بنهيه وأمره
أقول إن المصطفى قد اشترى ذاك ولم يلبسه قط في عمره
كما الشموني حكى ذلك في حاشية الشفا فصن عن نكره
قالوا وما في الهدى من لباسها فذاك سبق قلم لم يدره
ولبسه سنة إبراهيم لا بأس به فالبس لأجل ستره
حرر هذا ابن أبي اللطف اسمه محمد معترفا بفقره
حامدا الله مصليا على نبيه مستغفرا من وزره

وابن العقاد المذكور ، هو القائل في مدح المنصور معارضا موشحة ابن سهل[14] وهو هذا قوله :

ليت شعري هل أروي ذا الظما من لمى ذاك الثغير الألعس
وترى عيناي ربات الحمى باهيات بقدود ميس
يدخلون السقم من دار اللوى كلح الهجر فؤادي وأسر
هدّ من ركن اصطباري والقوى مبدلا أجفان نومي بالسهر
حين عز الوصل عن واد طوى هملت عيني بدمع كالمطر
فعساكم أن تجودوا كرما بلقاكم في سواد الحندس
وتداووا قلب صب مغرما من جراحات العيون النعس
كلما جن ظلام الغسق هزني الشوق إليكم شغفا
واعتراني من جفاكم قلقي قد تذكرت جيادا والصفا
وتناهت لوعتي من حرقي ثم زاد الوجد بي التلفا
فانعموا لي ثم جودوا بما يطف نيران الجوى ذي القبس
ساعة لي من رضاكم مغنما وتداوي جنتي مع نفس[190]
كنت قبل اليوم في زهووتيه مع أحبابي بسلع اللعب
ومعي ظبي فإحدى وجنتيه مشرق الشمس وأخرى مغرب

---

14 ابراهيم بن سهل الإشبيلي ت 1251/649،زركلي ،أعلام ،1:42 . وموشحته هي التي علق عليها الإفراني في المسلك السهل في توشيح ابن سهل ، وكانت موضوع رسالة جامعية قدمها محمد العمري لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،بتاريخ 1981/5/22

فرماني بسهام من يديه ضرب البين فقلبي متعب
لست أرجو للقاكم سلما غير مدحي للإمام الأرأس
أحمد المحمود حقا من سما الشريف بن الشريف الكيس

[ومن جوده رحمه الله أنه كان يبعث للسادات البكريين بمصر. وكانت بينه وبين الإمام العارف سيدي محمد ابن القطب الكبير أبي الحسن][15]البكري [16]مكاتبات تشاكل قطع الرياض ، وتحاكي بسحرها سحر الحدق المراض . ومن نظم البكري المذكور في بعض رسائله التي كان يبعث بها لأبي العباس المنصور ما نصه :

ولما نأيتم ولم استطع أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

وذكر صاحب **الفوائد** [17]أن هذين البيتين كتب بهما المنصور لملك العجم فأجابه ببيتين وهما :

فإن زرتم وتفضلتم وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بعار ولا منقص دخول الموالي بيوت الخدم

---

15 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم6

16 اشتهر من آ ل البكري :محمد زين الدين بن محمد بن أبي بكروأبي المكارم زين العابدين .توفي أبو المكارم 1585/994 (القادري ، نشر 289:1) ، وتوفي أبو الحسن تاج العرفين ت 1545/952 (نشر،289:1)

17 فوائد ،141

الفصل الخامس والأربعون

ذكر الخبر عن قراءته وعلومه واستجازته لمحفوظه و مفهومه[1]

قال ابن القاضي : كان المنصور رحمه الله خبيرا بالعلوم ومتضلعا بالفنون من شعر وتاريخ وسير ونحو ولغة وبلاغة وبيان [ومنطق وتفسير وحديث وحساب [191]وفرائض وهندسة][2]وجبر ومقابلة وتعديل السيارة،وله رواية في الحديث . وقال الفشتالي [3]:بدأ قراءته القرآن على معلم أولاد الملوك في الدولتين الأستاذ أبي عبد الله محمد بن يوسف الدرعي [4] ، ثم قرأ بعده على الفقيه الأصولي أبي الربيع سليمان بن إبراهيم [5]ثم بدأ **الرسالة** [6]على الفقيه أبي عمران موسى الرداني [7] وقرأها أيضا سردا ودراية على النحوي أبي العباس المنجور ، وعلى أبي فارس عبد العزيز بن إبراهيم [8]. وقرأ أيضا علم الحساب . وأخذ

1جاء العنوان في م1 وم3 :ذكر جملة من علمه وتمهره في الفنون وجودة فهمه ولطافة إدراكه

2 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم4

3 المناهل ، تحقيق عبد الكريم كريم ،189

4 الترغي في م1وم3 وم4 ، وهو الأصح .ت 1600/1009، ينظر عنه: محمد حجي ، حركة،380:2.

5 ذكره في المناهل ،188

6 رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه

7 لم نتمكن من التعرف عليه .

8 أبو داوود في م1 وم3 وم4 .لم نتمكن من التعرف عليه .

أيضا علم العربية على نحوي زمانه أبي العباس أحمد القدومي [9]، صاحب **الحواشي على المرادي**[10] . وأخذ أصول الدين على الإمام أبي العباس أحمد المنجور. وسمع عليه مؤلفات السنوسي [11] **وحاشيته على الكبرى و شرحه الكبير والصغير على ملخص المقاصد**[12] لابن زكري [13].وسمع عليه **الخزرجية** [14] مرتين،ومختصر السعد [15]**على التلخيص** .وسمع عليه أيضا **كافية ابن الحاجب** [16] في النحو، **والشمسية** [17]في المنطق

---

9 أحمد بن قاسم ، ت992/1584 ، ينظر عنه :محمد حجي ،حركة ،359:2

10 حسن بن عبد الله ت747/1346 ، ذكره ابن القاضي ،لقط،199 ،ونعته بصاحب شرح الألفية .واسم شرح القدومي :الهادي في حل ألفاظ المرادي ، ألفه لخزانة المنصور، ينظر :عبد الوهاب بنمنصور،أعلام ،194:5 . وسماه البغدادي ، إيضاح ،715:4:الهادي إلى مقاصد المرادي

11 محمد بن يوسف ، ت895/1490،من مؤلفاته:عقيدة أهل التوحيد أو العقيدة الكبرى، العقيدة الوسطى، المقدمات أو الوسطى.ينظر عنه:محمد حجي ،حركة ،69:1

12مقاصد الطالبين في علم أصول الدين لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني

13 أحمد بن محمد التلمساني ت 899/1493 ، الونشريسي، وفيات 153 .ابن القاضي ،لقط ،3274.وعنوان مؤلفه:ملخص المقاصد بما به تعتبر العقائد.

14 نسبة للخزرجي ، ضياء الدين ،ت626/1229 .وعنوانها الرامزة الشافية .ينظر :محمد حجي ،حركة،151:1.

15 المقصود بالسعد:سعد الدين التفتزاني ، وبالتلخيص:تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ، وقد سبقت الإشارة إليهما.

16 الكافية لابن الحاجب أبي عمرو بن عمر ت 646/1248 ، ينظرعنه :حاجي خليفة،كشف ،1370:2

17 الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية ، للقزويني علي بن عمر ت675/ 1277، ألفها لخواجة شمس الدين ونسبها له .ينظر:حاجي خليفة ،كشف،193:2 البغدادي ،هدية،713:5

وجمع الجوامع لابن السبكي [18] وأجازه في كل ما تضمنته فهرسته حسبما ذكر ذلك في أوله . وأخذ الفقه عن الحميدي والمنجور. وأخذ الكتب الخمسة [19] عن ولي الله سيدي رضوان بن عبد الله [20]، وعن الرجل الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن بن علي العلقمي [21] عن الإمام السيوطي . وحضر أيضا عند الإمام مفتي المغرب سيدي شقرون بن هبة الوهراني التلمساني [22] في مجالس عديدة من التفسير والفقه والنحو والكلام . وأخذ عن [192] الإمام الصدر مفتي فاس أبي زكرياء يحيى السراج [23] ورزقه الله من الفهم الثاقب ما لم يكن لغيره ،حتى أنه فهم كتاب إقليدس [24] في الهندسة بغير أستاذ، لعدم وجوده في المغرب . فكان كل يوم يفك شكلا من أشكاله . وله أيضا بعض معرفة بعلم التعديل والهيئة . قال الفشتالي [25]: ونقلت مقروءاته المذكورة من ورقة بخطه .

ورأيت بخط الشيخ القصار ما صورته : وقلت لما أجاز

---

18 عبد الوهاب ابن علي ابن السبكي ت 1369/771 .ينظر عنه وعن كتابه:حاجي خليفة ،كشف، 595:1

19 الستة في الحجرية ، وهي :موطأ الإمام مالك -صحيح البخاري-صحيح مسلم-سنن أبي داوود - سنن الترمذي-سنن النسائي-سنن ابن ماجة.

20 الجنوي ت 1584/991 ، ينظر عنه:ابن القاضي ،جذوة، 197:1 الإفراني،صفوة، 6

21 ت1561/969 ينظر عنه :زركلي ،أعلام، 195:6.

22 ت 1575/983 ، ينظر عنه :القادري ،نشر، 82:1

23 ت1598/1007 ،ينظر عنه:محمد حجي ،حركة، 362:2 .

24 رياضي يوناني من أهل القرن 3 ق م EUKLIDES أو EUCLIDE

25 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ، 187 .وجاءفيه :وقد رأيت أن أعول في تحقيق هذا الباب على تقييد شريف بخط يده،ناولنيه متضمنا لذكر ما قرأ من العلوم وذكر من أخذ عنه من الشيوخ وسنده عنهم في كل فن .

سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي أمير المؤمنين السلطان أبا العباس المنصور مانصه :

روى البخاري أمير المؤمنين الحسني المنصورذو الفتح المبين
عن الولي سيدي رضوان عن سيدي سفين السفياني
عن زكرياء عن ابن حجر عن التنوخي عن الحجاري
عن الزبيري عن أبي الوقت عن الداودي عن السرخسي الفطن
[عن الفزري عن البخاري ومسلما لزكريا الغماري][26]
عن زركشي عن البيان المسند عن العساكري عن المؤيد
عن الفراوي مسند الوجود عن عبد غافر عن الجلودي
عن أبي سفيان الولي عن مسلم أبقاه ربنا لحوط المسلم

ومن اعتنائه رحمه الله ، أنه بعث لعلماء مصر يستجيزهم ، رغبة في اتصال حبل السند واقتفاء لاحب ذلك الطريق الأسعد . وممن أجازه الإمام البكري المتقدم . ومن فصول إجازته [27]له قوله يمدح كتاب المنصورإليه ويثني عليه بالفصاحة ، فقال : ولقد وصل إليّ المقال العديم المثال المزري نظامه بعقود [193]اللئال ، فإذا به السحر إلا أنه الحلال. ولو ادعى أحد أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتبين في زمان نجله أمير المؤمنين الإمام أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله إلى محب قديم من النبعة والصميم ، لم تكذب دعواه . فما من خارق في أمته إلا وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلى علاه . وأما ما شرفني به من طلب الإجازة فالبيت والحديث له يساق ، وهو في أوج هذه الرتبة الرفيعة المنزلة .ولكن رُب أبٍ أرسل إلى ابنه على يد عبده عطاء فنقله وإليه بأمره حمله . وحيث وقع الأمر فأمرمولانا حتم وطاعته غنم . فمولانا مجاز من هذا العبد بجميع ما يجوز لهذا العبد وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الأثر والنظر . وكذلك مجاز أهل العصر إجازة عام بعام ليكون أبناء

---

26 سقط البيت كله في الحجرية

27ينظر نص الإجازة في المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،192-195

الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الإنعام فإنه هو السبب في تحصيل ذلك المرام . وكتبه تحريرا في رابع [28] ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمائة محمد بن أبي الحسن الصديقي سبط آل الحسن .

وكفى المنصور شرفا مخاطبة هذا الإمام الجليل وشهادته له بشرفه . وقد كان سيدي محمد البكري من أهل الفيض والعرفان . قال شيخ شيوخنا أبو سالم في كتابه **تحفة الأخلاء بإسناد الأجلاء** [29]: نقلت من [194]خط الإمام أبي العباس أحمد أدفال السوساني [30] أن العارف بالله الشيخ زين العابدين محمد البكري تكلم على نقطة باء البسملة في ألفي مجلس ومائة مجلس . توفي رحمه الله سنة أربع وتسعين وتسعمائة . قاله ابن القاضي في **لقط الفرائد** [31] .

وممن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر، الإمام العلامة بدر الدين القرافي [32]،من ذرية الإمام ابن أبي جمرة رضي الله عنه. فأجازه بإجازة عامة بسط فيها القول وتركناها قصد الاختصار. لكنه ختمها بأبيات حسنة أذكرها هنا دليلا عليها ،وهيَ هذه :

أجزت لمن تفضل واستجازا ... وبادر لاقتنا خير وحازا
وأبرز في سلوك العلم حالا ... به من فضل مولانا يجازى
إمام كامل عدل البرايا ... أمير المؤمنين حوى فجازا
وذلك بعد تشريفي بأمر ... وقصد للإجازة واستجازا
فبادرت امتثالا قدر وسعي ... ومقتفيا مناهج من أجازا

---

28 رابع عشر في المناهل .

29 أو إتحاف الأخلاء، لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي ت 1679/1090 . والنص المذكور لم يرد في الإتحاف ، بل ورد في اقتفاءالأثر ،له ، ص:162

30 الحسني الدرعي ت 1614/1023 ،ينظر عنه : محمد حجي ،معلمة ، 284:1

31 لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد ، صدر بتحقيق محمد حجي ، منشورات دار المغرب ، ضمن كتاب :ألف سنة من الوفيات . والنص وارد في ص 320 .

32 محمد بن يحيى ت 1600/1009.ينظر عنه :القادري ،نشر، 77:1

وقد أبديت حقا لا مجـازا بمـا صار الإمام بـه مجازا
بفاتحة وسنة خير هـدي وسلسلة لمن حاز امتيازا
بدار الهجرة العليا إمـام لمـا أبداه مـن فضل فحازا
[وأرجو منه يبذل لي دعاه بمـا أرجوه من خير مجازا][33]
بخاتمة تبلغني مـرامـا بجنات أراها لي مفازا
وأشياخي يبلغهم رضـاه ويوصلهم إلى خير نجازا

وعلى ما ذكره الفشتالي أنه كانت له خبرة بعلم الهيئة [195] فرأيت في كتاب **الفوائد الجمة**[34] ما صورته : إن المنصور كانت له معرفة بعلم النجوم ، فنظر مرة في النجوم ، فرأى جيوشا هائلة أفزعته . وظن أن ثائرا يثور عليه . فتحير لذلك ، وأخبربه صاحب سره الفقيه الإمام الأمين أبا الحسن علي بن سليمان التاملي[35]. فقال له أبو الحسن ليس بوقتنا هذا من له الباع المديد في ذلك الفن ، سوى الشيخ الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن عمر البعقيلي . فأمره المنصور أن يكاتبه في ذلك . فأرسل أبو الحسن لأخيه أبي بكر بن سليمان[36] يسأله عن ذلك . وكان أبو بكر يتعلم على أبي زيد . فسأله فقال له : تلك جيوش الجراد مالها تعداد. فكتب للمنصور بذلك . فلم تمض إلا أيام يسيرة ، فجاء جراد طبق المغرب .

وكان المنصور رحمه الله جم الفوائد حسن المذاكرة حلو المحاضرة مشاركا في الفنون كلها . وإذا قرئ بين يديه **البخاري** أو غيره صدرت منه أبحاث رائقة واعتراضات فائقة ، لا يمكن التقصي منها ولا الجواب عنها . وكان القضاة ربما توقفوا في النوازل الصعبة فيرجعون إليه فيها . وكم مرة رد أحكام القضاة

---

33 ما بين المعقوفين سقط في م2

34 الفوائد، 38

35 ت 999/1591 ، ينظر عنه:محمد حجي ،معلمة،8:2559

36 لم نتمكن من التعرف عليه

بعد انبرامها ، وأطلعهم على وجه فسادها . وكان محبا في العلماء متنافسا في صحبتهم مؤثرا لمجالستهم لايفارقهم حضرا ولا سفرا . ويحكى أنه سافر مرة لتارودانت ومعه جماعة من أعيان العلماء كالقاضي الحميدي والمنجور وغيرهما . فخيم [196]بباب تارودانت وضرب الناس أخبيتهم . فمر رجل عليه أطمار بالية وهيئة رثة، فوطئ على حبل من حبال خباء القاضي الحميدي . فصاح عليه الحميدي من هذه البقرة التي قوضت عليّ خيمتي ؟ مستحقرا بالرجل . فجاءه ذلك الرجل فقال له : البقرة هو الذي لايجيب عن هذه المسائل . وألقى إليه قرطاسا مكتوبا فيه هذه الأبيات:

إلى علمك العالي مسائل ترتقي	تفطن لها ياحميدي واصدق
فما الحكم في الأوزاغ هل ساغ أكلها	وما الحكم في موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد	دعاء إذا رام إكمال مابقي
وما وزن ليس لي حبيب وأصله	وما جمع قلة لصاع فحقق
[وماوزن شمر ولاتن واتنا	بجمع سواء والمقيد اطلق][38]
وبين لنا ما في أعوذ بربنا	من إبليس والتخمين في الكل فاتق

فتوقف القاضي الحميدي عن الجواب . فرفعت القضية للمنصور رحمه الله فاستغربها ، وقال : هذا رجل من أهل البادية فضح قاضي قضاة الحواضر . وأمر المنجور فأجاب عنها فقال :

جوابك في الأولى إباحة أكلها	لمذهبنا فاجزم بذاك وصدق
كذا ابن حبيب في الخشاش أباحه	لمحتاجه مثل العقارب فاسبق
وقد قيل في الأوزاغ يحرم أكلها	وذلك في الكافي ليوسف فارتق
ومقتدر يحكي المخالف منعه	وأنكره التنبيه فافهم ودقق
ورجح ما يحكي المخالف بعض من	له العذر للتحقيق لا للتمشدق[197]
وميت مجنون جرى خلف حكمه	بعلم كلام لاتكن غير متق

38 سقط ما بين المعقوفين في م2 وم6

وتحقيقها أن الجنون إذا طرا ... يصير كموت فصل الحق يعبق

فآونة بعد البلوغ طروؤه ... وحينا يرى قبل البلوغ فطبق

وآونة إثر الصلاح وقوعه ... وحينا بعصيان الكبيرة يلتقي

وحينا يدوم للممات وتارة ... يفيق فخذ حكم الجميع ووثق

ويندب للمسبوق دعوى تشهد ... وفاق إمام في الملاحة فارتق

وليس له فعل كقال وأصله ... بكسر لياء فاكسر العين ترتق

وجمعك صاعا في القليل بأصوع ... وأصوؤع بهمز الواو انهج ونمق

وإن شئت فاقلبه ويرجع أصعا ... لضابط تصريف فللعلم شرّق

وصاع كعام عينه فرع ضمة ... وتحريكه فتح فزنه وحقق

ومقصود من في العوذ مد لغاية ... فإبليس مبدأ العود عند الموفق

وجمع سواء فالذي منه جامد ... بأسوية علم يقاس ففرق

ومشتقة وزن الخطايا قياسه ... سواسية نقل فبالصدع فانطق

الفصل السادس والأربعون

ذكر جملة من تآليفه البهية ولمع من غرر أبياته الشعرية

قال الفشتالي [1]: ألف المنصور عدة تآليف كلها حسنة تدل على براعته وسعادة قلمه ، فمن ذلك كتاب **السياسة** [2]، ونص خطبته :

نحمدك اللهم على ما أنلت[3] من رياسة وعلمت من سياسة ووهبت من ملك ونظمت من سلك وكففت من أعداء وهديت من آراء.ونصلي على مبلغ أنبائك وخاتم أنبيائك المؤيد بأهل أرضك [198] وسمائك . من به أقمت على خلقك الحجة، وبلسانه الصادق نهجت لهم في اتباعها المحجة.صلاة تكون منا كفاء ولمجده السامي وفاء. وبعد، فلنا حاجة إلى تكميل أنفسنا في قواها البشرية باستعمالها في حقائق المعلومات العملية والنظرية وعلوم الحكمة العلمية أولى بنا . لما نحن فيه وأعون على ما نجلبه لهذا الأمر العلوي الفاطمي أو نقتفيه. فلنصرف أولا عنان القول إليها ولنجلب بالخيل والرجل في ميدان هذه الطروس عليها، ومن الله نستمد وعلى عونه جل وعز نعتمد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الجليل.

ومن تآليفه أيضا كتاب **الأدعية** [4]، فيما يقال في العبادات وسائر الحركات والسكنات والمساء والصباح.

قال الفشتالي : وكان عازما على جمع أشعار الشرفاء من أهل البيت وإفرادها.

وأما ما جمع من التقاييد المتفرقة فكثير، فمن ذلك

---

1 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،217.

2 كتاب المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف ، ينظر عنه: حجي،حركة،167:1

3 أثلت في المناهل .

4 عنوانه : العود أحمد .ينظر عنه : محمد حجي ،حركة،148:1

حاشيته [5]على التفسير تكلم فيها على الزمخشري [6]وغيره، جمعها قائده الفقيه أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي.وكان المنصور حريصا على التأليف يأمر الفقهاء بالتقييد . فأمر الفقيه الصدر العلامة أبا عبد الله [199]سيدي محمد بن بوعبدلي الرجراجي [7] أن يجمع بين تقييد الإمام المسيلي [8] وتقييد السلاوي [9] عن شيخهما ابن عرفة في التفسير، ففعل ذلك .وأمر الإمام المنجور بشرح **ألفية** ابن مالك [10]شرحا يجمع ما تفرق في الشروح والحواشي ، بحيث يغني عن سائر ما قيد عليها. ففعل فجاء في مجلدين ضخمين . وأمره بشرح **ملخص المقاصد**.

قال الفشتالي : ومما تميس به تيها وعجبا خزانته عن سائر الخزائن الملوكية تآليف الفقيه العلامة الرحالة أبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي [11]، التي منها **شرح لامية العجم**[12]، أملاه بعضه أو كله بالمشرق.وعليه تقريظ علمائه .ومنها **لامية العرب** [13]، أملاه بعضه أو كله بالمشرق ، وهذبه بالمغرب ،وخدم به المنصور . وله شرح على درر السمط [14]في أخبار ابن الأبار.

5 ينظر عنه:محمد حجي ،حركة، 141:1

6 محمود بن عمر الخوارزمي،ت1144/538،ينظر عنه:زركلي،أعلام، 178:7

7 محمد بن عبد الله ت 1614/1022 ، ينظر عنه: محمد حجي ،حركة، 389:2

8 أحمد بن أبي القاسم ت 1385/787 ، ينظر عنه : حجي ، حركة ، 141:1

9 محمد بن محمد الفزاري السلوي المعروف بابن المجراد ،ت 1376/778 ، ينظر عنه :ابن القاضي،لقط،217

10 محمد بن مالك الطائي ت 1374/776

11 المكنى أبا جمعة ،ت 1607/1016 .ينظر عنه: محمد حجي ،حركة، 398:2

12 للطغرائي ت 1120/514

13 للشاعر الجاهلي الشنفرى.

14 درر السمط في مناقب السبط لمحمد ابن الأبار ت 1260/658 .وعنوان الشرح:نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر. ينظر عنه: محمد حجي ،حركة، 398:2.

وقال في درة الحجال [15] في حق الماغوسي المذكور : فقيه أديب، له تآليف. إلى أن قال : وله رحلة إلى المشرق، وأدى فريضة الحج، وأخذ هنالك عمن لقي من أهل مصر والشام والحجاز والقسطنطينية وغيرهم. وله فيما أظن مشيخة [16] قيد أسماءهم وما سمع منهم.ولد بعد الخمسين ، في غالب الظن،وتسعمائة ، وهو حي من أهل العصر. وله خط رائق ومشاركة في العلوم وفهم ثاقب.

وكانت [200] للمنصور عناية تامة باقتناءالكتب والتنافس في جمعها من كل جهة.فاجتمع في خزائنه من غريب الدفاتر ما لم يكن لمن قبله ولا يتهيأ لمن بعده مثله . وجل كتبه طالعه كله ووقف عليه بخطه ونبه على الغامض وشرح الغريب.

وأما نظمه فالسحر الحلال، وأرق من الماء الزلال ، لتكامل محاسنه وتكاثر بدائعه .وها أنا أثبت منه قطعا [17] وأجلو عليك منه لمعا.فمن ذلك قوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبة له، وهي أول ما قال فأجاد وأحسن في المقال :

ووردة شفعت لي عند مرتهني	راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كأن خضرتها من فوق حمرتها	خال على خده من عنبر عبـق

وقال أيضا :

من عنبر الشحر أومن مسك دارين	بلى ومنه نسيمات الرياحين
مهفهف إن تثنى قلت مقتضب	من قضب نعمان أو من كثب يبرين
ذنبي إليه ولا ذنب محبته	من أجلها بسهام اللحظ يرميني
يا ما أميلحه ظلما رضيت يـه	لو أنه دام منه كان يكفيني
معذبي مذ [18] حرمت النوم بعدكم	فامنن علي بنوم غير مفنون

---

15 الدرة ،304:3.

16 ينظر عن فهرست الماغوسي :محمد حجي ،حركة ،398:2.

17 كل هاته المقطعات وردت في الدرة ،109:1 وما بعدها .

18معذب قد .. في المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،212.

وامض على ورد ذاك الخد بزق فـــم[19] يعوض الخد من ورد بنسريـــــن

وقد وقفت على شرح هذه الأبيات في نحو كراسين اشتمل على ما فيها من المحسنات البديعية والنكت الغريبة والملح الأدبية. ويقال أن ذلك الشرح للسيد الحسن الزياتي[20] ،رحمه الله تعالى.

وقال أيضا [21]: في وصف رقيب ملازم:

رقيبي كأن الأرض مرءاة شخصه فأين تولى الطرف مني يراه [201]

مقيم بوجه الوصل حتى كأنمـــا وصالي هلال والسواد صداه

وقال [22]أيضا :

أيا روضة ضنت عليّ بزهرهـــا ولم يتلق ناظراي سنـــاك

أبيحي لنفسي من شذاك بقاءها إذا فت طرفي ظل أنفي يراك[23]

وقال [24] أيضا :

على جدول غطت علي بشعرهـــا لئلا يرى الشمس المنيرة لي طرف

فبت أرى في جدول بدر وجهها غريقا ونقط العبيـر بـه كلـــف

وقال أيضا :

وكيف لقلب في هواه مقلـــــب وأنى له بين الضلوع مـــقام

أيا شادنا يرعى الحشى أنت في الحشا أمـــا لمحل أنت فيه ذمـــام

---

19 أومض على ورد ذاك الخد برق فم ،في المصدر السابق.

20 ابن يوسف ت 1582/1023 ،ينظر:محمد حجي ،حركة،2:458.

21 وردت هاته القطعة في المناهل ،ص207

22 نفسه ، في نفس المكان .

23 هامش م 1 :وقد كتب عليها المنصور بخط يده:وقد علمت أن هذا الشم إنما يحصل بواسطة تكييف الهواء المتصل بالخيشوم. فتكييف الرائحة لا بطريق نقل الرائحة إلى الهواء لامتناع انتقال الأعراض. وقولي :أبيحي لنفسي من شذاك بقاءها التي هي الرائحة ، ولا بقاء إلا بغيرها .

24 المصدر نفسه ، ص:208

وقال أيضا [25]، وهو من التجنيس المركب :

طرقت حماه والأسود خوادر — به فتولى في الظبى وهو يبعد

فعلمت أساد الشرى كيف تقدم — وعلمت غزلان النقاكيف تشرد

وقال [26] أيضا :

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى — فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم

وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا — على كبد حرى وقلب يسقم

ولولا ثواه بالحشا لأهنتها — ولكنها تعزى إليه فتكرم

فاعجب لآساد الشرى كيف أحجمت — على أنه ظبي الكناس ويقدم

وقال أيضا ،وهو من التجنيس المركب:

لما نأى المحبوب رق لي الدجا — وأتى يعللني برعي كواكبه

أولى غراب البين ودك ياحشا — والبين يرمي للصباح كواك به

[وقال [27] أيضا:

إن يوما لناظر تبدى — فتملى من حسنه تكحيلا

قال جفني لصنوه لا تلاقي — إن بيني وبين لقياك ميلا

قال في نفح الطيب [28]: وقد تبارى خدام حضرة المنصور في تخميس هذين البيتين. ومن أشهر ذلك قول الأستاذ الحافظ أبي العباس أحمد الزموري :

ورقيب يردد اللحظ ردا — ليس يرضى سوى ازديادي بعدا

ساءه الطرف مذ جنا الخد وردا — إن يوما لناظري قد تبدا

فتملى من حسنه تكحيلا

وتصدى من حسنه [29] في استباق — يمنع اللحظ من جنى واعتناق

---

25 المصدر نفسه ، في نفس المكان.

26 المصدر نفسه،ص:212.

27 المصدر نفسه،ص:211.

28 نفح، 7:75

29 فحشه في النفح .

أنس اللحظ [30] من لحاظ التلاقي قال جفني لصنوه لا تلاقي
إن بيني وبين لقياك ميلا] [31]

وقال أيضا في جارية مليحة من حظاياه الرفيعة ، إسمها آمنة :

شادن نم عليه عرفه [32] من خلاصي من سهام كامنه
أحلال أن قلبي خائف [33] وغزالي بعد خوفي آمنه

وقال ردا على من قال في ابن الحديد :

لقد أتى باردا ثقيلا ولم يرث ذاك من بعيد[202]
فهوكما قيل فيه شيء أشهر ما كان في الحديد

فقال هو :

هذا أتى صارما صقيلا ولم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادي وشدة البأس في الحديد

[وقال [34] أيضا في طريق التعمية في اسم سلاف :

وأحور وسنان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه بقرقف
مضى صارما لا فل صارم لحظه تزايد منه مذ سلا تلاه ف

وقال [35] أيضا:

هذب الجفون بصحن خدك سجلت ولدى الهوى زكتهم عيناك
فقضى الهوى جورا بسكري زورا شهدت لهم أني على مضناك

---

30 أيأس العين في النفح .

31 تأخرت الفقرة ما بين المعقوفين في المعتمدة إلي .. الحديد ، الآتية في الصفحة الموالية

32نفحه في الدرة .

33 أحلال فيه أني خائف في الحجرية .

34 المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،209.

35 المصدر نفسه،210.

وقال [36]أيضا[وقدقطف وردة من ورد المسرة [37]في زمن النرجس][38]:

وافى بها البستان صنوك وردة | يقضي به لما مطلت وعــــــودا
أهدي البهار محاجرا وأتى بـهـا | في وقته كيما تكون خـــــدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمهـــــا | تثني من الروض النضير قدودا

وقال أيضا:

لي حبيب يأتي بكل غريـــب | هو عندي منكر ومعـــــرف
لست أشكو لصيرفي ونحـوي | أنه لي نحـــا وفي تصـــرف
فعله فـي لازم متعــــــد | ومزيـــد مجـــرد ومضعـــف

وقال [39]أيضا:

تحالفت منه عيناه على ســـبب | كان اتفاقهما به على عطبـــي
فحدقة العين تقصيني وتؤيسنـي | واللحظ يطمعني فيه ويسخر بي
أشكو نهاي وشوقي وافتراقهمـا | في أمره وكل ذا زاد في تعبـــي
إن طعت ذاك فمن لي فاتني أربـي | أو طعت هذافمن لي فاتني حسبي][40]

وقال أيضا :

لا وطرف علم السيف فقد | في قوام كقنا الخطي نـهـد
ووميض لاح لما ابتسمت | فـأرتنا منـه درا أو بــــرد
ما هلال الأفـق إلا حـاسـد | منـه حسنا وبهـاء وغـيـد
ولذا عـاش قليـلا ناحـلا | كيف لا يفنى نحولا من حسد

---

36 المصدر نفسه ،211.

37 تنظر علاقتها بالمصارة ، حديقة . والمُصارة ، بضم الميم الموضع تمصر فيه الخيل .ينظر : محمد المنوني ، منشآت مرينية بضاحية فاس الجديد ، في : ورقات ،43 ، وكذا: Bressolette ,El Mosara ,p:51

38 زيادة في الحجرية

39 المناهل ،تحقيق عبد الله كنون،212.

40 سقط ما بين المعقوفين ، من وقال في اسم سلاف ،إلي فاتني حسبي ، في م 1 وم 3 وم 5

وقد عارض أيده الله بهذه الأبيات أبيات الشيخ الأديب الإمام [أبي الفضل بن محمد المكي الشريف][41]الخليلي [204]المتقدم الذكر، وهي قوله :

لا وفرع كدجى الليل غسق	وجبين ضوؤه ضوء الفلق
ومحيا كلف البدر به	وخدود نورها نور الشفق
ما غزال الخيف إلا حاسدا	منه جيدا والتفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا	كيف لا يشرد خوفا من سرق

وقال [42]أيضا في حظيته المشهورة بنسيم، صاحبة قبة النسيم، معميا :

يا هلالا طلوعه بين حجبي	وغزالا كناسه بين جنبي
إن سهما رميت غادر هَمَّا	لو تناهى ما شك آخر قلبي

وكتب على هذين البيتين بخطه الشريف ما صورته : قولي إن سهما تنصيص. وغادرهما إسقاط ، وهو إشارة لإسقاط هما من هذا الإسم. وقولي وتناهى انتقاد، والانتقاد الإشارة إلى بعض أجزاء الكلمة، ليؤخذ جزء الإسم المطلوب. كأن يذكر الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس ويعني به الحرف الأول من الكلمة أو القلب والجوف والحشا والخصر ويراد به الوسط أو الآخر، والمنتهى والختام، ويقصد به آخر الكلمة. فقولي : لو تناهى معناه ، أنه لو أخذ لفظة هم غير مثناه ، بقيت الميم من هما. وقولي ما شك آخر قلبي انتقاد أيضا. وأردت بآخر قلبي الياء. ويسمى أيضا التسمية . وهوأن تذكر الإسم وتريد المسمى أو تذكر المسمى وتريد الإسم. واعلم أنهم لم يشترطوا في[204] استخراج الإسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة. فإذا وقع ذلك في الشعر فيكون عندهم من المحسنات ويسمى العمل التذييلي. انتهى كلامه على البيتين.

---

41 زيادة في م2 وم6

42 المصدر نفسه ،208.

[وقال أيضا في اسم غزال ، وهوما جمع بين تعميتين ولغز :

وأملد مطوي الحشا زال ردفه فلا خصر إلا أن تصورته وهما
بنصف اسمه يرمي القلوب وعكس ما بقي أذن المحب به أصمى

وكتب عليهما ما نصه :فقولي :أملد، أردت به بعمل الترادف غصن.وبقولي مطوي الحشا ، انتقاد. وزال ردفه :قضيت به غرضين ؛ أزلت به النون بعمل الإسقاط الباقي من غصن بعد طي الصاد التي بوسطه.[وأتبعته عن زال إلى النوى من غصن . والحال أن الصاد محذوفة ،وذلك بعمل الانتقاد][43] ، وأوضحت ذلك بقولي:فلا خصر ، وإن كنت لا أحتاج إليه ،لئلا يكون في البيت شيئ خارج عن التعمية][44]

وقال[45] في اسم آمنة أيضا ، وهو من العمل التذييلي :

من شقائي قنصته وهو خشف في رضاه عن الملوك ابتذلت[46]
أملد منه قد تخلل خصر وتثنى عن حبه ما عدلت

وكتب عليهما ما صورته : فقولي أملد أردت به عمل التشبيه ، وتخلل خصر منه انتقاد. وأردت بالخصر وسط لفظة منه، وتخلله أن ينحل السكون الذي على النون. وقولي وتثنى ، أي الألف ، من التثنية لا من التثني ، فتم الإسم بحركاته وعدده، [وهو من العمل التذييلي. وذلك أن يأتي بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق .][47]

وقال في اللباس المسمى بالمنصورية [48]. قال ابن القاضي في **المنتقى المقصور**[49] : المنصورية لبس من ملف لم يكن

43 مابين المعقوفين زيادة في الحجرية .

44 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم4 وم5 ، وورد في المناهل ، 209.

45 المناهل ،210.

46 جاء العجز في المناهل :لم أقل ف إن قلت فات فهمه

47 سقط ما بين المعقوفين في م1

48 ينظر عنها تعليق عبد الله كنون ، المناهل،210، الهامش 4

49 المنتقي،2:627.

مستعملا قبله ، وهو أول من اخترعه فأضيف إليه فقيل المنصورية فقال فيها ، وكان لباسه من الملف المسمى بقلب حجر ما نصه :

وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم   قول الحبيب أنا أنا فيه

قلبي له حجر فقلت مغالطا   للعاذل المؤذي أنا فيه

وكتب عليهما بخطه الشريف ما صورته : في هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية؛ منها جناس التورية التركيبية المسمى عندهم بالملفق. وحده بأن يكون كل من الركنين مركبا [205]من كلمتين. وهذا هو الفرق بينه وبين المركب. وقلّ من يفرق بينهما . ومنها الاستخدام[50] ،وعهدي بالفقيه علي بن منصور الشيظمي تعرض إلى شرحها في كراسة . والتعمية في هذين البيتين بالعمل الحسابي ، وهو كثير. إلا أن هذا العمل أحسبني أبا عذرته، إذ لم أره لغيري. ومادة التعمية فيه أنا أنا فيه قلبي له حجر ، فقولي أنا فيه معناه أن تضرب أنا في هـ. وقولي فيه نص في الضرب ويخرج من هذا مائتان وستون عدد حروف هيماني وحقك فيه . وقولي قلبي له حجر بعمل القلب يصير رجح . فصار المجموع هيماني وحقك يرجح ، وفيه التورية .وهيماني وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشي . وهو من المحسنات أيضا ، أعني قولي له وحقك . وتصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان لأن الافتنان عندهم أن يتفنن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد. وهذا وقع التضاد فيه في كلمة واحدة فظاهر أنا أنا فيه هيماني وحقك يرجح الذي يخرج بطريق الحساب فافهمه. ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولي للعاذل المؤذي أنا فيه.

قال في **نفح الطيب**[51]:والاستخدام الذي أشار إليه هو قوله أنا فيه أي في هذا الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية وأما المعنى الثاني لقوله [206] أنا فيه فظاهر.

---

50 الانسجام في الحجرية .

51 نفح ،7:0 8.

[قال الفشتالي [52]:وقد رفعت إلى جلاله العلي مرة رقعة أشكو لفضله بعض ما أهمني من أمور الدنيا ، فبرز لي توقيعه،أيده الله،ببيتين من نظمه البارع ، وهما:

ياكاتبا إذا كتـــــــب	غرس روضا ذا فـــــن
إن جوابي للـــــــــذي	يشكو دناه اردد حـــزن

قال الفشتالي:وإذا تأملت هذا التوقيع وجدت بيتيه عامرين بمحاسن جمة؛ أما أولها فلدلالتها على شرف القائل ، فإن كل من له ذوق سليم يفهم أن هذه نفس ذي عزة وسلطان وهمة وعلو شأن، من شأنه أن يشكى إليه وتعرس قلاص الآمال لديه، لما تدل عليه قرينة :إن جوابي للذي يشكو دناه من العظمة والجلالة والعز العريق الأصالة . وأما ثانيها فلما أفاده قوله :اردد حزن ، من مواجهة الشاكي بالمواساة والتسلية . وهذا هو الشأن في الشكوى إلى ذي مروءة ، فكيف بسبط النبوة .وأما ثالثها ، فلما يدل عليه مجموع البيت الثاني من كرم قائله ، فهو وعد لكل من يشكو إليه الدنيا، كائنا من كان ، برد الحزن عنه ودفع الهم عن ساحته بالمرادف الذي هو "درهم" الملغز فيه . وما كفاه – أيده الله – ذلك ، حتى أكد الوعد بالأداة الدالة على تحقيق الحصول على الأمنية وتمام البغية الهنية . وبيان اللغز الذي رمز إليه ، أيده الله ، بشعار التورية المركبة في الأصل أن قوله :اردد يرادف در حكاية لقول العامة . وحزن يرادف هم مفككين، فحصلت التورية المركبة في درهم برمته ، وفي در و هم مفككين ، وهذا من السحر الحلال .ونكتة الدرهم لا يهتدي لصوغها إلا من صاغ الله جوهره النفيس من أطيب المعادن وأشرف العناصر.][53]

ولنقتصر على هذا القدر من بنات أفكار المنصور. ومحاسنه في هذا الباب كثيرة وتتبعها يرد العقل وهو حسير. وفي هذا المقدار دلالة على مهارة الرجل وتضلعه بالفنون رحمة الله عليه .

---

52 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،214.

53 الفقرة كلها، ابتداءمن قول الفشتالي ، سقطت في م3 وم4 وم5 .

الفصل السابع والأربعون

ذكر احتفال المنصور بالمولد النبوي واعتنائه بالأعياد

[على السنن السوي] [1]

قال الفشتالي [2]: كان ترتيبه في الاحتفال بالمولد النبوي ، أنه إذا طلعت طلائع شهر ربيع الأول ، صرف الرقاع إلى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية من المؤذنين المتعاورين [3] في الأسحار بالآذان . فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب. ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع [4]وإتقان صنعتها. فيتبارى في ذلك مهرة الشماعين كما يتبارى النحل في نسيج أشكالها لطفا وإدماجا. فيصوغون أنواعا من الشموع التي تحير الناظر ولا تذبل أزهارها النواضر. فإذا كان ليلة المولد النبوي تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الحمالون[5] المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف. فيتزينون ويكونون في أجمل شارة وأحسن

---

1 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 و4

2 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،221 .

3 بياض بقدر الكلمة في الأم،المتعارين في المناهل،النعارين في م1 وم 4وم5

4 وصف الوزان ، وصف ،261:1 احتفال أطفال الكتاتيب القرآنية بعيد المولد النبوي وذكرأنهم يحملون الشموع " وهي شموع جميلة مزخرفة جدا مزدانة أطرافها بفواكه عديدة من شمع ."فيراجع الحكم بأن أصلها تركي ، وأن المنصورأدخلها المغرب (Loubignac,10,15).ينظر في الموضوع :مقالة محمد بن علي الدكالي حول الشموع المزخرفة ، ذكرها :محمد حجي ، جولات ،425:1 . محمد المنوني :تاريخ حفلات الشموع بالمغرب .كما ينظر : EPAULARD ,LA PROSSESSION ,P:192

5 الصحافون في م1 وم3 وم4.

منظر. ويجتمع الناس من أطراف المدينة كلها لرؤيتها. فيمكثون حيثما يسكن حر الظهيرة وتجنح الشمس للغروب ، فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذارى يرفلن في حلل الحسن ، وهي عدد كثيركالنخيل [6]. فيتسابق الناس لرؤيتها وتمتد [207] لها الأعناق وتتبرج ذوات الخدور وتتبعها الأطبال والأبواق من أصحاب المعازف والملاهي ، حتى تستوي على منصات معدات لها بالإيوان الشريف،فتعطف هنالك .فإذا طلع الفجر خرج فصلى بالناس وقعد على أريكته ،وعليه حلة البياض شعار الدولة ، وأمامه تلك الشموع المختلفة الألوان من بيض كالدمى [7] وحمر جليت في ملابس أرجوان وخضر سندسية . واستحضر من أنواع الحسك والمباخر ما يدهش الناظر ويبهر الجالس. ثم يدخل أفواج الناس على طبقاتهم . فإذا استقر بهم الجلوس، تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده وإرضاعه، وما وقع في ذلك باختصار. فإذا فرغ اندفع القوم في الأشعار المولديات .فإذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمزمون بكلام الششتري [8] وكلام غيره من الصوفية. ويتخلل ذلك نوبة المنشدين للبيتين . فإذا فرغوا من ذلك كله قام الشعراء، فيتقدم قاضي الجماعة ، بلبل منابرالجمع والأعياد أبو قاسم بن علي الشاطبي فينشد قصيدة يستفتحها بالتغزل والنسيب ، فإذا تم يتخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده. فإذا قضى نشيده تقدم الإمام المفتي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد [208]الشريف الفيلالي، فينشد قصيدته على ذلك المنوال . فإذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي. فاذا فرغ تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي . ويليه الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي. ويليه الأديب أبوعبد الله محمد بن علي الهوزالي

---

6 النخل في م 1 وم2 ، النحل في الحجرية .

7 كالمرمر في م1 وم3.

8 علي بن عبد الله ،ت 1269/668 ،ينظر عنه :زركلي ،أعلام ،305:4

المعروف بالنابغة ، ويليه الفقيه الأديب أبو علي الحسن بن أحمد المسفيوي [9]. فإذا طوي بساط القصائد نشرخوان الأطعمة والموائد ، فيبدأ بالأعيان على مراتبهم، ثم يؤذن للمسلمين[10] فيدخلون جملة. فإذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلة الشعراءعلى أقدارهم . هكذا كان دأبه في جميع الموالد. ولا يحصى ما يفرغ فيه من أنواع الإحسان على الناس .

انتهى باختصار من كتاب **مناهل الصفا**.

وقال صاحب **النفحة المسكية في السفارة التركية** [11]: حضرت المولد الشريف بعد القفول من بلاد الترك ، قال : فاستدعى المنصور الناس لإيوانه السعيد ، واستدخلهم لقصره البديع المحتوي على قباب متقابلة ، وقد مهد فيها من فرش الحرير وصفت النمارق وتدلت الأستار والكلل والحجال المخوضة بالذهب على باب كل قبة وحناية كل سرير، ودارعلى الحيطان حيطيات الحرير التي هي كأزهار الخمائل ما رئيت قط في عهد الأوائل. مرفوعة الجوانب على قواعد وأساطين من رخام مجزع، مطلية الرؤوس بالذهب الذائب، مفروش جلها بالمرمر الأبيض المخطط بالسواد ، يتخلل ذلك ماء [209]عذب . فيدخل الناس على طبقاتهم ويأخذ كل منهم مرتبته من قضاة وعلماء وصلحاء ووزراء وقواد وكتاب وأضياف وأجناد.يتخيل لكل واحد منهم أنه في جنات النعيم . والسلطان جالس في أفخر لباسه تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الأعين والأبصار بالتعظيم والإكبار. ويجلس من عادته الجلوس ، ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج ، وعليهم الأقبية والمناطق المدورة المشدودة المذهبة والحزم المذهبة مما يدهش الناظر. وركزت أمامهم الشموع وأذن لعامة الناس فدخلوا، من أصناف القبائل على أجناسها ، من الأجناد والطلبة. وسكنت بعد حين الجلبة وأتي بأنواع الطعام في القصاع المالقية

---

9 ت 1623/1032 ، ينظر عنه:محمد حجي ،حركة ،401:2.

10 المساكين في الحجرية وم1 وم3 وم4 .

11 النفحة ،مخطوط خ ع بالرباط رقم 2829 ،ورقة 4 ،وجه.

والبلنسية المذهبة والأواني التركية والهندية. وأتي بالطسوس والأباريق وصب الماء على أيدي الناس. ونصبت مباخر العنبر والعود ،وأبرزت صحائف الفضة والذهب وأغصان الريحان الغض. فرش بها من ماء الورد والزهر ما يبقى منه الأثر. وتكلم المنشدون ، وأحسن لهم الأمير ثم ختموا المجلس بالدعاء للسلطان. وإذا كان يوم السابع يكون ترتيبه أبدع من الأول. وهذه كانت سيرته دائما، انتهى.

وهكذا سيرته في شهور رمضان عند ختم **صحيح البخاري**،وذلك أنه إذا دخل رمضان سرد القاضي [210] وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة **صحيح البخاري** ، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا ، في كل يوم سفر، إلى يـــوم العيد [12]. فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه **البخاري** ، وتهيأ له السلطان أحسن تهيئة . إلا أن العادة الجارية عندهم في ذلك أن القاضي يتولى السرد بنفسه،يسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ، ولا يزالون في المذاكرة . فإذا تعالى النهار ، ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا بداره. ومن الغد يسرد سفرا آخر،وهكذا . والسلطان في جميع ذلك جالس قريبا من حمى الحلقة قد عين لجلوسه موضع.

قال الفشتالي[13] : وكان يعطي أموالا جزيلة عند ختم القرءان في رمضان لذوي الحاجات ، ويقيم مهرجانا عظيما يوم عاشوراء لختان أولاد الضعفاء . وكل من ختن منهم أعطيت له أذرع من الكتان الحسن وحصة من الدراهم وسهم من اللحم. يعمر بإقامة هذه السنة بياض ذلك اليوم . ويشمل الإحسان من ذلك أمما لا تحصى. ويعم الصنيع أولى الحاجة. فيحتقب أمير المؤمنين أيده الله من مثوبة هذا اليوم المبارك المشهود بما يثقل الله به موازين أعمال بره يوم الجزاء الموعود .

---

12 إلا يوم العيد في م4.

13 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،243.

وقد آن لي أن أذكر طرفا من القصائد التي كان يمدح بها في الموالد الشريفة ، تتميما للغرض.

قال الإمام القاضي أبو القاسم بن علي الشاطبي [14]:

ما بال طيفك لايزور لماما	وبمنحنى الأحشا ضربت خياما
أيعيش فيك عواذلي بسهامهم	وأموت فيك صبابة وغراما [211]
وتبيح نهرك سائلا من أدمعي	أوليس نهر السائلين حراما
[ما ذقت ماء لماك في سنة الكرا	إلا انتبهت فكان لي أحلاما][15]
عرض إذا حدثت عن باب الحمى	فحديث قلبي بالأجارع هاما
أروى حديث الرقمتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من حيث النسيم تحية	أضحى الهوى بردا بها وسلاما
يا جيرة العالمين دعوة شيق	للذيذ عيش بالغضا لو داما
فجدوا بجرعاء الحمى قلبي فقد	ألف الإقامة بالحما فأقاما
وخذوا بثأري أهل نجد إنهم	سلبوا الفؤاد وأدنفوا الأجساما
في كل غرب دمع عيني مشرق	لكواكب فيها أثرن ظلاما
صليت بنار الشوق ثم رنت إلى	إنسانها في لجة قد عاما
وتسلسلت عبراتها شوقا لمن	وقفت عليه صلاتنا وسلاما
خير الأنام محمد الهادي الذي	أردى الضلال وجب منه سناما
كنز العوالم سر طينة آدم	ولحفظ ذاك السر جاء ختاما
[وأجل أرسال الأنام ومن به	قد لاذ يونس حين خاض ظلاما][16]
وتقاصرت عن فرده أعدادهم	فلذا تقدم في الحساب أماما

---

14 تعليق لعبد الله كنون :"هذه القصيدة منسوبة في نزهة الحادي للقاضي أبي القاسم بن علي الشيظمي(كذا).ونحن أبقينا على نسبتها هنا للفشتالي كما جاء ذلك في التقييد.المناهل،هامش 5 ،ص:268.

كما نسبتها للفشتالي نجاة المريني شعر الفشتالي ،393.

15 سقط هذا البيت في م2 وم5 وم6

16 سقط هذا البيت في م3

أسرى إلى السبع العلا فاستقبلت ... قدس الملائك وفده إعظاما

في ليلة غصت بأملاك السما ... فتسير خلف ركابه وأماما

يا خير من بهر المعاند شأنه ... عجزا ففص بريقه إفحاما

أعيى جلالك أن يحيط بوصفه ... وصف البليغ وأخرس الأقلاما

صلى عليك الله ما زار الحيا ... روضا ففتح زهره الأكماما[212]

ما لذة في غير مدح مخلص ... إلا بمدحي من بنيك إماما

خير الورى وإمامها المنصور من ... في ظل دولته الأنام أناما

أضفى على الأرضين ظل مهابة ... فحمى بها حامي العباد وساما

وسما على الدنيا عقاب تنوفة ... فانقض يفترس الأسود جهاما

قل للملوك هبوا ما لكم فدى ... وخذوا لأنفسكم لديه ذماما

هذا الذي يحيي البلاد بعدله ... ويعيدها نشرا وكن ركاما

هو الذي وعد الإلاه بأنه ... يطوي البلاد ويفتح الأهراما

يا مشبه المهدي في آرائه ... حزما وفي عزماته إقداما

أنت الذي ببنيه أبناء العلا ... أرسى البلاد ووهد الإسلاما

فكأنهم من حولك الأشبال في ... غاب الوشيج تبوأت أجاما

وأمينها المأمون هضب سهامها ... علم أقام على الهضاب سناما

وأجل مضطلع تخيره الورى ... بعد الإمام فقدموه إماما

وأتاه أحمد عهد أمة أحمد ... فوفى فكان لرعيه المعتاما

لايعدون النصر سيفك إنه ... سيف يحوط الدين والإسلاما

خذها ينم على العبير مديحها ... ويفض عن مسك الختام ختاما

وقال الإمام مفتي الحضرة المراكشية، أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الفلالي[17] :

أرقت وشاقتني البروق اللوامع ... وذكرى خليط هيجته المرابع

---

[17] وردت هذه القصيدة في "مجموعة شعرية لأدباء مغاربة من عهد السعدين" ذيل المناهل ،ص:263

مرابع فيهن الروامس والسما — تراق من الأشواق فيها المدامع
كأن لم تكن من قبل قدما أواهلا — إذ السلك منظوم وشملي جامع
تذكرني عهد الأجازع واللوى — وأين اللوى مني وأين الأجازع
[215]سحبنابها ذيل الصبابة برهة — وجفن الردى عنا وحاشاك هاجع
وقفت بها بالركب والليل دامس — أنازعها الشكوى بها وتنازع
أسائلها عن جيرة بان حيهم — وضمت هواهم بعد ذلك الأضالع
فهل قدموا نحو العقيق خدورهم — ولاح لهم برق من الجو لامع
يخبر عن دار الرسول وقربها — عراص بها للوحي فاضت ينابع
ديار بها حل الحمى سيد الورى — وهبت على الإشراك منها زعازع
عليك صلاة الله يا خير مرسل — ويا خير من تثني عليه الأصابع
فلولاك هذا الكون ما زال معدما — وأنت الذي يرجوه عاص وطائع
لك الفخرفي الدارين والموقف الذي — لأهواله كل النبيئين جازع
فآدمهم والكل تحت لوائكم — وليس لهم والله غيرك شافع
فجازاك رب العرش ما أنت أهله — جزاء به يشجى المناوي والمخادع
وجازى إماما قد دعته إليكم — أصول وآباء كرام فوارع
سميك وابن السبط حقا ومن له — عوارف في أعناقنا وصنائع
فدم للعلا يا ابن الخلائف مفردا — إليك اشتراؤها وغيرك بائع
ودام ولي العهد بعدك صارما — يخب إلى نيل العلا ويسارع
هوالأمن المامون من كل فتنة — لفيض الندا من راحتيه تدافع
ففيك أقول والنصوص شواهد — أحاديث صحت ليس فيها منازع
بكم رأس هذا القرن جدد ديننا — وفاضت بحور للعلوم دوافع

قال مؤلفه : وما أشار اليه في هذين البيتين من أنه هو المجدد للدين في رأس [214]القرن العاشر، نحوه تقدم في صدر الكتاب عن الشيخ القصار نظما. والحديث المشار إليه في ذلك هو ما أخرجه [أبو داوود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال][18] *إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها*[19]. وحمله بعض العلماء على أنه من السلاطين، وقيل من الأولياء ، وقيل من العلماء.وكفى بشهادة الشيخ القصار والإمام سيدي عبد الواحد بن أحمد الشريف الفيلالي دليلا على جلالة المنصور. وإلا فدين الرجلين يمنعهما من التغالي والإفراط في المدح بما لا يصح في الممدوح . نعم الوصف بالعدل والشجاعة مثلا متوسع فيهما بين أهل الشعر ، وأما مثل هذا فلا يطلقه إلا من علم بصحة مستنده،والله أعلم بحقيقة الحال. وانظر كتاب **أزهار الرياض في أخبار ومناقب القاضي عياض**[20] للشيخ الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقري ، فقد شفى الغليل في مسألة المجدد وبسط فيها القول[21]، رحمه الله.

وقال الوزير القائد أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي المرابطي أيضا ما نصه[22]:

من بعد أهل قبا وأهل كـــــداء	شوقي يـزيد ومـثـل ذلك دائـــــي
ولي الشفا في قربهم وهم جـــــلا	ما في الخواطر من صدى وصـــداء
لكـــنه بـــعد المـزار فأيـن مــــن	تـلك المعاهـــد سـاكـن الحـمـــراء
بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعــهم	ذات السـنا والرنـد والصبــــــاء
وشدا بهم حادي الركاب فكاد أن	تدع القلوب جسومـها بـفضاء[215]
يا سعد لو أن الزمان مساعـــدي	ومجيب مع ذي البعد بـعض ندائـــي
لركبت حرفا كالهلال منــــاجزا	للهـمـــــز إلا فـي المنـادى النـائي

18 سقط ما بين المعقوفين في الأم و م1 وم3 وم 4وم6 .وجاء في م2 " عن الإمام السيوطي أن الله ..."

19 حديث شريف ، أخرجه أبو داود في السنن والحاكم في المستدرك .

20 نشر بعناية المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بتحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.ونشر بالقاهرة 1308/1939.

21 ورد هذا النص في الأزهار،3:56

22 وردت هذه القصيدة في ذيل المناهل ،ص 277

ولجبت أحياء الفلا وطويتها طي المعلى بنجيبة قوداء
تختاض في جوف الظلام كأنها سر تولج في ضمير حجاء
وتخال في لجج السراب سفينة تجري القلاع بها بريح رخاء
فهل انزلن بها المحصب من منى وأزور بعد معاهد الزوراء
فأحط عنها الرحل ثم مخيما في ظل أحمد بغيتي ومنائي
وأمرغ الخدين ملثما ثرى وطئته رجلا خاتم الأنبياء
محيي الهدى ماحي الضلالة والردى بالبيض والخطية السمراء
صلى عليه الله ما نسخ الدجا يوما وما أجلى الدجا ابن ذكاء
وعلى صحابته الكرام وآله أكرم بهم من سادة فضلاء
أكرم بوارث مجده وعلائه سبط الرسالة غرة الأبناء
خير الخلافة أحمد المنصور من حاز الكمال وشرط كل علاء
الصارم الهندي في يمنى الهدى الكوكب الوقاد في الظلماء
يا أيها الملك الذي بسيوفه حاط الهدى وبرأيه الوضاء
ذخر الإله لك الفتوح وصانها كالزهر في الأكمام والأوعاء
لا بد من فتح يروقك واضح كالصبح أو كالبدر جوف سماء
وستملك الحرم الشريف وينتمي للوائك المنصور دون مراء
وترى الجهات وقد أتت منقادة بظبا بنيك السادة النجباء
وتقر عينك بالخلافة منهم وزر البرية غرة الأمراء[216]
بمحمد المامون خير من ارتقى درج الكمال ودب للعلياء
فرع سيحكي أصله ولقد حكى بمقاصد قد سددت لدماء

وقال الكاتب الأديب، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي، رحمه الله [23] :

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى فلم ينههم عن سفكها حبي الجاني

[23] أوردها في المنتقي، 1:267.ونجاة المريني ، شعر الفشتالي ،420.

لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسي فشوقهم أضحى سميري وندماني
وإن غادرتني بالعراء حمولهم كفى أن قلبي جاهداإثر أظعاني
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا أللجزع ساروا مدلجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة أناخوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال في بطن المسيل تشوقا نفوس ترامت للحما قبل جثمان
وإذ زجروها بالحداء فهل ثنى أزمتها الحادي إلى شعب بوان
وهل عرسوا بدير عبدون أم سروا يؤم بهم رهبانهم دير سمعان
سروا والدجا صبغ المطارف فانثنى بأحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج في الأسحار بيض قبابهم فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الأرض خطوة إذا زمها بدنا نواعم أبدان
أرح بالمطايا قد تمشى بها الهوى تمشي الحميا في مفاصل نشوان
ويمم بها الوادي المقدس بالحمى بها الماء صدا والكلا نبت سعدان
واهد حلول الحجر منه تحية تفاوح عرفا ذاكي الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة فهاجت مع الأسار شوقي وأشجان
[217]وفت من الشرق في الغرب مسكة سحبت بها في أرض دارين أرداني
وأذكرني نجدا وطيب عراره نسيم الصبا من نحو طيبة حياني
أحن إلى تلك المعاهد إنها معاهد راحتي وروحي وريحاني
وأهفو مع الأشواق للوطن الذي به صح لي أنسي الهني وسلواني
وأصبو إلى أعلام مكة شائقا إذا لاح برق من تهامى وتهلان
أهيل الحمى ديني على الدهر زورة أحث بها شوقا لكم عزمي الواني
متى يشتفى جفني القريح بلحظة تزج بها في نوركم عين إنسان
سقى عهدكم بالخيف عهدا تمده سوافح دمع من جفوني هتان
وأنعم في شط العقيق أراكة بأفيائها ظل المنى والهوى داني
أحيي ربوعا بين مروة والصفا تحية مشتاق بها الدهر حيران

ربوعا بها تتلو الملائكة العلا | أفانين وحي بين ذكر وقرءان
وأول أرض باكرت عرصاتها | ورشحت البطحا سحائب إيمان
وعرس فيها للنبوة مركب | هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدى بها الروح الأمين رسالة | أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فض ختمها أشرف الورى | وفخر نزار من معد بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها | وسيد أهل الأرض من الإنس والجان
ومن بشرت ببعثه قبل كونه | نوامس كهان وأخبار رهبان
ورحمة هذا الكون لولاه ما سمت | سماء ولا غاضت طوافح طوفان
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع | تسيح فيها أدم حور وولدان [218]
ولا طلعت شمس الهدى عن دجنة | تجهم من ديجورها ليل كفران
ولا أحدقت بالمؤمنين شفاعة | يذود بها عنهم زباني نصران
له معجزات أخرست كل جاحد | وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى | بماء همى من كفه كل ظمآن
وانطلقت الأصنام نطقا تبرأت | إلى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عجمى فلبت وأقبلت | تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
وضاءت قصور الشام من نوره الذي | على كل أفق نازح القطر أوداني
وقد بهج الأنوا بدعوته التي | كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
وإن كتاب الله أعظم آية | بها افتضح المرتاب وابتأس الشاني
وعز على شأو البليغ بيانه | فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبي الهدى من أطلع الحق أنجما | محا نورها إسراف إفك وبهتان
لعزتها ذل الأكاسرة الألى | هم سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفي بالظبا | تراث الملوك الصيد من ولد يونان
ونقع من سمر القنا السمر قيصرا | فجرعه منه مجاجة ثعبان
وأضحت ربوع الشرك والكفر بلقعا | يناغي الصدا فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا تروق نضارة | ووجه الهدى بادي الصباحة للداني

أيا خير أهل الأرض بيتا ومحتدا وأكرم كل الخلق عجم وعربان
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
إليك بعثناها أماني أجذبت لتسقي بمزن من أياديك هتان[219]
أجرني إذا أبدي الحساب جرائمي وأثقلت الأوزار كفة ميزاني
فأنت الذي لولا وسائل عزه لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا وما ست على كثبانها ملد قضبان
وحمل في جيب الجنوب تحية يفوح بمسراها شذا كل توقان
إلى العمرين صاحبيك كليهما وتلوهما في الفضل صهرك عثمان
وحي عليا عرفها وأريجها ووالي على سبطيك أوفر رضوان
إليك رسول الله صممت عزمة إذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت مني القلب وهو مقلب على جمرة الأشواق فيك فلباني
فياليت شعري هل أزم قلائصي إليك بدارا وأقلقل كيزاني
وأطوي أديم الأرض نحوك رافلا نواجي المهاري في صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين إلى الحمى إذا غرد الحادي بها ثم غناني
وهل تمحون عني خطايا اقترفتها خطأً لك في تلك البقاع وأوطان
وماذا عسى يثني عناني وأن لي بآلك جاها صفوة العز أوطاني
إذا ند عن زوارك الباس والغنى فجود ابنك المنصور أحمد أغناني
عمادي الذي أوطا السماكين أخمصا وأوفى على السبع الطباق فأدناني
متوج أملاك الزمان وإن سطا أحل سيوفا في معاقد تيجان
وقاري أسود الغاب بالصيد مثلها إذا اضطرب الخطي من فوق جدران
هزبر إذا زار البلاد زئيره تضاءل في آجامها أسد خفان
وإن أطلعت غيم القتام جيوشه وأرزم في مركوبه رعد نيران[220]
صببن على أرض العداة صواعقا أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت صفاه الجياد الجرد تعدو بقيعان
عديد الحصا من كل أروع معلم وكل كمي بالرديني طعان

إذا جن ليل الحرب منهم صلّى العدا — هدتهم إلى أوداجها شهب خرصان

من اللائى جرعن العدا غصص الردى — وعفرن في وجه الثرا وجه بستيان

وفتحن أقطار البلاد فأصبحت — تؤدي الخراج الجزل أملاك سودان

إمام البرايا من عليّ نجاره — ومن عترة سادوا الورى آل زيدان

دعائم إيمان وأركان سؤدد — ذوو همم قد عرست فوق كيوان

هم العلويون الذين وجوههم — بدور إذا ما أحلكت شهب أزمان

وهم آل بيت شيد الله سمكه — على هضبة العلياء ثابت أركان

وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت — بفضلهم آيات ذكر وفرقان

فروع ابن عم المصطفى ووصيه — فنا هيك من فخرين قربى وقربان

ودوحة مجد معشب الروض بالعلى — يجود بأموال الرسالة ريّان

بمجدهم الأعلى الصريح تشرفت — معد على العرباء عاد وقحطان

أولائك فخري إن فخرت على الورى — ونافس بيتي في الولا بيت سلمان

إذا اقتسم المداح فضل فخارهم — فقسمي بالمنصور ظاهر رجحان

إمام له في جبهة الدهر ميسم — ومن عزه في مفرق الملك تاجان

سما فوق هامات النجوم بهمة — يحوم بها فوق السماوات نسران

وأطلع في أفق المعالي خلافة — عليها وشاح من علاه وسمطان

إذا مااحتبى فوق الأسرة وارتدى — على كبرياء الملك نخوة سلطان [221]

توسمت لقمان الحجا وهو ناطق — وشاهدت كسرى العدل في صدر إيوان

وإن هزه حر الثناء تدفقت — أنامله عرفا تدفق خلجان

أيا ناظر الإسلام شم بارق المنا — وباكر لروض في ذرى المجد قينان

قضى الله في علياه أن تملك الدنا — وتفتحها ما بين سوس وسودان

وأنك تطوي الأرض غير مدافع — فمن أرض سودان إلى أرض بغدان

وتملؤها عدلا يرف لواؤه — على الهرمين أو على رأس غمدان

فكم هنأت أرض العراق بك العلا — ووافت بك البشرى لأطراف عمان

فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم — أتاك استلابا تاج كسرى وخاقان

ولو نشر الأملاك دهـرك أصبـحت	عيـالا علـى علياك أبـنـاء مروان
وشايعك الســفاح يقتـاد طائعا	برايتـه السوداء أهل خـراسـان
فما المجد إلا مـا رفعت ســماكـه	على العمد السمـر الطوال وحـدان
هاتيك أبكار القـوافي جليتهـا	تـغازلـهـن الحـور في دار رضـوان
أتتـك أميـر المؤمـنين كأنـها	لطائم مسـك أو خـمـائل بستـان
تعاظمن حسنا أن يقـال شبيههـا	فـرائد در أو قلائـد عـقيـان
فلا زلت للدنيـا تحـوط جهاتـها	وللدين تحميه بملـك سلـيمـان
ولازلت بالنصر العزيـز مـؤزرا	تقاد لـك الأمـلاك فـي زي عبـدان

قال في **نفح الطيب** [24]: أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله ونافس بيتي في الولا بيت سلمان ، القبيلةالتي منها لسان الدين [222]ابن الخطيب[25]، إشارة إلى ولاء الكتابة للخلافة ، كما كان لسان الدين رحمه الله كذلك .وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي [26]رضي الله عنه.

وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد.ولذلك لم يذكر في **المنتقى** من الأمداح المنصورية غيرها.وقد مدحها في **نفح الطيب** [27]وأثنى عليها جدا.

وتتبع ما قيل في هذا الاحتفال، وإقامة هذا المولد العديم المثال من الأمداح يفضي إلى الطول.وفي هذا القدركفاية.والله الموفق .

---

24 نفح، 23:5

25 محمد بن عبد الله الغرناطي ،ت 1374/776، ينظر :زركلي ،أعلام، 235:6

26 الصحابي المشهور ت 656/36 ،ينظر عنه :زركلي ،أعلام، 111:3.

27 نفح، 23:5.

الفصل الثامن والأربعون

ذكر الخبر عن سيرة المنصور وعيون من أنباء سياسته

كان المنصور رحمه الله حسن السيرة والسياسة حازما [يقظانا][1] مشاورا في قوام الأمور. وقد اتخذ يوم الأربعاء للمشاورة ، وسماه يوم الديوان، تجتمع فيه وجوه الدولة وأعيانها ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور وعظائم النوازل.وهناك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول للأمير.
وكان المنصور ، على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج، يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها.وزاد الأمر على ما كان عليه الحال في عهـــد أبيه ، حسبما سلف ذلك مستوفى في ترجمة أبيه . وكانت الرعية تشتكي منه بذلك ، ونالها إجحاف منه ومن عماله.وكان غير متوقف في الدماء، ولا هياب للوقيعة في ذلك . وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب ، من الإغضاء عن العورات والستر على الفضائح . وقد ألمعنا لك بما يكون دالا على ما وراءه . وذكر أبو زيد في **الفوائد** [223]ما صورته [2]: عدا محمد الكبير ، خال المنصور ، على رجل بدرعة في ضيعة له. فشكاه للمنصور. فقال له : كم تساوي هذه الضيعة ؟ فقال : سبعمائة أوقية. قال له : خذها ، وقل لخالي الموعد بيني وبينك الموقف الذي لا أكون أنا فيه سلطانا ولا أنت خال السلطان. فرجع صاحب الضيعة و أدى له كلامه. فأمسك رأسه بيده ساعة. ثم قال : إلحق ضيعتك ،وغرم له كل ما أكل منها. ويحكي أن الفقيه قاضي الجماعة بفاس، أبا مالك عبد الواحد الحميدي رحمه الله، مر ذات يوم مع فقهاء فاس وأعيانها لمراكش بقصد العيد مع المنصور

---

1 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم6.

2 فوائد، 142.

كما هي العادة. فمروا في طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة أخذها الطلق، وهي في كرب المخاض. فرأوا من ذلك أمرا يحزن رائيه ويهم ناظره. فبقي ذلك في خاطر القاضي. فلما جلس مع المنصور ألقى إليه ذلك ، وأظهر منه الشكاية. فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك أياما . فلما فهم القاضي غضب المنصورتلطف له في القول وأظهر له التوبة مما صدر منه ، وعده بادرة . فقال له المنصور: لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك عشرة أيام في أمن ودعة. فإن أهل الغرب مجانين مارستانهم هي المحن من السلاسل والأغلال. وكان للقاضي المذكور إدلال على المنصور، لأنه شيخه . فكان المنصور يتحمل منه لمكان الشيخوخة . ولقد وفد عليه مرة مع الطلبة في بعض المواسم. فلما انصرفوا من [224] الحضرة ، جمعتهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الأغاني من أهل فاس. وقد كانوا وفدوا أيضا معهم على سبيل العادة. فأخرج بعضهم شبابة من الإبريز مرصعة ، أعطاها له المنصور. وبعضهم قال : أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا ، مما لم يعط مثله للقاضي ولا لأحد من شيعته من الطلبة، فضلا عن غيره فقال : إن بلغت فاسا لأردنّ أولادي لصنعة الموسيقى ، فإن صنعة العلم كاسدة . ولولا أن الموسيقى هو العلم العزيز ما رجعنا مخففين[3] ورجع الآلي بشبابة الإبريز. فنقل كلامه هذا للمنصور ، فلذعه عليه من الملام بيسير. وحكى عن بعض الطلبة أنه كان يوما بين يدي المنصور ، فأنشد الطالب البيتين المشهورين:

زمانـنا كأهلـه   وأهله كما ترى

وسيره كسيرهم   وسيره أتى ورا[4]

وخفض زمانـنا عند الإنشاد للبيتين.فقال له المنصور كيف خفضت الزمان ؟ فقال له الطالب :والله لأخفضنه كما خفضني . فأعجب ذلك المنصور، وعده من حسن الاعتذار.وذكر أن بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة ، فأخذ لها مالا. فقدمت المرأة

---

[3] بخفين في م1 وم3

[4] سقط البيت في الحجرية وم1 وم2.

على المنصور لمراكش لتشكو له حيف عامله. فلما شكت عليه لم يشكها ولا كشف ظلامتها. فخرجت لأولادها وقالت لهم : انصرفوا ، فإني كنت أظن أن رأس العين صافية. والآن حيث وجدتها مكدرة منها تكدرت مصارفها[5].

وأخبار المنصورفي هذا المعنى كثيرة . والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه .

5 معيشتنا في الحجرية .

الفصل التاسع والأربعون

ذكر ما أنشأه[225] المنصور من المآثر وما وقع في أيامه من الأحداث والكوائن

قال في **مناهل الصفا** [1]: للمنصور مصانع اخترعها ومآثر خلفها ؛ منها المعقلان اللذان أنشأهما بفاس ، أحدهما خارج باب عجيسة ، والآخرقبالة باب الفتوح . وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبساتين ،أحدهما البستيون[2]. وهما من الإتقان بحيث لا يعرف قدرهما إلا من وقف عليهما . ومن ذلك الحصنان اللذان بناهما بثغر العرائش ؛ أحدهما يسمى حصن الفتح ، وهما أيضا في نهاية الوثاق والحسن.ومن ذلك معاصر السكر [3]فإنه أحدثها بمراكش وبلاد حاحة وشفشاوة. قال الفشتالي[4] : وكان ابتدأ ذلك والده أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي. فكثر السكر في أيامه بالبلاد المغربية ، حتى لم تكن له قيمة . وقد تقدم أنه كان يشتري الرخام من عند النصارى بالسكر. وذكر في **المنتقى المقصور** [5]أن المنصور في سنة ست وتسعين وتسعمائة بعث الخصة العظيمة لجامع القرويين مع كرسي من المرمر توضع عليه ، وزنهما معا

---

1 المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،183.

2 ينظر عنهما : محمد مزين ، معلمة،1236:4.

3 عن بدايات زراعة قصب السكروتصنيعه ، ينظر :BERTHIER,43، حيث يشير إلى أن أول نص تحدث عن قصب السكر في المغرب هو نص أبي حنيفة الدينوري (ت 1402/805) في كتاب الأنساب .

4 المناهل ، تحقيق عبد الله كنون ،185.

5 المنتقى ،841:2.

مائة قنطار. وهذه الخصة هي التي تحت منار الجامع المذكور.
وقال ابن القاضي مؤلف **المنتقي** فيما ينقش برقبتها:

إمام دار الهدى المنصور شيدني   بحر المكارم من أبناء عدنان

حزت المفاخر بالمنصور أجمعها   ومن علاء[6] مقام المجد أرساني[7][226]

من جاء يشكو الظما يوما وقبلني   أغناه ما قد همى من صوب أجفاني

لا تنكرن وجود الدمع من فرح   فالعين تدمع من إفراط سلوان

واشرب هنيئا من السلسال لاحرج   معين دمع جرى من فيض خلجان

فخر السلاطين من أبناء فاطمة   من صيته شاع في أطراف عمان[8]

وقد جرت مقلتي حاكت سحائبها   كف الخليفة من أبناء زيدان

لا زال للدين والدنيا يسوسهما   ما هيجت عاشقا ورق بأفنان

أنشائني[9] زمن التاريخ وافقه   للدين والأجر بحر الجود سوّاني

ومن علم الهندسة فائدة جليلة ، وهي إن قيل بأي شيئ يتوصل إلى معرفة وزن هذه الخصة مع كرسيها ، وأن فيهما مائة قنطار ، مع أن الوزن لا يمكن في ذلك ؟ فالجواب : أن كيفية التوصل لذلك أن توضع الخصة في فلوكة أو سفينة مثلا، ويرشم على الموضع الذي بلغه الماء من جرم تلك الفلوكة أو السفينة ، حيث وضعت فيها الخصة مثلا . ثم تخرج الخصة وتملأ السفينة أو الفلوكة بحجارة أو بتراب أو رمل حتى تغوص في الماء ويبلغ الماء موضع الرشم. فتخرج تلك الحجارة أو التراب أو الرمل ويوزن شيئا فشيئا . فيتوصل بذلك إلى معرفة مقدار وزن الشئ الثقيل هكذا ذكره ابن القاضي في **جذوة الإقتباس**[10]، أظنه حيث تكلم

---

6 ومن علاه سنام ، في م 1

7 أوطاني في المنتقى.

8 أشاع صيته في أطراف عمان ، في م 4 وم 5 والمنتقى.

9 إذ شادني في المنتقى.

10 جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد ابن القاضي ، صدر عن دار المنصور ، الرباط، 1973 ، في جزئين. والنص ورد فيه ، 1:46.

على صهريج الرخام الذي بالمدرسة المصباحية. ورأيت بها بخط شيخ شيوخنا العلامة المحقق أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي [11]،رحمه الله ، ما معناه : هذا إذا [227] كان ما وضع في السفينة أو الفلوكة مثلا شيئا ثقيلا كالحجارة أو الرصاص مثلا. وأما لو وضع فيها شيء خفيف كالشعرأوالصوف ، فلا يتوصل إلى المقصود بذلك ،والله أعلم.

وفي عام سبعة وثمانين وتسعمائة ، وقع غلاء عظيم حتى عرف ذلك العام بعام البقول. ووقع سعال عظيم أصاب الناس عامة في بعض فصول ذلك العام فلا يزال الإنسان يسعل إلى أن تقبض [12]روحه ، ولهذا سمي العام عام كحيحة . وفي أيام أبي مروان عبد المالك ، ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير في برج العقرب . وبقي يسيرا ثم ذهب .وظهر بعده كوكب آخرذو ذنب أصغر من الأول . وظهر في أيام السلطان أبي محمد عبد الله الغالب في السماء نجمة كبيرة لم تكن معهودة .ثم ظهرت في أيام ولده محمد بن عبد الله أعلام حمر في الجو بالناحية الشرقية تبعتها في الأرض أجناد الأتراك التي جاء بها أبو مروان من الجزائر . كما أنه وقع إثر ظهور ذي الذنب جيوش النصارى التي جرها محمد بن عبد الله لوادي المخازن. وفي ثاني ذي القعدة عام سبعة وتسعين وتسعمائة ، أخلى النصارى دمرهم الله أصيلا . وحملهم على ذلك الرعب والخوف من المنصور ففروا بأنفسهم وأولادهم وحملوا ما خف من أموالهم . وفي ذلك يقول أبو العباس أحمد ابن القاضي :

يا أيها المنصور أبشر بالعلا	فالله بلّغ في العدا المأمولا
أنضاكم سيفا لحتف عداته	وبم غدا سيف العدا مفلولا
وهزمتم الشرك المتين بعزمكم	من غيرسيف قد يرى مسلولا[228
وأذبت أكباد الخبيث بهمة	وفتحتم دار العدو أصيلا
أكرم به من مالك بل صالح	أضحى لبارود العداة خليلا

11 ينظر عنه وعن مؤلفاته التي بلغ عددها 196 :EL FASSI,UNE LISTE ,P:65

12 تفيض في الحجرية و م1 وم2 وم4

لا زال في أفق العلا شمسا وفي   عين العلاء يشاكل التكحيلا

وأشار بقوله : إلى بارود العداة خليلا ، لما عمله النصارى لما أرادوا الخروج من أصيلا ، حفروا تحت قصبتها حفيرا وملأوه بارودا وأوقدوا فتيلة تبلغه عند مقدار دخول المسلمين[فيهلكون.فذهب نصراني وأخبر المسلمين][13] فنجاهم الله من الوبال ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وفي عام واحد وألف أتي بالفيلة من السودان للمنصور . وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا ، برز كل من في المدينة لرؤيتها من رجال ونساء وصبية وشيوخ .ثم في رمضان عام سبعة وألف حملت لفاس أيضا . قال بعضهم : وبسبب دخول هذه الفيلة للمغرب ، ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتبغ [14]. لأن أهل السودان الذين قدموا يسوسون الفيلة قدموا يشربونها ، ويزعمون أن فيها منافع . فشاعت عنهم في درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب . وتعارضت فيها فتاوى العلماء رضوان الله عليهم من لدن ظهورها ، فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ومتوقف . والعلم فيها عند الله تعالى .

وفي عام ثلاثة وتسعين ثار رجل يقال له الحاج قرقوش [15] بجبال غمارة والهبط [16]، وتسمى بأمير المؤمنين . وكان في بدء أمره حائكا فتلبس بالزهد والصلاح ، فأخذ [229] وقتل وحمل رأسه لمراكش .

وفي ذي الحجة [17]من عام ستة وتسعين ،ارتحل المنصور لفاس، فبينما هو في الطريق ، إذ وافته البشرى بالفتك بنصارى

---

13 زيادة في م3 وم4

14 تبغة في الحجرية. وينظر :محمد حجي ،التبغ في المغرب ، في :جولات،2: 580.وكذا:حركة،1:246 .

15 الغماري ، ذكره في المناهل ،تحقيق عبد الله كنون ،46

16 ينظر الوزان ،وصف ،1:306.

17 ذي القعدة في الحجرية وم2 وم6.

سبتة ، وأن زعيم الفئة الجهادية أحمد النقسيس[18] كمن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع ، فخرج النصارى بأولادهم وحشمهم ، فحالوا بينهم وبين سبتة ، وكادوا يفتحون سبتة . وأنشد له في ذلك الكاتب الأرفع البليغ أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بيتين زجر له منهما الفأل باستيلائه عليها :

هـذه سبتـة تـزف عروسـا   نحو ناديك في شباب وشيب
وهي بشرى وأنت كفؤ اللواتي   كلفت بعدها بـفتـح قريـب

وفي جمادى الأخيرة من عام تسعة وألف ، كان سيل عظيم بفاس . ثم في شعبان من السنة كان سيل أعظم من الأول ، هدمت به الدور وتهدم سد الوادي بفاس على وثاقه وإحكامه . وهذا السد هو الذي أنشأه السلطان أحمد الوطاسي . ولما فرغ من بنائه قال الإمام سيدي علي ابن هارون فيه :

لقد سدد الله رأى العبـاد   وأبطل في السدّ رأي الجهـول
وقرب ما رامه من بعـاد   بمولاي أحمد مدحـي يطـول
فطردا وعكسا لساني ينادي   عقول الملوك ملوك العقـول

وقال فيه الشيخ أبو زكرياء يحيى السرّاج ما نصه :

ألا سدّد اللـه رأى الـذي   بتسديده سد سدا حصينـا [230]
وخلد في عـزة ملكـه   وولاه فتـحا ونصرا مبينا
إمام الهدى أحمد المرتضى   مبيد العدا عدة المسلمينـا

وقال فيه الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشرسي رحمه الله :

أيا أهل فاس سدد الله سدكم   برأي أبي العباس حامي حمى فاس
أحيى به أشجاركم وثماركم   على رغم قوم منكرين من الناس
فدام ودام السعد يخدم سعده   وفاز من الشكر الجميل بأجنـاس

قال شيخ مشايخ شيوخنا الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد

---

18 ينظر عنه :محمد داود ،تطوان ، 1:177.

بن سعيد المرغيتي في فهرسته [19]، عند قوله تعالي : *ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين* [20]،ما نصه : عجيبة من حكاية غريبة فيها موعظة : كان رجل بمراكش يقال له علي الشمال ، في مدة السلطان أبي العباس أحمد المنصور ، فدخل يوما من أيام الله بيته ، فالتفت إلى سريره ، فرأى غلاما أسود فوق فراشه راقدا ، فصاح به وطلب سيفا ليقتله ، فقال له الغلام : أمهل على نفسك فإنك لا تقدر علي بشيء . فقال له : لم ؟ قال : أنا شيطان سلطت عليك قال : ولم سلطت علي ؟ قال : ويحك ألم تسمع قول الله عز وجل : *ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين*. قال الرجل : نعم ، صدق الله العظيم . ثم قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم *بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين* [21]، واستمر يقرأ والشيطان يضعف ويذوب حتى غاب . فصار الرجل يختم القرءان كل يوم ختمة وصلحت حاله ، انتهى [231] والحمد لله على فضله وكرمه وجوده وإحسانه.

---

19 ت 1678/1089 ، ترجم له :المراكشي ،إعلام ،304:5.وقد ورد النص المذكور في مخطوط خ ع بالرباط رقم 285د ،ورقة 110 وجه وظهر .

20 قرآن كريم ، سورة الزخرف ، الآية 35

21 قرآن كريم سورة الفاتحة.

الفصل الخامس

ذكر مشاهير كتابه ووزرائه وولاة مقاصد وقضاته

أما كتابه فكثيرون ، ومن أشهرهم أبو فارس عبد العزيزابن محمد بن إبراهيم الفشتالي . قال في **درة الحجال** [1] في حقه : وزير القلم الأعلى أبو فارس عبد العزيز الفشتالي [2]، فقيه أديب ناظم ناثر ، وهو متولي تاريخ الدولة المنصورية ، تاريخه المذكور، في مجلدات اشتمل على تاريخ دولة ساداتنا الشرفاء من أولها إلى وقته ، مشتملا على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك ، وعلى محاسن أبي العباس المنصورمولاي أحمد الذهبي ، رحمه الله . وألف **مدد الجيش** [3]، أي جيش **التوشيح لابن الخطيب** السلماني [4]، وألف **مقدمة في ترتيب ديوان المتنبي** [5]على حروف المعجم . وله من النظم الرائق كثير. وكان رحمه الله واسع الإيثار ، عالي الهمة ، متين الحرمة ، فصيح القلم ، زكي الشيم ، ذكي البلاغة والبراعة، فارس الدواوين واليراعة . أخذ عن جماعة

---

1 درة،129:3

2 الصنهاجي في م1 وم6 والدرة

3 ينظر عنه:محمد حجي ، حركة،152:1 ، وجاء في الهامش 107:"كان المدد ضمن مخطوطات مكتبة القرويين بفاس في أوائل هذا القرن ، ثم استعاره بعضهم ولم يرده. وتوجد الآن ستة أوراق من مدد الجيش ضمن مجموع أدبي في مكتبة خاصة بسلا.كما ذكرته نجاة المريني، شعر الفشتالي ،88.

4 محمد بن عبد الله ، لسان الدين ت 1374/776 .ينظر:ابن القاضي ،جذوة،1: 308 المراكشي ،إعلام،443:4.

5 المتنبي ، الشاعر المعروف ت 965/354 . من نسخ مقدمة الفشتالي في خ ع بالرباط رقم 609 ج .ينظر :محمد حجي ، حركة ،149:1 .نجاة المريني شعر الفشتالي ،98.

كأبي العباس المنجور ، وأبي العباس الزموري ، وأبي مالك عبد الواحد الحميدي ، وغيرهم من علماء الوقت. ولد سنة ست [6] وخمسين وتسعمائة . وذكر صاحب **الإعلام** [7] أن من تآليفه شرح **مقصورة المكودي** [8] رحمه الله . وقال في **نفح الطيب** [9]: وكان سلطان المغرب المنصور يقول : إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض ، و نباري به لسان الدين ابن الخطيب . ومما وقع له مع المنصور[232] أنه كتب له يشكو له بعض ما أهمه من أمر دنياه ، فوقع له المنصور من نظمه بيتين بخطه وهما :

يا كاتبا إذا كتب	غرس روضا ذا فنن
إن جوابي للذي	يشكو دناه اردد حزن

يعني درهم . هكذا وجدت هذين البيتين في بعض مسوداتي ، ولا أدري من أين نقلتهما [10]. وما أحسن ما قال أبو علي الحسن المسفيوي المراكشي مما نقش في بعض مباني الكاتب أبي فارس عبد العزيز المذكور، وذكرهما في **نفح الطيب** [11]:

أجل المعالي من قداح سرور	وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني	فكسته في الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشي المفوق حلتي	نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة	لي بالسنا الممدود والمقصور

6 بضع في الحجرية،بياض في م1وم3 ،خمس في م2 وم5

7 الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر ، للفاسي ، عبد الله بن محمد ت 1718/1131قامت بتحقيقه فاطمة نافع ،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا،كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

8 ت 1404/807.ينظر عنه:ابن القاضي ،درة،3:84.

9 لم يرد هذا القول في نسخة النفح المعتمدة.

10 سبق للإفراني أن ذكر هذين البيتين في الفصل 46 ، وذكر أنه أخذهما من مناهل الفشتالي.

11 نفح ،6:49.

في المبتنى المراكشي وأفقه	أزري عى الزوراء والخابور
أعلى مقامي البارع الأسمى الذي	قد حاز سبق النظم والمنثور
فإذا أقل بنانه أقلامه	بعثت[12] عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب	سر الخليفة أحمد المنصور
لازال في يمن وأمن ما شدت	ورق بروض بالندى ممطور

وقد ذكر في **نفح الطيب**[13] مراسلة كتب بها إليه ، فراجعها.وكانت وفاته رحمه الله سنة اثنين وثلاثين وألف ، حسبما [233]ذكره صاحبنا في كتاب **الإعلام**[14]. وإلى تاريخ وفاته أشار الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي في **لامية الوفيات**[15]، فقال :

يد النثر أمست وهي شلا لصاحب به جيد هذا الدهر غير معطل

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى[16] . وهو مؤلف كتاب **المدود والمقصورمن سنا السلطان أبي العباس المنصور**.
ومن شعره قوله :

إذا الدهر أعطاك منه المنى	فدعه فذاك العطا لا يدوم
ولا تأمن عدله في الورى	فما الدهر إلا كقاضي سدوم

ومنه أيضا :

إذا نلت من ملك بلغة	فكن بالذي نلت خير قنوع
ولا تأمن عدله في الورى	فإن الوقوع[17] بقدر الطلوع

---

12 نفثت في النفح .

13 نفح ،6:6 5.

14 الإعلام المحقق ، ص2 3.

15 المكلاتي الكبير ،محمد بن أحمد ت 1041/1631 .ووفياته منظومة من 24 بيتا استدرك بها منظومة الفشتالي .ينظر :محمد المنوني ،مصادر،148:1 .وينظر :محمد حجي ،كناشة أدبية ،في :جولات ، 164:1 و:حركة،374:2.

16 سبق ذكره ، وينظر عنه أيضا : Pianel,du nouveau sur Ibn Isa

17 النزول ، في الحجرية وم2 وم6.

ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي ، وكان أديبا .
وهوالقائل في هجو العدول :

إن العدول الذي جاء الزمان بهم   عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
أحداث سن وألباب كسنهم   تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

وله في مدح المنصور :

فخر الخلائف إن عبدك واثق   بالنجح من علياكم ومحقق
فنوالكم عم البسيطة كلها   لم يبق معه في البرية مملق
فالغرب يرفل في ثياب جمالكم   وجلالكم يرتج منه المشرق
أمطر علي سحاب جودك ترة   وانظر إليّ برحمة لا أغرق[234]

ومنهم الكاتب البليغ أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي [18]، كان من صدور الحلبة ومن قطوف أزهار الأدب وبرع في الإنشاء . وقد رأيت رسالة حلاه فيها أبو فارس عبد العزيز الفشتالي بما يدل على علو همته وسمو طبقته في العلوم . ومن شعره جوابه عن لغز الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن ابراهيم المشنزائي [19] وهو:

أحاجي فاضلا حبرا نجيبا   ليعرب عن ضمائرنا بفهم
فما اثنان استطالا واستداما   وقد قسما الزمان بدون ضيم
وخل زارني بعد امتلاء   ويقسم أن يواصل أي سقم
وضيف جاءني من غير أرض   فناولناه شاة دون عظم

ونص جواب أبي عبد الله الوجدي المذكور :

فدتك النفس مولود أتاكم   وتلك الشاة فاعلم ثدي أم
وذاك الخل ضاهي وجه حب   وحسن سمائه يجلى بوهم[20]
والإثنان اللذان قد استطالا   نهار كان منه بديل يوم
وليل مثل عرض الأرض طولا   على أني حرمت فيه نومي
فدونك سيدي حل الأحاجي   وعش مادام قطر السحب يهمي

ومن شعره أيضا :

---

18 المعروف بالغماد ، ت 1624/1033 ،ينظر عنه :محمد حجي ،حركة،2:432 .

19 الدكالي ،ت 1554/962 .ينظر عنه: محمد حجي ،حركة ،2:352.

20 بهمٌ ، في الحجرية وم2.

وعشية قصرت بوصل حبيب ياليتها سمحت بترك غروب[21]
وكذاك أوقات السرور قصيرة مذ كانت اللقيا بغير رقيب

ومن خط ابن القاضي رحمه الله ما صورته : أنشدني بمراكش أبو عبد الله [235] الوجدي لنفسه في ربيع الثاني عام ستة وألف :

لبس الصفرة كي يزهو بها شادن [22]من جنة الخلد نفر
خلته من حسنه لما بدا هالة الأفق في وسطاها القمر

وأنشدني لنفسه أيضا :

وصفراء كالشمس المنيرة نورها لها في خدود الشاربين مطالع
إذا لمعت في الكأس قال مديرها أبدر بدا من جانب الغور لامع

توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وألف ، ذكره في **الإعلام**.

ومنهم الأديب البليغ الكاتب أبو الحسن علي بن أحمد الشامي .وأولاد الشامي ينتمون للخزرج ، ولهم مصاهرة مع المنصور . وكان أبو الحسن فقيها مشاركا وله نظم رائق وقلم فائق،ذكر منه المقري في كتابه **فتح المتعال في مدح النعال** [23] جملة وافرة.توفي عام اثنين وثلاثين وألف ، ذكره أيضا في **الإعلام**

ومنهم الكاتب الشهير الصدر أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي ، وهو صاحب **الوفيات** نظما على روي اللام . وله شعر حسن ذكرنا منه فيما سلف جملة.

وممن يعد في الكتاب وإن كان قدره أعلى من الكتابة ، الفقيه الأديب الأوحد الأريب ، أبو عبد الله محمد بن يعقوب من أيت يوسي [24]، قبيلة من البربر بسوس، وكان صدر الأدباء في وقته بمراكش وغيرها . بحيث كان الكتاب يرجعون إليه في عويص المكاتبات ، ويترافعون إليه في حل المشكلات والمهمات . وحسبك أن الإمام سيدي أحمد بابا السوداني نقل عنه في **كفاية المحتاج** ووصفه بالثقة الناقد ، وقال فيه : لم ألق [236] بالمغرب أثبت

21 غريب في الحجرية وم6.

22 شارد في م1 وم3.

23 ينظر عنه : محمد حجي ، حركة ،168:1.

24 الأيسي المراكشي ، الملقب بصدر الأفاضل .ينظر عنه: حجي ، حركة ،396:2.

ولا أصدق ولا أعرف بطرق العلم منه . ولابن يعقوب هذا فهرسة [25] وشعر حسن . ومن نظمه في البهائم التي تدخل الجنة :

وكبش الخليل ثم هدهد ذوالنبا حمار عزيز ثم ناقة صالح
وعجل الخليل ثم ناقة أحمد كذا كلب أهل الكهف أفضل نابح
وصفراء موسى لونها سر ناظرا ونملة قالت وهي أنصح ناصح
تحل جنانا ثم سابح يونس مقاتلهم يرويه عن ذي النصائح

ومن شعره قوله :

أبيت كأن في العيون مراودا سميرا ولا تحلو لدي المراقد
أهيم بأمر لو وجدت مساعدا إذا عظم المطلوب قل المساعد

وعارضه أبو العباس ابن القاضي فقال :

وقائلة لمَ لا أرى لك ناصرا وأنت غريب في الأنام مباعد
فقلت لها إن المعالي مطلبي إذا عظم المطلوب قل المساعد

وبالجملة فكتاب المنصور لا يستوفيهم الحصر،وفي هذا القدرالذي ذكرناه كفاية .

وأما وزراؤه فذكر في شرح درة السلوك منهم : عبد العزيز بن سعيد المزوار المعروف بولد مولات الناس . وقال في درة الحجال [26] في حقه ما نصه : عبد العزيز بن سعيد المزوار الوزكيتي صاحب [27] أحمد الذهبي رحمهما الله ، يعرف بالقائد عزوز صاحب جبل درن من ولد مسعود بن واركاس [28] ، قائد أعنة الناصر الموحدي بغزوة العقاب ، من [237]بلاد الأندلس . عرف بجده المذكور صاحب روض القرطاس [29] .ولعبد العزيز هذا همة في المعالي وجمع الكتب العلمية . ويقال إنه كان عنده من الدفاتر

---

25 ينظر عنها: محمد حجي ،حركة، 155:1 و 396:2.

26 درة ، 129:3 ،بالحرف .

27 حاجب في م3 وم4 .

28 أركاس في م3 وم4.

29 لم يرد في المطبوع المعتمد.

ثمانون ألف [30] مجلد . ولد بتارودانت سنة ست وخمسين وتسعمائة . وبيتهم بجبل درن بيت عظيم معتبر.

ومنهم مولود مولاه [31]، والناصر بن علي بن شقرا.

وذكر صاحب **الفوائد** [32] قال : كان في الدولة المنصورية شاعر يسمى الدايم ، وكان هجاء مداحا.فمن مدحه في القائد إبراهيم السفياني [33] قوله :

له في ظلام الليل وقفة راهب   وعند اصطلاء الحرب حرمة ماجد

وقال في الشرطي محمد بن الحسن المعروف بالمسمار:

كم من سيوف مضت شال الزمان بها   أطامع بعدها في الخلد مسمار

وقال في القائد مومن بن ملوك العلج :

فإن كان كل المؤمنين كمؤمن   فلا حملت بالمؤمنين الحوامل

وأما ولاة مظالمه ، فقال ابن القاضي أيضا : أبو الحسن علي بن سليمان التملي ابن أخي الفقيه المعظم الحسن بن عثمان . وقد وصفه الفقيه سيدي عبد الرحمن التلمساني ثم الرداني في بعض أسئلته بالأمين الناصح والفقيه الصالح . وقد تقدم ما وصفه به المنجور في ترجمة عم أبيه المذكور ، وكان ولي المظالم للسلطان أبي محمد عبد الله الغالب كما سلف . وهو أول من قطن بالمواسين من أهل بيته . [238] وفيهم يقول الفقيه الأديب اللوذعي الأريب ، سليمان بن ابراهيم بن سليمان [34]:

بالله إن وطئت مراكشا قدمك   وجزت يوما على تلك البساتين

ألا تقدم أمرا قد هممت به   حتى تحيي سكان المواسين

وأما قضاته :ففي مراكش الفقيه القاضي أبو القاسم بن علي الشاطبي،ولي القضاء مدة طويلة . وفيه يقول الفقيه الفاضل

---

30 ألف في م5 ،ثمانون ألفا في م1 وم3 وم4 ، خمسون ألفا في باقي النسخ.

31 في المناهل ،تحقيق كنون ، ص 164:"حاجب بابه العالي ونشأة داره الكريمة"

32 فوائد،185.

33 ابراهيم بن محمد السفياني الروقي ، ينظرعنه: المراكشي ، إعلام ،1:181

34 التملي، ت بعد 999/1591 .ينظر :محمد حجي ،معلمة،2558.

الناظم الناثر ، أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي [35]:

تولى القضاء بمراكش	فقيه له همة عالية
يواسي القريب ويعطي الغريب	ويسرد أحكامه الماضية
ولا عيب فيه سوى أنه	تصول به أمة جارية
وتحكم فيه فهو لها	مطيع وهي له عاصية
سأنشده قول من قد مضى	لأن القوافي له داعية
فياليته لم يكن قاضيا	ويا ليتها كانت القاضية

فأجابه أبو القاسم بقوله :

أعبد العزيز القبيح الصفات	تعرضت ويحك للمهلكات
أتطمع يا نذل في خطتي	وأنت جهول بحكم الصلاة
أما تذكرن زمانا مضى	وأنت وعرسك عند الرماة
فطورا تقود وطورا تجود	عليهم بأستك ماض وآت
فكن كأبيك اللئيم الذي	يواسي العصاة ويقصي العفاة
ولا تتعرض إلى خطتي	فإن لساني يشق الحصاة[239]

توفي الشاطبي رحمه الله عام اثنين وألف . وولى القضاء بعده أبو عبد الله محمد بن عبد الله الركراكي المعروف ببو عبدلي، وكان من صدور علماء وقته. جادل علماء فاس فحجهم . توفي ، رحمه الله ، عام اثنين وعشرين وألف . وفي تاريخ وفاته يقول أبو عبد الله المكلاتي في لاميته :

وأما ابن عبد الله قل شبيهه   فيالك من قاض زكي معدل

وكان قاضيه بفاس : الفقيه العالم الصدر أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي . وكان فقيها عارفا بمختصر خليل [36]، دؤوبا على تدريسه مع المشاركة في غيره من العلوم. وكان أول ولايته للقضاء في أيام السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله عام سبعين وتسعمائة . وكان السلطان المعتصم نقم مرة عليه شيئا ، فسجنه مدة . فبعث بأولاده للشيخ سيدي رضوان يطلب

---

35 التغلبي ، في الحجرية وم 1 وم3 وم5 وم6.

36 شرح خليل مختصر ابن الحاجب في ست مجلدات ، ثم اختصره في الكتاب المعروف بالمختصر.ينظر : محمد حجي ،حركة ، 83:1.

منه أن يشفع له عند السلطان المعتصم .فكتب له سيدي رضوان بخط يده، يحضه على الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستمساك بحبله الأعصم لأنه باب الله الأعظم ، ببيتين وهما هذان كما ترى :

ما للنوازل والخطوب تنبهوا إلا الزعيم ومن يقول أنا لها
فالق العنان ببابه مستشفعا وأت البيوت أخي من أبوابها

فقبل القاضي إشارته ، وتوجه الى ربه بكليته ، فأتاه الفرج في الحين.

ولسيدي رضوان أيضا في هذا المعنى :

وإذا الكريم سألته بحبيبه حاشى وكلا أن يخيب سائلا
ومن الكريم سواك رب العالمين ومن الحبيب سوى من أصبح كاملا
[240]وهو النبي محمد أكرم به ساد الأنام أواخرا وأوائلا

وقال ابن القاضي في جذوة الاقتباس [37]، حسبما قرأته بخطه ، إلا أنه شطب عليه بالحمرة ما نصه : عبد الواحد بن أحمد الحميدي الفقيه القاضي بمدينة فاس ، كان حافظا لمذهب مالك إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره ، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه ،ولا يبالي بما فعل ، حتى اكتسب هو ومن والاه أموالا جليلة لا حصر لها. ولما توفي قال فيه صاحبنا أبو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم المشنزائي :

تولى الحميدي وأحزابه وأيام دولته الغاوية
ومات وخفت موازينه وصار إلى أمه الهاوية

وكان القاضي الحميدي المذكور أديبا شاعرا جيدا ، ومن شعره قوله :

من لم يكن للعلم عند فنائه راج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيى المرء طول حياته فإذا انقضت أحياه حسن ثنائه

وقال أيضا في طالب كان يعرف بعثمان الدبدوبي ، وكان كثير الجدال ما نصه:

وصوت عثمان لدى المجالس كصوت بلبال من العتارس

37 لم يرد هذا النص في الجذوة المعتمدة.

ليس له فهم ولا له نظـــــر   جزاؤه الضرب بأذناب البقر

وقال أيضا في طالب آخر يعرف بالحمام، وقد سرقت ثيابه في الحمام وجاء يشتكي ، فأنشده ما نصه :

فلو رأيت مشية الحمام   خرج عريانا من الحمـــام
بصلعة بيضاء كالثغامه   يشبه في مشيته أسامه[241]

توفي رحمه الله عام ثلاثة وألف. وكانت بينه وبين المنجور منافسة ، حتى أن السلطان المنصور قدم المنجورمرة للصلاة ، فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب ، منعه الحميدي.فقال له السلطان : دعه فقد قدمه علمه . فقال الحميدي : إن قدمه علمه فقد أخره نسبه.والله يسامح الجميع بمنه.

وأما قاضيه بتينبكت من بلاد السودان فالقاضي أبو جعفر عمر بن العاقب الصنهاجي [38]، وهو قاضي الجماعة ببلاد السودان وما والاها.

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه ،آمين.

---

38 أبو جعفر عمر ، ت 1585/993 .ينظر :محمد حجي ،معلمة ،585:2.

الفصل الحادي والخمسون

ذكر الخبر عن ولي عهد المنصور وهو ولده أبو عبد الله مولانا المامون المعروف بالشيخ

كان أبو عبد الله محمد الشيخ المامون ولي العهد كما تقدم،وكان خليفة لأبيه المنصور على فاس وما والاها من عمالاتها المغربية كثيرا من حياة أبيه.وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام عام بشأنه.حتى قيل إن المنصور لايختم على ربيعة من المال إلا قال : جعل الله فتحها على يد الشيخ ، رجاءأن يقوم بالأمر بعده ، ويسوس الرعية مثله. فلم يساعده القدر المحتوم السابق المرسوم ، كما قيل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقد وقفت على رسالة كتب بها إليه المنصور ونصها :

من عبد الله المجاهد في سبيل الله ، أمير المؤمنين أبي العباس الإمام المنصور بالله، ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي الشريف الحسني. أيد الله بعزيز نصره أوامرهم وظفر بيمنه ومنه عساكرهم [242] . إلى ولدنا وولي عهدنا الأمير الأجل الأعز الأفضل باب الشيخ. وصل الله كمالكم، وسنى من خير الدارين آمالكم.سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فكتابنا هذا إليكم من حضرة مراكش حاطها الله، ولا جديد إلا ما عوده مولانا من الخير، لله الحمد وله المنة. هذا والذي أوجبه إليكم أسعدكم الله وكلأكم ، أنه بلغنا أنكم قد استخدمتم هناكم جماعة من أولاد طلحة [1]، كأولاد أخي علي بن محمد وأخي محمد بن ملوك وغير هؤلاء . وأنك قد فرضت لهم في أعطياتهم

1 مستقرهم جنوبي وجدة ، وقد عين أحد سلاطين السعديين شيخهم عبد الله بن يعقوب قائدا على منطقة بقوية إلى كبدانة.ينظر:SIHM,ESP,T:II,P:473

نحو خمسة آلاف.وإلى هذا أي مصلحة ظهرت لك في استخدام هؤلاء القوم ؟ حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض. بل ما في ذلك إلا الفساد البين . لأن هذا الذي فرضت لا يفي به الغرب ولا يقوم معه بكم شيء. ومسألة هؤلاء أولاد طلحة إن كنت رأيت استخدامنا لهم ، وأردت تقليدنا في ذلك واقتفاء سيرتنا فيه ، فاعلم أن بيننا وبينكم في هذه المسألة فرقا من وجوه ؛ منها أن مدينة مراكش ليست كمدينة فاس، وأن خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتكم هناك . وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم ، وكنت في بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا طلبوها مني وأنا هناك . فوعدتهم بها، إذ لا يمكنني وأنا في بلادهم إلا مساعفتهم. فلما جاءوا اليوم ، وطلبونا بالـــــوعد ، لم يتمكن لي إلا الوفاء لهم به. وعليه شرطنا عليهم مراكش [243] وسكناها . وعلى هذا الشرط المذكور استخدمنا منهم من استخدمناه . ومع هذه الوجوه والاعتبارات كلها ، فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة. وأنا في ذلك على خطأ. إذ كان الأولى أن نكون حاسنتهم وتركتهم من الخدمة. وأما أنت ففي مندوحة من هذا كله ، لأنه لا وعد لك سابق لهم حتى يلزمك الوفاء به. ويمكنك أن تحيلهم عن إذننا ومشورتنا. فنكفهم عنك بالشرط الذي شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكناها ، وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمنا. وإلى هذا فالذي نؤكد به عليك أن تنقصهم من الخدمة ، ولا تستخدم منهم حتى فارسا واحدا أصلا ، من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة . وأمرناك أن تتنصل منهم ، وتقول لهم : إن السلطان منعني من استخدامكم هنا. وتقرأ عليهم كتابنا الواصل إليكم صحبة هذا ، لتتفادي منهم . ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره لهم. بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم بإظهار البشر والقبول ، وباب الطمع تسده دونهم .

والذي شق علينا أعظم من هذا كله ، واستنكرناه ولم نجد صبرا عليه، هوما وجدناه قد اطلع عليه أولاد طلحة ؛ علي بن محمد وغيره من أخباركم . وألفيناهم قد توصلوا من ذلك [244] إلى

مالم يتوصل إليه والله أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخواص أهل بساطنا. لأن أهل بلادنا أحباء مالهم بحث إلا في مصالح نفوسهم . وهؤلاء الخلق إنما يبحثون على الغرة وعورة المملكة . فإذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء ، وتطلعونهم على أموركم وأحوالكم.مع أن القوم ما زالوا ببلاد العدو وبين أظهره. وإنما الذي يطالعونه نقطع ونجزم بأن الترك قد اطلعوا عليه حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا عليه بأنفسهم. وأيضا لو كانوا أصدقاء، ولا يريدون بنا إلا الخير ، فالقوم عرب لا يتحافظون على ما يطالعون،ولا يفهمون ما يحسن إخفاؤه ولا إبداؤه ، ولا يتمالكون من أنفسهم قولا ولا نطقا. وبالجملة فقد أحرقتنا هذه المسألة ، وتفطرت لها أكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة. وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحافظون في أقل الأمور أن يطلع عليها الأجانب ، وإن كانوا أحب من كل حبيب وأقرب من كل قريب. وما عندكم علم أن أخانا بب منصوركان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه لأخينا بب عبد الله . وحضر في المجلس منصور بن المزوار[2] ، ولم يرد بب منصور لفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور من بإزائه ، لئلا يكون ذلك بمحضره عيب . فشاور القائد دح بن فرج ، وكان [245] بإزائه ، فقال له :هذا الرجل براني فلا تطلب شيئا قدامه . على أن منصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب ما إليهم من خواص الخدام أهل بساطنا محبة وقربا. لأنه كان سلف له معهم خدمة عظيمة . فقد كان عدوا للترك وبينه وبينهم أرواح كثيرة. وحضر مع أخينا بب حم الحران جميع ما كان في تلك البلاد من الوقائع العظام وغيرها ، أيام استيلائه على المغرب الأوسط. ثم مع بب عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة . ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا ، كما جاء منها بب عبد الله بأولاده ، وكما جاء منهم خدامنا أهل هذه البلاد.وما زال على الخدمة والوفاء وحسن العهد حتى حصلت له حرمة

---

2 لم نتمكن من التعرف عليه .وقد ذكر في المناهل :منصور باي (162)ومنصور بن عبد الرحمن (31) ومنصور بن الفيلالي (52)

عظيمة مع أسلافنا.وناهيك بمن بلغ إلى أن قلدوه تازا ثم بلاد الفحص التي لا تعطى كلتاهما إلا لأقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وقربهم وخدمتهم. ومع بلوغه إلى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعا.حتى أنه في دخول صالح رئيس الترك لفاس ، رحل بأولاده إلى هنا مع السلطان ، كما فعل أهل هذه البلدة. وحين دخلنا نحن أيضا من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل لمراكش. ولا يعدون أنفسهم من هذا [246] الجانب أبدا في الحديث والقديم . ثم إن الناس استعروا [3] أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا : إنه براني . فضلا عن هؤلاء الذين لم يزالوا إلى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويراوحونه . فإذا بكم تنزلون معهم إلى أن تطالعوهم على أموركم ، ويتوصلون إلى المعرفة بأحوالكم . فما تمالكنا أن نصبرلهذه المسألة [ولا وجدنا عليها صبرا][4].

ومن جملة الأمور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني إلى أمثال هذه ، أن علي بن محمد كان يتكلم يوما معنا ، وأخذ يثني عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة ، ثم قال : إلا أن الخيل ليست عنده لا في الحركة الأولى ولا في الثانية ، لأن القبائل أهل الخيل امتنعوا عن الحركة معه . وهي التي غاظتني وقلت :كيف يتوصل الرجل البراني إلى أمثال هذه،حتى أنا ما وجدنا إلا الرد عليه وعكس ما عرفنا أنهم اعتقدوه،وقلنا لهم نسبة التقصير إليكم لئلا يعتقدوا خلو البلاد من الخيل ، لأننا فهمنا منهم ذلك. ولهذا أجبته وقلت له :إن ولدنا لم يعط لهم شيئا وأعطى لمن لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال ، من غير مصلحة وعدم المخزانية . ولو أعطى لتلك القبائل لانثالت عليه لأن أولاد مطاع عندهم من الخيل نحو الثلاثة آلاف وعند [247] أولاد أبي عزيز نحو الألف ونصف وعند

3أحجموا في الحجرية.

4 زائد في م1 وم3 وم4

العزفي[5] وعند أولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد أبي راس [6]وعند أحمر وعند المنابهة أهل سايس وعند المنابهة أصحاب عمر بن محمد بن عبّ ، وجعلت أعد له قبائل أهل سوس ، وقبائل مراكش ، وأحصي له خيلهم بما أبهته. وقلت له : لو أنصفهم لحرك منهم نحو ستة عشر ألفا وأكثر . ويكون قد ملأ بهم تلك البلاد وسال عليها منهم سيل عرم، لا في الحركة الأولى ولا في الثانية. ولو وجه إليهم المحركين والرماة لتوجه لهم أيضا بما لا طاقة لهم به منهم ولا خلاص.

وإلى هذا فإنا نوصيكم على المحافظة من أولائك الناس ، ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم ، والاطلاع على أحوالكم ، وعدم الغفلة عن مثل هذا.واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا أن الخلط كلهم رجعوا رماة على يد مصطفى مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف. وكنا انتشبنا معهم بالعودات [7]، فإذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار. وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه ؟ مع أن هذه المسائل ليست بغائبة عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ، ولا طويلة العهد حتى تنساها. بل بالأمس شاهدت وباشرت ورأيت. فما الذي أنساك فعلهم وما زال جرحهم إلى الآن لم يبرأ ، لأن خروج القائد مومن الخارج الآن [248] ما كان إلا اليهم . والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ، ولا تسمع لا لمصطفى ولا لغيره في هذه المسألة . وقد سمعنا أيضا أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين[8] قد صارت محلتهم من باب الخميس [9]إلى دار الدبيبغ . وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل حسين [10]،بالأمس دون بعد ،

---

5 الغربي في م1 وم3 وم4.

6 بوراس في الحجرية.

7 العمودات في الحجرية وم2.

8 حسن في الحجرية.

9 باب عين الخميس في الحجرية ،باب الخنيق في م 1 وم3 وم 4.

10 أولاد حسن في الحجرية ،أولاد حسين في م 1 وم 4 ،أولاد حساين في م5.

من النهب وما أضرموا من نار الفساد والعبث في البلاد ، حتى ينزلوا تلك المنازل. وإلى هذا فساعة وصوله إليك تقبض على قواد الفساد هؤلاء خصوصا أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذي كان أبوه حاجبا عند المريني ، فهو أصل الفساد . ثم لا تترك لقبائلهم جناحا واحدا. وتزيد للقائد مومن بن ملوك[11] ألف رام ليستوفي بهم الغرض في هؤلاء وأمثالهم من كل ما قاموا به . لأن بقاء الرماة ما فيه إلا الاشتغال بالفساد في المدينة . فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا . فكان خروجهم إذاك دفعا لمضرتهم وجلبا للمصالح بهم أولى.

وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم الآن،فإن كتبكم تأتي بخط سالم ، وهو غير عارف بالإنشاء ، وتارة بخط الكرني وهو جاهل . مع أنك ، لما كنت خليفتنا وولي عهدنا ، فأنت بصدد أن يكتب لك كل أحد : إما صاحب الجزائر ، وإما صاحب تونس ، وحتى صاحب الترك ، وصاحب النصارى ، وكل من يكتب لنا من ملوك الأرض بصدد أن يكتب لك . [249] فتحتاج حينئذ إلى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب إليك . ويكون أيضا ممن يوثق به في المحافظة على أسراركم . وإلى هذا فلا بد من تعيين قائد المحلة ، وحاجب ،وكاتب سرك ، وأصحاب مشورتك ، وصاحب المظالم ، كما هو عندنا هنا سيدي علي بن سليمان .

واعلم أن مما نحتاج أن ننبهك إليه مسألة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم مثل ما فعلت في أولاد القائد بركة وإخوته الذين استخدمتهم وعملت لهم خمسمائة أوقية . فنؤكد عليك ألا تستخدم منهم أحدا . فما أعطينا له سلا إلا ليدفع فيها أولاده وإخوته . وكذلك الحكم في أمثاله من كل من أعطيناه عملا ، وقيدناه القيادة . ومن جملة من نحذرك من استخدامه في الرماية أهل الجبال ، من أهل الصحفة والدينار، فلا تستخدم

---

11 عبد المومن بن ملوك في المناهل (102) وانظر علاقته بالقائد مومن بوكرزية ،ت 1604/1013 .ينظر عنه :-SIHM,FR,T:II,P:209,N:4 ANG,T:II,P175,N2

منهم أحدا . وإلا فاعلموا أنكم ما أردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا يفرموا لكم بعد شيئا . وإذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم . وإذا لم يكن هؤلاء وكان لا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة . وأما من عداهم فلا . على أن رماة أهل سوس هاهي هنا عندنا كثيرة ، فكلما تريد منهم عرفنا به نبعثهم إليك ونضيفهم إلى خدمتك . ونؤكد عليك أن تكاتبنا بجواب هذه الأمور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب إن شاء الله ولا بد ولا بد .وهذا موجبه [250] إليكم ، والله يحرس بمنه علاكم .والسلام وفي مهل جمادى الأولى من عام أحد عشر وألف.

الفصل الثاني والخمسون

ذكر الخبر عن سفر المنصور من مراكش لفاس حرسها الله وسبب ذلك

تقدم لنا أن الشيخ المامون بن المنصور كان خليفة لأبيه على فاس ، إلا أنه أساء السيرة وأضر بالرعية. فكان فويسقا خبيث الطوية مولعا بالعبث بالصبيان مدمنا للخمور سفاكا للدماء غير مكثرت بأمور الدين من الصلاة وشرائطها. ولما ظهر فساده وتبين للناس عواره ، نهاه القائد ابراهيم السفياني [1]،وزير أبيه ، عن سوء فعله ، فلم ينته ، واستمر على قبحه.فأعاد عليه ، فلما أكثر عليه من التقريع والتوبيخ سقاه السم فكان فيه حتف ابراهيم . وكان مما أنكر عليه أنه قبض على كاتب أبيه ، أبي عبد الله محمد بن عيسى، المتقدم الذكر ووظف عليه مالا وبزه ذخائره وأخذ ماله،حتى كان مما أخذ منه ثمانين حسكة مذهبة ، ومائة تخت من الملف المختلف الألوان. فلما كثرت قبائحه وترددت الشكاية به لأبيه ، كتب له أن ينكف عن غيه وينزجر عن خبثه وسوء رأيه. فما زاده التحذير إلا إغراء . فلما رأى المنصور أنه لم يكثرت بأمره ، ولم يزدجر عن خبائثه وشره ، عزم على التوجه لفاس بقصد أن يمكر به ويؤدبه بما يكون رادعا له . فسمع الشيخ بذلك فجمع عسكره ، وهيأ جنده [251] ودفع المرتب لأصحابه ، وعدّد جيشه فكان -فيما قيل -إثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوي الملف والحرير ، على أحسن شارة وأكمل زي . وعزم إن بلغه مخرج أبيه من مراكش ، أن يتوجه في أصحابه إلى تلمسان ويستجير بالأتراك. فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب إلى تلمسان،تخلف عن الخروج من مراكش . فصار يلاطفه ويأمره ألا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة، وتخلى له عن خراجهما ، وقال له : قد سوغتكه ولا أطالبك به . ومراده بذلك كله أن تسكن نفرته ويرجع إليه عقله . فأظهر الشيخ امتثال الأمر ، وخرج يوم

1 ينظر عنه:SIHM ,FR,T:I,P:610-T:II,P:210

سجلماسة . فما انفصل عن فاس بشيء يسير حتى رجع لها ، وعاد لما كان عاكفا عليه. فبعث له المنصور أعيان مراكش وعلماءها فنصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده ، وحذروه من العقوق،ولم يألوا جهدا في النصيحة له. فوجدوه مشغول القلب عن نصائحهم ، معمور الذهن بخلاف قولهم . إلا انه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من النفار من أبيه ، وقصر في الظاهر عن بعض قبائحه.فرجع الأعيان والعلماء للمنصور لمراكش ، وقالوا له إنه تاب ، وحسنت حالته ، واطمأنت نفسه ، وأنه واقف عند الأمر والنهي. فلم يطمئن المنصور لقولهم، وقال لهم : لعل هذا إصلاح [252] للشحناء وكذب لإصلاح الخاطر . ثم لم يلبث المنصور أن بعث لولده زيدان ، وكان خليفة بتادلا ،يأمره أن يرسل مائة من الفرسان على طريق تاقبالت [2]، وكل من وجوده قاصدا للغرب من ناحية مراكش يردونه . وأرسل مولاه مسعود الدور [3] أن يقف على طريق سلا ، ويفعل مثل ذلك . وخلف ولده أبا فارس على مراكش . وخرج حينئذ المنصور من مراكش في اثني عشر ألفا من الخيل . وكان خروجه في أوائل جمادى الأولى عام أحد عشر وألف . وجد السير ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى نزل بالداروج ، موضع قريب من فاس ، والشيخ في جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه . فبعث يوما عيونه يترصدون له من قدم من مراكش ، ويكشفون له عن الخبر . فما راعهم إلا الأباطح سائلة بأعناق الجياد وأفواه الشعاب تقذف الجيوش من بطون الأودية ، لأنهم عميت عليهم الأنباء بقطع المنصور للسابلة . فرجعوا للشيخ مسرعين والرعب يفت في أعضادهم ويطفي فورة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم وأخبروه بما رأوا. فعلم أنه محاط به ، فلم يمكنه إلا الفرار. فركب من حينه ، وهرب لزاوية الولي الصالح أبي الشتاء [4]ببلاد فشتالة قرب نهر ورغة . وكان سيدي أبو الشتاء قد توفي قبل

---

2 تافيلالت في الحجرية.

3 لم نتمكن من التعرف عليه.

4 أبو الشتاء الخمار ، ت 997/1588 .ينظر عنه:بنمصور،أعلام ،،2:193

ذلك بما يقرب من خمس عشرة سنة ، لأن وفاته كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، كما [253]في المرآة . فنزل بالزاوية ومعه بطانته وأصحاب دخلته من الأحداث وأتباع السوء . فبلغ خبره للمنصور ، فوجه له الباشا جودر والقائد منصور النبيلي وحلف لهما بأغلظ الأيمان إن لم يأتيا به ليمكرنّ بهما ويجعلهما عبرة . فذهبا إليه ، فامتنع من الدخول في يدهما وانعزل بأصحابه حتى تراموا بالنبال وناوشهم القتال . فقبضوا عليه في حكاية طويلة . فأمر به المنصورأن يسجن بمكناس ، فسجن بها .ودخل المنصورلدار الملك من فاس الجديد . وشكر الله على ما أولاه من الظفر به والنصر عليه من غير إراقة دم . وتصدق لذلك بأموال عظيمة .

ثم إن أم الشيخ ، الخيزران [5]، بعثت إلى أعيان مراكش الذين قدموا مع المنصور ترغبهم أن يستشفعوا لولدها عند أبيه ، ويعتذروا عنه بما يزيل ما في خاطره عليه . فتقدموا للمنصور ، ورغبوه ، وطلبوا منه السماحة له والتجاوز عنه . وقالوا له : إن الشيخ تاب لله عما كان عازما عليه ، وأنه ندم على ما فرط ، وصلحت حاله . فقال لهم المنصور : اذهبوا لمكناس واختبروا أمره كائنا ما كان ، وانظروا هل رجع عن أباطيله وتنصل من أضاليله أم لا . فلما أتوه وجدوه أخبث مما تركوه وعاينوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفه اللسان. فلما جلسوا معه في محبسه لم يسألهم عن شيء إلا عن أصحاب بطانته وقرناء السوء من أهل غيه وضلالته ،ولم يظهر الأسف إلا على تلك [254]العصابة ورآهم أهل الإصابة . وكان من الأعيان الذين وجههم المنصور لذلك أولا وآخرا ، أولاد سيدي أبي عمرو القسطلي [6]، وأولاد سيدي عبد الله بن ساسي[7] ، وأولاد سيدي يحيى بن بكار[8] وغيرهم . فلما رجعوا

5 وتعرف كذلك باسم الجوهر و للا يوره،ينظر عنها:De Castries,Généalogie

6 أبوعمرو ابن أحمد ، ت 1566/974 .ينظر عنه :المراكشي ، إعلام ، 330:1.

7 البوسبعي ،ت 1563/961 .ينظر عنه : المراكشي، إعلام ، 275:8.

8 الكبير ، ت 1555/963.ينظر عنه:ابن عسكر ، دوحة، 65.

من مكناسة إلى المنصور سألهم عن الخبر، فنافق بعضهم وقالوا : وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه وتكلم أولاد سيدي عبد الله بن ساسى فقال بعضهم : والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت أمير المؤمنين بالخديعة ، وقال له : إن ولدك والله لا نأذن لك أن تؤمره على شيئ ولا تحكمه على عيال الله سبحانه ، فإنا وجدناه خبيث الطوية قبيح السريرة والنية ، لم يندم على ما فرط ولا تاب عما فعل وشطط .فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد . فقال لهم المنصور: افتوني في أمر هذا الولد . فلم يجبه أحد ، إلا باشته السيد عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي فإنه قال : الرأي أن تقتله فإنه لا ينجبر أمره ولا يرجى صلاحه وخيره وقد رأيت ما صنع. فلم يعجب المنصور ذلك وقال : كيف أقتل ولدي ؟ فبعث بالتضييق على الشيخ ، والزيادة في الحبس عليه ، وخرج المنصور فنزل بمحلته بظهر الزاوية قاصدا لمراكش . واستخلف ولده زيدان على فاس .

ومن هنالك كتب المنصور رسالة لولده وخليفته على مراكش،أبي فارس ، يعلمه بما وقع في ذلك . ونصها من أولها إلى آخرها :

إلى ولدنا الأجل الأرضي الأكمل الأمجد الأسمى الأسعد الأسنى باب أبي فارس [255] وصل الله كمالكم وسنى بمنه آمالكم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فكتابنا هذا إليكم ، أسعدكم الله ، من محلتنا السعيدة بالمستقى، ولا ناشىء إلا ما جرت به الأقدار، وحكم به الفاعل المختار ، وفجأ به من عجائب الدهر الليل والنهار؛ وهو قضية أخيكم التي ثارت إلي بها صروف الدهر من مكمني ، وطلعت علي من مأمني . إلا أن الله تعالى بصنعه الجميل كفانا أولا ثم شفانا آخرا. له الحمد دائب والشكر واجب . وشرح ذلك أسعدكم الله ووقاكم السوء أن الحال كان انتهى في معالجة أمره الذي تجاوزنا في وجه الخير إليه حد الاستقصا ، وأتينا في محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجح ما لا يحصى ، إلى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة ، وأبحنا له التوجه إليها بجملته

وجمعه ، رجاء أن تسكن بالانتباذ إليها نفرته ، وتطمئن نفسه . ويؤوب إليه قلبه الطائر ، ويراجعه أنسه النافر. فأظهر أولا التوجه إليها، ونهض مرتحلا عن فاس موريا شأن القدوم عليها. ثم بدا له في الحين وكر راجعا لفاس. ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وآب لنفسه السكون والاستيناس . فإذا به في رجوعه قد انطوى على خلاف ما أظهر، وأبدى غير ما أضمر[256]. فما كان إلا أن وصله خبر نزولنا بالدّاروج ، فلم يتمالك أن أقلع ليلة الخميس خامس عشر شهر تاريخه إقلاعا أزعجه من الذعر شريدا ، وطارت به النفرة إلى أن حل بزاوية أبي الشتاء وحيدا . فتلاحق به من جيش رماته الانكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن ، وطلائع الشؤم والمحن ، جمع عظيم وعدد كثير جسيم . فبادرت حينئذ بتجهيز جودر باشا من غير إغفال في خمسمائة صبايحية . ومعه القائد مومن بن ملوك في خمسمائة فارس . ثم أردفناهما ببعوث أخرى تنثال إليه وتناثلت عليه تناهز الألفين ، من رماة بابا زيدان حفظه الله . فإذا هو قد أحدقت به من كل الجهات ، وملكوا عليه الفجاج والثنيات . ونحن مع ذلك ، خلال هذه الأحوال،لم نهمل مقابلة نفرته بالتسكين ، وما يخشى من أحواله بالتليين، بإرسال المرابطين اتجاهه بمواثيق تهنيه ، وعهود تونسه وتقرب أمانيه.رجاء أن ينوب إليه نائب الاستبصار، ويخطر له خاطر إقلاع عما هو عليه وإقصار. وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا، ويزينون له عقوقا ونفارا.فدهمتهم بعد ذلك عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه . ودارت بين الفريقين [257] حرب عظيم . فخدمت النار من وقت الظهرإلى أوان العصر. فأظهر الله فئة الحق على فئة الباطل . وقضى بما جرى به القدر المحتوم الحاكم العادل . وكتبناه إليكم وقد حصل في القبضة ، كما سبق به القضاء والقدر. وأجبر بمكان الاحتياط عليه بمكناسة الزيتون . فكانت مشيئة الله في ذلك من إحدى العجائب والعبر. وعرفناكم أسعدكم الله ،لتشكروا صنع الله في هذه الداهية التي فجأت بها الأيام ودهمت ، والمفاجأة التي اعتكرت

وادلهمت ، وتقدروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ونشكره فهو الجدير بحسن حمد كل إنسان وشكره . ونسأل الله تعالى أن يجعلكم في حيز الكفاية وجانب الوقاية ، حتى لا تساءوا بقريب مأمون ولا ببعيد مظنون.وفي ليلة الثلاثاء موفى عشرين من جمادى الأولى عام أحد عشر وألف .[9]

ووقفت على رسالة كتب بها المنصور إليه أيضا من فاس ، مجيبا له عما كتب به إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش صانها الله هل يفر منه أم لا ،ونصها :

من عبد الله تعالى ، المجاهد في سبيله ، الخليفة الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين[270] أبي العباس أحمد المنصور بالله ، ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي ، ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ القائم بأمر الله ، الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره ، وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره .

إلى ولدنا الأجل الأعز الأفضل الأبر الأرضى الأكمل الأسعد الأمجد الأحفل بب أبي فارس . وصل الله عافيتكم ، ووالى بمنه رعايتكم . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية بالله المدينة البيضاء ، حاطها الله ، منبئا عن الخير والعافية ، ونعم الله تعالى المتوالية ، لله الحمد وله المنة . وأنه اتصل بعلي مقامنا كتابكم الأغر ، عشية يوم الثلاثاء ، فكتبنا لكم صبيحة يوم الأربعاء. ولولا أنه وصل يوم الديوان هذا ، ما كنا نؤخر كتب الجواب عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه . حرصا منا على المبادرة بوصوله إليكم في الحين . وإلى هذا -أسعدكم الله- أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم إذا لاح لكم شيء من علامات الوباء ، ولو أقل

---

9 هنا ينتهي هذا الفصل في م1 وم3 وم4 وم 5 والمعتمدة ، ويبدأ الفصل المتعلق بوفاة المنصور ، ثم تورد النسخ المذكورة مراسلات المنصور . وقد التزمنا بما في الحجرية وم2وم6، حيث أن استمرار السرد يقتضي ذلك .

القليل حتى بشخص واحد . ويبقى في القصبة وصيفنا مسعود [10] والقائد محمد بن موسى بن أبي بكر [11]، وتترك مائة رام تتقوّى بها رماتكم مع أصحاب السقيف ، وتتوكلون على الله ، وتخرجوا بسلامة . ثم لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميلة والتقلب بها ، بل لا تزيدوا إذا خرجتم على المقام أكثر من يومين . ثم اطووا المراحل إلى أن تنزلوا سلا ، وتدخلوا [271] بها دخول هناء وعافية ،إن شاء الله تعالى . وهناك يكون لقاؤنا بكم لقاء يمن وسعادة إن شاء الله . ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق [12] -أسعدكم الله- فالزموه. وإذا استشعرتم منه بحرارة وتخوفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه ، ولا تهملوا استعماله.وأما ولدنا حفظه الله لما كان في سن الشبيبة ، بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق ، فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك ، قد تركناها كثيرة هنالك عند التونسي . فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله تعالى حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها ، تعطوه الترياق المرة بعد المرة،على قدر الحاجة فيعود إليها . والله تعالى ، بفضله وبحرمة صفوة خلقه خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يتولى حمايتكم جميعا ويسبل عليكم جميل من كلاءته ورعايته حصنا منيعا . وأن يعافي البلاد والعباد بمنه وفضله.والسلعة ، أسعدكم الله ، تبادرون بإرسالهاإلينا.و كذلك القائد مسعود النبيلي تعزمون بإرساله إلى حيث أمرناه بالمقام به من خنق الوادي في سوس . وطريق تكطيشت [13] اعلم ،أسعدكم الله ، أن ما قط أرضانا [14]أن أمرها

10مسعود بن مبارك في المناهل ،101 ، وتسميه وثائق أجنبية مسعود بن ملوك

11 لم نتمكن من التعرف عليه.

12 ينظر عنه : محمد حجي ، معلمة ،2343:7.

13 تشطشت في الحجرية،تحطيشت في م 4 ،وتقارن بموقع تكطيشت على شاطئ البحر المتوسط بين ترغة وتيجيساس . ينظر : سعيد أعراب، معلمة،2509:8

14 كان في ظننا ، في الحجرية.

يتم.وبلغ علمنا الكريم أن أهل درن يتحدثون [272] بسببها. ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم إن شاء الله . وأنتم تحاولون أسعدكم الله على أن يكون سلوك الناس على طريق بويباون على العادة ، وأن تجهدوا في أن تكون إن شاء الله سابلة . وأولائكم- أعني أهل طريق تكطيشت- يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد إن شاء الله تعالى . ومسألة إيسى التي كتب لك من خنق الوادي على الزرع ، وأنهم ما عندهم ما يكفيهم منه سوى شهر ، فلقد كنا كتبنا لكم -أسعدكم الله - على حمل الزرع إليهم على البحر. فإن كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ إليهم ، وإن لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر إيسى هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء.وألزموه عهدته ، وشدوا عليه في أمره . وخالنا القائد أحمد بن محمد الذي استأذنكم على الخروج عن ذلك المرض من الحضرة المحمدية ، فإذا تفاحش فلا عليه في الخروج ، ويلتحق بأهل تلكم المحلة بخنق الوادي ، ويترك في القصبة الأندلس مع قائدهم . ومسألة مومن بن منصور مع كسيمة التي ذكرتم ، أسعدكم الله ، أن مومن المذكور قد تثاقل بدمنات ، بسبب مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وأن أخاه ذلكم المفسود بعث إليه يلتقي معه بتامصلوحت [15]، فعلى بركة الله تعالي ، والحاضر بصير. وهذا موجبه إليكم. والله يصل بمنه رعايتكم ، والسلام . وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول النبوي المعظم عام أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركاته .

وبعد أن كتبنا لكم هذا، بلغنا كتابكم ونحن نجيبكم على كل ما تحتاجون إلى الجواب عنه. والبراءة التي ترد عليكم من سوس [273] من عند الحاكم أو من عند ولد خالكم أو من عند غيرهما ، لا تقرأ ولا تدخل دارا . بل تعطى لكاتبكم هو الذي يتولى قراءتها ويعرفكم مضمنها . ولأجل أن الكاتب يدخل مجلسكم ويلابس مقامكم ، حتى هو لا يفتحها إلا بعد إدخالها في خل ثقيف [16]وتنشر

---

15 ينظر عنها:أحمد هوزالي ،معلمة،2183:7 .

16 ثقيل ، في الحجرية.

حتى تيبس. وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمنها . إذ ليس يأتيكم من سوس ، والله سبحانه وتعالى أعلم ،بما يوجب الكتمان ،إذ ليس إلا الجواب عن كتبكم . وقد طالعنا كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير ، وصح عندنا من فحوى كلامه ما ذكرتم عنه من أنه كثر خبر الوباء ليجد ذريعة للخروج من سوس . والذي تأمرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم لمراكش ، وأن ذلك لا يرضينا منه . وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا. لا سيما مع غيبتنا عن البلاد ؟ وأنه إن فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ثم لا يعود أبدا لها . إلا إن تفاحش المرض بتلكم الناحية ، فلا عليه في الخروج والتنقل قرب البلد ، بأن يلتحق بمحلة أصحابه الذين بخنق الوادي . وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردي ، فقد طالعنا الجريدة التي جرد لكم وتصفحناها ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا . والذي نأمركم به في مسألته أنكم تحاولون في رده لموضعه . لأنه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير . وكل ما يمكنكم من أغراضه المسطور بجريدته أن تقضوه فاقضوه له . وما لا يمكن [274] عدوه به عند قدومنا إن شاء الله . وأما أمر أخي أحمد بن الحسن الذي عيناه لجباية درعة ، وذكرتم أنه غير لائق بها ، وأنكم استصغرتموه عن تلك العمالة ، فلا شك أنه كما ذكرتم . لكن إنما وقع الإحسان إليه لأمرين : الأول الذمة ، لأنه بماله فلا يخشى إن شاء الله على مالنا.الثاني أن خراج درعة سهل معلوم. ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ، ويغري من يتكلم فيه عندكم. فإن كان من ذكر لكم مثل مسعود أو تادّي فاتهمهم. وقد طالعنا جريدتكم ، وأنكم وجهتم مع زرع المعاصيرمائة رام ، وهذا الذي ذكرتم ما نعلم أنا كتبنا لكم عليه قط ، وإنما كتبنا لكم على ما تحملونه في البحر بذمة المحلة التي هنالك بخنق الوادي . فإن كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وإن كان غيره ، فعرفنا بقضيته . فإن زرع المعاصر إنما يلزم اليهود والنصارى المكترين للمعاصر . وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وأنكم عنفتموه على عدم المبادرة . وقد أشكل علينا الأمر لكونكم

لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الإصلاح الذي أمرنا به . فعرفنا لنكون على بصيرة من ذلك . وفيها أيضا مسألة أولاد طلحة فدبروا عليهم ،إما من عند إيسي أو غيره حتى لا يرجعوا إلينا شاكين. وولد ابراهيم بن الحداد إلى الآن لم يصل [275] وزمام الأسارى وصل. وأما الدرقة التي ذكرتم بها المغيلة المعدّة لنا عند صاحب بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبد حتى تكلمه ومره بإخراجها من عندها . وركبها في موضعها . ولا تركب التي عندكم بل تمسكوها لأنفسكم. واعلم أني تركت أولائك المعلمين،أعني بركاص[17] السلاتي ، برسم ابنتنا العزيزة طاهرة، صانها الله وكلأها . وحيث فرغوا من الدرقة اجمعهم عليها كي نجد ذلك طالعا إن شاء الله . فإنا قد أمرنا بنسج دراريع السلاتي هذا. والمراد أن نجد السلاتي قد فرغ منها إن شاء الله . وقصر الخيل مع الحمام ، حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما . وحاول أن يسقفوا ذلك البلاط الذي يوالي سور القصبة من قصر الخيل ، والقبة التي فيه . لنجدوه كاملا إن شاء الله عند قدومنا عليكم . وحتى سواري الرخام ركبوهم في تلك الجهة إذا سقفتم . ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الأشغال في الموضعين المذكورين . وأوصيكم أعزكم الله أن تتفقدوا فرسنا الأحمر الصغير ولا تتركوهم يعطونه الفصيل لئلا يكثر لحمه ويزداد ألمه بل انظر له من يركبه كل يوم بل لا ينزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله . واعطوه لصاحب روض المسرة يركبه في ذهابه وإيابه [276] للمسرة أو لداره . وأوصوه ألا يركبه غيره ، وأن لا ينزل عن ظهره النهار كله . وأوصيكم أنه اذا ظهر المرض بتلك البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته ، ألا تتركوا وراءكم ابنة عمكم والدة ولدنا العزيز ببا عبد الملك حفظها الله . وأمر يوسف العبد أن يخرج لك من عند صاحب بيت الثياب القدر المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشور ودخل على أيديكم

---

17 بركا في م2 ،فركاض في م3 ، بركاضو في م4 .

لدارنا السعيدة . واستدعوا أم الامان[18] قهرمانة الدار ، واعطه لها برسم أهل دارنا . وأمرها أن تعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذي يأكلونه فيه . وهي أيضا تأكل منه . والعبد يوسف يأكل أيضا منه . وحتى صاحب السقيف اعطوه منه ، أعني مسعود بن مبارك . والله سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أنتم وأولادكم . وقد استودعناكم الله الذي لا تضيع لديه الودائع . وأنتم في أمان الله وحفظه . والله سبحانه وتعالى خليفتي عليكم . أنتم في يمين الرحمن وكلتا يديه يمين .

والسلام الأتم عائد عليكم ورحمة الله وبركاته . ونسلم على ولدنا الأعز الأرضى بب عبد الملك ، وعلى ابنتنا المرضية سيدة الملك . ونحن في غاية الاشتياق والتوحش إليكم ، جمع الله الشمل بكم جميعا آمين ، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله خير آل،والسلام .

18 أم الهنا ، في م2 .

الفصل الثالث والخمسون

ذكر الخبر عن وفاة المنصور رحمه الله وكيفيتها

[1]كان ابتداء مرض المنصور رحمه الله بمحلته في ظهر الزاوية ، موضع بظاهر فاس الجديد قريب منه ، يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع النبوي الأنور المبارك من عام إثنى عشر وألف . فدخل من محلته راجعا إلى فاس الجديد ، ولزم الفراش إلى ليلة الإثنين الموالي لتاريخه . فتوفى رحمه الله ، ودفن يوم الإثنين عند صلاة العصر. وكانت وفاته بالوباء .

قال الشيخ سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي [259] في شرحه لجامع **شامل بهرام**[2] : كان بالمغرب وباء استطال من عام سبعة وألف إلى عام ستة عشر وألف ، وعم سهل المغرب وجبله حتى أفنى أكثر الناس ، ومات جمع من الأعيان . وبه مات السلطان أبو العباس أحمد المنصور عام إثنى عشر وألف . ونحوهذا ذكر أيضا صاحب **الفوائد** [3]وغيره .

وبه يعلم أن ما شاع على الألسنة [4]من أن المنصور سمه ولده زيدان ، بإشارة من أمه الشبانية ، في باكورة أوائل ظهوره ،وقطع عنه الأطباء إلى أن هلك ، وأن المنصور لما أحس بذلك قال

---

1 بدأ هذا الفصل في المعتمدة م1 وم3وم4 وم5 بنص ابن أبي محلي في الإصليت ، الوارد أدني الصفحة .

2 الشامل لبهرام الدميري ت 1402/805 .ينظر :محمد حجي،حركة،592:2.

3 الفوائد، صفحات:169،149،34 .

4 ذكر المجهول ، تاريخ الدولةالسعدية،82 :"وجاز المولد،وركب السلطان في غد المولد ،واشتد ضرره من المرض ، ودخل فاسا الجديد مسموما قد أطعمته الشبانية عن إذن ابنها مولاي زيدان ، في التين أول ظهوره ، وقطع عنه ولده الأطباء"

له:استعجلتها يازيدان، لاهناك الله فيها ، أوكلاما هذا معناه .
قالوا وبسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية ، فإنه هزم في زهاء سبع وعشرين معركة ، لاأصل له ، وهو كذب محض . لأن المنصور طعن بالوباء ، ولم يذكر أحمد ممن يوثق به ذلك . بل إنما شاع ذلك على ألسنة العامة وأضرابهم من الطلبة .

ولما توفي المنصور رحمه الله ، دفن بعد صلاة العصر من يوم الإثنين بفاس العليا .ونقل بعد ذلك لمراكش فدفن بها في قبور الأشراف [5]. وقبره شهير هنالك ، عليه بناء حفيل ، ومما نقش في رخامة على قبره هذه الأبيات :

هذا ضريح من غدت	به المعالي تفتخر
أحمد منصور اللوا	لكل مجد مبتكر
يارحمة الله اسرعي	بكل نهر تستمر [260]
وباكري الرمس بها	إن رضاه منهمر
وطيبي ثراه من	ندّ كذكره العطر
وافق تاريخ الوفا	ة دون تقييد ذكر
مقعد صدق داره	عند مليك مقتدر

ورأيت في بعض المقيدات أن بعضهم رأى المنصور في المنام بعد وفاته ، فسأله : ما فعل الله بك ؟ فأجابه بهذين البيتين ، ولم يذكرهما.

قال صاحب كتاب **الإصليت** : كنا نسمع أن السلطان المنصور إذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس فإنه لا يرجع لمراكش . وشاع هذا الخبر في الناس وذاع قبل نزوله فكان الأمر كذلك . ثم لا أدري من أين للناس بذلك هل أنطقهم الله به وأجراه على ألسنتهم ، أو عن علم تلقوه عن أربابه، و كأنه الأشبه [258] والله أعلم.قال :ومن هذا ما ذكر بعضهم أيضا ، لكن بعد الوقوع والنزول،أن دخول رايات السلطان أبي العباس المنصور في حياته

5 ينظر عنها : De Castries, le cimetière de djama el mansour ,p:347

للسودان ، واستيلاءه على سلطانها سكية في دار إمارته كاغو مع تينبكت بأعمالها ، كل ذلك من إمارات قرب خروج الإمام الفاطمي المهدي . وكذلك الوباء المنتشر في بعض هذه الأعوام ، وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد ، حتى الآن . وبقي من إمارات خروجه فيما نسمع فتح وهران ، إما على يده أو عن إذنه ، فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الأمر . وبمثل هذه الأساطير قد يفتن الغرير وليس الخبر كالمعاينة عند البصير . ونعوذ بالله من أخذ فاس كما يقوله بعض الإخباريين من الناس ،وقد أدهش الإسلام اختلاف الملوك من بني أحمد المنصور لأنهم قالوا ذلك من كبائر الأعلام وأمائر التمام ، والتخمين مردود ، وعلم الحقيقة مفقود ، والباب مسدود ، والمفتاح غير موجود . والأمر المحتوم المعهود للملك الحق المعبود ، انتهى .

والله سبحانه وتعالى يرحم الجميع بفضله وكرمه وجوده، آمين.

الفصل الرابع والخمسون

ذكر الخبر عن تنازع أولاد السلطان أبي العباس المنصور على الملك وما وقع بينهم في ذلك من التهالك والهلاك

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ من دفنه ، اجتمع أعيان فاس وكبراؤها وأهل العقد والحل فيها على بيعة ولده زيدان ، وقالوا : إن المنصور خلفه في حياته ومات في حجره . وممن تصدى لذلك قاضي الجماعة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني[1] بفاس والفقيه القاضي أبو الحسن على بن عمران السلاسي[2] والأستاذ سيدي محمد الشاوي والشيخ النظار أبو عبد الله محمدبن قاسم القصار . ويحكى أن القاضي المذكور قام في الناس خطيبا ، وقال : أما بعد السلام عليكم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونحن كذلك نفعل . فقد مات مولانا أحمد رحمه الله ، وهذا ولده مولانا زيدان هو أولى بالملك من إخوته فنبايعه ، فبايعه الحاضرون . وكانت مبايعته يوم الإثنين السادس عشر من ربيع الأول النبوي سنة إثنى عشر وألف . ثم كتب أهل فاس لأهل مراكش بالمبايعة لزيدان . فامتنعوا منها ، وبايعوا أبا فارس.

وبعد امتناع أهل مراكش من بيعة زيدان ووقوع بيعتهم لأبي فارس،كثر في [261] ذلك القيل والقال ، حتى صدرت فتوى من قاضي فاس ومفتيها تصريحا بحديث :*إذا بويع لخليفتين فاقتلوا*

---

1 ت1623/1032.ينظر عنه:محمد حجي، حركة،367:2.

2 علي بن عبد الرحمن ت 1609/1018.ينظر عنه:القادري،نشر، 148:1.

الآخر منهما[3] . وكان زيدان لما توفي أبوه كتم موته وبعث من يقبض له أخاه الشيخ المسجون بمكناسة . فمنعه من ذلك الباشا جودر ، وحمل الشيخ موثوقا إلى مراكش ، فدفعه لأخيه أبي فارس وهو شقيقه ، فلم يزل مسجونا عنده . هكذا ذكر بعضهم .

وقال في شرح **زهرة الشماريخ في علم التاريخ** : أن زيدان لما اشتغل بدفن والده،تحيل القائد أحمد بن منصور العلج ، فذهب بنصف المحلة ، وخرج قاصدا مراكش ، [فمر على مكناسة][4]، وسرح الشيخ من اعتقاله ، وذهب به إلى أخيه أبي فارس ، فسجنه . فلم يزل مسجونا عنده إلى أن بعث الباشا جودرلمقاتلة زيدان بفاس.فلما بلغ زيدان وادي أم الربيع سرح الشيخ من سجنه ، وقال له ولأصحابه : جدوا السير الليلة حتى تصبحوا محلة جودر بأم الربيع . وكان أبو فارس جهز جيشا لمقاتلة زيدان ، وأمر عليه ولده عبد الملك [5]مع الباشا جودر . فقيل له : إن أخاك زيدان رجل شجاع عالم بمكائد الحروب وخدائعها ،وإن ولدك عبد الملك لايقدر على مقاومته . فلو سرحت أخاك الشيخ لكان أوفق بالأمر، لأن أهل الغرب يميلون له [262] ولا يقاتلونه ، لأنه كان الخليفة عندهم.فأطلقه أبو فارس من ثقاف السجن ، وتعاهد معه على النصيحة والطاعة وعدم شق العصا عليه ، وبعثه في ستمائة من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليبعث منهم إلى كاغو من عمالة السودان . فلما لحق الشيخ بمحـــــلة عبد الملك ، وعلم الناس به ، هرعوا إليه وأظهروا له الفرح . وكانت الملاقاة بينه وبين زيدان في موضع يقال له مواتة [6]من وادي أم الربيع . فانهزم زيدان وخذله أكثر جيشه ورجعوا مع الشيخ . وفر زيدان منقلبا إلى فاس . وكان أبو فارس أوصى أصحابه بالقبض على الشيخ ، إن وقعت الهزيمة على زيدان .فلما وقعت الهزيمة على

---

3 حديث شريف ،صحيح الإمام مسلم ،كتاب الإمارة ،الحديث رقم 3444.

4 سقط ما بين المعقوفين في الحجرية وم2 وم6.

5 ت 1627/1036 .ينظر:SIHM,PB,T:I,P;105,NOTE:3

6 حواتة في م1 وم3 وم4 .

زيدان ، انعزل الشيخ بمن تبعه من أهل الغرب ، فلم يقدرله أحد من أصحاب أبي فارس على شيء . ثم توجه الشيخ إلى فاس متتبعا أثر زيدان . فلما بلغ زيدان حضرة فاس راود أهلها في الحصار والدفع ، فامتنعوا عليه وجاهروا بنصر الشيخ وأعلنوا بيعته والإذعان له ، فخرج زيدان عنهم بحشمه وأثقاله ، فتبعه جيش عظيم من أصحاب أبي فارس ، فلم يقدروا له على شيء . وذهب زيدان قاصدا إلى تلمسان حتى وصل وجدة ،فأقام بها مدة ، ثم رجع لسجلماسة ، ثم لدرعة ، ثم انصرف للسوس . ودخل الشيخ لفاس ، وتلقاه أهلها ذكورا وإناثا،وأظهروا الفرح بمقدمه ، فدعا لنفسه واستبد بالملك .وأمر جيش أهل مراكش أن ينقلبوا إلى بلادهم ، فذهبوا . وكان الشيخ ، لما تم له غرضه من الاستبداد بالخلافة والانفراد بالسلطنة ، دعا بالشيخين الفقيهين المحققين : قاضي الجماعة بفاس أبي القاسم [263]بن أبي النعيم ، ومفتيها أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار، فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيه وفي أخيه أبي فارس : إن أولاد الإماء لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر . وكان أبو فارس والشيخ ولدي أمة اسمها الخيزران ويقال الجوهر، كما تقدم أيضا ، وزيدان أمه حرة من الشبانات ، وعزم أن يمكر بهما . ثم بعث بهما مع جيش مراكش إلى أخيه أبي فارس لينظر فيهما برأيه.فأما الشيخ القصار فتوفي رحمه الله في الطريق على مقربة من مراكش ، فدفن بقبة القاضي عياض . وذلك أواسط اثنى عشر وألف . وأما القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم ، فاجتمع بأبي فارس فصفح عنه وقبل عذره ورده مكرما إلى فاس، هكذا ذكر بعضهم وقيل إن الذي بعث الشيخ القصار هو زيدان على وجه يخالف هذا ، والله أعلم .

ثم إن الشيخ اشتغل بالقواد من أصحاب أبيه ، فنهب ذخائرهم ، واستصفى أموالهم ، وعذب من أخفى شيئا من ذلك . ودعا بالتجار ، فاستسلف منهم وأظهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به . ثم إنه جهز جيشا لقتال شقيقه

أبي فارس بمراكش ،وكان عدد الجيش نحوا من ثلاثة[7] آلاف ، وأمّر عليه ولده عبد الله . فسار بجيوشه ، فوجد أبا فارس بمحلته بموضع يقال له أكلميم[8] ، ويقال في مرس الرماد . فوقعت [الملاقاة بينهما ، واقتتلا قتالا شديدا، كانت][9] الهزيمة فيه على أبي فارس.وقتل من أصحابه نحو المائة ، ونهبت محلته ، وفر هو بنفسه إلى مسفيوة . ودخل عبد الله بن الشيخ مراكش فأباحها نهبا [264] لجيشه ، فنهبت ديارها ، واستبيحت محارمها . واشتغل هو بالفساد ، ومن يشابه أباه فما ظلم . حتى يحكى أنه زنى بجواري جده المنصور ، واستمتع بمحظياته ، وأكل رمضان ، وشرب الخمر فيه جهارا ، وعكف على اللذات ، وألقى جلباب الحياء عن وجهه . وكان ذلك كله في العشرين من شعبان عام خمسة عشر وألف .

ثم إن زيدان لما هرب من فاس ، حسبما بيناه قبل ، قصد تلمسان ، فلم يزل مقيما بها ، وكان بعث إلى ترك الجزائر يستمدهم ويستعدي بهم على إخوته ، فأبطأوا عليه ، وطال عليه انتظارهم . فلما يئس منهم توجه إلى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة . ثم منها إلى درعة ، ومنها انتقل إلى سوس ، كما سلف.فكتب إليه أهل مراكش أن يأتيهم ولو.وحده . فتوجه إليهم فقدم عليهم ليلا . فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ إلا نداء أهل مراكش بنصر زيدان . وتحزب أهل مراكش مع زيدان وقتلوا قائد الشيخ وهو عبد الله أعراص[10] . وخرج عبد الله بن الشيخ بجيوشه ، فحاصرهم أهل مراكش بين أسوار الأجنة ، فقتل بموضع يعرف بجنان بكار من أصحاب عبد الله بن الشيخ نحو الخمسة آلاف وخمسمائة . وأمر زيدان أن يقتل من تخلف عن عبد الله من

7 ثمانية آلاف ، في م1.

8 اللميم ، في الحجرية وم2.

9 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5.

10 آل أعراص أسرة ريفية نبه منها عدد من القواد.ينظر :حسن الفيكيكي، معلمة ،2:514.

جيوشه . فقتل من وجد من جيوش أهل فاس بمراكش . ثم إن عبد الله ذهب مهزوما ، ولما دخل على أبيه الشيخ مفلول العساكر ، مهزوم الجموع ، غاظه ذلك [265] وأحزنه ما رأى . فرام أن يهيئ عسكرا آخر ويجدد جمعا ثانيا ، فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من الأموال وقلة ذخائره . واستحيى أن يستسلف من التجار، لأنه كان تسلف منهم فلم يرد لهم ما تسلف منهم . فلما رأى ذلك قلب لقواده ظهر المجن ، وعكس لهم القضية ، فنهب أموالهم واستلب ذخائرهم ، وفرقها على التجار . وتهيأ عبد الله للمسير لمراكش . وكان أهل فاس قد غضبوا لما قتل منهم بمراكش ما قتل ، ونادوا بأخذ ثأرهم ، حتى أن بعضهم خرج مع عبد الله بن الشيخ من غير أخذ راتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بن الشيخ من فاس بجموع عديدة وجيوش حافلة مديدة . ولما بلغ خبره زيدان وهو بمراكش ، بعث للقائه الباشا مصطفى في جيوش كثيرة من أهل مراكش ونواحيها . فالتقى الجمعان بموضع يقال له وادي تفلفلت [11] على طريق سلا . فكان بينهما قتال عظيم ، ووقعت الهزيمة على مصطفى . فقتل من جيوش مراكش نحو التسعة آلاف . وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس لموضع المعركة حتى أحصوا القتلى . ثم توجه عبد الله لمراكش ، فخرج له أهلها في نحو ستة وثلاثين ألف مقاتل . فالتقى الجمعان أيضا بموضع يقال له رأس العين ، فهزم أهل مراكش ، وفر زيدان منها إلى المعاقل المنيعة والجبال الشامخة [266]. ودخل عبد الله مراكش أيضا . ولما دخل عبد الله مراكش فعل في المدينة أعظم من فعلته الأولى ، وهربت شرذمة من أهل مراكش إلى جبل گيلز واجتمع هنالك منهم عصابة من أهل الحمية والنجدة والنفوسية ، فلما اجتمع منهم من ذكر أجمعوا رأيهم على أن يقدموا للخلافة عليهم مولاي محمد ابن

---

11 ينظر عنها:محمد حنيني ،معلمة،2721:8 ، وكذا:الوزان ،وصف،213:1 الهامش 27.

مولاي عبد المومن ابن السلطان مولاي محمد الشيخ المهدي [12]، وكان رجلا دينا خيرا صينا وقورا مهابا ، فبايعه أهل مراكش هنالك . فخرج عبد الله بن الشيخ إلى مقاتلتهم بجبل كيلز وأخذ أميرهم المذكور .فلما التقى الجمعان وقعت الهزيمة على عبد الله ، وولى أصحابه الأدبار، فخرج من مراكش مهزوما ، واستولى محمد بن عبد المؤمن على المدينة ، وصفح عن الذين تخلفوا من أهل الغرب من جيش عبد الله ، وأعطى الراتب . فلم يعجب ذلك أهل مراكش ، وعنفوا عليه استبقاءه عليهم ، وكانوا نحو الألف ونصف . فكتبوا سرا إلى زيدان ، فأتاهم ، وخيّم نازلا على المدينة.فخرج محمد بن عبد المومن إلى لقائه فالتقيا ، وكان بينهم حرب شديد ، فهزم ابن عبد المؤمن ، ودخل زيدان مراكش وصفح أيضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ .

وذكر في **شرح زهرة الشماريخ** أن هذا الثائر المبايع بجبل گيلز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أبي العباس أحمد الأعرج المتقدم الذكر . قال : وكان بعث مصطفى وخروجه من مراكش في شعبان عام ستة عشر وألف . قال : وكانت الهزيمة على عبد الله بن الشيخ سادس شوال من السنة . فخرج هاربا ، وترك محلته وأنفاضه وعدته وجل [267]الجيش ، وأخذ على طريق تامسنا . وامتحن أصحابه في ذهابهم حتى كان مد القمح عندهم بثلاثين أوقية ، والخبزة من نصف رطل بربع مثقال . ولم يزل أصحابه ينهبون ما يمرون عليه من الخيام و أهل العمود ويسبون البنات . وكان وصولهم لفاس في الرابع والعشرين من شوال السنة . ثم في آخر ذي الحجة من السنة ، حرك عبد الله أيضا قاصدا لمراكش . فالتقى الجمعان بوادي بورگراگ ، فهزم عبد الله وفر في رهط قليل من أصحابه ، وترك محلته . فعفا زيدان عن

---

12 أو أبو حسون من أولاد الأعرج كماسيذكر أدناه.ينظر عنه:عبد الوهاب بنمنصور،أعلام ،1:412.ويسميه هنين ،وصف الممالك ، ص:76 :محمد بوحسون ويقدم معلومات كثيرة عنه . والمقصود هو محمد بن زيدان بن الأعرج وابن مريم ، أخت المنصور ،ينظر:SIHM ,FR,T:II,P:430,NOTE:1

الناس ، وكان ذلك في شوال عام سبعة عشروألف. ثم بعث زيدان الباشا مصطفى أمامه لفاس ، فبلغها ونزل عليها فخيم بظهر الزاوية ، ووجد لأصحاب الشيخ زروعا كثيرة ففرقها مصطفى في أصحابه . ثم ارتحل مصطفى ينوي القبض على الشيخ وولده عبد الله ، وأبي فارس وولـــده عبد الملك ، إذ كانوا كلهم بالقصر الكبير . فلما بلغ الشيخ خبره ركب البحر من العرائش مع قواده ووالدته . فقبض مصطفى على من وجد بالقصر الكبير من أصحابهم ، وفر عبد الله وأبو فارس من القصر، فنزلا بموضع يقال له سطح بني واريتن . فبلغ خبرهما زيدان ، فقدم ونزل قبالتهما بموضع يقال له أرورات [13]. ففر الجيش عنهما إلى زيدان وهرب عبد الله وأبو فارس [268] حتى وصلا لدارابن مشعل . فلم يزالا بها إلى أن رحل زيدان لمراكش بسبب ما بلغه من ثوران بعض القيام عليه هنالك. فقدم حينئذ عبد الله وأبو فارس من دار ابن مشعل [14]قاصدين فاس.فخرج مصطفى لمقاتلتهما فتقاتلا قتالا طويلا ، فعثر به فرسه وسقط عنه ، فأخذ وقتل ومات معه ما لا يحصى من الناس ، وأخذت محلته بأسرها . ووقع النهب حتى انتهبت من البقر التي تحلب [15]نحو الستة الاف . فدخل عبد الله مدينة فاس مع عمه أبي فارس . وكان ذلك كله سابع ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف.

---

13 أرارو ريش ، ينظر عنه :سعيد أعراب، معلمة،302:1.

14 أكد هذا الخبر : المجهول ، تاريخ الدولة السعدية،ص:87 والقادري ،نشر ، 1: 145 . وذكر أنها علي نحو نصف مرحلة من تازى شرقا في البيداء (نشر ،2: 104) .وينظر كذلك : De Cénival Mechaal,p:3

15 التي للبانة ، في الحجرية وم2.

الفصل الخامس والخمسون

ذكر الخبر عن مقتل أبي فارس بن السلطان أحمد المنصور

وبقية أخباره

كان أبو فارس لما هزمه زيدان أولا ، فر إلى السوس ، فأقام به عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد . ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر إلى أخيه الشيخ . فلم يزل مع ابنه عبد الله [269] بن الشيخ إلى أن قتل عبد الله مصطفى ، ودخل مدينة فاس ، واستولى عليها ، كما ذكرناه قبل آنفا . فاتفق رأى قواد شراقة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس . فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه حم بن عمر ، فوجده على سجادة وجواريه حوله . فأخرجهن ، وأمر بعمه فخنق ، وهو يضرب برجليه إلى أن مات ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وألف . فأسف الناس عليه ، لأنه كان يرده عن كثير من القبائح ويردعه عن فعل المناكر ولا يرضى منه أفعاله الخبيثة . والحول والقوة بالله والأمر إلى الله . [1]

وكان خليفة لأبيه على مراكش ، لما ذهب لفاس . وكانت بيعته بمراكش [269]يوم الجمعة الموالي للتاريخ المذكور .واسمه عبد الله ، وكنيته أبو فارس ، ويلقب من الألقاب السلطانية

---

1 وقع اضطراب في بعض النسخ ،نتيجة تقديم وتأخير المعطيات المتعلقة بأبي فارس ، فذكرت مرة ضمن الفصل 54 ومرة ضمن هذا الفصل .مما أدى إلى تكرار في م3 وم4 .وقد التزمنا طريقة الإفراني بختم الفصل المتعلق بكل سلطان بمعطيات عامة عنه .

الواثق بالله . وكان عظيم البطن أكولا ، مصابا بمس الجن . ويقال إنه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ العارف بالله أبي العباس السبتي، وشيد بناءه وشحن الخزانة التي بقبلي الجامع المذكور بنفائس الدفاتر وتحف الكتب ، كل ذلك رجاء أن تعود عليه بركة ذلك الولي بالبرء من تلك العلة . وتقدم أن أمه اسمها الجوهر ، ويقال الخيزران .

وذكر في المنتقى [2] أبياتا من إنشاء الكاتب عبد القادر بن أحمد بن بلقاسم الفشتالي [3]، مما كتب تطريزا على نجاد الواثق بالله مولاي أبي فارس ، وهي هذه بنصها :

أتيه وأزري بكل نجـــــاد ... يروق على حلة اللابـــــس
إذا كنت يوم الوغى محملا ... لعضب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضـــى ... سليل الوصي أبي فارس[270]

---

2 المنتقى ، 414:1 .

3 ينظر عنه :المراكشي،إعلام ،452:8.

الفصل السادس والخمسون

ذكر الخبر عن السلطان محمد الشيخ بن المنصور وما وقع له إلى حين خلعه وقتله

[277] كان من خبر الشيخ ما انتهى ذكرنا له قبل ،وأنه هرب إلى العرائش ، ومنها توجه للعدوة من أرض العدو مستصرخا بطاغية الروم [1]دمره الله . فأبى أن يمده ، فراوده على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ، ويعينه بالمال الرجال . فلم يزل به إلى أن شرط عليه أن يخلي له العرائش من المسلمين ويملكها للنصارى . فقبل الشيخ ذلك والتزمه . وخرج حتى نزل حجر بادس ،وذلك في ذي الحجة عام ثمانية عشر وألف ، فأقام بها مدة . ثم إن الشيخ انتقل لقصر عبد الكريم ، فأقام بها مدة ، وراود رؤساءه وقواد جيوشه أن يقفوا معه في تمكين العرائش للنصارى،ليفي له الطاغية بما وعده من النصرة بالمال والرجال . فامتنع الناس من إسعافه على ذلك ، ولم يوافقه على غرضه أحد ، إلا قائده الكرني، فإنه ساعده على ذلك . فبعثه الشيخ لها ، وأمره أن يخليها ، ولا يدع بها أحدا من المسلمين . فذهب الكرني فكلم أهلها في ذلك ، فامتنعوا من الجلاء عنها . فقتل منهم عدة ، وخرج منها الباقون تخفق على رؤوسهم ألوية الذل والصغار ، وهم يبكون . ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرني إلى أن احتل بها النصاري في رابع رمضان المعظم عام تسعة عشروألف .

وكان الشيخ ، لما خرج في حجر بادس ونزل بلاد الريف ، ذهب علماء فاس وأعيانها [278]، كالفقيه القاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم والشريف الوجيه المنيف النزيه أبي اسحاق إبراهيم الصقلي الحسني [2]وغيرهما ، لملاقاته وتهنئته بالقدوم.فلما بلغوه فرح بهم وأمر قبطان النصارى أن يضرب بأنفاضه إرهابا وإظهارا لقوة النصارى الذين استصرخ بهم .فضربها حتى اصطكت الآذان

---

1 المقصود ملك اسبانيا فليب PHILIPPE III ،1598-1621

2 الحسيني في الحجرية .

وارتجت الجبال . ونزل القبطان من السفينة للسلام على الأعيان.فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له ، فقاموا له أجمعين، وجازوه خيرا على ما فعل بالشيخ من الإحسان والنصرة.وأنكر الناس على أولئك الأعيان قيامهم للكافر ، وضربوا بعصا الذل والهوان من الملك الديان ، حتى أنهم في رجوعهم لفاس ، تعرض لهم عرب الحياينة ، فسلبوهم وأخذوا ما معهم ، وجردوهم من ملابسهم جميعا، ما عدا القاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم، فإنه عرف بزي القضاء فاحترموه.

ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض من أخذ العرائش أمر عظيم وأنكروا ذلك أشد الإنكار . وقام الشريف أحمد بن ادريس الحسني، ودار على مجالس العلم ونادى بالجهاد والخروج لإغاثة المسلمين بالعرائش . فانضاف له أقوام وعزموا على التوجه لذلك ، ففت في عضدهم قائده حمّ المعروف بأبي دبيرة [3]، وصرف وجوههم عما قصدوه ، في حكاية [279]طويلة . وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة ، وإنكار العامة والخاصة عليه إعطاءه العرائش ، بلاد الإسلام ، للكفار، احتال على ذلك بأن كتب سؤالا لعلماء فاس وغيرها ، يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها بأولاده وحشمه ، منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها حتى يعطيهم بلد العرائش . وأنهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا حتى يمكنهم مما أرادوه . فهل يجوز أن يفدي أولاده من أيديهم بإعطائها لهم أم لا ؟ فأجابوه بأن فداء المسلمين سيما أولاد أمير المؤمنين سيما أولاد سيد المرسلين وخاتم النبيئين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر بإعطاء بلد من بلاد المسلمين للعدو جائز ، وإنا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع الإعطاء ، وما أجاب به من أجاب من العلماء ، إلا خوفا على نفسه . وقد هرب جماعة من

---

3 ينظر عنه :جعفر بن الحاج السلمي ،معلمة ،1662:5 .ويظهر أنه ينتمي لعائلة نبغ منها عدد من القواد .ينظر SIHM,PORT,T:III,PP:96,445,-FR,T:I,PP121,131

تلك الفتوى ، كالامام أبي عبد الله محـمـد الجنان[4] صاحب **الطرر** الشهيرة على **المختصر**، وكالإمام أبي العباس أحمد المقري مؤلف **نفح الطيب** ، فاختفيا مدة مديدة استبراء لدينهما ، حتى صدرت الفتوى من غيرهما . وبسبب هذه الفتوى أيضا هرب جماعة من علماء فاس للبوادي كالإمام سيدي الحسن الزياتي[5]شارح **الجمل** ، والإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي[6]، وغيرهما .

ثم إن الشيخ نزل بالفحص ، واجتمع عليه [280] لمة من أهل الدعارة والفساد والعتو والعناد ، فعتا في البلاد على عادته.ورحل لتطوان فأخذها ، وخرج منها المقدم أحمد النقسيس هاربا . ولم يزل يجول في بلاد الفحص إلى أن تمالأ أشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ، ورقة ديانته ، وتمليكه بلاد الإسلام للكفار . فقتله المقدم محمد أبو الليف غدرا بمحلته بموضع يعرف بفج الفرس . وبقي مطروحا مكشوف العورة أياما . حتى خرج جماعة من تطوان فحملوه ودفنوه مع من قتل من أصحابه كالدبيريين وبعض أولاده ، خارج تطوان ، إلى أن حمل لفاس الجديد مع أمه ، فدفنا بها . وكان قتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف. ويقال إن قتله كان بإشارة من الثائر أبي العباس أحمد بن عبد الله المعروف بأبي محلي ، وأنه كتب للمقدم أحمد النقسيس والمقدم محمـــد أبو الليف ، يحضهما على قتله ، فقتلوه وانتهبوا ماله . وكان له مال معتبر ، ومن جملة ما نهب له نحو مدّ[7]من الياقوت وباقي ماله وسق سفينة تركه بطنجة ، فاستولى عليه النصارى لما قتل ، بجري القدر المحتوم .

وكان الشيخ -عفا الله عنا وعنه -له مشاركة في العلوم ، ويد في مبادئ الطلب . أخذ عن أشياخ الحضرتين ، وله شعر حسن. ومن شعره ما رأيت بخط بعض الأفاضل معزوا إليه على لغز في

---

4 محمد بن أحمد،ت 1640/1050.ينظر عنه :القادري ، نشر،1:379.

5 ت 1614/1023 ، حجي،حركة،2:458.له شرح علي منظومة المجراد المسماة بالجمل .

6 المعروف بالحافظ،ينظر عنه:محمد حجي ،حركة،2:365.

7 مدين ، بالتثنية ،في م6

قول ابن مالك في الألفية ينصب تمييزا:

أسائـل قـراء الخلاصـة كلهـــم عن أمر غريب قد بدا لي إذا قري
على اسم الحال الذي بدا لي نصبه ألا وهو تمييز فذا أعجب الأمـــر

ومن كتابه الأديب الفقيه المشارك المتفنن أبو العباس أحمد بن محمد [281]ابن القاضي محمد الغرديس التغلبي [8]،وكان من الإجادة والتبريز في صناعة الإنشاء بمكان . قال الشيخ سيدي العربي الفاسي [9] في شرحه لدلائل الخيرات عند قوله كان لي جار نساخ ما نصه: وقد كان الشيخ الكاتب الرئيس أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس شيخ كتاب الإنشاء بحضرة فاس أمنها الله ، استعار مني كتاب الأنباء في شرح الأسماء للإقليشي [10]، ثم مرض مرض موته ، فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراريس منسوخة وأخرى معدة للنسخ . فقال لي : إني إذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه ، فإذا غلبني ما بي أمسكت.فقلت:ولم تكلف نفسك بذلك ؟ فقال لي : إني عصيت الله تعالى بهذه الأصابع مالا أحصيه ، فرجوت أن يكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي بها وكفارة لذلك .قال: فكمل الله قصده وأتم الكتاب . وتوفي رحمه الله من مرضه ذلك وقد طال به من عام تسعة عشر إلى عام عشرين وألف . وعلى كل حال فالنسخ من الحرف المهمات والأشغال العلميات . وله يقول الشاعر :

تمتعت يا غرديس والدهر راقد وأنت بفاس وابن حيون واحد
لسعدك راحت خيزران لقبرها مصائب قوم عند قوم فوائد

---

8 ت 1611/1020،ينظر عنه :محمد حجي،حركة،372:2.وكذا :عبد الوهاب ابن منصور ، أعلام ،276:5 .

9 ت 1642/1052 ، ينظر عنه:محمد حجي ،حركة،420:2.

10 الأنباء في شرح الصفات والأسماء، للإقليشي ،أحمد بن محمد الأندلسي ت 1155/550 .ينظر عنه:حاجي خليفة،كشف ، 171:1.

الفصل السابع والخمسون

ذكر الخبر عن أولية القائم الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله المعروف بأبي محلي وما كان من أمره وانتهائه بمقتله

قال هو [1] في كتابه إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت [2] كانت ولادتي بسجلماسة عام سبعة بموحدة وستين وتسعمائة .والذي تلقيته من أبي وكافة عمومتي أن أولاد بو محلي [282] من ذرية السيد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . وذكر لي بعض قواد أبي العباس المنصور أن بعض خواص المنصور ذكر له أن بيده كتابا في الأنساب نص فيه على ذلك . وقد لقيت طالبا ، لا أتهمه بالكذب كما لا أبرئه من الغلط ، ذكر لي أنه كان بيده كتاب في الأنساب نقل فيه أن قبيلتنا أولاد أبي محلي منسوبة فيه إلى عبد الله ابن جعفر ، وأنهم خرجوا من مكناسة لسجلماسة بقصد تعليم الناس الدين والعلم . ولهم إخوة بناحية تلمسان ، يقال لهم مكناسة . فسألته الكتاب ، فذكر لي أنه احترق في منزله . وما كذبته ، ولكن خفت عليه من الغلط في عبد الله بن جعفر بأبي جعفر المنصور من العباسيين . وقد قال لي

---

1 عن ابن أبي محلي،ينظر :عبد الوهاب ابن منصور.أعلام،5:286

2 وللإصليت عنوان آخر هو:عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر من مخطوطاته ، في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 100 ، و4000 و4442 . وقد أخرج طرفا منه :عبد المجيد القدوري ، وصدر عن منشورات عكاظ ،1991 ،تحت عنوان ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت .والنقول الواردة هنا جاءت في الورقات 50،60،65،104،108 من المخطوط الآنف الذكر .

أستاذي -وهو أبو العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي - قد طالعت **مختصر الذيل** لابن السمعاني عام واحد وثمانين بمراكش ،وأنه رآه بمراكش فذكر فيه في أولاد أبي محلي وجهين ؛ إما مغراوة ، وإما لمتونة . قال وقد يقال يمكن الجمع بينهما ، لأن مغراوة قالوا أصلهم من قيس عيلان وقيس عيلان من مضر، وهم العرب العاربة ، أي القديمة . قال : وأما جدنا الأشهر المكنى بأبي محلّي بفتح الميم [283]والحاء واللام المكسورة المشددة بعدها ياء تحتية ساكنة ، مع كبير شهرته لاعلم لي بسبب تكنيته بذلك ، ولا بتفاصيل أحواله . وعن ذلك كله كان بحثي الحثيث الكلي في كتب نسابة وقته الشيخ التادلي ، رحمه الله ، ومقيدات غيره ، فلم أظفر من طلبتي بشيئ.قال: وبخطة القضاء اشتهر نسبنا في بلدنا ، فنعرف بأولاد القاضي وزاويتنا بزاوية القاضي . ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصا دار أبي ، في إخوته وبنيه . فلما نشأت في حجر والدي بذل مجهوده في تعليمي.وقد كانت أمي رأت وهي حامل بي وليا من أولياء الله تعالى ، أحد شيوخ التربية ببلدنا ، وهو سيدي علـــي بن عبد الله ، قد سقاها قدحا من لبن . وأرجو الله سبحانه وتعالى صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين . وكان خروجي لطلب العلم بفاس ، في حدود سنة ثمانين وتسعمائة ، وأنا يومئذ مراهق أو بالغ . لا همة لي إلا في العلم ، ولا شغل لي إلا بالحفظ والفهم . فأقمت بفاس كذلك أربع سنين أو خمسا ، إلى أن جاء النصارى لوادي المخازن ، كما ذكرنا قبل . فدهش الناس ، واستشرت من الطلبة أخا صالحا ، فدلني على الخروج للبادية، حتى ينجلي نهار الأمر.فخرجت [284]إلى بادية العسل والسمن وهي كريكرة [3] . فحفظت فيها الرسالة ، وقد كنت ما حصلت بفاس إلا نحوا ولا نزحت من بئره إلا دلوا ، ثم رجعت لفاس بعد أن زال الدهش بولاية المنصور وهزيمة النصارى ، والنحو صنعتي وفي الفقه رغبتي . أحاوله حفظا وأقدمه حظا . وقد كنت في الخرجة الأولى

---

3 تيكريكرة ، ينظر عنها :عائشة البلغيتي العلوي ، معلمة ،2732:8.

للبادية ، زرت قبر الشيخ المستجاب عنده الدعاء وهو أبو يعزى [4].
فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين في العلوم بأسرها ، وتوبة مني يتقلبها . فما دار علي حول إلا وأنا بزاوية الشيخ سيدي محمد بن مبارك الزعري[5]، لا عن قصد ، لكوني إذاك مولعا بالعلم، وطريق الفقر لا تخطربباللي ، لأن المعتمد يومئذ في الفقراء خلاف الظن[6] . فكنت أشد الناس حذرا منهم . إلى أن انكشف السترواتحسر، فرأيت ما رأيت ، إلى أن وعيت.فصاحبت شيخي الذي لولا هو من فضل الله لهلكت ، ولولا هدايته بإذن الله لضللت . وكيف لا وهو الذي أنقدني الله به من بحر هواي المضل ودلني به عليه برحمته في أصحاب الصراط السوي ، أبو عبد الله سيدي محمد بن مبارك الزعري القبيل الجراري السبيل ، وفي القرون عاشري الجيل . وهو رضي الله عنه من قبيلة [285] عرب بالمغرب ، يقال لهم زعير بصيغة التصغير ، والنسب إليه على التكبير . وقد سمعت من شيخ مسن في القبيلة المذكورة يذكر أن سبب تسمية جدهم بزعير ، أنه كان يحرث على جمل وفرس معا . فقال للأول في زجره زع ، لأنها كلمة تساق بها الإبل ، وقال للثاني وهو الفرس ري بكسر الراء لأنها كلمة تساق بها الخيل وتزجر . فلما نطق بهما معا لقب بهما . ثم غلب على ألسنة العامة اليوم تصغير زعير . قال الشيخ المذكور : وكان اسم الزعري قبل ذلك سليمان ، ثم غلب لقبه على اسمه . وزعم مع ذلك أنه أخو بربش[7] وأشبان، تنسب لكل واحد منهم إلى الآن قبائل شتى من عرب سوس بالمغرب الأقصى . فبقيت في صحبة شيخي المذكور نحوا من ثمانية عشر عاما . وما فارقته بالمرسوم إلا عن أمره . إذ هو الذي وجهني لبلاد سجلماسة من غير اختيار، قائلا لي : إن

4 أبو يعزى ، ميمون يلنور،ت 1177/572.ينظر عنه:العزفي،دعامة اليقين .و عبد الوهاب بنمنصور، أعلام ،2:212 ، ولائحة المترجمين له في الهامش 233.

5 دفين تستاوت ، ت 10061597 ، ينظر عنه :المراكشي،إعلام ،5:188.

6 خلال الضلال ، في م 1 و 3 وم 4.

7 بربوش في م 1 وم3 وم4.

صلاحهم فيك. ثم ناولني عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب مني لشيء من ذلك ، وجعل في رأسي قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع . فلما استوطنت بلادي عن إذنه ، زرته منها نحوا من إثني عشر[8] مرة . وفي الأخيرة منها عند مقفلي من الحجة الأولى التي في حياته السعيدة ، وذلك عام اثنين بعد الألف دعا لي بقوله:بلاك الله أكثرمما [286]بلاني . فتأولته بإقبال الخلق علي كما ترى . وقد صاح عندها صيحة عظيمة ، وما كانت من عادته وما رأيت منه مثلها منذ صحبته لطمأنينته . ولما توفي أيده الله وقدسه بقيت نحوا من ثلاث سنين عاطلا.ثم تجلى التجريد بنور لطائفه الموعود بها.فله الحمد على ما أسدى،وله الشكر فيما أهدى.

ثم ذكر بقية أشياخه كالمنجور وسيدي أحمد بابا السوداني وسيدي سالم السنهوري [9]، وغيرهم ممن يطول بنا تتبعه . قال : ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج . فلما أظلني شهر رجب من عام واحد أو اثنين بعد الألف ، اجتمعت بالإلف الصديق المشفق الحقيق أبي يحيى الفاسي[10] ، وأخذت عنه البدخشي من بخارى على نخبة ابن حجر [11]. ثم رجعت لزيارة الديار المغربية إلى وادي الساورة . ثم تحولت بجميع عيالي للوادي المذكور.

هذا ملخص أوليته رحمه الله من كتابه المذكور، وهو كتاب مفيد ، وقفت عليه في مجلد . ومنه انتقينا هذه العجالة .والله ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق .

---

8 إحدى عشرة مرة ، في م 1 وم 4 وم5.

9 ابن محمد ،ت 1607/1016،ينظر عنه: القادري ، نشر، 139:1

10 لم نتمكن من التعرف عليه .

11 نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 1186/582 . ينظر عنه:حاجي خليفة ،كشف ،1936:2.

الفصل الثامن والخمسون

ذكر الخبر عن استعلاء ولو عرفا وملك الدنيا عيانا شرقا وغربا

قال الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله في رسالته التي سماها **مقامة التجلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي** [1]– وهي رسالة طويلة مسجعة وقفت عليها بخط مؤلفها – ما نصه : كان الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا ، ثم إنه انتحل طريق التصوف مدة ، حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ، ولاحت عليه مخايل الولاية الرحمانية.فانحشر الناس [287]لزيارته أفواجا ، وقصدوه فرادى وأزواجا ، وبعد في البلاد صيته ، وكثرت أتباعه . قال : فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده مدة ، إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم ، المبشر به في صحيح الأحاديث . فتركته وراء ، ونبذته بالعراء.

وذكر شيخ مشايخنا أبو علي سيدي الحسن اليوسي في **المحاضرات** [2]أن أبا العباس أحمد أبا محلي المذكور كان ذات يوم عند أستاذه ابن المبارك قبل ذلك ، فورد عليه وارد حال ، فتحرك وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان . فقال له الأستاذ : يا أحمد هب أنك سلطان ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . وفي يوم آخر وقع للفقراء سماع . فتحرك وجعل يقول أنا سلطان، أنا سلطان ، فتحرك فقير آخر في ناحية وجعل يقول :ثلاث سنين غير ربع [وهذه هي مدة ملكه][3] فكان الأمر كذلك . ويذكر أنه لما

---

1 ذكر محمد حجي ،الزاوية ،147،هـ 9 :أخبرني الأستاذ الحسن البونعماني أن العالم السوسي أحمد الجراري وقف في إحدى المكتبات الخاصة بسوس على كتاب أدبي ضخم بعنوان :التحلي فيما وقع بين أبي زكرياء وأبي محلي .

2 محاضرات ، 106.

3 زيادة من المحاضرات .

طاف بالبيت في وجهته الحجازية ، سمع وهو يقول يارب ، أنت قلت وقولك الحق :*وتلك الأيام نداولها بين الناس* [4]، فاجعل لي يارب دولة بينهم ، ولم يسأل حسن العاقبة . فرزق الدولة ، فآل به الحال إلى ما أبرمته أيدي الأقدار .

وكان فقيها محصلا ، له قلم بليغ ونفس عال . وله تآليف منها **الوضاح** [5] **والقسطاس** [6] ، **والإصليت** ، **ومنجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور**[7]رأيته بخطه ، و **جواب** [8] الخروبي على رسالته الشهيرة لأبي عمرو المراكشي ، وغير ذلك [9]. وله شعر وسط . وسولت له نفسه أنه يقدر على القيام بوظيفة تغيير المنكر ، فأصيبت مقاتله من ذلك ، وهو لا يدري . وقال شيخ شيوخنا أبو علي اليوسي رحمه الله في **المحاضرات** [10]له : كان أبو محلي المذكور مصاحبا لابن المبارك التاستاوتي في الطريق ، حتى حصل له منها نصيب من الذوق ، وألف فيها كتبا تدل على ذلك . ثم نزغت به هذه النزغة ، فحدثوا عنه أنه في أول أمره كان

4 قرآن كريم ، سورة آل عمران ،الآية 139.

5 الوضاح لكل متمشدق فضاح ،ينظر عنه :محمد حجي ، الزاوية ،145.

6 القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم ، خ ع رقم 576 ق .

7 أو المنجنيق لرمي البدعي الزنديق ، مخطوط خ ع 338 ق والخزانة الحسنية ، 582.ينظر عنه:محمد حجي ،حركة ،32:1.

8 كتب محمد بن علي الخروبي ،المذكور قبل ،رسالة أنكر فيها بعض تصرفات أبي عمرو القسطلي . واطلع ابن أبي محلي على تلك الرسالة ، فكتب رسالة مطولة في الرد عليها . ينظر : محمد حجي ، حركة ،170:1.

9 من مؤلفات ابن أبي محلي غير ماذكر: تهييج الأسود –مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نكوس السفلة المبتدعة –سلسبيل الحقيقة والحق في سبل الشريعة للخلق –سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة –السيف البارق مع السهم الراشق – الهودج .ينظر : محمد حجي ، زاوية ،145،وعبد الوهاب ابن منصور ،أعلام ،292:5 .

10 محاضرات ،106،بتصرف كبير .

معاشرا لابن أبي بكر الدلائي . وكان البلد إذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت وفشا المنكر في الوقت . فقال أحمد بن عبد الله لابن أبي بكر ذات ليلة : هل لك في أن نخرج غدا إلى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونكون قد قمنا بوظيفة تغيير المنكرات ، فإنها قد شاعت وفشت . فأبى عليه ابن أبي بكر ، ولم يساعفه ، لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، وقال له : إن شروط تغيير المنكر لم تتوفر . فلما أصبحا خرجا . فأما ابن أبي بكر، فانطلق ذاهبا إلى ناحية النهر فغسل ثيابه ، وأزال شعثه بالحلق ، وعمر أوقاته بأوراده ، وأدى صلواته في أوقاتها.وأما ابن أبي محلي فتقدم لما همّ به من الحسبة ، فوقع في شر وخصام ، وأفضى به الحال وأداه إلى إخراج الصلاة عن الوقت،ولم يحصل على طائل . فلما رجعا بعد المغرب إلى مأواهما، واجتمعا بالليل ، قال له ابن أبي بكر : أما أنا فقد قضيت مئاربي وحفظت وأديت صلاتي في وقتها ، وانقلبت في سلامة وعافية وصفاء ، ومن أتى منكرا فالله حسيبه . أو نحو هذا من الكلام . وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه . ثم لم ينته عن ذلك ، ولم يلبث إلى أن ذهب الى بلاد وادي الساورة من بلاد القبلة ، ودعا لنفسه .وأظهر أنه ما حمله على ذلك إلا كثرة المناكروتفاقم البدع . ولم يقتصر على ذلك وادعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه بصدد الجهاد.فاستخف قلوب العوام، فتبعوه .

وكان رحمه الله يكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان ، يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة ، ويشيع أنه الفاطمي . وأن من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فهو منافق . وربما كان يقول لأصحابه محرضا لهم على نصرته : أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل ، وهم قاموا به في زمن الحق . أو نحو هذا من زخاريف كلامه . وإلى هذا أشار الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي في بعض قصائده ، معرضا بأبي محلي المذكور ، ومحذرا من حاله فقال :

يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم فيمن مضى أسوة من سائر العلما
نسيتم دين خير الخلق وافترقت آراؤكم فغدا الإسلام منقسما
أتحسبون بأن الله يترككم سدى وخلقكم قد تعلمون لما
ناشدتكم بالذي في العرض يجمعكم أما فطنتم وما لاه كمن علما
بأن مغربكم قد عمه سخط من المهيمن يا الله معتصما
إن قيل للناس إن الهرج يوبقكم قالوا الفقيه فلان قبلنا جزما
لولم يكن جاز ماأفتى الإمام به ولاأتاه الأجل ابن الذي هدما
ومن يقل قال خير الخلق قيل له ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما
[289]ونحن أفضل من صحب الرسول لنا أجر يضاعف في أجفارنا نظما
وزخرفوا ترهات القال فانفعلت له قلوب عوام رشدها عدما

وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله هذا مراسلات ومهاجاة ، نظما ونثرا، كقوله :

أيحيى الخسيس النذل ما لك تدعي قصورا شعارا للفحول الأوائل
كدعواك من بيت النبوة نسبة وأنت دني من أخس القبائل
ووجهك وجه الفقرد أقبح ما يرى ورأسك رأس الديك بين المزابل
وشدك تعميما كرأس عجوزة من الروم أقعدت لغسل المنادل

[وأجابه يحيى بقوله :

عجبت لبرغوز يزاحم ضيغما على أكل لحم ،عقله غير كامل
وما يعرف البرغوز لحما و أمه ربته بزغال ودود المزابل][11]

ويزعمون أن يحيى كان معاشرا لابن أبي محلي في زمن الطلب بالمدرسة بفاس . وللعامة فيما وقع بينهما من أمور السخرية ما أنزه كتابي هذا عن تسطيره فيه ، والله يسامح الجميع .

---

11 ما بين المعقوفين زيادة في الأم .

الفصل التاسع والخمسون

ذكر الخبر عن دخوله سجلماسة ودرعة ومراكش وما وقع في ذلك[1]

كان أبو محلي رحمه الله ، لما كثرت جموعه وأتباعه ، وتعددت أشياعه ، وانثال الناس لزيارته ، صرح فيهم بوجوب القيام لتغيير المناكر التي شاعت في الناس وذاعت ، وجعل يقول:إن اولاد المنصور قد تهالكوا في طلب الملك حتى فني الناس فيما بينهم ، وانتهبت الأموال ، وانتهكت المحارم . فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم . ولما بلغه ما فعل الشيخ ابن المنصور من إجلاء المسلمين عن العرائش وإخلائها منهم ، وبيعها للعدو الكافر ، استشاط غضبا وأظهر أنه غضب لدين الله وأهله ، لا حمية وتعصبا . فخرج إلى سجلماسة يوما بقصد أخذها،وكان خليفة زيدان عليها رجل يسمى الحاج المير[2] . فخرج عامل زيدان المذكور لمصادمته وهو في نحو أربعة آلاف ، وأبو محلي في نحو أربعمائة مقاتل . فلما تراءى الجمعان كانت الدائرة على جيش عامل زيدان . وشاع في الناس[3] أن الرصاص يقع على أصحاب أبي محلي باردا لايضرهم . فسكنت هيبته في القلوب ، وتحرك له ناموس عظيم .

ولما دخل سجلماسة ،أظهر العدل ، وغير المناكر ، وقدمت

---

1 سقط العنوان في م3.

2 ورد ذكره في : هنين ، وصف الممالك المغربية ،ص: 118، ويسميه : القائد الميرا .ينظر كذلك: SIHM,PB,T:II,P118

3 وأشاع الناس في م4 وم6.

عليه وفود أهل تلمسان والراشدية[4] يهنونه. وفيهم الفقيه العلامة سيدي [290] سعيد قدورة الجزائري[5] شارح **السلم**[6]، وهو من تلامذة أبي محلي ، كماذكره في كتاب **الإصليت**.ولما بلغت الهزيمة زيدان ووصله الفل ، جهز جيشا عظيما ، وبعث به وأمر عليه أخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة[7]. فسمع به أبو محلي ، فسار لدرعة . فوافاه هنالك عبد الله ، فوقعت الهزيمة عليه ، وقتل من أصحابه نحو الثلاثة آلاف . فقوي عند ذلك أمر أبي محلي ، واشتدت شوكته ، وجمع بين سجلماسة ودرعة . وكان القائد يونس الإيسى[8] هرب من زيدان لأمر نقمه عليه ، وقصد إلى أبي محلى، وجاء معه يطلعه على عورات زيدان ، ويخفف عليه أمره . فمازال به إلى أن توجه به إلى مراكش . فبعث زيدان جيشا لقتاله فهزم ودخل مراكش ، وفر زيدان لثغر أسفي ، وهم بالهرب والعبور لبر العدوة. ولما دخل أبو محلي قصر الخلافة من مراكش،فعل فيه كيف شاء.وتزايد له ولد هنالك فسماه زيدان . ويقال إنه تزوج أم زيدان وبنى بها ، ودبت في رأسه نشوة الملك ، ونسي مابنى عليه أمره من التقوى والنسك . وفي **المحاضرات**[9] للشيخ اليوسي - رحمه الله-ماصورته:لما دخل أبو محلي مراكش،ذهب إليه إخوانه من [291]الفقراء برسم زيارته وتهنئته

---

4 يتحدث الوزان ،وصف ،26:2 ،عن إقليم بني راشد من مملكة تلمسان . ومرمول ،إفريقيا،324:2 ،الفصل 14 :بنو راشد .

5 تونسي الأصل ،جزائري النشأة،ت 1656/1066، ينظر عنه: محمد حجي حركة.627:2.

6 السلم المرونق في علم المنطق لعبد الرحمن بن محمد الصغير .حاجي خليفة،كشف.998:2.

7 ينظر عنه: De Castries,GENEALOGIE

8 لم نتمكن من التعرف عليه .وانظر علاقته بالمدعو إيسي الوادر ذكره في مراسلات زيدان والحاجي الآتية بعد.

9 المحاضرات ،106، بالحرف.

فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنونه ويفرحون له بما حاز من الملك ، وفيهم رجل ساكت لايتكلم ، فقال له أبو محلي : مالك لا تتكلم ؟ وألح عليه في الكلام . فقال له الرجل : أنت اليوم سلطان، فإن أمنتني على أن أقول الحق قلته . فقال له : أنت آمن.فقال له : إن الكورة التي يُلعب بها يتبعها المائة والمئتان وأكثر وأقل من خلفها، ويكثر الصياح والضجيج والهول ، وينكسر بعض الناس وينجرحون ، وقد يموتون ولا يبالون، وإذا فتشت لم يوجد فيها إلا شراويط -أي خرقا بالية - ملفوفة . فلما سمع أبو محلي هذا المثال وفهمه بكى وقال : رمنا أن نجبر الدين فأتلفناه .

الفصل الستون

ذكر الخبر عن استصراخ زيدان بيحيى بن عبد الله ومقتل أبي محلي

وما وقع في ذلك

لما رأى زيدان فشل ريحه وضعفه عن مقاومة أبي محلي ، كتب للفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ثم الداودي مستغيثا به ومستصرخا . وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درن ، وله شهرة عظيمة في الصقع السوسي وأتباع.فبعث له زيدان مستنجدا ومستصرخا وقال له : إن بيعتي في أعناقكم ، وأنا بين أظهركم ، فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من ناوأني . فلبى أبو زكرياء نداءه [292]وأغاثه . فحشد الجيوش من كل فج وجمع الجموع من كل صوب ، وخرج يوم مراكش في ثامن [1]رمضان عام اثنين وعشرين وألف . ولما بلغ يحيى فم تانوت [2]، موضع على مرحلتين من مراكش ، كتب له أبو محلي بما نصه:بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله . بلغني بأنك جندت وبندت ، وفي فم تانوت نزلت . إهبط للوطا لينكشف بيني وبينك الغطا. فالذئب ختال والأسد صوال . ولاتستقيم الأيام إلابضرب القنا وقطع الحسام،والسلام .

فأجابه بما نصه:بسم الله الرحمن الرحيم ، من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله . أما بعد فليست الأيام لا لي ولا لك ، إنما هي للملك العلام . وقد أتيتك بأهل البنادق والأضرار ، من شبانة ومن انتمى إليهم من بني جرار ، وأهل الشرور والبؤس ،

1 ثاني ، في م2

2 إيمي ن تانوت ، ينظر عنها:أحمد بلاوي ، معلمة ،936:3.

من هشتوكة إلى بني كنسوس ، فالوعد بيني وبينك كيلز . هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز ، والسلام .

ثم زحف يحيى لمراكش في جنوده إلى أن نزل قرب كيلز ، جبل مطل على مراكش .فخرج إليه أحمد بن عبد الله بجنوده ، فوقعت المعركة بينهما هنالك . فكانت أول رصاصة في نحر أبي محلي . فمات مكانه [3]، وفرت جموعه وانهزمت شيوعه ونهبت محلته ، وقطع رأسه ، وعلق على سور المدينة ، فبقي [293]معلقا مع رؤوس جماعة من أصحابه نحوا من إثني عشرة سنة . وحملت جثته فدفنت بروضة الولي الشهير أبي العباس السبتي ، تحت المكتب المعلق هنالك ، قرب المسجد الجامع . وقد رمز لقيام أبي محلي ووفاته الشيخ الفقيه الصدر أبو العباس أحمد المريدي المراكشي [4]رحمه الله ، فقال : قام طيشا ومات كبشا .[أي قام عام عشرين وألف ومات عام ثلاثة وعشرين وألف][5] ولا يخفى ما فيه بعد إفادة التأريخ من حسن التلميح [295] وبديع التورية .

[وفي هذه السنة التي قتل فيها ابن أبي محلي توفي سلطان مكة المشرفة مولانا الحسن المعروف بأنمي وترك بنيه وإخوته. فوقع بينهم من التهالك على الملك مثل ما وقع بين أولاد المنصور في المغرب . ولما بلغ خبرهم للسلطان الأعظم ، ملك القسطنطينية العظمى مراد بن السلطان سليمان شاه العثماني التركي ، وأنهي له ما وقع بين الأشراف بمكة من التقاتل ، كتب لهم ، بعد الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :يا عجبا تقع فيكم الفتن وجدكم الحسن . فالحسنة في نفسها حسنة ،

---

3 ذكر القادري ، نشر ،189:1 أن ابن أبي محلي قتل سنة 1613/1022 . وتؤكد رواية أجنبية أن المعركة وقعت يوم 30نونبر 1613 ، وأن الثائر أسر وسجن مدة بمراكش قبل أن يعدم .ينظر:SIHM,PB,T:II,p:33 .وكذا : زهراء إخوان ، مساهمة ،ص:10 . الهامش 2 .

4 أحمد بن عبد الحميد ، المريد .ت 1638/1048 .ينظر: حجي ،حركة ،394:2 .

5 زيادة في م4

وهي من بيت النبوة أحسن . والسيئة في نفسها سيئة ،وهي في بيت النبوة أقبح وأشين . أقسمت بالبيت الحرام والركن والمقام ، إن لم تنتهوا عن غيكم وتقفوا عند حدكم لأغمدن فيكم سيف جدكم.

فأجابوه بما نصه:

أما بعد ، فإن العبيد معترفون بذنبهم تائبون إلى ربهم . فإن عاقبت فيدك أقوى ، إن عفوت فهو أقرب للتقوى ، والسلام .

فتركوا الخلافة في يد ابراهيم بن الحسن ، وارتحل الباقون جميعا لمصر، فسكنوها][6]

و زعم أصحابه أنه لم يمت ولكنه تغيب . وحدثني بعض من أثق به أن أهل وادي الساورة ، إلى الآن ،منهم من هو على هذا الاعتقاد . والحول والقوة بالله ولما قتل أبو محلي دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منهاوألقى بها عصا تسياره ، ورام أن يتخذها دار قراره . فكتب له في ذلك زيدان وهو يقول لـــه [296]إن كنت إنما جئت لنصرتي ، وكف يد ذلك الثائر عني ، فقد أبلغت المراد ، وشفيت الفؤاد . وإن كنت رمت أن تجر النار لقرصك ، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به .

فتجهز يحيى للرجوع لوطنه ، وأظهر العفة عن الملك ، وأنه إنما جاء ليدافع عن الملك الذي بيعته في عنقه وانقلب لبلاده . ورجع زيدان لمراكش.وقد قيل إن يحيى رام الملك ، وأن أجناده من البربر لم يساعدوه على ذلك ، في قضية طويلة . والله ولي التوفيق ، بمنه وكرمه .

---

6 ما بين المعقوفين زيادة من م1 وم3 وم4 وم5 .

الفصل الحادي والستون

ذكر بقية الخبر عن أحوال يحيى بن عبد الله وشيء من التعريف به وما يناسب ذلك

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الداودي المناني الحاحي . وكان جده سعيد رحمه الله واحد وقته علما ودينا.وهو الذي أحيى الله به السنة بسوس ، وانتعش به الإسلام فيه . وقال فيه سيدي أحمد بن موسي السملالي :ما ولد النساء قبله ولا بعده مثله . وأجمع الناس على جلالته وديانته ، وكان من أهل العناية . قال لفقرائه يوما أتعرفون ما يعني بكم شيخكم يوم القيامة ؟ قالوا لا. فقال لهم : يحضر لكم عند الميزان ، فمن فضلت لكم منه فضلة يأخذها ، فيردها على من احتاج إليها من إخوانه ، حتى إذا لم يبق إلا من قصرت به أعماله فيقف لكم عند الصراط حتى تجوزوا عن آخركم . وكراماته أكثر من أن تحصى . أخذ عن التباع [1][297] وتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة .

ولما مات جلس ولده سيدي عبد الله في مكانه ، وجرى على نهجه وسبيله.بل كان بعض الناس يفضله على أبيه.وكان رحمه الله عالما عاملا خاشعا صالحا ناصحا.كان يقول ما عقلت على مخالفة لله عز وجل ارتكبها ، ولا آذيت حيوانا ولا نملة . قال في بذل المناصحة : لم أر أحدا ولا سمعت بأحد من المنتسبين ، يهتم بدين أصحابه وتعليمهم ، مثله . حتى كان يعين للحراثين للزاوية من يقوم لهم بوظيفة الماء ،إذا حان وقت الصلاة . فيأتيهم بماء وصطل ونار إلى محل الحرث [2]فيسخن لهم الماء ويتوضئون واحدا واحدا ، ويصلون جماعة . ووضع تأليفا في أهوال الآخرة يقرأه

---

[1] عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، ينظر عنه :المراكشي ،إعلام ،8:413

[2] الأزواج في م1 وم3.

على الزوار بالعربية والعجمية [3]. وكان لايصل إليه أحد إلا في الليل ، وما برز لأحدهم بالنهار قط ، إلا مرة واحدة . ويذكر أن شيخه سيدي أحمد بن موسى أوصاه بذلك . وكراماته رحمه الله كثيرة ، ولعلنا نلم بشيء منها في غير هذا الكتاب . أخذ عن سيدي أحمد بن موسى وعن سيدي عبد الله الهبطي ، وهو معتمده في الطريق، وعن محمد بن ابراهيم التمنارتي ، وعن الزقاق ، والونشريسي وغيرهم . وتوفي عام اثنى عشر وألف ، ودفن بزداغة من جبل درن، حيث كانت زاويته بموافقة السلطان الغالب بالله [298] عليها . وقد كان سعي به للمنصور ، لما كثرت أتباعه واشتهر أمره ، وخوفوه منه ، فبعث له قائده منصور بن عبد الرحمن العلج ليقبضه ، فأنجاه الله منه .

ولما مات جلس ولده يحيى هذا موضعه ، ونهج سبيله . وكان يحيى فقيها مشاركا ، رحل لفاس ، وأخذ عن أشياخها ؛ كالمنجور وغيره ، وعن الولي العارف بالله العالم الشهير سيدي أحمد بن محمد المعروف بأدفال السوساني دفين درعة ، وهو معتمده ، أخذ عنه كثيرا من الفنون وأجازه في علوم الحديث إجازة عامة . قال صاحب **الفوائد الجمة** [4]: كان يحيى مشاركا في الفنون من حديث وفقه ونحو وتصريف وتصوف . حدثني أنه رأى أبا هريرة [5]رضي الله تعالى عنه في النوم وهو آدم اللون ربعة شديد الحمرة . فقلت له ما اسمك ؟ قال عبد الله بن صخرأو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الذي سمعتم به ، فقلت له: أحضـــــرت انشقاق القمر ؟ فقال : لم أحضره ولكنه صحيح . فطلبت الدعاء منه ووضعت يده على وجهي تبركا به . فبعد أن أفقت من نومي ، بحثت عن إسلامه، فوجدته تأخر عن انشقاق القمر. قال : وأنشدني لنفسه :

يأبا زيد ليس مثلي يسمو   عن حديث يرويه مثلك عنه

أنت ضيف الدنيا فخفف عيوبا   من قراها واخش الردى من لدنه

---

3 البربرية ، في م 2

4 فوائد ،65 .

5 عبد الرحمن بن صخر ، ت59 /679 . ينظر عنه:زركلي ،أعلام ، 3:308.

وكان يحيى شاعرا محسنا ، وله قصيدة **لامية** في التهنئة غالبها مجنسة . وشرحها في كراسة [299] وسماها : **الرشفة الهنية من رسالة التهنية** . وله **نظم** في الشهداء على بحر الرجز . وحدثني صاحبنا القاضي أبو زيد السكتاني أنه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلي من القصائد في غرض الهجاء وغيره . واسم هذا الكتاب **التجلي فيما وقع بين يحيى وأبي محلي** . وكانت ليحيى شهرة عظيمة بالصلاح ، وأتباع كثيرة كوالده وجده . وتوجهت لزيارته الأمم وركبت لها النجائب . إلا أنه وقع له قريب مما وقع لأبي محلي ؛ فتصدى لأمور الملك ودخل في أحوال السلطنة ، فتكدر مشربه وانكسف بدره . ولم يشعر أن ذلك من مكائد إبليس اللعين،ومن دقيق دسائسه . وقد قال بعض العلماء : إن الرياسة اذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه . ولذلك قال صاحب **الفوائد**[6] في حقه بعد ما تقدم ما صورته : قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة ، واستمربه علاج ذلك إلى أن توفي ولم يتم له الأمر. [وكان ، لما رجع لسوس ،بدا له في طلب الملك وجمع الكلمة ، لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديه. وذهب لتارودنت ، فتغلب عليها وملكها .ووقعت بينه وبين أبي الحسن علي ، حفيد الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى السملالي وقائع تشيب لها النواصي ، ومعارك يهرم لها الرضيع . ولم يزل مصمما على طلب جمع الكلمة ، إلى أن توفي ، رحمه الله،ليلة الخميس السادس من جمادى الثانية من عام خمسة وثلاثين وألف ، بقصبة تارودنت . وحمل من الغد لرباط والده وجده، فدفن بجنبهما.][7]

وكان يراسل زيدان وينصحه ويجير منه من استجار به . وكان زيدان يتحمل من ذلك أمرا عظيما . وقد وقفت على رسالة

---

6 فوائد، 65.

7 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم5 .

ليحيى بعث بها لزيدان من نمط ما ذكرناه[8] . وهذا نصها :

من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم ، كان الله له بجميل لطفه دائما أمين ، اللهم إنا نحمدك على كل حال ونشكرك يا ولي المؤمنين على دفع اللأواء والمحال . ونصلي [300] ونسلم على نبيك أفضل من شدت إليه الرحال . ونستوهبك يا مولانا جميل لطفك وجزيل فضلك في المقام والترحال . عائذين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال . هذا وسلام الله الأتم ورضوانه الأعم ، ورحمته وبركاته على الهمام العلي المقام المولوي الإمام العلوي . كيف أنتم وأحوالكم مع الزمان ، الذي شمر عن ساقه لسلب الأديان . وألح في اقتضائها بهواه كل مديان.فإنا لله ولا قوة إلا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وبعد ، فالباعث به إليكم في هذه البطاقة أمور ثلاثة ، مدارها على قول النبي صلى الله عليه وسلم : *الدين النصيحة . فقيل لمن يا رسول الله . فقال : لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم*[9]. أما الأول فبيان سبب الركون إلى جانبكم ، والثاني الحامل على دفع مناوئكم ، الثالث ملازمة نصحكم وتذكرتكم والضجر مما يصدر منكم ومن أعوانكم للرعية .

أما الأمر الأول فله أسباب كثيرة ، منها مراعاة الجناب النبوي في أهل بيته ورضي الله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه القائل : ارقبوا محمدا في أهل بيته ، والقائل : لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ من أصل قرابتي.

يا أهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد أنكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

ومنها النصح لعامة المسلمين الذي هو الدعاء بالهداية لهم ، ورد القلوب النافرة إليهم ، ونصحهم بقدر[301] الإمكان مشافهة ومكاتبة . وقد بذلنا الجهد في الجميع، أخلص الله القصد في

8 تنظر نصوص هاته المراسلات كذلك في :المراكشي ، إعلام،0 222:1.

9 صحيح البخاري،1:22،باب قول النبي صلي الله عليه وسلم :الدين النصيحة وينظر كذلك:عمدة القاري ،320:1.

الجميع . وأما الأمر الثاني : فلما جرى القدر بتغلب ذلك الإنسان، المتسلط على الرقاب والحريم والأموال ، وأدخل بتأويلاته البعيدة عن الصواب ماليس في المذهب . وتعدى ضروب الولاية إلى سائر الرعية ، فاضلها ومفضولها ، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكد بالأيمان إلينا في الأنفس والأموال . فناشدناه كما تقرر في فتاوي الأئمة رضي الله عنهم ، حيث توفرت فيه فصول هذا الصدر كله بشاهد العيان فكان الأمر كما قدر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وأما الأمر الثالث فالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فسورة *والعصر* قائمة بالبرهان في كل أوان وعصر . وقد قال تعالى في قضية كليمه : قال ربّ *بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين* [10]. وقد استشهد به بعض العلماء في بري قلم الكاتب للأمراء المتقدمين . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقوله جل من قائل: *وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان* [11]. وأما السنة فالحديث الأول قوله : *المعاون شريك*[12] ، وقوله : من *رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان* [13]. وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلب لكون التغيير العام إليكم . حتى جذبتمونا إليه [302] ودللتمونا بارتكاب أصعب مرام عليه . وقوله : *من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله* [14]. وقد قال المواق [15]في شرحه على **المختصر**: من أعان على عزل إنسان وتولية غيره ، ولم

---

10 قرآن كريم سورة القصص ،الآية :6 1.

11 قرآن كريم ، سورة المائدة،الآية:2.

12 لم نتمكن من تخريجه.

13 حديث شريف ، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان .

14 حديث شريف ،أورده السيوطي في الجامع الكبير ، ولفظه : على قتل مؤمن.

15 محمد المواق الغرناطي ،ت8971491 .له شرح على مختصر خليل .ينظر عنه : القادري، نشر 6:1 8

يأمن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه إن سفك . ثم أتى بالحديث المتقدم ، استعظاما لذلك الأمر الفظيع . فإنا لله وإنا إليه راجعون.على أنا انخدعنا بالله ، حتى نأمر بالقطع وسفك الدماء إذاك . حيث كتبت لنا مرارا وأمنت وأرسلت . وكنت أتخوف من هذا الواقع بأزمور وأسفي ومراكش والغرب ، ولذلك كنت ألححت عليكم في تقرير العهد حتى أتاني القائد عبد الصادق بمصحف ذكر أنه لسلطان تلمسان ، في جرم صغير، وقال لي : أمرني السلطان أن أحلف لك فيه ، نيابة عنه ، على بقائه على العهد فيما بينك وبينه من تأمين كل من أمنته ، وإمضاء كل ما رأيته صلاحا لأمته،صلى الله عليه وسلم . ثم لم أكتف حتى أتى القاضي ، وكتبت لي أن كل ما رأيت فيه الصلاح أمضيته ، وأنك أمنت كل من أمنته . ثم بعد استقرارك في دارك ، كتبت لي كتابا بأنك باق على ما تعاهدنا عليه معك . وأن الأمور كلها على معيار الشـــرع . [303] فما راعني إلا وقد أخفرت في ذمة الله وأماني الذي عقدته للناس . فمن مأسورومقيد ومطلوب بمال ومطرود عن بلد . وأخبار أخر ترد علينا من جهة السواحل ، أن الناس تباع فيها للعدو الكافر ، دمره الله . ولم نر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه أمور الثغور . فلم ندر هل بلغك خبر ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع ، أم لم يبلغك ، فأعلمنا لله تعالى لتطمئن قلوبنا.فإني كاتبتك في ذلك ، فلم أر جوابا . فقضيت والله من الأمر عجبا . فإن عددت ما منّ الله به عليك ، من رجوعك إلى سرير والدك ، واجتماعك بسربك آمنا، من قبل النعم ، مما تقيد به في كريم علمه . وإن رأيته بنظر آخر فإن لله ما في السماوات وما في الأرض . وأما الإجماع فلم نر من العلماء من نهى عن نصيحة خاصة المسلمين ، وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعية. بل عدوه من الدين للحديث الأول وغيره . وأما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم إلانة القول في مكاتبتنا لكم . فما خاطبناكم قط -رعيا لذلك - ولو بنصف ما خاطب الأئمة الأول به أهل زمانهم . اتكالا علـــى [304] مطالعتكم لكتبهم ، وعلمكم بما لم نعلمه بذلك ولم نروه .

ويكفيكم نصح الفضيل بن عياض[16] وسفيان الثوري[17] وإمامنا مالك ، رضي الله عنهم ، لمعاصريهم من الولاة . وفيهم من بكى وانتفع ، ومن غشي عليه وتوجع ، ومن ندم واسترجع . إلى غير ما ذكر على اختلاف الأعصاروتنوع الدول . فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه أشياخنا وأسلافنا لكم ولأسلافكم ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدي عبد الله الهبطي لجدّكم المرحوم بكرم الله تعالى. فطمعت نجح النصح دنيا ونفعه دنيا وأخرى.فهذا أصل قضيتنا معكم ،وهلم جرا.والذكرى تنفع المؤمنين على كل حال.والحمد لله على كل حال،والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله خير آل . وبتاريخ أواخرربيع النبوي الشريف ، سنة تسع وعشرين وألف،وكتب عن إذنه رضي الله عنه ، عبد ربه محمد بن الحسن بن بلقاسم[18]لطف الله به،والحمد لله رب العالمين

فأجابه زيدان بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . من عبد الله تعالى ، المقترف المعترف، زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن . إلى السيـــــد أبي زكرياء يحيى ابن السيد أبي محمد عبد الله بن السيد سعيد بن عبد المنعم . أعاننا الله تعالى وإياكم على اتباع الحق . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . السلام عليكم ورحمة الله [305] تعالى وبركاته . وبعد ، فقد ورد علينا كتابكم ، ففضنا ختامه ، ووقفنا على سائر فصوله . ثم إننا إن جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ، ربما غيركم ذلك ، وأفضى إلى المباغضة والمشاحنة . ويحكى عن عثمان –رضى الله عنه –أنه بعث لعلي – كرم الله وجهه – وأحضره عنده ، وألقى عليه ما كان يجد من أولاد الصحابة الذين اعصوصبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم إلى الاسلام على يد الصديق ، وهو في كل ذلك لا يجيبه . فقال له عثمان : ما

---

16 ت 803/187 ، ينظر عنه:زركلي ،أعلام ،153:5.

17 الثوري،ت 778/161،ينظر عنه:زركلي، أعلام ،104:3.

18 لم نتمكن من التعرف عليه .

أسكتك ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن تكلمت ما أقول لك إلا ما تكره، وإن سكت فليس لك عندي إلا ما تحب. ولكن لما لم أجد بدا من الجواب ، أرى أن أقدم لك مقدمة قبل الجواب . وذلك أن الحجاج [19] لما ولاه عبد الملك بن مروان العراق ، وكان من سيرته ما يغني اشتهاره عن تسطيره هنا.فتأول ابن الأشعث [20] الخروج عليه،وتابعه على ذلك جماعة من التابعين ؛ كسعيد بن جبير [21]، وأمثاله من أولاد الصحابة . ولما قوي عزمهم على ذلك ، استدعوا الحسن البصري [22] رضي الله عنه لذلك . فقال : لا أفعل ، فإنني أرى الحجاج عقوبة من الله . فنفزع إلى الدعاء أولى . وقال بعض فضلاء العجم : يؤخذ من هذا أن الخروج على السلطان من الكبائر[306] ، وجواز المقام معه تحت ولاية الظلم والجور . وقد علمت ما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث وسعيد وأمثالهما . وقضية أهل الحرة لما أوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ما أوقع ، ولما بلغه الخبر وهو بالشام أنشد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

وشاع ذلك عنه وذاع . وكان ذلك على عهد أكابر الصحابة وأولادهم ، ولا تعرض أحد منهم للنكير عليه، ولا تصدى للقيام ، ولا خاطبه بكلام . وأما ما يرجع إلى جواب الكتاب : فأما ما حكيت عن الصديق -رضى الله عنه -في أهل البيت ، والأحاديث الواردة في أنه يجب احترامهم وتعظيمهم وتبجيلهم ، لأجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن كان يجب عليكم تعظيمهم فإن تعظيمهم يجب عليّ أولى وأولى . عملا بقوله تعالى : *قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى* [23] . وأجرى سبحانه وتعالى عادة حكمه : ما تصدى

---

19 الحجاج بن يوسف الثقفي،ت 714/95 ، ينظر عنه:زركلي ،168:2.

20عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ،ت 704/85 ، زركلي ، أعلام ،324:3.

21 الأسدي ،ت 714/95.ينظر:زركلي ، أعلام ،93:3.

22 ت 718/110، ينظر :زركلي ،226:2.

23 قرآن كريم سورة الشورى ، الآية:22.

أحد لعداوة أهل البيت النبوي إلا أكبه الله لوجهه . وأما ما أوردتم من حديث النصح ، فإني والله أحب أن تنصحني سرا وعلانية . مع زيادة شكري عليه ، وأراها منك مودة ، وأعدها محبة،ولكن أفعل من ذلك ما أقدر عليه . لأن الله سبحانه وتعالى يقول : *لايكلف الله نفسا إلا وسعها* [24]. ولهذا قال أكثر العلماء في صدور تصانيفهم [307] ولم آل جهدا في كذا . لأن النفوس الشريفة العالية لا تترك من فعل الخير والجد في اكتسابه إلا ما عز تناوله ، وصعب اكتسابه عليها . وأما ما ذكرتم من أمر أبي محلي وسيرته ، وما كان تسلط عليه . أما ما كان من عدم استنهاضكم إليه ، أما تذكر استنهاضنا لكم المرة بعد المرة ، وتكررت في ذلك إليكم الرسل ، حتى أجبت إليه . ولا تحتاج فيه لإقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة . وقوله عليه السلام : *من أراد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان* [25]. وإلا فلو دخل الملك من بابه ، وبايعه أهل الحل والعقد ، وأخذ ذلك بوسائطه ؛ مثل بيعة جدنا المرحوم التي تظافرت عليها علماء المغرب وأهل الدين المشاهير . ولو كان وصل لذلك بمثل هذه الوسائط لما وجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم . لأن السلطان لا ينعزل بالفسق والجور.وإلا فإن الصحابة رضي الله عنهم في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وما تصدى أحد منهم للقيام عليه ، ولا قال بعزله.وإلا فإنهم لايقيمون على مثل ذلك ولو نشروا بالمناشير.وأما أبو محلي ، فبمجرد قيامه ، يجب عليك وعلى غيرك إعانتنا عليه . لأنك في بيعتنا ، وهي لازمة لك . فالطاعة واجبة عليك . واعلم أيضا أن والدك أفضل منك ؛ بدليل : *آباؤكم خير من أبنائكم*[308] *إلى يوم القيامة* [26] .وكان عمنا مولانا عبد الملك رضي الله عنه وسمح له على ما كان عليه ، واشتهر به إعلانا وكان والدك في زمنه ودولته وبيعته ، ووفد عليه ، ولم يستنكف

---

24 قرآن كريم سورة البقرة ،الآية:286.

25 حديث شريف ، أخرجه مسلم ،الصحيح ، كتاب الإمارة.

26 لم نتمكن من تخريجه.

من ذلك ، ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ، ولا أنكر عليه ، ولا تعرض لما يسوء ملك الوقت ولا سمع ذلك منه . فإن كان راضيا بفعله ، فهو مثله . وإن لم يكن راضيا ، فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى الجزولي كادت أن تكون قطعية ، وقد اشتهر أمره عند الخاص والعام ، حتى أطبق أهل المغرب على ولايته.وقد كان على عهد مولانا عبد الله الغالب بالله ،برّد الله ضريحه.وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ، ويظهر حبه.وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وغير ذلك . وكان شرد منه لزاوية المرابط الأندلسي ، وولد أزيك ، وأمثالهم ، وكان يتقدم للشفاعة ويشفع ولا يتعقب ولا يعتب ولا يبحث على ما وراء ذلك ، باق على عهده ومودته . وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فسدها . فما فتحها حتى أمره بفتحها . ولا استعظم أحد ذلك ، ولا أكثر فيه ولا جعله سببا لفتح باب الفتنة . وكان قواد المولى المذكور ، مثل وزيره ابن شقرا ، [309] وعبد الكريم بن الشيخ ،وعبد الكريم بن مومن العلج ، والهبطي ، والزرهوني وعبد الصادق ابن ملوك، وغيرهم ، ممن لم يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم ، قد انغمسوا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير،وغير ذلك من آلات الفضة والذهب . وكانوا في عصر أحمد بن موسى المذكور، وابن حسين، والشرقي ، وأبي عمرو القسطلي ، ومحمد بن ابراهيم التمنارتي ، والشطيبي ، وغير هؤلاء من المشائخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ، ولا اكتساب الفضيلة دونهم . فأحسنوا السيرة، ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر ، الذين كان الملك يدور على أيديهم ، ويرجع في تدبيره إليهم.ومثل من ذكر من الأولياء كان علامة الزمان واحد وقته ، شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب ؛ عبد العزيز القسنطيني ، الشيخ المتكلم بالصوفية صاحب الآيات البينات. قد كان من سكان تونس، وكان ملك تونس وما انضاف إليها من

عمالتها على الفساد الذي لايحصى . واشتهر أمرهم ، حتى عرفوا به في المشارق والمغارب . ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر ، ولا للأمر بالمعروف ، حتى قبضه الله إليه.
[310]وأما ما ذكرتم من أن *من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوبا بين عنيه آيس من رحمة الله* [27]، فهذه حجة عليك لا علينا . لأني ما سعيت في قتل أحد ، يعلم الله ولا قتل من قتل إلا بأمر القضاة وأهل العلم ، إن كان . واعلم أنه إذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد ، فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المائة والمائتين والألف والخمسة آلاف ، ونهب الأموال ، وكشف الحريم، وغير ذلك . أما تعلم أنه أيام فتنة أبي محلي قد هلك من النفوس والأموال بسببها مالا يحصي عدده حاسب ، ولا يستوفي نهايته كاتب . وكان ذلك على رقبته ؛ لأنه هو المتسبب الأول ، الفاتح لأبواب الفتنة . لأنه كان يقتل كل من انتمى إلينا . حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمائة قتيل . ولولا أبو محلي ما قتلوا . وأعظم في حرمة النفوس من هذا، قوله تعالى من أجـــل ذلك : *كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا* [28]. وليس في قول المواق ما يحتج به على السلطان . وإنما تكلم في أصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده ؛ كصاحب الشرطة الذي ينفذ أحكام القاضي،وصاحب شرطة السوق [311] الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الخطة ،وغير ذلك من الولايات . وولاية أبي محلي لا تعد ولاية حتى يعد عزله عزلا . وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه من الأشياخ الأجلة ،وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة . ولست ممن ينطبق عليه قوله : *أشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه* [29].ولكن لماذا تحتج بقول المواق،الموافق لغرضك

---

27 حديث شريف ، سبق في الهامش 14

28 قرآن كريم سورة المائدة،الآية:32.

29 حديث شريف ، ابن عبد البر، جامع بيان العلم ،236:1

وتجعله حجة ، ولم تجبنا نحن فيما كتبنا إليك فيه في يونس اليوسي وقلنالك قال صلى الله عليه وسلم: *الحرم لا يجيرعاصيا* [30] وقال الأبي [31]: وهذا يحتج به على أهل الزوايا.وأضربت صفحا عن الجواب،وليس ذلك من أدب الجدال . ولكن ، أخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسي من الشرع ؟ فإن متاعنا عنده ، وإماء أهلنا في داره إلى يوم الوقعة،وترتب في ذمته للمسلمين من الأموال والدماء . فإن كنت ممن يريد العدل ، فهلا عدلت فيه ؟ فحينئذ نعلم أنك لا تريح جهتك ولا تذهب بك النفس مذهبها. لاجرم حينئذ نكون عند ما تريد . ومع هذا لما مسكنا زوجته وكتبت لنا فيها سرحناها ساعة وصول خطابك من غير توقف . فلو كنت عناديا لعبثت بها عبثه هو بإماء أهلي وأهل داري . على أني قط ما رددت شفاعتك منذ عرفتك . بعثت لي على ابراهيم بن يعزى [32] فسرحناه [312] لغرضك ، على أنه ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين ألف أوقية ، وذلك المال إنما يقال له مال بيت مال المسلمين . وإنما كان يجب تخليده في الحبس . وأهل الحصن أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفذتم كتابكم في ردهم فأمرنا بردهم عن آخرهم . وبن يعقوب أوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا ، وحرك من غير إذننا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه . فأنفذت الكتاب فيه فرد لمكانه.وما من أمر سافرت كتبك فيه إلا أسرعنا إليه خفافا . وأما مسألة أهل أزمور، لما جاء كتابكم ، عزلنا صاحبه وسرحنا من كان عنده ورددنا الخيل . وقضية

---

30 صحيح البخاري ،37:1 . ولفظه فيه :الحرم لا يعيذ عاصيا.

31 ابن خلفة ،محمد بن عمر ت 1424/827.له كتاب المعلم في شرح فوائد مسلم.ينظر :زركلي ،أعلام ،115:6، وجعل الونشريسي وفاته سنة 823 ، وفيات ، 139، وكذا ابن القاضي ، لقط ،242.

32 بوعزة في الحجرية وم2.

الحناشة [33] الناس في شأنهم بالاجتهاد.وقضية العرب ، اعلم أن العرب قد أفسدوا في الأرض واستطالوا على أهل سواد هذه البلاد. والعرب ، الذي يليق بهم ماأفتى به سحنون [34] في عرب افريقية والمغرب . ولو طالبناهم بمجرد العشر هذه مدة الفتنة بالمغرب ، لأتى ذلك على أموالهم. والناس خرجت عن أطوارها ، وأحبوا الفتن طلبا للراحة . انظر كتاب **الإفادة** للقاضي [35]، واستطالتهم فيه عليه في قضية شرعية مصرحة في رسمها القديم. على أنهم أضعف الناس قلوبا . انظر ما صدر منهم ، فما بالك بالعرب الذين خربوا البلاد ، وتساوى الشيخ والصغير في ذلك.فإن [313] كنت تصغي لمقالتهم وإسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم ، فهذا نفس خراب العالم . وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحمانة وما صدرمنهم يخبركم . ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا وإن كانت أدبية. قيل لابن الرومي [36] ، وهو علي بن العباس ، لم لم تقل كعبد الله بن المعتز: [37]

كـــأن أديـــورتنـــا والشمس فيــه كاليـــة
مداهـــن مـــن ذهـــب فيهـــا بقايـــا غاليـــة

33 سترد هذه الكلمة في نصوص موالية في النزهة، ويظهرأن بعض الناس اتخذوا منها حرفة ،تجمع بين التجسس وتحرير الأسري والتوسط بين المغاربة والمحتلين،إسبانا أوبرتغاليين،وربما ذهب بعضهم إلي حد قطع الطرق واللصوصية.ينظر.: SIHM,PORT,T:II,P:252,NOTE 3.

34 عبد السلام ابن سعيد التنوخي ، ت854/240،ينظر عنه:زركلي ،أعلام ،4: 5

35 لم يذكر من ترجم للقاضي عياض مؤلفا بهذا العنوان . والمقصود كتاب :إفادة المغرم المغرى بتكميل شرح الصغرى،لأحمد المقري .انظر :البغدادي ،إيضاح،1: 107.وأورد عبد الوهاب ابن منصور ، أعلام ، 352:5 ، في لائحة مؤلفات المقري:إتحاف المغرم المغرى في شرح السنوسية الصغرى ،وإتحاف المغرم المغرى في تكميل شرح الصغرى

36 علي بن العباس ، الشاعر المعروف ،ت 896/283.

37 الشاعر المعروف ، زركلي ،4:118.

فأجابه بأن قال : لا يقدر هو أن يقول مثل قولي في وصف الرقاقة :

إن أنس لا أنس خبازا مررت به — يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

مابين رؤيتها في كفه كـــرة — وبـــين رؤيتها قوراء كالقمـــر

إلا بمقدار ماتنداح دائـــرة — في صفحة الماء يرمى فيه بالحجـــر

وقال : كل منا يصف أواني بيته ، ورب البيت أدرى بما فيه،وأهل مكة أدرى بشعابها [38]، والصيرفي أعرف بنقد الدينار . وقصة الخضر والكليم ، على نبينا وعليهما السلام ، فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة ، وقتله الغلام، وإقامته للجدار . والكليم يرد عليه في كل ذلك حتى أنبأه الله بسر ما لم يعلم . على أن علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض . هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم : كل منهم على علم خصّه الله به.ومن هنا جوز ابن العربي الحاتمي في بعض [314] كتبه ، وأحسب أنه في كتاب **الفصوص** [39]، أن الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم تطالعه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . فقال مشيرا لنفسه : طالعني الله على علم لم يطالعه آدم فمن دونه . واعلم أن السلطنة لها أشراط لا بد منها ، وسياسة ينكر ظاهرها . ولكن نرجع إلى غرضك ومرادك . أخبرنا، كيف تحب أن نسلك مع الناس في الغرب ؟ فإن كنت تحب أن نسلك فيهم مسلك مولاي عبد الله ، فالزمان غير الزمان . والأسعار قد طلعت وبلغت النهاية .والله تبارك وتعالى قد بعث أنبياءه وأنزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان . وهذا يعرفه من خالط الشرائع والكتب المنزلة ، وأخذ العلم من أفواه الرجال ، وأدبته مجالس العلم . ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما أورده الناس في الخراج . أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الإسلام والدول العظام ، فلا نطيل بذكره لشهرته . وأما ما في المغرب

---

38 مثل سائر ، ينظر :اليوسي ،زهر ،1:139.

39فصوص الحكم ، لمحيي الدين محمد بن علي المشهور بابن عربي ، ت 638/ 1240.ينظر عنه :حاجي خليفة ،كشف ،2:1261.

خصوصا، فأول من فرضه عبد المؤمن بن علي وجعله على إقطاع الأرض ، بناء على أن المغرب فتح عنوة ، وإليه ذهب بعض العلماء ومنهم من يقول إن السهل فتح عنوة ، والجبل صلحا. فإذا تقرر هذا و علمت أن أهل هذا العصر قد بادوا واندثروا ، فيكون السهل كله إرثا لبيت المال . وتعين أن يكون الخراج فيه على ما يرضي صاحب الأرض ؛ وهو السلطـــان ، [315] والجبل تتعذر معرفة ما كان الصلح عليه ، ولاسبيل إلى الوقوف عليه ، فيرجع للاجتهاد . وقد اجتهد سلفنا الكرام -رضوان الله عليهم- في فرضه ، لأول الدولة الشريفة ، على حسب وفق أئمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العهد . فجرى الأمر على السنن القويم ، إلى أن هبت عواصف الفتنة لأيام ابن عمنا صاحب الجبل ، وإدالة مولانا الإمام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالأتراك . وامتدت به الفتنة في الجبل ، إلى أن هلك مع النصارى دمرهم الله في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله بمولانا المقدس بالجبل العاصم للإسلام من طوفان الأهوال ، فقدر ،رضي الله عنه ، الأشياء حق قدرها ، ورأى المغرب ، غب تلك الفتن ، قد فغر أفواهه لالتهامه عدوان عظيمان ، من الترك ، وعدو الدين الطاغية . فاضطر رحمه الله إلى الاستكثار من الأجناد لمقاومة الأعداء ، والذب عن الدين ، وحماية ثغور الإسلام . فدعا تضاعف الأجناد إلى تضاعف العطاء، وتضاعف العطاء إلى تضاعف الخراج ، وتضاعف الخراج إلى الإحجاف بالرعية . والإحجاف بالرعية أمر يستنكف رضي الله عنه من ارتكابه ، ولايرضاه في سيرة عدله طول أيامه . فلم يبق له حينئذ إلا أن أمعن النظر ، رحمه الله ، في أصل الخراج . فوجد بين [316]السعر الذي بني عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطي الرعية عند زمن الفرض ، وبين سعر الوقت ، أضعافا.فحينئذ تحرى رحمه الله العدل ؛ فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ، أو دفع ما يساوي بسعر الوقت . فاختاروا السعر مخافة أن يطلع إلى ماهو أكثر ، فأسعفهم إليه رضي الله عنه . وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد من أهل الدين

ولا من أهل السياسة.ليت شعري ، لو طالبنا نحن الرعية اليوم بسعر الوقت الذي طلع إلى أضعاف مضاعفة ، ماذا تقولون ، وقد انتقدتم علينا ما هو أخف من ذلك ؟ والحاصل،راجعوا-رضي الله عنكم -ما عند الإمام الماوردي في **الأحكام السلطانية** في ضرب الخراج ، فقد استوفى الكلام في ذلك .

أما ما تقتضيه من العجب لتعطيل أجوبتنا عنك ، نحن نراجع أقل منك . ولكن كتابك أكدت مبناه على قضية أهل أزمور ، فأنفذنا من أخرج الذي كان به وأمضاه[40]عنه وسرح من كان عنده . فتوقف الجواب حتى رجع الخديم . فحينئذ أجبناكم بما وصلكم . وتعجيل الأجوبة وبطؤها ، فاعلم أن الذي يقتضي ذلك أمور ؛ منها:أن يكون ما سمعت ولا بلغني الأمر الذي ورد الخطاب فيه منكم . فنوجه للبحث فيه والفحص عن أسبابه . فربما أوجب ذلك البطء بحسب الأماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وبيان . وإن كان عندنا ما ورد فيه خطابكم [317]، فالجواب لا يتأخر.وقد وقع هذا منا غيرما مرة . وكون تعطيله منشأه ما منّ الله به علينا من رجوعنا إلى سرير ملكنا ، واجتماعنا بأبناء أمنا . فاعلم أن أهل المغرب لما تمالئوا عليّ وخرجت للمشرق ، والتقيت بالترك والأروام وجالسوني وجالستهم ، وخاطبوني وخاطبتهم ، مشافهة منهم ومراسلة . وكنت أيام مقامي بأرضهم كمقامي على سرير ملكي . لأن كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم كان ينتجع فضلي ويمد كف رغبته لنعمتي . وواسيت الجميع عطاء مترفا مع قلة الزاد والذخيرة . وترفعت عن مواساة الأماثل والأكابر من العجم والعرب ، ولا ركنت لأحد ، بل تجردت بما قدرت عليه من الأخبية حتى جعلت محلة برماتها وخيلها . فترامى عليّ العجم بالرغبة ، وبسطوا أكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم ، وعرضوا عليّ الأقطاع السنية والبلادات الملوكية بلطف مقال وأدب خطاب.حتى قال القبطان مراد ، رئيس المجاهدين : وما مثلك يكون مع العرب ، ها نحن نخدمك بأموالنا وأنفسنا وبما لنا

---

40 أقصاه ، في م1.

من السفن حيث أردت وأحببت.ولا انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخط يدي أني أحمل أهلي وحاشيتي ، وأرجع إليهم ، إلا إن تمكن لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد أو بعضها . وقد قفلت [318]من عندهم ، ولم يتعلق بثوب عفافي ما يشينه معهم ولا مع العرب،ولا كان لأحد عليّ منة ولا نعمة ، إلا فضل الله تعالى . وكان فضل الله علينا عظيما . ثم إني دخلت سجلماسة على رغم أنف أهلها وواليها ، ومنها دخلت لسوس ، وجعلت ولي الله العارف به أبا محمد عبد الله بن مبارك واسطة بيني وبين أخي ، حتى اجتمعت بأهلي ومالي . وبعث إليّ الترك بأحد بلكباش اسمه مصطفى صولحي إلى السوس ، راغبين إنجاز الوعد ، فجنحت للمسير إليهم . فرأيت الأهل والأتباع قد عظم عليهم الأمر ، واستعظموا الخروج . فأسعفت رغبتهم في المقام في المغرب ، وشيعت الرسول قافلا إلى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالبة أهلها عليها.وعززته برسول من عندي إليهم بتحف وأموال ، ورد عليهم بها مع رسولهم.ثم إني اقتحمت مراكش مع أهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقلتي ووحدتي ، وفتح الله عليّ.ثم خرجت للسوس مرة أخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجموع مراكش ، وقد تعصبوا عليه ، لأنهم شيعة جده . ففضضته على رغمهم ونازلته بالسهل والحزن حتى مكن الله منه،وحكم بيني وبينه . ثم نجم نجم الغوي أبو محلي ، وغلبت على الرأي وقد قال من هوأفضل مني ؛ مولانا علي كرم الله وجهه : لا رأي لمن لا يطاع [41].ودخل هذه البلاد وخرجت أنا للسوس ريثما تجتمع إلينا قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه ، إلى أن بلغتهم [319] وقصد إليهم أبو محلي فقاتلوه ، ورحل عنهم بعد أن أثخنوا فيه بالقتل، ثم وافيتهم بمكان والحرب بيننا سجال . فهل سمعتم خلال هذه الأحوال أني احتجت لأحد فيما قل أو جل ؟ وهذا كله بحيث لايخفى عليك ، اللهم إلا أن تعد الوفادة التي وفدنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج ، فلا أدري . على أني ما

---

[41] وصار مثلا سائرا.ينظر:الميداني ،مجمع الأمثال ،241:2، رقم 3642.

قصدتك لطلب دنيا ، إلا أني كنت أسمع ما أنت عليه من متانة الدين والصلاح والإقبال على طاعة الله ، والتمسك بسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . لاغرو من كان هذا وصفه كان جديرا بأن يقصد للدعاء والتبرك ولإصلاح القلب . ولاشك أننا نزلنا دارك وحللنا بمكانك . ولما وقع الاجتماع معك جرت المذاكرة في أبي محلي وغيره ، حتى كتبت الكتاب الذي علّمنا عليه ، وهاهو بيدي بخطك .فإن نسينا بعض لفظ مما فيه ولافعلنا فأخبرنا به نستدركه.وهذا مراكش الذي ذكرتم ، قد كنت فيه كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المومن بن ساسي وعدته مرة أخرى في مرضه ، وهل قصدته لطلب دنيا أو عرفته لأجلها . ومحمد أبو عمر[42] ، لما وقفت بالمدرسة التي من بناء مولاي عبد الله وقفت عليه في داره وكل ذلك إنما نفعله تأكيدا للمحبة وزيادة في المعرفة بالله . ولو علمت أن ذلك يعد ويظن أنه نوع من الاحتياج ، والله ما كنت لأقف على أحد ،ولوأنه يملكني الدنيا بحذافيرها.لأن الخير والشر[320] بيد الفاعل المختار،وهو أولى بالاضطرار. وأما سربي فما تروع قط حتى يأمن.وأما من كان في الدار التي ذكرتم،فإنما هم أهلي ومتروك أعمامي.وهذه الدار التي ذكرتم ، فها نحن ننتقل منها لبعض البلاد الغربية البحرية ، كما قلت لك ذلك مشافهة ، ساعة قلت لي: ينبغي للأسلاف بناء بالجبل لوقته ، وحكيت ذلك عن والدك . وأما ما أخبركم به القاضي عند أيام ورودي لسوس وقت بلغني كتابكم الذي نصه : قد اجتمعت أناس وفسدت النيات وتعينت المطامع وأردنا تدبيركم ، لأن الملوك أهل التدبير. والمراد رجوعنا لأوطاننا من غير وصمة تلحق الجانبين ، فكل ما حمل فهو عني والتزمته إلى الآن . إلا ما طرأ علينا فيه النسيان ، ذكرونا به ، فإنا لا نخرج عنه . وأما يمين المصحف الذي ذكرت أني حلفت فيه للقائد عبد الصادق ، فلا والله ما حلفت فيه ، ولا أحلف لأحد إلى لقاء الله . أما علمت أني حضرت بيعة صاحب الغرب ، سمح الله له ، وحضر أولاد السلطان ، فاستحلفهم له إلا أنا ، فإنه ،

---

42 ابن عمر في الحجرية .محمد بن بوعمر في م1 وم3 .

رضي الله عنه ، قال : فلان لايحلف ولايحتاج إليه ، فما نأمره به يفعله .وعظم ذلك على إخوتي وظهرت في وجوههم الكراهة لأجله . ولكن الذي قلت لابن عبد الصادق : احلف للمرابط وأنا أوفي لك به.ومازلت على ذلك ، لأن الذي كنت تقول ذلك الوقت أخاف أن تقع في أهل [321]مراكش والأكابر ونحو هذا مثل حكومة عبد القادر ونحوها . أما أهل مراكش ، فما تعرضنا لأحد حتى تركنا متاعنا لأجلكم لولد المولوع وغيره . وهذا الميدان والشعر ابعث من ينادي فيهم من له علينا حق ننصفه منه ، ومن خدامي أيضا . وإن كنت سمعت قضية منصور العكاري ، فالعكاري نزل أهلنا في خيمته عند وقعة رأس العين . فلما أرادوا الطلوع للجبل ، تركوا أكثر مالهم في خيمته مع بعض الخدام ، خوفا من غائلة البرابرة ، لما كان وقع منهم لباب أبي فارس .فأخذ سماطا من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية . وكان أيام أبي حسون معه وفي جملته حتى مات القائم ، فدخل علينا بحيلته ، بإنجاز عشرين ألفا ، والباقي حتى يؤديه على سعة . وطلب أن يتعمل ويتولى الخطط لينتفع ويجمع بعض ذلك ، فصرفناه . حتى جاء أبو محلي ووقع ما وقع . فطالبناه بمتاعنا وهو لا يسعه إنكاره . وهكذا عبد الكريم الذي هو في زاويتك بنفسه يعلم أن إخوته أخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم تزيد على خمسين ألفا ، وأخذوا الإبل . وهانحن سكتنا عنهم ولا طالبناهم بها . وأيضا إن قال لك انظر ما فعل بإخوتي .فها نحن أعلمناك بخبرهم وأنت تكاتبنا وأنت لا علم عندك بأصل المسألة . وأما الأموال ، فإن الله سبحانه قد وسع [322]علينا من فضله . فعندنا ما يكفي الخامس و السادس من الولد . وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا . ولو أردت خمسمائة ألف مثقال من صاحب افلامنک أو من صاحب الإنجليز،وكتبت لهم بذلك ما تأنوا في بعثه،ولا لاذوا فيه بمعذرة . وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك . واعلم أن الظن فيك جميل ولولا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف [43]مثقال ، وسمحت بالمال الذي

---

43 خمسين ألف في م1 وم3.

حمل إليكم ابن عبد الواسع أخيرا ،ولابسلعة السفن . وبهذا كله تستدل على صفاء النية وصلاح السريرة . والله سبحانه وتعالى يعلم ذلك . وأما الامتعاض من عدم إلانة القول وحسن الخطاب ، كما قال الله تعالى: *وقولوا للناس حسنا* [44]، وأنك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به الأئمة ، رضوان الله عليهم ، أهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، فحسبي نصح الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ومالك بن أنس ، رضي الله عنهم ، فهذه المسألة حسبي في الجواب عنك [323]والسلام .

وقد وقفت على رسالة كتب بها إليه القاضي العدل الفقيه الأجل أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وكان يحيى استشاره فيما عزم عليه إذاك ، لأنه كان قاضيا بتارودانت ، فلم يوافقه وأبى من مساعفته على ذلك . فغضب عليه يحيى حتى أمر بقتله غيلة . فخرج من المدينة خائفا يترقب . فسلمه الله تعالى . وذهب حتى نزل بمراكش .وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم [324] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، يقول العبد الفقير الشديد الحاجة إلى رحمة مولاه ، الغني به عمن سواه ، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنه ومأواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن ، عفا الله عنه وسامحه ، الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيف الرسل والأنبياء . وأورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء العاملين والأولياء . والصلاة والسلام على من أكد أمر النصح ، وقال : *إن الدين النصيحة ، فقيل : لمن يارسول الله . فقال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم* [45] . والرضى عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه . وعن التابعين وتابع التابعين لهم إلى يوم الدين والفصل و القصاص بين الخليقة .

وبعد فإني لما قفلت والحمد لله بسلامة وعافية إلى حيي وجيرتي وأهلي . وأولادي مستوحشين البادية ، وإن كانت محل

---

44 قرآن كريم سورة البقرة،الآية:2 8.

45 حديث شريف ، صحيح البخاري ، 1:22 ،

سلفي ومقر تلادي ، بعد أن ألفوا الحواضر ، وطبعوا على طباعها ، فكانوا أحق بها وأهلها . وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالأولاد . فتذكرت قول بعض فقهاء الأندلس ، ممن نابه مانابني وأصابه مثل ما أصابني.

أليس من القبيح مقام مثلي بدار الخسف منخسف الجمال

أخالط أهل سائمة وسرح وأرتع بين راعية الجمال

[325]فجلت بفكري - وإن كان الكل بقدر الله وإرادته - فرأيت أن في ذلك القضاء لطف أمرأنتجه ، كما لايخفى على ذي بصيرة ، ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الإنس والجن بذوي العقول منهم . فصاروا أحزابا وفرقا ، فتبعت كل طائفة من هواها ماكانت تعبد . حتى إذا عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الإقلاع ، بادرت الشياطين فسدوا عليه بابه ووازروه بإغوائهم ، وزينوا له أن ذلك يشينه لدى العامة،ويوجب له السقوط من أعين الناس . مع أنه لايعده من السقوط إلا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس . وأين يغيب عن المؤمن أن السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى . وأين غاب عنه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لابكلام الهمج الرعاع، ممن لايزال الشيطان يلعب به آخذا بزمامه ساكنا على قلبه ولسانه . وأين يغيب عنه من كتاب الله ، *فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى* [46].وقلت:إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذه مصيبة عظيمة نزلت بغربنا ؛ فتفرق ملأهم ، وقتلت سراتهم ، وانتهبت أموالهم ، وانتهكت حرمهم ، ومزقت أعراضهم ، وفسدت أديانهم واختلت ، وبعدت عن التوفيق آراؤهم ، وكادت تطمع [326] - بل طمعت فيهم -أعداؤهم . اللهم ياذا الطول والامتنان ، ياحنان يامنان ، ياذا الجلال والإكرام تداركنا بألطافك الخفية في ديننا ودنيانا ، ياخالق الأرض والسماء.فإن قلت ماذكرته من أن خروجك من

46 قرآن كريم ، سورة النازعات ،الآيات 37-41 .

الحواضر إلى البوادي نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدى به من الصحابة رضي الله عنهم فتبرٍ صحيح [47].وما دليلك على التلاعب؟قلت : ما خرجه أئمة الصحاح من منع الخروج على الأئمة وأن الواجب في حق من رأى منهم مايكره الصبر والاحتساب.إذ غاية الجور،وإن تفاحش أقل بكثير من غائلة الخروج التي يترتب عليها فساد المهج والأموال والأعراض والأديان وهتك الحرم . ولهذا صبر علي جورالحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر ، حتى لقوا الله تعالى سالمي الأديان وبالعبادة مغتنمي الزمان.وتذكر – فما بالعهد قدم –ما آل اليه الحال ووقع بالمرابط أبي محلي.فإنه كان في قطره [48]عالي الصيت يقصد للزيارة ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قطب زمانه . وبلغ به الحال إلى أن سولت له نفسه ، أو سُوِّل له ، أنه يصلح به ما لم يصلح بغيره من الزمان .فقام وأعانه عليه قوم آخرون ، حتى ملأ الدنيا صياحا ودعاوي وعياطا وأكاذيب ، مما لم يشهد به عقل ولا نقل . فتجرأ على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ولا من يده ؛ فسب واغتاب [327]وقتل ونهب وحمل نفسه ما لا تطيقه . فاستهوته شياطين الإنس والجن والنفس والهوى . ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل.وآفته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضى عن النفس والهوى حتى أنه حكمها فصارت تلعب به إلى أن ادعى دعاوي،وفاه بما استباح ما كان معصوما من دمه.وهلكت بعده بسببه نفوس وأموال وغير ذلك . أيشك من ارتاض بالكتاب والسنة ، ونظر بعين الشريعة ، أن فعله ذلك ما حمله عليه ما يجب على نفسه من مخالفته الشيطان والنفس والهوى . وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلي به أو قلده تقليدا رديا في

---

47 فهو قصد صحيح ، في الحجرية .

48 في قصره ، في م2 وم3 .بمقره في م5.

فعله ، *فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين*[49]. وإلى الآن كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله،مع أنه بمعزل عن الكتاب والسنة . فإن قلت :هذه طوائف الفقراء، ما بين متعصب متحزب ومتحيل متصيد ، ومتسور على ما استأثر الله به من الغيوب ، مرتكبا للآثام مصرا على العيوب ، قلت هذه طوائف الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق عن الإحاطة بها السطور والطروس ، قد بددتها ،والعياذ بالله ، الفتن وشردتها ماتخوفته من المحن . فماتت العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرقوم فلا منطوق ولا مفهوم ،

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود [328]
[إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود][50]

قلت : وهذا الشيخ أبو زكرياء -وهو الذي يساق إلى نصحه الحديث -كنا نستشفي به ونستسقي ، وكانت تشد له الرحال ولايأنف من إتيانه النساء والرجال،قد أتته من أقطار مغربنا الوفود ، ودانت له الذئاب والأسود . وكان يعلم الجاهل ويهدي الضال ويطعم الجائع ويكسي العريان ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان.وهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقة ما أحسنها من طريقة . ثم صارت تلك الجموع أيادي سبأ،وتلاشت شذر مذر ، مالها من نبأ.وكان أمر الله قدرا مقدورا .أيها الشيخ ، أكرمك الله بتسديده ، أو تجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فتطلبه،أو تجد سلطانا يوازيه أو يقاربه فتحاوله . أين خفي عليك هذا وهو ضروري ، وأين ضلت عنك نصوص الكتاب والسنة وأنت معقولي *ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله*[51]. *لمقت الله أكبر*

---

49 ورد هذا القول في كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل : فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين .أخرجه البخاري ، صحيح ،1: 7.

50 سقط ما بين القوسين في م 1 وم 3 وم 5.

51 قرآن كريم سورة الحديد ،الآية 1 5 .

من مقتكم أنفسكم [52]، *وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك* [53]. وهو طرف من حديث خرجه النسائي [54]. قد وعظتك وذكرتك إن نفعت الذكرى ، لقوله جل من قائل : وذكر *فإن الذكرى تنفع المؤمنين* [55].

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقـــاظ أميـة أم نــيام

فإن قال شيطان من شياطين الإنس والجن:هذه ما أريد بها وجه الله.قلت الله الموعد. *إياكم والظن* [329] *فإن الظن أكذب الحديث* [56] وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم .وإن خطر هذا أو هجس بقلب الشيخ أكرمه الله ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قلت:أدل دليل على أني قصدت محض النصيحة هو أنه استنصحني على دفاع أبي محلي فنصحته،وقلت له:إن هذا لا تستقيم معه الديانة،فكأنه ما قبل.فانفصلت عنه وهو يقول:استخر لي الله.فكاتبته بأن لايفعل.ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت ، خلوت به فقلت له إذاك: إن الناس يقولون كذا وكذا .وعرفته بما عرفته إذاك [وقلت له ارجع لتظفر بالأمن والخير،ويسلم لك دينك] [57]فجمعتنا في رملة إلى الآن أتخيل حرها.وما زلت على المنع حتى جاءت كراريس من قبل أبي محلي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات .فحينئذ شرح الله صدري لإباحة دفاعه.ثم إني قلت بعد ذلك يانفسي آمره ، وأقول في نفسي ماكان يقوله الإمام سحنون في قضية ابن أبي الجواد : ما لي وله ، الشرع قتله . ولو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولا . لأن ذلك مقتضى التعصب

---

52 قرآن كريم سورة غافر ، الآية: 10.

53 لم نتمكم من تخريجه .

54 أحمد بن علي بن شعيب .ت 915/303 .ينظر: زركلي ،أعلام ، 171:1.

55 قرآن كريم ، الداريات ، الآية :55.

56 حديث شريف ،صحيح البخاري ، باب الوصايا،8 ،باب النكاح ،45 .

57 ما بين المعقوفين زيادة في الحجرية .

للأمير.وإذا لم أتعصب إذاك،فكيف أستسهله الآن.فتعين أني نصحت لكم إن قبلتم.وإلا فكما قال الله تعالى حكاية [330] عن نبي من أنبيائه :*ولكن لاتحبون الناصحين*[58] أناشدك الله الذي بإذنه تقوم السماوات والأرض ، إني قلت لك بعد رجوعي العام الأول من مراكش بل العام الذي قبله : الغدر لايحسن ، ولوحت وصرحت بأن شق العصا لايحل غير ما مرة . وماكفاني القول الدال على ذلك ، إلى أن زدت الفعل وخرجت من مدينة لا أبغضها كما قال الشاعر :

فوالله مافارقتها عن قلى لـــــها   وإني بشطي جانبيها لعارف

ورضيت بالبادية مع جفائها فرارا من الفتنة ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : *يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفربدينه من الفتن* [59]. ثم بعد هذا كله، أنا كما قيل :

نصحت فلم أفلح وخانوا فأفلحوا   وأسكنني نصحي بدار هوان

وعدوا عليّ من القبائح طاعتي للأمير،مع أنك يوم جاء لدارك قلت لهم هذا أميركم .ونحن لانشك أنك من المعتبرين في مغربنا،وأن بيعتك لأحد لازمة لنا.وكذلك حين ذهبت لمراكش في وقعة أبي محلي قد أراد أهل مراكش بيعتك ، فأبيت وأبحت البلاد لخدام الأمير.وقلت لهم : إنه الأمير.وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال،ونصروه بمرأى منك [331] ومسمع . أفنشك بعد ما كان منك هذا أنك مبايع وأنت قدوة ؟ وإذا كان هذا،فأي حجة لك على الأمير وعلى المأمورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك ؛ إذ هو مسلم وابن مسلمين . فإن قلت : موافقتي مشروطة بشروط لم يوف لي بها . قلت : هب أنه لم يوف ، أتستبيح قتاله لأجل ذلك ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : *إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار* [60]، الحديث . فبالله أيها

58 قرآن كريم ، سورة الأعراف ، الآية 79.

59 صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، 1:1 1.وينظر :عمدة القاري ، 1:161.

60 صحيح البخاري ،كتاب الإيمان ،، 1:4 1.وينظر :عمدة القاري ، 209:1

الشيخ ما تقول في هذا الحديث وأنظاره ؟ وما تقول فيما انتهب أوعسى أن ينتهب من أموال الناس ؟ أو أخذ بغير حق ، وأنفق في سبيل الطاغوت ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : *لايحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منـــــه* [61]. أو مايستحي من ربك يوم تسأل عن النقير والقطمير ، ولست ممن يخفى عليه ذلك كله، فتعذر عند المخلوقين.أو ما علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك إذا رأوك ارتكبته ، فتكون قد سننت هذه السنة ، وضل بسبب ذلك كثير من الناس . أوما خشيت دعوة المظلوم التي ليس بينها وبين الله حجاب . أوما كنت تغير على من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه . *لاتعير أخاك المؤمن* [62]، الحديث .

لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

أما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحرمات [332] . *إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام* [63]، الحديث .وقد أتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانة ، ولم يستطع إذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر ذلك ، لما آل إليه الحال في أهل درعة . مع أن جلهم حملة القرءان وعامتهم بله ، وأكثر أهل الجنة بله . أفيليق في حق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم . *ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي* [64] . *إنما يرحم الله من عباده الرحماء* [65] . *من لايرحم لايرحم* [66] . *الراحمون يرحمهم الرحمان* [67] . *ارحموا من في الأرض يرحمكم من*

---

61 حديث شريف ،رواه البيهقي في شعب الإيمان .

62 حديث شريف ، ابن حنبل ،291:2.

63 صحيح البخاري ، كتاب العلم ، 37:1.

64 حديث شريف ، التبريزي ، مشكاة ،الحديث رقم 4968

65 حديث شريف ،أخرجه البخاري ، الصحيح . ابن حجر ، فتح ،366:13 .

66 حديث شريف ، لفظه عند البخاري :لا يرحم الله من لا يرحم الناس .ابن حجر ، فتح ،303:10.

67 حديث شريف ،رواه البخاري والحاكم في المستدرك .

في *السماء* [68] .أنسيت أنه يقتص *للجماء من القرناء* [69]، وأن الظلم الذي لايتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض ؟ أفي علمك أن حسناتك تفي بما عليك من التبعات . أو أنه لاتبعة لأحد عليك . ولو كنت بدريا لاحتمل أن يقال في شأنك ما قال عليه السلام لعمر: *وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال لهم اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم* [70]، أو كما قال : *والظلم ظلمات يوم القيامة* [71]. أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط ، وإلا فأنت مسؤول عن القيراط . وحتى أهل تارودانت،بلغنا أنه لم يغن في شأنهم الترويع ، بل بلغ بهم الجور والحال إلى التقريع . فاتق الله أيها الشيخ ، ولاتكن كمن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم.هـــذا بعض[333] ما يتعلق بحقوق الناس على العموم .أما ما يتعلق بحق كاتبه على الخصوص ، إنك أخذت عليه إذا أدى الطاعة للأمير، ورعى ما هو من شيم المؤمنين حسن العهد والتبري من الغدر وشق العصا ، بعد بذل وسعه في نصحك ونصح الأمير . وحاول بكليته على جمع الكلمة ، وتعب في ذلك ، واقتحم في ذلك عقبات لايقطعها إلا بازل . ولا سبيل إليها لمن يكون في دينه وعلمه مثلي ممن هو نازل ، كما قيل :[334]

إذا غاب ملاح السفينة فارتمت   بها الريح هدا جاذبتها الضفادع

وقيل :

لعمر أبيك ما نسب المعلى   إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت   وصوح نبتها رعي الهشيم

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح ، كما أنه ليس من شروط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير لما غير ، لأن هذه طاعة

---

68 حديث شريف ،رواه أحمد في المسند .

69 أصل الحديث الشريف :لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب البر والإحسان.

70 حديث شريف ، ، أخرجه أحمد في المسند ، والترمذي في السنن .

71 حديث شريف ، صحيح البخاري ،3:169.

وتلك أخرى. والتوفيق بيد الله سبحانه . نعم ، بلغني مع ذلك وجزم لي به أني مع بذل النصيحة لك وللأمير -أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم- أخذت عليّ بالرصد في قفولي لصبيتي والرجوع إليهم رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم . وهل هذا أيضا إلا حكم الهوى والشيطان . أعندك ، أكرمك الله ، ما تستبيح به ذلك ، مع أني والحمد لله أينما كنت لا أسعى إلا في مصلحة جهد الاستطاعة ، أو بث نصيحة حيث لا أري من يبثها أو إغاثة ملهوف حين تجب إغاثته . *لئن بسطت إليّ يدك*،[72] الآية . ولكن الباري سبحانه وتعالى يقول : *ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله* [73]. وفي التوراة من حفر حفرة فليوسعها . ولاتحفرن بئرا تريد أخابها ، البيت . فأين وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولا أو فعلا أو إشارة أو تلويحا أو تصريحا . وأي جريمة توازي هذه الجريمة أو كبيرة من الآثام أكبر منها وإلى الله الموعد . وسيعلم [335]الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . هذا والسعاية المصحوبة بسؤال عن دفاع سكتانة ، أين تجدون ما يوجب إباحتها ؟ أين غاب عنكم أنها من الكبائر. وأين غاب عنكم قوله عليه السلام : *إن الرجل ليتكلم بكلمة يهوى بها في جهنم بسبعين خريفا* [74]. أهذا من أخلاق المؤمنين والصالحين ، وأنت من بيت الصلاح . ماكان جدك يرضى مثل هذا ، وماكان أبوك امرأ سوء . وهذا والله أعلم نتيجة قرناء السوء . وقد قيل : لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله . وإلى هذا ينتهي حق الصحبة ، أعني بذل النصح. لأن الله يسأل عن صحبة ساعة ونحن صاحبناك واعتقدناك ونصحناك ووعظناك . انصر أخاك ظالما أو مظلوما [75]. ونصرناك بالردّ إلى الجادة . أين أنت من قول مولانا الحسن بن علي ، إذ تخلى لابن عمه

72 قرآن كريم : لإن بسطت يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي إليك لأقتلك . إني أخاف الله رب العالمين . سورة المائدة ، الآية :28.

73 قرآن كريم ، سورة فاطر ، الآية :43.

74 حديث شريف ، سبق ذكره في الفصل 23 ، هامش :19

75 أورده الميداني ،مجمع الأمثال ،334:2 ، رقم 4202.

معاوية – مع أنه هاشمي علوي فاطمي أحد ريحانتي النبي صلى الله عليه والسلام ، ومعاوية أموي يجمعهما عبد مناف —عن الإمارة ، مع أنه إمام ابن إمام . وأصلح الله به –وهو سيد –بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، بعد أن كان يلقب بأمير المؤمنين . فقال له أصحابه إذ سلم في الإمارة يا عار المسلمين . فلم يكترث بذلك، ولم يبال به ، وقال: النار أشد من العار.

ألهمنا الله وإياكم لرشد أنفسنا ، وجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

الفصل الثاني والستون

ذكر بقية أخبار عبد الله بن الشيخ بن المنصور [336] وما وقع له مع الثوار بفاس

كان عبد الله في حياة أبيه الشيخ تحت أمره يصغي له ولا يقطع أمرا دونه . ولما قتل استبد بفاس وما انضاف لها على وهن وفشل ريح . وكان غالب جنده وأنصاره من شراقة ، وبهم كان يستعصم ، حتى أعطاهم أجنة الناس وديارهم . فكان الرجل يأتي لبستانه فيجد أعرابيا بخيمته في وسطه فيقول له أعطانيه السلطان . ومدوا أيديهم في حريم الناس ، ونهبوا الأموال ، وجاهروا بالفساد وأظهروا السكر في الطرقات ، واقتحموا على الناس دورهم . حتى أن امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيع عندها ، فاقتحم عليها الدار أحد شراقة ، فهربت المرأة وأغلقت عليها مصرية لها . فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول إليه ، فأبت المرأة . فقال لها إن لم تنزلي إليَّ رميت الولد في الطنجير . فتمادت على الامتناع ، فرمى به . فما هي إلا أن رأته رمى به صاحت صيحة عظيمة وألقت بنفسها عليه ، فاندقت عنقها فماتت . فغاظ الناس ذلك ، وقام على الشراقة رجل يقال له سليمان بن محمد الشريف الزرهوني ويلقب بالأقرع [1] ، واعصوصب عليه كثير من العامة ، وقاموا في نصرته . فقتل الشراقة والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا ، وحكم في رقابهم السيف وأخرجهم من فاس قهرا [337]، وحمى المدينة من إذايتهم،وطهرها من قبائحهم . فاستحسن الناس أمره وأذعنوا له.وكان ابتداء أمر الشراقة واشتداد شوكتهم من عام ستة عشر

---

1 ت 1616/1029.ينظرعنه:عبد اللطيف الشادلي ، معلمة،573:2.

وألف . وكان قيام سليمان عليهم في ربيع النبوي سنة عشرين وألف . وكان عبد الله في ثوران سليمان وفتكه بهم غائبا بسلا . فلما بلغه الخبر قدم ورام الصلح بين أهل فاس والشراقة ، وراودهم على ذلك . فقالوا : لا لا فسمي ذلك العام عام لا لا . وأمر سليمان الناس بشراء العدة والتهيء لملاقاة شراقة والاستعداد لهم، وخرجوا لمقاتلة الشراقة خارج باب الجيسة ، فهزم الشراقة ، وسكن حال المدينة ، وأمن الناس أمانا لم يعهد منذ زمان السلطان الغالب بالله . وفي يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الثانية عام عشرين وألف كانت وقعة المترب [2]؛ موضع خارج باب الفتوح . وسببها أن أهل فاس استغاث بهم الملالقة مكيدة وحيلة ، واستصرخوهم على الشراقة . فخرجوا في يوم شديد الريح فكمن لهم الشراقة بخولان [3]، فأغاروا عليهم فجأة ، فانهزم الناس ، وقتل من أهل فاس نحو ألفين وأغلقت الأبواب ، واضطربت المدينة ، وهاج الشر بسبب ذلك مدة . وخرج أهل فاس مرة لمقاتلة عبد الله بن الشيخ [338]فهزموه وأسروه ، وبقي في أيديهم ، فعفوا عن قتله ، وأطلقوه وذهبوا خلفه حتى دخل داره بفاس الجديد. ولما قتل أبوه الشيخ عزم أن يتوجه لأخذ ثاره وأزمع المسير لذلك ، ووافقه سليمان والفقيه المربوع وأصحابهما ، فامتنعت العامة من الذهاب لذلك . لأن الشيخ لم تبق له في قلوب المسلمين مودة حيث باع العرائش للنصارى .

فاجتمعت العامة بجامع القرويين ، وقالوا : لا نقبل سليمان ولا المربوع وحاصوا حيصة حمر الوحش ، واتخذوا رؤساء آخرين . فوقع بسبب ذلك شر عظيم.ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربع للمد . وكثرت الأموات حتى أن صاحب المارستان أحصى من الأموات من عيد الأضحى من عام اثنين وعشرين إلى ربيع النبوي من العام بعده ، أربعة آلاف وستمائة . وخربت أطراف المدينة ،

---

2 المرتب ، في الحجرية وم2 وم6.

3ذكر الوزان، وصف، 293:1 ،خولان ،ويظهرأنه يقصدبها سيدي حرزهم .ينظر الهامش 83

وخلت المداشر ولم يبق بلمطة إلا الوحوش ، وكثر النهب في القوافل . وفي المحرم فاتح ستة وعشرين وألف ، قبض سليمان أربعة من كبار الشراقة ثم قتلهم . فوجم لها اللمطيون وخاف الناس على المدينة وتوقعوا الشر ، وسكن الرعب في القلوب ، حتى وقعت بسبب ذلك هزيمة في كل مسجد له خطبة بفاس . كان الإمام يخطب بجامع القرويين والناس في صحن المسجد ، فوقع مطر غزير [339] فابتدر من في صحن المسجد الدخول تحت السقف ، فظن الناس أن سليمان غدره الشراقة ، فانهزم الناس وهربوا من المسجد لا يلوي أحد على أحد . وبلغ الخبر جامع الأندلس فكان كذلك .وبلغ الخبر للطالعة ، فكان كذلك . وفي يوم السبت خامس صفر سنة ست وعشرين قتل سليمان غدرا في جنازة لمطي خرج لها،قتله المربوع وقتل أباه وأبناء عمه وستة من أصحابه . ودفن مع والده في مسجد الجرف . ولما مات سليمان بقيت المدينة في يد المربوع اللمطي وتألف عليه اللمطيون وتقوى بهم . ثم قدم إخوان لسليمان من زرهون وراموا الغدر بالمربوع . ففطن بهم ووقع بينه وبينهم قتال مات فيه نحو مائة وواحد وثلاثين رجلا ، وسلم المربوع . ثم إن المربوع وأصحابه أتوا برجل كان يتعبد بزرهون ، يقال له عبد الرحمن الخنود [4] في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين، وراموا أن يملكوه ويجتمعوا عليه . فأنزلوه مع أصحابه بروضة سيدي علي بن حرزهم [5]، فبلغ خبره للقائد أحمد عميرة ، وزير عبد الله بن الشيخ ، فأتى إلى الروضة،وفتك بأصحاب الرجل ولجأ الرجل لداخل الروضة بضريح الشيخ ابن حرزهم، فرموه من طاق هنالك ، فقتلوه وسقط على القبر ميتا.ولما سئم أهل فاس من الحصار ،وضاق بهم الحال [340] من غارة الأعراب ، ذهبوا إلى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ، ونصروه وأظهروا له المحبة ، ففرح بهم غاية.وتحالفت العامة والخاصة على نصره والإذعان له . فعفا عنهم عبد الله بن الشيخ ،

---

4 الحتود في الحجرية وم6، الخندافي في م1 ، الخندفي في م3،الخنوفي في م5،

5 علي بن إسماعيل ، ينظر عنه :المراكشي،إعلام،9:9 4.

وصفح عن كل ما سلف منهم له ، وصلح حال الجميع . وبعث وزيره للمربوع بالأمان ، فلم يصدق ، وخاف على نفسه ، وصمم مع اللمطيين على قتال عبد الله بن الشيخ ، وتهيأ لذلك ، حتى لم تصل بالقرويين الصلوات الخمس . ثم إن وزير عبد الله ، القائد عميرة [6]، نادى بالأمان على اللمطيين فهرب اللمطيون عن المربوع حتى لم يبق معه إلا القليل . فبعث له عبد الله بالأمان سبحته وخاتمه . فلم يأمن وهرب ليلا لبني حسن فأخذه شيخهم سرحان وأتى به لعبد الله . فعفا عنه وسرحه لداره . فعادت دولة عبد الله لشبابها ، وتهيأ له الأمر ، وتمهدت له البلاد ، ودانت له العباد،وذلك في جمادى الأولى عام سبعة وعشرين وألف . فجمع الجيوش وبعث بعض أجناده لحصار تطوان ، وبعضهم لقبض الأعشار ، وبعث وزيره حم بن عمر [7]مع المربوع لأزجن [8] ، موضع من جبال الزبيب ، فغدر المربوع بالوزير وقتله ، اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله . فغضب عبد الله وأسرها في نفسه . ثم في يوم الإثنين ثالث ربيع النبوي عام ثمانية وعشرين وألف ، قتل المربوع اللمطي ونهبت داره . ثم بعد أيام [341]وظف عبد الله على اللمطيين ثمانين ألفا، فثقل عليهم أمرها وهربوا ، فأسقط عنهم النصف منها .

---

6 حم بن عمرو في م1، ،حم بن عمر في م3.

7 لعله هوالسابق ، فهو، حم بنعميرة في م2 ، أحمد بن عمر في م6

8 أنجرا في الحجرية ، وأزجن في باقي النسخ ، والمرجع ماأثبتناه.عن أنجرا ينظر: المختار الهراس،معلمة،817:3 .وعن أزجن أو أسجن ، ينظر: محمد مزين ،معلمة ، 330:1.

الفصل الثالث والستون

ذكر الخبر عن قيام محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع بينهما في ذلك

قال في شرح **زهرة الشماريخ** : لما رأى أهل بلاد الهبط ما وقع من افتراق الكلمة وتوقد نيران الفتن ، بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة [1] على ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش ، نفع الله به . وكان الذي قام بدعوته الشريف الحسني علي بن محمد بن ريسون . وبايعوه على إحياء دين الله وإماتة الباطل وإقامة الحق . فلما بلغ خبره لأخيه عبد الله خرج لقتاله . فلما التقى الجمعان هزم عبد الله ، ودخل محمد فاسا في شعبان عام ثمانية وعشرين وألف ،وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم واستصفى أموالهم . وفي آخر شعبان المذكور، وقعت المعركة بينهما بمكناس ، فهزم محمد ودخل عبد الله فاس في مهل رمضان،وأظهر العفو عن الخاص والعام . ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب [2]، وأخذوا حذرهم من عبد الله الشيخ . ووقع قتال بين أهل الطالعة وفاس الجديد أياما عديدة حتى اصطلحوا تاسع ربيع الثاني من عام تسعة وعشرين وألف . ثم إن عبد الله خرج لمقاتلة أخيه محمد ، فوقعت المعركة بينهما ببهت، فهزم محمد وفر [342] شريدا إلى أن قتله ابن عمه أحمد بن زيدان [3]، كما سيأتي إن شاء

1ابن عودة في الحجريةوم2وم6

2 ابن شعبان ،في م 1.

3 المعروف بأحمد الصغير.ينظر عنه:محمد حجي ،معلمة،1:170.وكـــــــذا: De Castries,GENEALOGIE.

الله . وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة [4] من عام اثنين وثلاثين وألف ، قتل الفقيه العالم الشهير القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم بعد أن نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد . قتله اللصوص بباب المدرسة العنانية ، لأنهم اتهموه بالميل لعبد الله بن الشيخ . فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين بفاس . ولم يزل عبد الله في معاركة أهل فاس، تارة يميلون إليه ،وتارة ينحرفون عنه ، لقبح سيرته وفساد طويته ، حتى كان قائده مامي العلج ينهب الديار جهارا ، ويعطي لعبد الله كل يوم عشرة آلاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا ذعيرة . وقام عليه بمكناسة الزيتون ، أمنها الله ، أيضا رجل يقال له الشريف أمغار.وقام عليه بتطوان المقدم أحمد النقسيس . ولم يبق له إلا فاس الجديد ، وأما فاس القديم فتارة بتارة ، كما ذكرنا قبل . لأنه استولى عليها سليمان والمربوع ، ولما قتلا كما ذكرنا قريبا ، قام بفاس محمد بن سليمان اللمطي وعلي بن عبد الرحمن . فقتل ابن سليمان ، وقام ابن الأشهب مع ابن عبد الرحمن [343] المذكور، فوقعت بينهما مقاتلات وحروب . ثم قام الحاج علي سوسان وابن العربي ، وتولى أيضا يزرور ومسعود بن عبد الله وغيرهم من القيام . وكانت فاس في أيام هؤلاء على فرق وشيع . لا يأمن التاجر على نفسه إلا إن استجار بأحد من هؤلاء ، ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس ونتن أفقها الذي كان عاطر الأنفاس، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب . ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس أن تضمحل ويعفو رسمها . وحدث غير واحد من الثقاة أن الشر لما دام بين أهل العدوتين، ولم يكن لأهل الأندلس غلبة على اللمطيين ، قال الشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي [5]، لا يغلب أحد اللمطيين ما داموا مواظبين على قراءة حزب الشاذلي الكبير [6]. وكانت طائفة من اللمطيين يقرأونه

---

4 ذي الحجة، في م2.

5 ت 1626/1036.ينظر عنه:القادري، نشر، 1:266

6 الحزب الكريم والحجاب العظيم ،لعلي بن عبد الله الشاذلي.

صباحا بزاوية سيدي رضوان من عدوة اللمطيين . فسمع بذلك أهل عدوة الأندلس ، فاحتالوا على إبطال قراءة ذلك الحزب . فبعثوا رجلا يحتال على أولائك الذين يقرأونه ، فاستضافهم وباتوا عنده جميعا في منزله . فلما طلع الفجر أو كاد، زعم أن مفتاح الدار ضل وسقط ، ولم يزل يعاني فتحها إلى أن طلعت الشمس،فخرجوا ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم . فأخبر أهل الأندلس فحملوا على أهل [344] عدوة اللمطيين ، فهزموهم وحكموا فيهم السيف . وكانوا لم يجدوا لهم سبيلا قبل ببركة قراءتهم حزب الشاذلي . وذكر بعضهم أن سبب هذه الشرور ما حكي أن عبد الله بن الشيخ في بعض غلباته لأهل فاس في ثورانهم عليه ، استشفعوا له خوفا منه وطلبا لرضاه عنهم بالوليين الصالحين المجذوبين : سيدي جلول بن الحاج [7] وسيدي مسعود الشراط [8]، وكانا على قدم الملامتية [9]. فلما وقفا بين يديه ، قال : ما وجد أهل فاس شفيعا يقدمونه إلي غير هؤلاء الخرائين في ثيابهما . فغضب سيدي جلول وقال : والله لا تصرف فيها ، يعني في فاس ، إحدى وأربعين سنة [10]وانصرفا . فيقال إن عبد الله انقلبت معدته ، فخرج غائطه من فمه أياما إلى أن أتى بالشيخين فاسترضاهما.وكان أمر فاس[345] كما قال سيدي جلول، لم يطأطئ رؤوس أعيانها ملك . إلى أن جاء الله بمولانا الرشيد بن الشريف رحمه الله ، كما سيأتي ، وكملت المدة. وإنما كان يتصرف فيها اللصوص ،وأهل فاس يسمونهم السياب . وهذه حكاية صحيحة سمعتها من عند غير واحد بفاس وملخصها ما ذكرناه .

ولم يزل عبد الله في محاربة أهل فاس القديم من عام عشرين وألف قبل وفاة والده الشيخ بنحو عامين وبعد وفاته إلى

---

7 عبد الجليل ابن الحاج ، ت 1627/1036.ينظر :القادري، نشر،1:269.

8 مسعود بن محمد ت 1621/1031.ينظر:القادري ،نشر،1:239.

9 أو أهل الملامة ، ينظر:عبد اللطيف الشاذلي،التصوف ،ص:87.

10 لا تصرف فيها أحد،أربعين سنة، في م4 وم5

أن توفي عام ثلاثة وثلاثين وألف ، بسبب مرض اعتراه من إسرافه في الخمر وإدمانه عليه . وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ، ويتعاطاه إسرارا وجهارا .

ومن آثار عبد الله بن الشيخ ، القبة التي على الخصة الكائنة تحت المنارة التي وسط صحن جامع القرويين ، فإنه لم يكن في القديم إلا القبة التي على الخصة المقابلة لها ، شرقي الجامع المذكور.

خاتمة

حدثني شيخنا الفقيه الحافظ أبو الحسن علي ابن أحمد قال كان شيخنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة [11] يقول إن أحمد بن الأشهب ، الذي تقدم ذكره قبل من القيام ، أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم . قال : والحديث بذلك مذكور في كتاب **الجامع الكبير**[12] للحافظ جلال الدين السيوطي .

---

11 محمد بن أحمد ، ت 1662/1072.ينظر:محمد حجي ،حركة،2:371.

12 أو جمع الجوامع.ينظر:أحمد الشرقاوي إقبال ،مكتبة السيوطي،155-160 .أحال عليه محمد حجي ،فهرس الصبيحية،79.

الفصل الرابع والستون

ذكر الخبر عن بقية أحوال زيدان بن المنصور كان من أمره إلى أن توفي

كان زيدان رحمه الله ، من لدن مات[346] أبوه ، في محاربة إخوته وأبنائهم ومقاتلة القائمين عليه من الثوار الذين تقدم ذكرهم . ولم يخل قط في كل سنة من أيام دولته من هزيمة عليه أو وقيعة بأصحابه . ووقعت بينه وبين إخوته معارك يشيب لها الرضيع . وكان ذلك سبب خلاء المغرب ، خصوصا مدينة مراكش . ومما عد من نحس زيدان واستدل به على فشل ريح سعده،أنه في بعض الوقائع بعث الكاتب عبد العزيز الثعالبي[1] بعشرة قناطير من الذهب إلى ملك اصطنبول . وطلب منه أن يمده ببعض أجناده، كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي رحمه الله . فجهز له السلطان العثماني من جيش الأتراك إثني عشر ألفا ، وركبوا في البحر فغرقوا جميعا ، ولم ينج منهم إلا غراب واحد فيه شرذمة قليلة . وكان زيدان على ما وصفناه قبل ، ووقع بينه وبين أخيه الشيخ وولده عبد الله حروب عظيمة . وآخرها أن عبد الله لما سمع بنزول النصارى دمرهم الله على العرائش ، استصرخ في الناس وحضهم على الذهاب للجهاد ، فتهيئوا لذلك وعزموا على إغاثة العرائش . فما راعهم إلا زيدان أقبل من ناحية إدخسان ونزل بمضاربه،وضرب أنفاضه .فانهزم الناس عن عبد الله ودخل الشراقة فاسا ، فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة البلاد ، وأمر المنادي [347] أن ينادي بنصره.فنزل المنادي وهو ينادي،إلى أن بلغ باب السلسلة،فقام في وجهه بعض السياب من أهل العدوة ، فضربه وجرحه . فرجع وبطل الأمر . فبلغ الخبر لزيدان فأطلق السبيل في أهل فاس وحكم فيهم السيف . ثم ندم وأطلق النداء بالعفو عنهم ، وسكن روعتهم . ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقائه ، واستولى على فاس فخطب عليهم

1 التغلبي في م1 وم3

وجعل يسب جماعتهم وهم بقتل بعض أعيانهم ، ولكن الله سلم .ثم إن العرب اجتمعوا عند القنطرة المهدومة في نحو ثمانية آلاف ، فخرج إليهم زيدان ومعه عرب الشرق فهزم ، ولم يبق معه إلا رهط قليل . فرأى زيدان أمامه إبلا قليلة فقصدهم فإذا فيهم عبد الله بن الشيخ فهرب عبدالله ، مع أن زيدان إنما قصد الفرار إليهم فتراجع أصحاب زيدان إليه . ومن الغد رجع لفاس فخرج إليه أهل فاس يهنونه كبارا وصغارا . فظن أنهم قصدوا الاستهزاء به فأمر بهم فسلبوا رجالا ونساء ، وبقي بعضهم ينظر إلى عورة بعض . وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة . ودخل أصحاب زيدان فاسا فنهبوها وفعلوا بها الأفعال القبيحة . ثم أمر زيدان بتسكين الروعة والأمان . وكان ذلك كله سادس رجب عام تسعة عشر وألف . فلما كان حادي عشر من الشهر نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء ، وخرج إليه زيدان فالتقيا فهزم زيدان وقتل من أصحابه نحو الخمسمائة . وفر بمحلته التي ترك بإدخسان[2] ، وهذا كان آخر رجوع زيدان لفاس .

وفي [348] كتاب ابتهاج القلوب في أخبار المجذوب[3] ، ما صورته : تكلم الشيخ الرباني سيدي كدار[4] يوما في ملوك وقته،فقال : أما الشيخ معطي العرائش للنصارى ، فان أهل الله قد دقوا أوتاده هنالك حتى يموت ،فلم يعْدُ ذلك الموضع الذي قال حتى مات به ، حوز تطوان بموضع يقال له فج الفرس ، وذلك سنة اثنتين وعشرين وألف . وأما زيدان ، فقال : ضربه مولاي إدريس بن إدريس برجله لما أطلق السبيل في أهل فاس ضربة صيرته وراء وادي العبيد ، فلا يجاوزه أبدا . فلم يرجع لفاس بعد ذلك.واقتصر زيدان على مراكش ونواحيها .

وكان رحمه الله غير متوقف في الدماء ولا يبالي بالعظائم ، وهو الذي سم الفقيه العلامة قاضي الجماعة بفاس أبي الحسن

---

2 ينظر عنها :أحمد عمالك ،معلمة، 1:252.

3 ورد هذا النص في المحقق ، ص:410.

4 محمد بن يحيى بن علال المالكي ،ت 1615/1024.ينظر:الإفراني، صفوة،52

سيدي علي بن عمران السلاسي ، بعد أن سجنه لأمر بلغه عنه .
وفي أيام سجن القاضي المذكور كتب له الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي بهذه الأبيات :

أما لهلال غاب عنا سفور فيجلى به خطب دجاه ثبور
تصبر لدهر راح يمنحك الأسى وأنت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم فللبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحيى رسوم للمعالي تغيرت فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن إني على الحب لم أزل مقيما عليه ما أقام ثبير
ففي فِيَّ ماء من بقايا ثنائكم فطعمه عندي سائغ ونمير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا وغنت بأغصان الرياض طيور

[349] قال منشدها : أنشدتها له بمحبسه ، فبكى حتى ظننت أنه سيهلك . ثم أفاق ، وتلا الآية: *لله الأمر من قبل ومن بعد* [5]. ثم بعد أيام راجعني رضي الله عنه جوابا بأبيات ، وهي هذه :

تفتق عن زهر الربيع سطور فما هي إلا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه فأنت على جند الكلام أمير
محمد هل في العصر مثلك شاعر له معكم في الخافقين ظهور
بني كذا هو الوداد وإنني سأشدو وقلبي بالهموم كسير
متى وعسى يثني الزمان عنانه بعثرة جد والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضي مآرب وتحدث من بعد الأمور أمور
عليكم سلام الله مني وإنني غريب بأقصى المغربين أسير

ومن نظم القاضي المذكور أيضا مخمسا ، رحمه الله ، بيتين لأبي العباس المنصور :

رماني بلحظ منه يا قوم فاتر فيا عجبا من فاتر وهو باتر
ولما جفا حبي وملك سائري طرقت حماه والأسود خوادر

به فتولى في الظبا وهو يبعد

---

5 قرآن كريم، سورة الروم،الآية:4

ألم يدر أني قادم ومقدم وفي الحرب والهيجا هزبر وضيغم
ولست أبالي ما الخميس العرمرم فعلمت أساد الشرى كيف تقدم
وعلمت غزلان النقا كيف تشرد

وكان قتل الفقيه القاضي المذكور رحمه الله في مهل ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف .

وكان زيدان فقيها مشاركا متضلعا في العلوم وله **تفسير** [6] على القرآن العظيم ، اعتمد [350]فيه على نقل ابن عطية[7] والزمخشري [8].وكان كثير المراء والجدال كما وقع له مع سيدي أحمد بلقاسم الصومعي[9] . وله شعر لا بأس به ، ومنه قوله :

أهلكتنا سوالف وخدود وشعور على المناكب سود[10]
ووجوه تبارك الله فيها وعيون مدعجات رقود
أهلكتنا الظبا وهي أذلة وخضعنا لها ونحن أسود

وقوله أيضا :

مررت بقبر رائق وسط روضة عليها من النوار مثل النمارق
فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه ، إنه قبر عاشق

وكانت وفاته ،رحمه الله ، في التاسع من المحرم سنة سبع وثلاثين وألف . ودفن بجنب قبر أبيه ، رحمه الله ، من قبور الشرفاء ، بظاهر قبلي جامع المنصور.

---

6 ينظر عنه:محمد حجي، حركة،2:402.

7 عبد الحق بن غالب الغرناطي،ت 1148/542.له :المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.ينظر:زركلي،أعلام،3:282

8 جار الله ،محمود بن عمر الخوارزمي.ت 1144/538.له:الكشاف في تفسير القرآن.ينظر:زركلي ،أعلام،7:178.

9 تنظر تفاصيل القضية عند : محمد حجي ، حركة،2:505.

10 وضع عجز البيت الثاني مكان عجز البيت الأول ، في م 1 وم 3 وم 4 وم 5.

ومما نقش في رخامة على قبره :

هـــذا قبـــر مـــن بـــــه يفتـــــــخر المفاخر
زيدان سبــــط أحمـــد مبتكر المنـــاثـــــر
حامي حمى الدين بكـــ ل حافـــــل وباتـــر
أجل من خاض الوغـــــى وللأعــــادي قاهـــر
لا زال صوب رحمة ال لـــه عليـــه ماطـــر
ومن شذا رضوانـــــــه نفحـــــة كل عاطـر
أرخ وفاة من غـــــدا جارا لـــرب غافـــر
بمقعد الصدق عـــــلا أبـــو المعالي الناصر

ووزراؤه : الباشا محمود ، ويحيى أجانا الوريكي [11]، وغيرهما . وكتــابه [351]: كاتب أبيه عبد العزيز الفشتالي ، وعبد العزيز بن محمد التغلبي ، وغيرهما . وقاضيه : أبو عبد الله الرجراجي.

11 بن محمد الجناتي ،ينظر عنه: SIHM,PB,T:IV,P379-FR,T:III,P:350

الفصل الخامس والستون

ذكر الخبر عن عبد الملك بن السلطان الشيخ بن أبي العباس المنصور

قال في شرح زهرة **الشماريخ** : لما توفي عبد الله بن الشيخ ، ولي بعده أخوه عبد الملك ، في شعبان عام ثلاثة[1] وثلاثين وألف . ولم يزل مقتصرا على ما كان صفا لأخيه ، إلى أن توفي سنة ست وثلاثين وألف .ولله الأمرمن قبل ومن بعد.

---

1 اثنين في م1 وم3 وم4.

الفصل السادس والستون

ذكر الخبر عن أبي العباس أحمد الأصغر ابن السلطان زيدان ابن السلطان المنصور

[قال في شرح **الزهرة** : لما توفي السلطان زيدان بمراكش ، قام ولده أحمد ودخل فاسا بعد وفاة أبيه بستة وأربعين يوما ، وذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر. وصار يضرب سكته.وفي ثالث عشر شوال قتل ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة غدرا بالقصبة . وفي أحد عشر من ذي الحجة سجن بدار الملك من فاس الجديد ، ولم يتم له الأمر.][1]

1 سقط ما بين المعقوفين في م2.

الفصل السابع والستون

ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور وما وقع في ذلك

ترك زيدان من الأولاد عدة ، منهم عبد الملك والوليد وأحمد ومحمد الشيخ ، وغيرهم . ولما توفي زيدان ،كما ذكرنا ، بويع من بعده لابنه عبد الملك المذكور . ولما تمت له البيعة ، ثار عليه أخواه الوليد ومحمد الشيخ المذكوران . فوقعت بينه وبينهما حروب ومعارك ، إلى أن هزمهما واستولى على ما كان في يديهما من الذخائر والعدة . وكان فاسد السيرة مطموس البصيرة ، وبلغ من قلة ديانته أنه تزايد له مولود ، فأظهر أنه أراد أن يحتفل بسابعه فبعث لنساء أعيان مراكش وخدامه أن يحضرن [352] وطلع هو لمنارة في داره فنظر للنساء، وهن متبرجات قد وضعن ثيابهن ، فأيتهن أعجبته بعث لها .وكان مدمنا على شرب الخمر إلى أن قتله العلوج بمراكش وهو سكران ، يوم الأحد السادس من شعبان سنة أربعين وألف.ودفن بجنب قبر أبيه رحمه الله .

ومما رأيته منقوشا في رخامة على قبره :

لا تقنطن فإن الله منان وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك أفضال وإحسان

ووزراؤه : محمود باشته العلج [1]وجودر، ويحيي أجانا الوريكي ، وغيرهم.وقضاته : عيسى بن عبد الرحمن السكتاني بمراكش، ومفتيها الفقيه أحمد السالمي [2] .

---

1 باشة العلوج في م1 ،محمد باشة العلوج في م3 وم5.

2 السملالي في م2 .والصحيح :السالمي أحمد بن محمد ،ت 1631/1040 ينظر: محمد حجي ،حركة ،2:390.

الفصل الثامن والستون

ذكر الخبر عن دولة السلطان الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور

لما هلك السلطان مولاي عبد الملك بن زيدان،بويع أخوه مولانا الوليد بن زيدان في [اليوم الذي توفي فيه أخوه ، وهو][1]سادس شعبان سنة أربعين وألف.قال في شرح زهرة الشماريخ :وكان الوليد متظاهرا بالديانة،لين الجانب ، حتى رضيته الخاصة والعامة .وكان مائلا للعلماء بكليته ، متواضعا لهم.وألف له القائد على الطبيب منظومته[2] الشهيرة في الفواكه الصيفية والخريفية وألف له القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني شرح صغرى الشيخ السنوسي[3] .ومحاسنه رحمه الله كثيرة وكان الوليد يقتل الأشراف من بني عمه وإخوته ، حتى أفنى أكثرهم . وسجن أخاه محمدا الشيخ الأصغر ، إذ كان يتخوف من شقه العصا عليه وانتزاع خاتم الملك من يده . وفي أيامه وقع الغلاء.وفي عام ستة وثلاثين كانت زلزلة عظيمة ، عند فجر يوم السبت الثالث والعشرين من رجب . وفي خامس شعبان من السنة ، نزل برد عظيم على قدر بيض الدجاج وأكبر وأصغر ، ورئي حجر منه نزل على خيمة فخرقها ، وهرب أهلها . وبقي لم يدب ثلاثة أيام ، على ما قيل . وكان الوليد مولعا بالسماع لا ينفك عنه ليلا ولا نهارا. ولم يزل مقتصرا على ما كان لأبيه ، إلى أن قتله الأعلاج . وسبب ذلك أنهم طلبوه في مرتبهم وأعطياتهم على العادة،وقالوا له : اعطنا ما نأكل . فقال لهم ، على طريق التهكم : كلوا قشور الأرنج بالمسرة . فغضبوا من ذلك ، وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدرا ، يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف ، والأمر لله عز وجل [353] .

---

1 سقط ما بين المعقوفين في م1 وم3 وم4 وم5.

2 علي بن إبراهيم الأندلسي ، وينظر:محمد حجي حركة ،161:1.

3 مخطوط خ ع بالرباط رقم 480د ،ثاني مجموع .

الفصل التاسع والستون

ذكر الخبر عن دولة السلطان مولانا محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور رحمه الله وما وقع فيها

لما قتل السلطان مولانا الوليد،كما شرحناه قبل،اختلف الناس فيمن يقدمونه للخلافة.ثم اجتمع رأيهم على مبايعة أخيه مولانا محمد الشيخ وإلقاء القياد له.فأخرجوه من السجن [وكان أخوه مولانا الوليد سجنه،إذ كان يتخوف من شقه عصا الطاعة وانتزاعه خاتم الملك من يده][1]وبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف.ولما بويع سارفي الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكافة.وكان في نفسه متواضعا صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء،مائلا للراحة والدعة . إلا أنه كان منكوس الراية [354] مهزوم الجيش.وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيده إلا مراكش وبعض عمالته.وقد نبغ عليه فل من هشتوكة بخارج باب الخميس بمراكش ،وقاسى في محاربتهم تعبا شديدا،ولم يزل يناوشهم القتال إلى أن كانت له عليهم الكرة ففرق جموعهم .وشق عليه العصا أيضا قبيلة الشياظمة فقصدهم، وكانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنيعة.وكانت بينه وبين أهل زاوية الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته ، وذلك بموضع يقال له بوعقبة ، أحد مشارع وادي العبيد.وفي أيامه قويت شوكة أهل الدلاء ، وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب.وضعف هو عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ،وبعث لهم قاضيه الفقيه

---

1 ما بين المعقوفين زيادة في م3 وم4 وم5.

العلامة أبا عبد الله المزوار المراكشي [2] ، فطلب منهم ترك الشقاق والرجوع لاجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم بأن أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان بايع أخاه مولانا الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته . وأنهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهجه.فلما بلغهم القاضي المذكور ، وأدى الرسالة ونثر عليهم ما في العبية ، وبين قصده ، اعتذروا له بمسائل وتعللوا عليه بوجوه.

وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان مولانا محمد الشيخ المذكور إليهم [355] بعد رجوع القاضي المذكور من السفارة ، وهذا نصها على التمام والكمال [3]:

الحمد لله الذي نصب الدول في الأصقاع حصونا ذات أسوار ، لصون النفوس والحريم والأموال والشرائع . وحض على فري فرع وأصل العادين الثوار ، الساعين بالاعتناء في هد قواعد الجماعة بأنواع البدائع . ونشهد أنه واحد ما له في فسيح وجوده شبيه ولا شريك ، ولا قادر يقوم دونه بوظيف كل ضرير وضريك ، أو يستفتى فينبيك عما في كنه غيبه أو يريك . يفعل ما يريد ويختار ، ويقبل تضرع المضطرين ويقيل العثار . وأن سيدنا ونبينا مولانا محمدا عبده ورسوله إلى الأحمر والأبيض والأسود ، ونعم الشفيع غداة يعثر العاثر ، ما لم يكن بعهده تعود . صلى الله عليه وعلى آله الأجلة الأنجاب والخلفاء والأصحاب ، ما تبسمت البساتين من مدامع تحنن السحاب ، والرضى عن كل تابع بعد تابع،العاقدين على تشييد هذا الدين عقد الأنامل و الأصابع .

هذا ولنصرف عنان عرضة الغرض لما عنيناه بالمسنون من العتاب المفترض، من هم في دقائق المجاز مرابطون ، وفي حقائق الجواز ضابطون ، أهل وطن الدلاء ، لمن لورود الشرب غير محتاج السيد أبو القاسم بن ابراهيم [4]، والسيد عمر [5] ، والسيد محمد

2 المزواري ، ينظرعنه:محمد حجي ، زاوية ،163 ، المراكشي ، إعلام ،292:5.

3 هذا نص المحتاج إليه منها بعد الخطبة ،في م1 وم3 وم4 وم5 .

4 لم نتمكن من الوقوف علي ترجمته.

5 عمر بن محمد بن أبي بكر ت 1645/1055. ينظر : حجي ،زاوية ،142

الحاج ،ومن لنشرصحف الإنصاف منهم مطابق:كالسيد المسناوي ، والسيد عبد الخالق [6].سلام عليكم ما أثرت المواعظ في أصلاد أصلاب الطباع ، وفترت الحفائظ عن المتعوذ بها خطرات الشياطين وسطوات السباع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، ما صانت أشعة المصباح مشكاته . ألا وقد كاتبناكم من الحضرة الدامغة هامات الجاحدين والملحدين ، حمراء لمتونة والموحدين ، كتب الله لها منكم وقاية من لا يعنف عما صنع ، وبراءة من رام تزويجها كرها فتعوق عنها وامتنع . ولا زائد بعد الخطبة التي هي عند الأدباء براعة الاستهلال وبضاعة يعرب عنوانها عن معنى الحال والاستقبال ، إلا قصد إيقاظكم من السنة التي طال لطلوع الشمس من المغرب ليلها،وامتد كأرض المحشر فرسخها وميلها . هل هذا منكم استخفاف بحظوة الخلائف ، أو تعام أو تصامم عما يجب على الرعايا من لوازم الوظائف ؟ هذا من العار الماحي لصحف المناقب،ولا يلوي من توخاه إلا لمهيع لا تحمد لمنتحيه العواقب .سيما من نكث البيعة على من ولاه المعين بسطوته بسيطة المعمور،وحمله أعباء القيام بما يحدث من تصاريف الأمور، بشرط أن يزن فيعدل ، ولا يغير ولا يبدل ، وأن يذب عن حفظ بيضة الدين بالرماح والسهام والنصول ، ويحسم أعناق الزائغين عن الأبواب والفصول . خصوصا مثلكم الذي شق عصا الشقاق ، وشرع يمد أيدي الأطماع في استخلاص القبائل في الآفاق ، على العموم والإطلاق . ألجمكم البله والوله في حصون الجبال كالمواشي.وكنتم لا تدرون لباس القمصان ولا الشواشي ، إلى أن جسركم على وطء الغرب ، وأخذكم معه ، المغتر محمد العياشي . بدد شمل الشراقة على سيخة [7] ابن أحمد ، وترك غيرهم أعمش وأرمد ، يتردد في همع الكمد ، وهمع بكل مازغ ومازغة حتى أوطأهم على جبال بني يازغة ، فخلا حينئذ لكم الجو ، وشرعت

---

6 عبد الخالق بن محمد ،ت 1649/1059 ، محمد حجي ،زاوية،142.

7 سيخه في الحجرية شيخه في م2.

تمد إليكم أعناق الدو . فنبذتم إذاك موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف . وأعانكم اضطراب القبائل [356] مع وقوع الجوع ومن مضى لأي قطر تعذر عليه الرجوع ، إلى أن مكنتكم من نواصيها وأزمتها ضعاف الرعايا . وكل عنيد من رباط تازى إلى وادي العبيد . فاستحليتم سكرالجبايات من الإبريز والفضة ، وفروج إماء الشاوية ما بين الحمراء الخمرية والبيضاء الفضية البضة . إلى أن جمعتم منها ما لا ينحصر ، بواسطة القرافي والمنتصر ، من غير أن تنفقوه على إقامة جند يصدم بقوته وشدته ذوي الصليب الكافر ، أو تختطوا مدينة أو سورا أو جسرا يحصل ويتصل لكم بفعله الذكر الجميل والثواب الوافر ، ولا انتفع به إلا شيع المومسات الشواب ، وشياطين الفساد والخراب ، ومن شد على الحيزوم ضراب الخناوالشراب . ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن عماء عموم البرابر ، وأقعدكم في القباب على الأسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر . خلتم من غوايتكم أن عرين الغاب خال من النمور والضراغم . اللواتي لأنوف الطغاة والبغاة رواغم . عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا إليكم معطلة صعبة . وإنا لا ندري أين تميل النفوس ، وتطأطأ له الرؤوس ، هل لتلك الصحارى أو لرئيس إليغ السوس ؟ خلتمونا سخريا خوامل ولم تشعروا أننا كصقر قريش عبد الرحمن الداخل .لكن من الحزم أن ننبه كل ذي غفلة سكران من نشوة الرقدة ، ونخترط صارم الصولة القاطع لعرى كل لبة وعقدة . على أن الملوك لهم ولاية تصانيف الجموع على جانب كل زعيم فعله نافذ وقوله مقبول مسموع ، لا سيما وهذا الغرب الذي لا يزال ملآنا من نواميس كل كاهن ومداهن قرقار ، تمسي فيه البومة خاملة الذكر وتصبح بالمخلب والمنقار ، ومعادن اللمزوالهمز والمجون هم الزوايا والرباطات والفنادق والطرازات والأسواق والسجون . وفيما سلف من دول المغرب إلزام تحريض الصغار على تعلم أنواع العلوم والصنائع ، وتعنيف الكبار المعتكفين في حلق الجوامع . وقد أذهب علي السوسي هيبتها عمن تحت يده من البلدان بصرف هبة الذهب واللجين والخيول والإماء

والعبدان . لكن من صفعته يمناه لا يمكنه أن يئن أو يتحسر أو يبكي ، ومن عقد مقوده بمعصم سواه فأساء به لا يتضرع و لا يشتكي . أهملناكم وأمهلناكم وأهلناكم وأقمناكم لعوائدكم من العبادة وإطعام الطعام ، فطلعتم لنا في الأعناق عظما وزعام . لم تعلم الفقراء إلا حرمة جاه الدخيل على صلح أو زواج كشحاح الشحيح البخيل ، وما مكافأة كل عاد تعدى دون تكليف طوره ، إلا أن يعجل المنتقم سبحانه بتغييره وعوره . وأحرى من باع ولا تخلص بالدنيا عرضه ومروءته ودينه ليضيع الحق ويشيع الجور في كل بادية أو مدينة بحجال اللهو بين خامية وبهو . وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة [357]إلى حدود السوس الأقصى . فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها ، بشرط أن تفيق من استغراق الغفلة جبلة أهلها . وإن أمسكتم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وأبيتم قبول سؤله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله . فقدشيعنا نحوكم فقيهنا وقاضينا أبا عبد الله السيد محمد المزوار ، فصددتموه أوصب صد ، وانقلب على الحافرة ورد أقبح رد . ولو لم نبال بكم بالفكر والذكر ما صرفنا فيما سلف وصيفنا الأمين مبارك السوسي[9] ، فشيد وأشاد وبنى وأجاد ضريح والدكم السيد محمد بن السيد أبي بكر.فدنستم خالص عرضه وضيعتم لازم مسنونه وفرضه . وإنه لنا عليكم بريد وبصيرة بما انطوت لكم عليه غرة الحصيرة . فقص علينا دون أن نفحص ونبادر ، أن عين الجحش في النادر . وأن من غدا في أعداد وغد الأوغاد وجد عينهم غادر . وعيبهم عن صفو الموارد صادر . والغالب أن لكم نسبة لروغان الثعالب . فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الجليل . ولا يسعنا أن ندعكم مع أشراف سجلماسة مع بني موسى تلعبون بنا كهر الغالية في القفص ، لا يغنيهم غلاء غلته إلا بوخز المسال التي تكلفه الرقص . حلبتم ضروع الأقطار في البلاد باليمين والشمال ، ونفضتمونا كما

---

[9]ينظر عنه: SIHM,FR,T:III,P:448

تنفض الأثواب من درن الرماد والرمال . وحاصل الغرض تأدية البيعة بقول وفعل واعتقاد ، كما عقدها أبوكم الأبر الجواد المرحوم الفاضل المجيد ، لأخينا الأرضى مولانا الوليد .لتنتظم بعون الله كلمة ملة الإسلام ، ولا يبقى للغير فعل و لا كلام . لو فعلتم لاقتفى أثركم جموع المنتجعين والأمصار ، ولا يبقى من يصغي لغيرنا بآذان ولا يطمح بأبصار . وإن عظمت عليكم مفارقة حب الرؤوس والركب والأيدي ، وألفتم ركوب بني الوجيه واللاعق للأعراس والصيد ، فانتظروا صبيحة طلوعي عليكم طلوع الفجر[358]على غسق الليل ، يسيل كموج البحر من الرماة والخيل . وتغمركم من بأسنا غمائم شديدة الغمرة وينفذ فيكم الحكم العدل نهيه وأمره . لننشر بعونه ما انطوى من المراحل ، ونؤم بعدكم دولة الأشراف الصحراوية، ونلوي على زاوية الساحل ، إلى أن تعود الإيالة الشيخية علوية علية بحسن الحال وصيت الذكر . أو تهوي لحضيض بني سعد بن بكر .[وإن أفقد القادر من الدار القبة والبهو والمهاد ، فلنا لديه ثواب حميد المسعى وجميل الاجتهاد.][10] وليكن ما أبصرتموه لأنفسكم من صدق الصفا جوابا وصوابا . والعاقل أحسن مفتاح لحل ما انعقد من الأبواب . لنعلم منكم أي نبراس يخرجنا من حرج هذا الحندس . وهل قبلة عبادتكم مكة أو بيت المقدس . وليكن منا هذا ختام مفيد الكلام ، والسلام .

وكان المخترع لها محمد بن عبد الرحمن [الهجني][11]ببستان جنان ميمون من قصبة الحضرة المراكشية حرس الله أوطانها ومتع بالهناء رعاياها وسلطانها ، ضحوة يوم الإثنين حادي عشر جمادى الثانية من سنة سبع وأربعين وألف .انتهى .

وهذا جواب أهل زاوية الدلاء لمولانا محمد الشيخ المذكور ، على مسطوره السابق [12]:

الحمد لله الملك الديان الذي له الملك الكامل الإحسان في

---

10 ما بين المعقوفين زيادة في م2.

11 زيادة في م 3.

12 في م 1 وم3 وم4 وم5 :باختصار

الأولى والآخرة ، وعليه الاتكال وإليه المصير، يستدرج بحكمته الإنسان من حضيض دقائق الهوان للحضرة الباذخة الفاخرة . وهو العليم المتعال السميع البصير . يضع بعدله أقواما أعزة ويرفع بفضله خوامل أخر .لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، كل واحد عن الذي قدم وأخر ، وما كانوا يعملون . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الأحد الصمد ، الباقي على الأبد والدوام السرمد الأمد . وأن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله المبلغ ليمن الأمانة ليكرع من حياض الإيمان والإسلام من تأخر عنه ومن أدرك زمانه . صلى الله عليه وعلى آله نجوم السعد وصحابته رجوم من رمى دين الهدى بأسهم البعد . وعلى جمهرة التابعين ومن تبعهم على مساق الرشد مهطعين سامعين .

وبعد ، فقد أجملنا الخطاب جوابا لمن زكا وتأثل فرع أصله وطاب ، مولانا خليفة عصرنا ويتيمة عقد مصرنا ، أبو عبد الله مولانا محمد الشيخ ، نجل أمير المؤمنين أبي المعالي مولانا زيدان،ابن الأثير الهمام الأوحد أمير المؤمنين أبي العباس مولانا أحمد . أحمد الله لنا ولكم وللمسلمين الأوائل والعواقب ، وجدد لكم ما غرس الأجداد في المغرب من محمود المناقب . وسدد لموفق الفلاح أقوالك وأفعالك . وأوطأ في بساط الطرب والانبساط نعالك . وقاد بالميمونة ناصيتك لقطع شأفة من نافق عنك وختر وللعهد نقد وخفر، ونصبك حصنا مصونا لعرض من أقام آمنا أو سافرأو نفر . سلام عليكم سلام من أسلم أموره بعد القادر إليك ، ورحمة الله وبركاته ورضوانه الأعم وتحياته ، ما غرد الهزار على مخضل الأيك . فقد كاتبناكم من زاوية عبادة الهادي إلى الصراط المستقيم العالم بحكمة تفضيل وتفصيل المنتج على العقيم ، والظاعن والمقيم ، والستر المسدول على أصحاب الكهف والرقيم ، كتب الله لنا ولكم حجب الأمن والعفو والعافية ، وأسبغ علينا وعليكم وعلى المسلمين ضوافي حلل حلمه الوافية . ولا زائد ، بعد حمد الله ، الذي وجب على العباد حمده وشكره ، وتحتم تعبدا تقديسه وتسبيحه وذكره ، ولا نامن أن يغشانا قضاؤه ومكره. إلا أن مسطوركم الأحرش ومكتوبكم الأعرش ، لما ورد ساحتنا سلب

منا الأذهان والعقول . كما صفدت صلابته الأيدي عما تفعل ، وأخرس صيته الألسن ، فأتلفت ما تقول . فلا جارحة إلا ولها من خبطه طنين . فكادت الحبالى تسقط المشائم فضلا عن الجنين . فيا له من سوط الزجر الذي لا ينسى علينا طول السنين . أسمعتنا غرائب لم تمر مرارتها على أهل الدهر الآتي والغابر. ولو صرخ بها على جبانة لنهض أهل المقابر . وليست هذه عوائد من سبقك لتلك الدرجة من الأعمام والإخوان ، منهم القريب لك والدك مولانا زيدان . حتى سمتنا بالدلالة في أسواق المذلة والهوان . وما نحن إلا ركن ووكر لمن طرقته وصمة أو غمته غمة أو جذر أخاه أو أباه أو عمه . يأمن لدينا بنفسه وذويه وفلسه متى عرته نكبة من هجر أو وقعة ، لم يجد في الغالب موئلا سوى هذه البقعة . وأنت ، وفقك الله لسلوك قويم المناهج ،تتمثل تدبيرا بإشارة الأعلاج المجبولين على طبائع الخداع والغش على تل قواعد ملكهم المخرج عن عرين العش . ومن الدليل على ذلك والشاهد والبرهان ، فتكهم بأخيك بعد مشورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، غرضهم في المغرب نشر سنة الباس ، التي نشروها في المشرق بعد المعتصم من بني العباس[13] . فلا تدعهم يخدمونك حتى يدركون فيتفكروا ما فعل آباؤهم المشركون ، قاتلهم الله أنى يوفكون . وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ، وحملوا هامته في مخلاة من مسد . وحركوا إلى عمك مولانا عبد الله لوادي اللبن حوز صنهاجة . لولا أن الحي القيوم سبحانه صرف أغراضهم عن قضاء الحاجة.وإيم الله ،لئن داموا لك في المغرب [359]بطانة حتى يطلقوا عليك ثلاثا أوطانه .وأما نحن فبيعة والدنا لكم لم تزل لنا في الأعناق وحطناها بشغف وإشفاق . ولا ينبغي أن تعاد فتكرر كالظهير لمن أراد أن يتحرر . وأيضا منعنا من تجديدها انسلال البربر عن ساحتنا . فيكون أقوى سبب لإماطة حجاب الصون لفضيحتنا . وأجلها هذا الأجدل الذي لا تؤوده سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف ، مولانا محمد ابن مولانا الشريف ؛ عقاب

---

13 زكرياء بن إبراهيم ،ت بعد 791/1398 ، ينظر عنه: زركلي ،3:45

أشهب على قنة كل عقبة . لم يقنعه عد المال عن حسم الرقبة .
وربما عرتنا غفلة فيشن الغارة الشعواء على شعاب شعوب ملوية ،
أو ينشر جيوشه على رباط تازى بالرايات والألوية . سيما
وجناحاه ذوو النفوس النفيسة بربر صنهاجة وقبائل دخيسة ،
بزاة النزوات بالحلة والمحال والغزوات . والعياشي كما تعلمون
كانت همة همزته أولا لردع ملة أهل الشرك ، ثم مد خطى الخطا
لطلب لدرجة الملك . قد خدع دون وفقنا طوائف البربر ومناهم
بالنصيب من التواب الأكبر، فخوض زروع العرب عام الجوع ،
ليصبغ لنا ولهم أكف العداوة بالوقوع . فكان الأمر كذلك ، إلى أن
سد القدر المحتوم بيننا وبينهم المسالك . وأما وصيفكم الأمين
مبارك السوسي حيث أناخ علينا بكلكل الإقامة لاختطاط ضريح
الوالد رحمه الله[14] بما أقامه ، فقمنا بوظيف حقه الظاهر
والباطن.وسرحنا له بعد الاستراحة أقدام الجولان ، حتى اختبر
بعين الحقيقة أرجاء الأماكن وأغوار المواطن .ولا شك أن حال
مطالعته هي التي أرخصت لنا في سوق خواطركم الأسعار، إلى
أن نصبتم لنا -بعدالرضى- حبائل العار الجالب للإخافة والأذعار .
وجد قبائلنا متبددة علـــى ضم الحبوب في الصيف ، ولا
عاينهـــم [360]مستعدين على الخيول برمح ولا مدفع ولا سيف ،
فخالهم على غرة غنيمة باردة . ولا علم أنهم أغوال الغيل صادرة
وواردة . فإن كانت معاينته هي التي أطمعتك أن يعودوا بعد العز
نوائب ، فما درى أن ظنه الخاوي خائب . من ركب الخيل لنفسه
دون راتب المخزن ، لا ترضى همته أن يهان فيحزن . وقاضيك
السيد محمد المزوار حيث عاين وفود الأقاليم منتشرة كالجراد على
الأزقة والأدراب ، دون من لزم الفصول والأبواب ، ولحظ ما لنا
من العرصات والقباب ، تحقق عيانا أن شمل المالك والمملوك لا
يكون منتظما إلا على عظماء الملوك . فقص ، عفا الله عنا وعنه ،
عليكم وعلى من حضر ما اعتقد وسمع ونظر . وحتى الآن ، إن
قصدتم الغرب والعرب أو حصن فاس ، لا تنالكم منا مساءة ولا

14 ضريحي الوالدين رحمهما الله في م1 وم3.

بأس . فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة أو القديمة قرار، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار بين أن نؤمك أو نترك لك الديار ، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان له شغف أكثر منك في ضبط الأوطان . فنقابل إذاك القسورة بالساط،ونلقى بطانة من شاط لأسنان الأمشاط ،أيهما للغرب غلب ، نؤدي له على غمة الرغم ما رغب وطلب . وإن أنت قنعت بحوز حمراء مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش فدعنا ومراعاة من تجارته الرياسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة ؛ ضرغام غاب سجلماسة [361] وأما صاحب إيليغ السوس فما مراده وذويه إلا غنيمة سلامة الأعراض ، ونجاة سلب النفوس . وفيما تلوناه عليك من القصص أبلغ كفاية في غنيمة العيش الأرغد أو تجريع غبن الغصص . فإن غادرتنا مستترين في حرمة الوقار والاحترام ، فنعم . وإن زاحمتنا بمنكب الهوان والاحتقار يدافعك عنا من ادعى أنه زعم .وإن طرقنا مناخ عزم قصدك على عبور وادي العبيد أو وادي أم الربيع ، يجمع الله بين من يشتري ويبيع ، والسلام .

وكتب عن إذن جمهور إخوانه عبد الله المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي يوم الأحد ثاني وعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبعة وأربعين وألف .

ولما رأى محمد الشيخ تعاصي أهل زاوية الدلاء عليه ، واستحكام أمر الغرب لهم وتقويتهم بالعدد والعدة ، وضعف عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ، صرف عنانه عن عنادهم ومنازلتهم ومناوأتهم ، ومال إلى مسالمتهم وقطع النظر عما في أيديهم . وقد وقفت على رسالة كتب بها مولاي محمد الشيخ المذكور لمولانا محمد بن الشريف الحسني السجلماسي لما بويع بفاس، يهنيه بالملك ويحذره من أهل الغرب وغدرهم ، من إنشاء وزيره القائد محمد بن يحيى أجانا . وفي آخرها قصيدة من إنشاء القائد المذكور ، ونص الرسالة[15] :

---

15 نص الرسالة سقط في كل النسخ ما عدا م2 وم6.

الحمد لله الذي إذا دُعي أجاب ، ومتى سئل أعطى.وإن هتك المجرم جلباب الحجاب أسبل عليه الستر فغطى. لاواهب لما هو مانع ، ولا ذاهب عن حكم حجة لها هو صانع .القوي الذي لا يميز عن بطشته إلماع .أرسى قرار الأرض بثقل الجبال وعد الدول وكسى ملوكها بسر الهمة وستر الهيبة أكمل وأجمل حلل ، يرتدي الأخير ما خلعه الأول. حمدا نتخذه أسمى سلم التوسل لتحسين العواقب ، وشكرا تزداد به لديه ما يقصي عن النوائب، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد تاج فنن الخلائق ، وعلى آله وأصحابه هداة الأمم للمنهاج اللائق.والرضى عن عدد التابعين وتابع التابعين وتصريف القضاء باللطف للخلائق أجمعين .

هذا ووجه القصد بهذا الموضوع ، الذي اقتصته أقلام الصندل في صك محبر استعار نشر ذكائه العنبر والمسك الأعفر والمندل، إلى الزهر الذي طاب أصله وزكا فرعه فدر للمعتقين في السعة والأزمة ضرعه ، ماجد أنجبته الآباء والأجداد . وأفرد غصة حنقت بالخنق غلاصم الأنداد ، السيتل المرغم خراطيم الثوار ، والصقر الصائل على أطيار الإنس في الأنجاد والأغيال والأغوارسلط الله على ملة الكفر بأسكم وجعل عصمة الحنانة على المسلمين لباسكم . من شملت همته تليد الحزم والطريف ، أبو عبد الله مولانا محمد بن مولانا الشريف شرف الله بمزيد الإبريزشرفات إيوانك ،و نظم في سمط السعد جواهر ديوانك ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وعلى حضرتك التي ناء هذا الغرب الغريب بجميل ذكرها ، فطمع العز الراقد هملا بأن يستيقظ من غابر وكرها ، ورحمته سبحانه مع يمين اليمن وأمن البركة حالتي السكون والحركة ، ما رغب المغرم ممكنا فأدركه .

قد كتبناكم من عرين المنصفين المعترفين حمراء صنهاجة لمتون بني تاشفين ، كتب الله لكم من سر اللوح المحفوظ تأييد الظفر والنصر، وبسط لكم اليد بسيف الغلبة على رقاب كل قبيلة ومدينة ومصر .وجعلكم ممن يغضي إذا غلب ، ويستر بستره السربال والسراويل متى سبى وسلب .ولا زائد ، بعد حمد الله الذي يجب على العاقل أن يرضى بما قضاه وقدره ، وأن يعتبر

فيختبر في تصريفه هذا آخره وهذا صدره .فالسابق نكب واللاحق ركبه ، إلا ما طرق صماغ الأسماع ، وخالط المزاج والطباع على كل وارد وبريد ، أنكم حللتم حضرة الملك فاس الجديد، وأنختم على بحبوحتها بالجيران والكلكل ، بعد أن هون المسير عليكم ما علينا وعلى غيرنا عسر واستشكل ، أسعدكم الله بإسكانها ، وأبعدكم من الذي انطوت عليه طوية قطانها . قد خف علينا والله بعض ما أوهى قوانا من قوة الضير، إذ عللنا الأمارة بأنكم بالإمارة أولى من الغير كالشبانة التي لا تدخر في إخلائها خبايا الخير. فإن ساعتكم فيها مقادير الأيام والليال مجتمعا من غارة الغيرة على صون غربة من لنا هناكم من العيال . وليس ، فوض الله لكم،عنها كنحن ومن قبلنا أوتاد الترحال ، فحسبنا وحسبهم الله على كل حال . وما حذرنا إلا من ولاية بني سيبر ، إذ ليس لهم ضبط جماح البربر ، اجتنيت ما جناه من الثمار والتمر التامر ، كما جمع حلي الأسباط موسي من ظفر السافر .فأقر الله عينك بزهو العروس البيضا ، من بهو الحمراء التي كم من خندق يتأجج دونما يحمى أحد من القضاء ، ولا يسع من لا يغلب الضيغم الإغماض والإغضاء، وما أخرني عن مكاتبتك في مدة القرب ، إلا ما تحقق يقيني من كيد ومكر كل من قاد زمامك من زعماء الغرب ، زغوال الغدر وشمائت الشقاق ، كالشرقي والرتمي والتاغي والدقاق وعبد الله بن محمد المسناوي ، فليس له في غالب الأمر مساوي ، قعد به الجبن وعدم الجهد ويسح بلمحيه أحر وأحلى من القند والشهد.وأما بوسلهام الكلاعي وابن قدار فخديماكم بالمال والدار والجداروما لهؤلاءمن الأجداد ، زوايا ومرابطون وما خلفوه من الأحفاد هدايا وقاسطون .الكبر والشح والجبن وتضييع الدين وغدر الأمل ، كصندوق آل يعقوب العلم وعدم العمل.وقد عزمنا أن نقرر في مكنون ذهنكم ما عقدوا علي فعله مواثيق الديوان ، فهالتني مهابة توهمك أني في المعاملة مخادع خوان ، ولو لم تضمني معهم وليمة الأخوة على خوان ، للمناسبة التي نظمتنا على حسن الاتفاق في سلك الملك ، وحشرتنا عصابة العصر بالشحن في الفلك . فحتى الآن الحمد لله الذي قضى بتقويض

الفريقين عن ساحتك خائبين ، ويجمع شملك بمن كان من جندك وجناح جولانك غائبين ، وكتب النجاة لك ولمن تبعك والسلامة. وجعل لزوم الحصن للظفر المستقبل أقوى دليل وأشهر برهان وعلامة ، فلا ترى لهم همتك القعساءاعتناء وإلا فلو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا . وأما قيامهم على أهل الدلاء والضغن الأكبر، فمن المحمود رفع همة العرب على ذمة البربر، وأي من حفل الرزية أن يكون لهم العز والمزية .وأما الهزائم فلم تزد ها لأنظاركم الشجعان إلا نشاطاوتحريضا وانتشاطا للطعان . وأما نكبة المدد والعدد فسيخلفها المدد والعدد ، فخذ من عرب الغرب كما قدمنا هذا ورده ولا تصف بما يرد أو يصدر وعاشرهم معاشرة العقرب للأفعى لئلا تحمل لهم من الحزم في الجانبين ضرا ولا نفعا . وأما من كان لأهل فاس رئيس كالمداهن السيد علي بن إدريس فإن طباعهم أرانب في جلود الذئاب ، لو عاشروك ألف عام لا يستقر فيهم جميل شراب ولا طعام . طرقني أنهم عارضوك لرباط تازى ببيت عتيق من عود تتحصن فيه ليلا من وقوع القدر الموعود ، فتلك من أوهام البهتان الهاوية لعبادة الأوثان . لم يعلموا أنك دهقان تسوس العقول ، طالعت التوراة والزبور والإنجيل ، وما يفهم من المعقول والمنقول ، ومع هذا أسلمك الله لم تجنح لدهقان أو من يوصيك ، مع أن أيدي التوفيق قلدت أزمتك ونواصيك .لكن رغبت غنيمة مخاطبتك أن تغضب لها وتضج ، وإن كنت في سردها أثقل من هيضة أو حجر. لكن الحق أحق أن يسمع ويتبع والصواب إن صرف وجهك عن الحق من أكبر البدع ، وفي ملك الله اصطفانا كفاية ومقنع . فلسنا نسلمه لكل من ينصب لسائله سلم الطمع إن حصل واتصل . فعلى بركة الله . وإن نقله للغير من الأجناس فسئلتم بقول الله تعالى :*وتلك الأيام نداولها بين الناس*[16] . ولا علينا في قلع أردية الكسل حتى يدركنا ألم الأسل ما يلقى من إبرالنحل صائد العسل . فاقبل مني ،حياك الله، هدية العذر بعد سلامة الصدرلو زاغت لهجة اللسان.فإن الحظ يطوي

16 قرآن كريم، سورة آل عمران ، الآية 139.

خطر الإنسان. وقد ذيلنا المسطور بذوات الوزن المشطور، هاج بها خضم الخاطر لمشيئة اللطيف الفاطر، وهي هذه على الكمال، بإخلاص نصح وأنصع مقال:

يا شبل مولانا الشريف محمد شمس السعادة والهلال الأكمل

ملأت مهابتك المهمة مغربا فزهت بمشرقها اصبهان وموصل

صقر الصياصي على الأعادي صائل غولا يغير وفي الملاحم سيتل

أظفاره للمارقين صوارم وبكل ظفر منه يسطو ذوبل[362]

بجناحك الخيل العتاق وإن نظر ت إلى تلمسان يطيش الساحل

هابتك ثوار القبائل عنوة وللوحش مهما تغر طاب المنهل

قد طبت أن عرقت عروقك في الوغي خلت العنابرذيب فيها الصندل

يا مالكا سعدت به أوطانه فيما مضى وزها له المستقبل

نادى بك النصر العزيز لمغرب ولكم على فاس الجديد الكلكل

فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن كالبط يطفو عن فصاه القلقل

واعدل تفوز ولا تواخي طامعا تردي العداة وتعمي عنك العدل

لا تصدمن جبل البرابر واصطبر حتى يهون على الجواليت مدخل

لا تأمن الأعراب في أقوالها واقمع فضاضة من يخون ويختل

وعليك بالغارات في أوطانها بكتائب تسبي الإناث وتقتل

واغضض ولا توذي تجار مدائن يبقى عليك الستر دأبا مسبل

لا تتخذ من أهل فاس صاحبا أو حاكما يصل الأمور ويفصل

كالبغل عادته الفرار وإن غدا في مربض فمتى استغرك يركل

لا تنقلن إلى الصحاري ذخائرا فيقول أهل الغرب حتما يرحل

واضرب لبيت الملك أوتاد الدهى تزداد صيتا في القلوب وتقبل

وآلي وفود العرب واعرف قدرها فقرون كل قبيلة لا تجهل

وابسط يديك على العيال هنية وإذا غرست عروق عدل تنقل

هذي وصايا قد أضعن حقوقها في حق آخر ما ابتناه الأول

فمتى شددنا للمعالي رحالنا   يأباه نصر والمقادير تخذل[363]
فرضينا محتسبين أحكام القضا   والله يفعل ما يريد ويعدل

فأجابه مولاي محمد بن الشريف عن رسالته وقصيدته برسالة وقصيدة ختم بها جوابه من إنشاء الفقيه سيدي محمد بن سودة الفاسي ، رحمه الله بمنه وكرمه [17] آمين .ونص الرسالة :

الحمد لله الولي الناصر الذي ليس لنعمائه العامة محص ولا حاصر.القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، الظاهر على عورات عتاة سائر بلاده وهو الساتر لها بثوب حلمه الكبير.نحمده سبحانه حمد من أيقن أن من وعيد عدله قضاء الشرور ومن وعد فضله رضاء السرور .ونشكره سبحانه على جم آلائه التي حصل لنا سعد عددها واتصل علينا صفو حبل مدائد أمدادها لا مردها.ونشهد أنه تعالى واحد لا ضد يضاهيه ، ولا ند لوجوده جاحد فيوازيه أو يباهيه . والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد تاج البشر، وكنز كل ضريك في الأولى ودرك دهشة المحشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الغر ، ما تباهى بحر عمان على البحور بذخائر فواخر لآلئه، وتناهت صابة الورد على الفرقد الغار بلمعان سرابه.هذا وبعد الفراغ من مسك الخطبة التي طاب لها في ألسن الفصحاء ذكر ، وعطر عبيرها وعنبرها النبلاء الفصحاء أكنة الفكر ،أجبنا جواب الصواب من أقامه الباري مقام الآباء والأجداد،القاطعين بصوارم السياسة هوائل البلاد والدامغين بمرازب الرياسة يوافيح العباد . الوتد الذي أرسى قرار الحمراء ألا تدور فتمور والشاهين الماسك قوادم وخوافي جناح الجولان عما صداها أو عاداها من المعمور ، من رضي بخرج وخراج أقرب البلدان ، مولانا الشيخ الأصغر بن الحازم الجازم مولانا زيدان ، أسبل الله علينا وعليكم وعلى المسلمين سوابغ ستره ولا جردنا وأنتم وعلي أعراضنا حرمة بره ويسره . سلام عليكم ما قام المجتهد بوظائف الفروض والنوافل ، ورحمة الله تعالى وبركاته يوقظان غفوة وسكرة وسنة كل ساه متغافل . وحين اطلاعنا على نطق

---

17 انفردت م2 وم6 بإيراد هذه الرسالة .

نصكم المنطوي على عسل بعض البشارات ، المحتوي طورا على أسل أو أشر الإشارات ، كاتبناكم على اقتفاء هذا النمط ، ونسجنا على أتقن المنوال السالم من الغلط ، من معدن العدة والعديد ، وعرين كل عنيد صنديد ، المجرع للأعادي غصص الغسلين والصديد،العروس المجلية بالبياض ، فاس الجديد . كتب الله لكم رقية تنقي اليقين من قراقر الظنون ، وترقي قوة الوقاية القاذفة لما تلقيه على السنون والسنون ، جوابا شافيا للعليل ، كافيا مبردا للغليل ، مبديا لشرح ما هو مهم في القليل والجليل ، بكونكم من حكم على أصدق حسن البصيرة ، فتدري وتعلم إذ ذاك علم يقين هل حظوة همها مديدة أم قصيرة . أما ورودنا على هذه البلاد ، فيعلم المطلع سبحانه أننا لم نعد لها عدة ولا تزودنا بزاد وإنما مقادير القادر تقود وتسوق وتعرض أعز وأغرب البضائع لأكسد وأنفق سوق .فزعنا بما خف للارتحال والانحطاط قصد حصد شوكة بني عمر بن عبيد من بني نصر ، بأوطية اوطاط. فأجحف بنا سيل الانتقام على بعض الأعيان والأموال، وهم مستندون على قرية أنوال ، ولا صحبنا عدة ولا ذخائر نفيسة ، ولا عدد جندته ، عدا بعض أولاد طلحة والأحلاف ودخيسة .فوافتنا على غفلة أرسال فاس مع بطائق القبائل ، ويسروا علينا عسير مصادمة بني جالوت بالشهود والبراهين والعلامات والدلائل .فطوينا إذ ذاك بعد الاستخارة شقة الطوى رحلة تفوقها رحلة ، إلى أن حللنا البلدة الجديدة بأقدام الإقدام، كعوائدنا لأي محل أو حلة .فلما حملت نسورالبرابر لحلبة الميدان ، نفرت عنا أوباش العربان ظفور الغربان أمام العقبان .فغادرونا لغي القدر في هذه البقاع أوحش من وتد خلفته الرحالة في أصلب قاع .فربضنا في حرز الحصن كالنمر التي احترق عليها بغتة عريشها أو الطيور المنتوفة بأيدي الصبيان ريشها .تعاتبني ،عفا الله عنك، في المعضل الذي يقبل فيه اللبيب أوضح الأعذار، وينقلب فيه الصاحب الصديق عدوا غدار . والعرب الذين حذرتنا من حقدها وغدرها،فعزمت أن تثنينا بالقوائم الحاملة عرش فرشها ، قد قصرت لنا والله في بيان غشها ،ولو فعلت لرعيناه لك مدى

الدهر جميل وصدقنا نصيحتك وكل مأمول نحوه تميل .لكن توهمت إن أفصحت أن تتهم فهمهمت بضمير لا يفهم من المسمى المبهم. وتوبيخك لنا بالتامري والسامري والمغوار العامري ، ذلك مغفورلكل مغفول أجله نظيرك أخرق ولم يدر أين ضل ولا من حيث مرق . ولولا أنك حيران متذبذب الأحوال ما حرضتني على صون ما أسار لك الدهر هنا من شفوف العيال ، مع أني بيني وبينهم مسافاة وفراسخ وأميال . وليس هنا إلا من يراقب عزرائيل لخروج الروح ،ومن ركب السفينة مع سيدنا نوح ، ولو عرضوا هدايا للذئاب والضباع ،لاعتذروا بأنهم صيام أو شباع ، لم أفحص لهم على عيان ولا خبر ، ولا نعدهم إلا في زمام من غاب عنا وغبر . وأما ما يقوم بحقوقهم من الوظائف ، فالواسطة لكمالها الفتيان والوصائف.وقولك تدافع من عادى حوزة الملك ، وتمنع كل طامع يركب مع صاري طبقة الفلك .إنما يحصل صون الدولة بالجباية والجولان والصولة ، ومن حضن على البيض كالدجاجة والبط والحجل والنعام ، لا يعد من العظماء الزعام ، ولو عاش ألف عام ، سواء كان من زمران أو زمور ، أو من تيدسي درعة أو من عمور. وها نحن عازمون على التعريض لفسيح أوطاننا ومسقط رأس سلطاننا ، ولئن عطفنا الله أعنة الرجوع ، يكون بهيأة الجنود والبنود ، والعدد التي تغني بالله الغني عن جموع النجود ، الصابرة بالله لكمد الظما والحر والقر والجوع . ولئن محا الحق سبحانه منها الآثار والأسطار ، فقد قضينا في أوجز مدة عدة من مهمات الأوطار.وخلفنا أثرها لمن يستخلفه الباري من الإخوان والدراري ، وإن خلت من الفوائد الأفئدة والأحشاء ، وخالفت الأقدام أسعد المماشي ، فصبر جميل ، والله يوتي ملكه من يشاء. ولقد ذيلنا المسطور بأبيات من وزن المشطور، منسوجة على ما نظمتموه من مساق المنوال ، وإن كان النصح فيها متقارب المعنى متناسب الأقوال .

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضى فخر الخلائف والهمام الأفضل

فلقد أجبتك عما فيه كتبت لي نثرا ونظما كي ترى ما تسأل

إنــي أبث لكــم وصــايــا جــمـــة ... إن أنت للنصح المصــرح تقبــل
فإلــى متى طــول الرقــاد أما تــرى ... أظعان ملكــك كـل يـوم تـرحـل
والدهر ينتـف في رياش جنـاحكـم ... ويدنسن مــن الصفا مـا تغسـل
مـا مــن خليفــة ذاق لــذة راحـــة ... إلا تحللــه الهــوان فيسفــل
ومن أحرى مــن كثرت شقـا ثـواره ... تعدى عليــه بكـل عـاد معقــل
تخـتـال تـخدعــه بكـل نقــيصـة ... حتى يصاد كما يصــاد العنتــل
فاستيقظن مـن الخمار ومـن رعى ... غنما من أسد الغضا لا يغفـل
وانفض غبار الـذل واخلـع ثوبــه ... يزداد وجـهـك بهجـة ويـهـــلل
ضيعت ملكك في الرخـى وتركتـــه ... للخزي فــي دور الـدلا يـتــذلل
وركنت للظــل الـوريف وغــادة ... يزهو البديع لكم إذا مـا تـرفــل
وإذا رغبـت دوام هيـبــة همــة ... وتسير في ستـر علاكـم يسبــل
دع عنك في الحمراء مروق سفرجل ... ومدر بلا بـه زعفــران وفلـفــل
واركب مطايا الصافنات إلى الوغـى ... إما تحــوز مــزيــة أو تـقتـــل
واقرع طبولا للدعـاة وفي الـوغـى ... يجبى إلى الحرب العوار الجحــفل
وخض الغمـار وهـز رمحـا وادرع ... واعل العنان وفي اليمين المنصـل
[364]خاطر بنفسك في الفيافي جائلا ... تـردي العدو وكـل ليـل منـــزل
واصطد نهـارك بالسـلاق وبعدها ... عقبانــهــا وتـواكـل والأجـــدل
وقد الجيوش كما الوحوش ولا تـدع ... مـن يعص أمرك تزجرنــه فيفعـل
جنـب أجانـا الجبن فــي تدبــيـره ... واصحب شجاعا للذخائــر يبــذل
لا تجعلـــن مــن العلـوج بطانـــة ... فطباعهــا الغدر البليــغ الأعجـل
أما الشبانـة فاحـذرن مـن غيهـا ... لا بد تغدر فــي الأخـيـر وتـخـذل
تــرجــو عواقب دولــة لنفوسهــا ... وتـود من وافى جنـابك يحـفــل
يعطف عليك الدهــر بعـد نفوره ... فتعود أيـام السعـــود وتقــبــل
مـــا ذاق زيــدان أبــوك حـــلاوة ... من حزمه حتــى انتحـاه الحنظـل
وإذا امتثلت صــواب صدق وصيتي ... يصفي الزمان لكم ويصفو المنهـل

وكان في أيام مولاي محمد الشيخ رحمه الله رخاء مفرط وغلاء مفرط عام ستين وألف . وتوفي رحمه الله عام أربع وستين وألف ، ودفن بقبور الأشراف ، قريبا من قبر أبيه. ومما كتب في رخامه على قبره :

لبدر سماوات المعالي أفول وفي الضريح كان منه نزول

محمد الشيخ بن زيدان غاله حمام فحزن العالمين طويل

إمام المعالي ذو المآثر فضله له عزة في الصالحين جميل

حباه إله العرش رحمى تخصه بما هو في الفردوس منه كفيل

ووزراؤه : يحيى أجانا ، وولده محمد ، وغيرهما.وقضاته : عيسى بن عبد الرحمن ومحمد المزوار .

الفصل السبعون

ذكر الخبر عن السلطان مولانا أحمد المدعو العباس ابن السلطان مولانا محمد الشيخ بن مولاي زيدان

[365] لما توفي مولانا محمد الشيخ رحمه الله ، كما ذكرنا قبل ، بويع ولده مولانا العباس سنة أربع وستين وألف . وقام مقام أبيه في جميع ما كان بيده . إلا أن حي الشبانات ، وهم أخواله [1]، قويت شوكتهم في أيامه ، وغلظ أمرهم عليه ، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به ، فضايقوه وحاصروه بمراكش أشهرا . ولما رأت أمه الأمر لا يزيد عليه إلا شدة ، كلمته في أن يذهب إلى أخواله ، ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في أنفسهم عليه . فذهب إليهم . فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة وأقبلوا لمراكش مسرعين.وبويع فيها لأميرهم عبد الكريم بن أبي بكر الشباني ثم الحريزي ، وكان قتله سنة تسع وستين وألف .

وبموته رحمه الله انقرضت الدولة السعدية وانطوى بساطها وانهار جرفها. فسبحان من لا يبيد ملكه ولا يتحول سلطانه .

قال المؤلف رحمه الله :وقد ذكرتني هذه الفعلة قول مولانا محمد الشريف في قصيدته السابقة :

أما الشبانة فاحذرن من غيها لا بد تغدر بالأخير وتخذل

فإن الأمر وقع كما قال،مع أن مولانا محمد بن الشريف كتب

---

1 تمتد منطقة الشبانات على طول المجرى الأعلى لواد سكساوة على السفح الشمالي للأطلس الكبير.وقد تزوج منهم أحمد المنصور :عائشة بنت أبي بكر ، المعروفة بللا الشبانية. وهي أم زيدان.كما تزوج منهم عبد الملك ابن زيدان .ينظر:SIHM,ANG,T:I,P:VII-T:II,P:350

بالقصيدة المذكورة لمولانا محمد الشيخ سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر الشبانات بمولانا العباس كان سنة تسع وستين وألف ، فبين ذلك عشر سنين . ولعل مولانا محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف أو نحوه . فإن كلامه كثيرا ما يقع فيه ذلك .

وكانت مدة هذه الدولة السعدية نحوا من مائة [366] وخمسين سنة . وعدد ملوكها على ما سلف بضعة عشر ملكا . فالله تعالى يسامحهم ويتجاوز عنهم . فلقد كانت أيامهم في جباه الكفر كالمكاوي والمياسم ، وأوقاتهم في وجوه الإسلام أعياد ومواسم.وللخلافة عند الله قدر عظيم ، لا يجهله إلا من جهل الفرق بين الحصباء والدر النظيم . ولقد تجنبنا التغالي في الذم في حق بعض من يستحقه منهم ، سترا للأعراض ، ورعيا لجانب الخلافة . فإن الملوك إن كانت لهم هفوات فلهم محاسن وحسنات . فلا يهضم حقهم ، سيما هؤلاء الأشراف الذين :

قطفوا ثمار المجد من غرس العلا ... بأكفهم فلنعم غرس الغارس

لهم لباب المجد وعزة أنفس ... وذكاء ألباب وطيب مغارس

خاتمة تشمل على فوائد ثلاثة

الفائدة الأولى : وجد بخط ابن غازي ، رحمه الله ، مانصه : استقرأ ابن الخطيب السلماني رحمه الله في كتابه **الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام** أن الدولة تختم بما افتتحت به .ومصداق ذلك في عبد الحق [2]، فإن به ختمت دولة بني مرين ، وبه بدأت .وربما يجري ذلك ها هنا ، فإنها بمولاي محمد الشيخ بدأت ،إذ هو أول ملوكها في الحقيقة ، وختمت بمولانا محمد الشيخ إذ هو آخرهم في الحقيقة والله أعلم .

---

2 أول بني مرين :عبد الحق بن محيو ، ينظر :الناصري ،استقصا ،3:5،7 .وآخرهم عبد الحق ابن أبي سعيد عثمان ت 869/1454.الناصري ،استقصا،4: 96،100

الفائدة الثانية : ذكر الحافظ السيوطي وغيره كالدميري في **حياة الحيوان**[3] [367] أن سادس الخلفاء مخلوع . وعد من أول ملوك الاسلام جماعة ؛ كسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فإنه السادس ، وقد خلع . وربما يجري ذلك هنا . فإن مولاي محمد المسلوخ هو السادس ، باعتبار زيدان بن أحمد الأعرج الذي بويع بسجلماسة ، وقد خلع من الملك ، والله أعلم .

الفائدة الثالثة : مما ينبغي أن يعلم الفرق بين الملك والسلطان . قال ابن فضل الله في كتاب **المسالك** [4]: ذكر لي علي بن سعيد أن الاصطلاح ألا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون في ولايته ملوك . فيملك مثلا مصر والشام وإفريقية والأندلس ، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس ونحوها . فإن زاد بلدا أو عددا في الجيش كان أعظم في السلطنة وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم . فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ، ومثل خرسان وعراق العجم وفارس ، ومثل افريقية والمغرب الأوسط والأندلس ، كان تسميته سلطان السلاطين . والله أعلم ، انتهى من **حسن المحاضرات** للسيوطي[5] .

---

3 حياة الحيوان ،لكمال الدين محمد بن عيسى الدميري، ت 1405/808 ينظر:حاجي خليفة،كشف،1:696.

4 مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للعمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ،ت 1348/749 .ينظر عنه: محمد المنوني ،مصادر ،1:87.

5 حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة،لجلال الدين السيوطي ، ت 911/ 1505ينظر:حاجي خليفة،كشف،1:667.

الفصل الحادي والسبعون

ذكر التعريف بسيدي محمد العياشي وثناء العلماء الأكابر عليه

وابتداء أمره ومغازيه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منزله ومأواه

قال مؤلفه : أما التعريف به فهو محمد بن أحمد المالكي الزياني . واشتهر لقبا بالعياشي . وبنو مالك من عرب الغرب ، وبيته فيهم بيت خير وصلاح من قديم ، كما قال الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي في مدحه :

حديث العلا عنكم يسيربه الركب   وينقله في صحفه الشرق والغرب

وحبكم فرض على كل مسلم   تنال به الزلفى من الله والقرب

[368]فأنت رفيع من أصول رفيعة   نجوم الدياجي في الأنام لها سرب

سمي رسول الله ناصر دينه   تجلى بكم عن أفقه الشك والريب

ولم أر بحراً جاوز البحر قبلكم   يجود لمستجد أنامله السحب

وما يستوي البحران عندي فإن ذا   أجاج لعمري في المذاق وذا عذب

وقد وصفه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة في شرح **المرشد المعين**[1] بالولي الصالح العامل السائح قطب الزمان وكهف الأمان المجاهد في سبيل رب العالمين ،المرابط في الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين،ذو الكرامات الشهيرة العديدة والفتوحات العظيمة الحميدة . من لا شبيه له في عصره وما قرب منه ولا نظير. ولا معين له على نصرة الاسلام ولا نصير ، إلا الله الذي تفضل به علينا وأقره بمنه وجوده بين أظهرنا ،وهو كما قيل:

1 المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، لعبد الواحد ابن عاشر .وقد شرحه محمد ميارة بشرحين ، كبير؛ ويسمي :الدر الثمين والمورد المعين، وصغير،يسمي:مختصر الدر الثمين. ينظر:محمد حجي ،حركة، 1:145.

حلف الزمان لياتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

. البركة القدوة المجاب الدعوة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي . وبمثل ذلك وصفه العالم سيدي محمد العربي الفاسي أيضا . وكان الولي الكبير العارف بالله الشهير سيدي محمد بن أبي بكر المجاطي الدلائي يذيع محاسنه ويطيل في الثناء عليه . وكان يقول في دعائه له :اللهم جاز عنا سيدي محمد العياشي أفضل المجازاة وكافه أحسن المكافاة واجعل مكافاتك له انكشاف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه . اللهم لا تحرمنا توجهه إليك وانقطاعه لخدمتك اللهم نفس كربته ، وكمل رغبته ، وأجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له [369]الكرة على من عاداه في الحق ، إنك على كل شيء قدير .

وقد وقفت على رسالة كتب بها سيدي محمد بن أبي بكر أيضا له ؛ ونصها : الحمد لله الحليم ، العفو الرؤوف ،المنزه عن صفات النقص ، الذي هو بالكمال موصوف ، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم المسورة بسور السماحة والحلم ، وعلى سادتنا آله وأصحابه وكل من انتظم في سلك أتباعهم من أهل حزبه . هذا وإن المجلى بنور طلعته ظلم الظلم والفساد ، المحلي خزائن المعالي بموجبات النفاق على حين الكساد ، المستوطن حبه بسويداء الفؤاد ، من ألقت إليه المكارم أزمة الانقياد ، وصلحت به بحمد الله تعالى البلاد والعباد ، وأينعت ببركاته البلاد. حوطة الإسلام وحمايته ، وحرز الدين المحمدي وكفايته ، سيدي محمد بن أحمد العياشي المحمود الأوصاف ، بشهادة من يعد من أهل الإنصاف.زاده الله من المكارم أعلاها ومن نفائس درر المجد أغلاها ، وتوجه بتاج الكرامة والرضى ، وأمده بدائم مدده السرمدي حتى يرضى . وسلم جنابه القدسي العلمي المرابطي المجاهدي من جميع البلايا ، وأتحفه من تحفه الفاضلة الوهبية بأعلى المزايا . وأهدى إليه من طيب بركاته ورحماته ما يرضاه دينه العلي لحماته . قد شهدنا على أنفسنا بالإقرار بفضله علينا . وأن ما يسره يسرنا وأن ما يضره يضرنا . علم ذلك منا يقينا من له معنا أدنى [370]

مخالطة . بحيث لا يمكنه أن يدفع ذلك بنوع من المغالطة . وإن الضار بالعين ضار بإنسانها . لكن النفوس الإنسانية محل لخطئها ونسيانها . ومن أقمنا لديكم مقام الخديم والولد، قد ساءنا ما ساءكم مما عنه ورد. وطلبنا من جميل أوصافكم معاملته بالصفح الجميل . فلن يزال الإنسان – إلا من عصمه الله -يستمال أو يميل . ولولا الحرارة ما عرف الظل ولولا الوابل لقيل النهاية في الطل . وما عرف العفو لولا الإساءة ولا يقال صبر المرء إلا فيما ساءه . وما عرفنا صاحبه إلا محبا لجانب كل من للدين ينتسب . فإن خرج عن نظركم فقد أتاه الغلط من حيث لا يحتسب .

ووصفه الشيخ الإمام العالم الحجة أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي[2] في رسالة وقفت عليها بخط يده بأمير المؤمنين وسيد المسلمين . وناهيك بها شهادة على علو منصب الرجل .وقال الإمام الشهير أبو محمد سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله في مدحه :

يا حادي الأظعان في الرياشي	أبلغ سلامي فخرنا العياشي
من فضله بدا ونوره غدا	تغدو به الركبان والمواشي
طود العلا عين الندا فرد الردى	فريد وقته الإمام الخاشي
لله سيف صارم وقاطع وقاصم	ظهر العدا كبيرهم والناشي
كم غصة جرعها صدورهم	حار بها واقفهم والماشي
يتركهم عند اللقا رهن الشقا	صرعى على الأرضين كما الفراش
تهنيكم حياتكم يا مسلمين	ما دام فيكم سيدي العياشي[371]
أنام لا شك الأنام الكل في	ظل الأمان لين الفراش
يا عاذلي في حبه عذلك دع	ولا تحدثني حديث الواشي
إني امرؤ بالحسن مفتون وعن	جميع لوم لائمي عاشي
هدية إلى الكرام أبرزت	للسامعين الخير فيهم فاشي

---

2 ت 1675/1085.ينظر : محمد حجي ،زاوية،1 6.

وثناء الناس عليه كثير يطول بنا تتبعه . وفي هذا القدر كفاية . وأما ابتداء أمره[3] رحمه الله تعالى ، فقال الشيخ الحافظ أبو زيد سيـــدي عبد الرحمن ابن الإمام سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله في منظومته المسماة **بزهرة الشماريخ في علم التاريخ** ، ما نصه :

وبعــد لام ظهر العياشي   شيئا فشيئا ثم مات ناش[4]

قال شارحها ما معناه : كان ابتداء أمر سيدي محمد العياشي رضي الله عنه أنه كان من تلامذة الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي عبد الله بن حسون[5] السلاسي دفين سلا . وكان أقرب التلامذة إليه وأسرعهم لخدمته . وكان مع ذلك ، قليل الكلام ، مداوما على قراءة القرآن والصيام ، فكان الشيخ ملتفتا إليه . ولم يزل الأمر كذلك ، إلى أن شاعت مناقب الشيخ وكثر غاشيه . فأهدى له يوما بعض أشياخ القبائل فرسا . فأمر الشيخ بإسراجه،وقال : أين محمد العياشي ؟ فقال له : ها أنا يا سيدي. فقال الشيخ : إركب بحول الله فرسك ،فهودنياك وآخرتك . فتقهقرعن ركوبه حياء وتأخر متأدبا . فحلف له ليركبن وحبس له بيده الركاب،وقال له:ارتحل عني إلى أزمور،وانزل على أولاد أبي عزيز[6] ولابد لك من الرجوع إلى هذه البلاد - يعني سلا - [372] وسيكون لك شأن عظيم . فودعه ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير.فقصد أزمور،ونزل حيث عين له الشيخ .ولم يزل مثابرا على الجهاد ، شديد الشكيمة على العدو ، عارفا بوجوه المكائد الحربية،مقداما في مواطن الإحجام،صموتا وقورا ذا بطش شديد.فطار بذلك في البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره؛بما هو عليه من التضييق على العدو الكافر . وفرح بذلك قائد أزمور . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي قائد الفحص والبلاد . فسأل

---

3 جعل عنوانا في م1 وم3 وم4 وم5

4 لام =81،ناش=1051فيكون تاريخ ميلاده 981 وتاريخ وفاته 1051.

5 ت 1604/1013.ينظر : محمد حجي، حركة ،444:2.

6 إحدى قبائل شرقية جنوبي أزمور ، ينظر:محمد الشياظمي معلمة،910:3.

السلطان زيدان بن أحمد المنصور عمن يليق بتولية ذلك الثغر ، فقيل له:سيدي محمد العياشي،فكتب له بالتولية.فنهض بأعباء ما حمل وبتولية الفحص.وكانت له مع النصارى وقائع عظام ، وضيق عليهم أشد تضييق،حتى منعهم من الرعاية والحرث.فبعث نصارى البريجة لحاشية زيدان بالتحف ونفيس الهدايا،ليزيلوا عنهم سيدي العياشي لمضايقته لهم.فخوفوا زيدان منه ، وحرضوه على عزله ، واظهروا له أنه مسموع الكلمة في تلك النواحي ، وأنه يخشى منه على الملك. وكان سيدي محمد كلما بعث بما يفتح الله عليه من الغنائم والأسارى لمراكش ازدادت شهرته ، وتناقل الناس حديثه . فوغر بذلك عليه قلب السلطان ، وحنق عليه . فبعث له قائده محمد السنوسي في أربعمائة فارس ، وأمره بالقبض عليه وقتله . فألقى [373]الله تعالى في قلب القائد المذكور الشفقة عليه ، لما يعلم من براءته مما قذف به . فبعث له خفية أن انج بنفسك ، فإنك مغدور . فخرج سيدي محمد في أربعين رجلا فرسانا ورجالة ، قاصدين سلا . فلما بلغ السنوسي أزمور لم يجد له أثرا . فأظهر العناية بالبحث عنه ، وعاقب على إفلاته شرذمة من أهل الفحص .

ولما دخل رحمه الله سلا ، زار شيخه وبات عند ضريحه . وجاءه أهل سلا وذكروا له ما هم فيه من الخوف من النصارى ، وأن مسارحهم امتدت لوادي المخازن[7]،وأن النصارى ألف [8]من الرماة دون الفرسان . فأمرهم بالتهيىء واتخاذ العدة . فلم يجد بسلا إلا نحو المائتين من العدة . فحضهم على الزيادة والاستكثار منها فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعمائة . فخرج بهم إلى المعمورة ، فصادف بها النصارى غرة . فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة قرب المعمورة إلى أن غابت الشمس . فقتل من النصارى زهاء أربعمائة، ومات من المسلمين مائة وسبعون[9] رجلا ختم الله

---

7 واد النجار في م1 وم3 وم4.

8 ألفان ، في م1 وم3 وم4 .

9 مائتان وسبعون في م1 وم4

لهم بالشهادة . وهذه أول غزوة أوقعها في الغرب بعد صدوره من ثغر أزمور . ومنها قصرت النصارى عن الخروج للغابة ، وضاق عليهم الحال .ثم إن زيدان،لما بلغه اجتماع الناس على سيدي محمد العياشي[بسلا وسلامته من غدرة قائده السنوسي][10]،بعث إلى قائده على قصبة سلا،الزعروري [11] وأمره باغتياله والقبض عليه . ففاوض الزعروري في ذلك أشياخ الأندلس[374] ، فاتفق رأيهم على أن يكون مع سيدي محمد العياشي جماعة منهم عينا عليه وطلعة على نيته واستخبارا لما هو عازم عليه وحفظا له مما هو مطوب به . فلازمه بعضهم . وكان زيدان قبل ذلك بعث لقائده الزعروري المذكور أن يجهز لدرعة أربعمائة من الأندلس الذين بسلا،فجهزهم إليها وطالت غيبتهم بها ، فهرب أكثرهم ، ومالت قلوبهم عن الزعروري وسلطانه . فلما بعث زيدان لأهل سلا بتجديد البعث إلى درعة ، امتنعوا من الانقياد له في ذلك ، وكرهوه ، وأزمعوا على خلع طاعته ، ووشوا له بقائده الزعروري . فبعث زيدان لقبضه ، فقبض ، ونهب الأندلس داره ، وكتبوا له مظهرين طاعته ، مكيدة منهم ونفاقا . فبعث لهم زيدان قائده المملوك عجيب [12]، فمكث عندهم أياما . فلم يعتنوا به وصاروا يهزؤون بحاله ثم قتلوه . فظهر منهم شق العصا على زيدان ، وأظلم الجو بينه وبينهم ، وبقيت سلا فوضى لا ولي لها . فكثر النهب ومد اللصوص أيديهم للمال والحريم،وسيدي محمد ساكت لا يتكلم،وكثرت الشكاية من التجار والمسافرين بخوف السبل [375] وقطع الطرقات . فهرع الناس إلى سيدي محمد العياشي، وكثرت وفوده ، وأشرقت في الجو السلاوي أنواره وسعوده . فشمر عن ساعد الجد ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولما طلبه الناس للتقدم للنظر في مصالح المسلمين وأمورجهادهم مع عدوهم أمر أشياخ القبائل وأعيانها من عرب

10 زيادة في م 1 وم 3 وم 4.

11 فاضل الأنصاري :محمد حجي ، زاوية،185.و:SIHM,PB,T:III,P:522

12 علج إسباني ،ت 1037/1627 .ينظر عنه:SIHM,FR,T:III,pp:25,191

وبربر ورؤساء ، بأن ينزلوا خطوطهم في ظهير بأنهم رضوه وقلدوه وقدموه على أنفسهم ، والتزموا طاعته ، وأي قبيلة خرجت عن طاعته وأمره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تفيىء إلى أمرالله.فكتبوا بذلك خطوطهم ،ووافق عليه قضاة الوقت وفقهاؤه من تامسنا لتازى.وكان الحامل له على طلب ذلك أنه بلغه عن بعض طلبة الوقت أنه قال : لا يحل الجهاد إلا مع الأمير.ففعل ذلك خروجا من الدعوة الواهية،وإلا فقد كتب له علماء الوقت ؛ كالإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر ، والإمام سيدي إبراهيم الكلالي [13] ،والإمام سيدي العربي الفاسي،وغيرهم،بأن مقاتلة العدو لا تتوقف على وجود السلطان،وجماعة من المسلمين تقوم مقامه . ولما كمل أمره وبايعه الناس على إعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضعفاء الأمة ، ضاق الحال على[376] عرب الغرب ؛ لا عتيادهم الفساد وعدم الأحكام ومحبتهم الخلاف والسيبة ، فنكث بيعته جماعة . وكان ممن نكث الناصر بن الزبير في لمة من الشراقة . فقاتلهم سيدي محمد العياشي رحمه الله فظفر بهم وعفا عنهم . ونكث أيضا الطاغي –بالتاء بدل الطاء في ألسنتهم– مع جماعة من أولاد اسكير [14] ، فغلبهم وعفا عنهم . وكذلك كان عرب الحياينة طغوا على أهل فاس وعتوا وسعوا في إخلاء البلاد بأمر أحمد ابن مولانا زيدان ، فقاتلهم سيدي محمد العياشي رحمه الله، فكانت الدائرة عليهم . وتاب على يده جماعة من رؤساء الشراقة الذين كانوا مع الحياينة . وكانت عاقبة كل من بغى عليه وطغا خسرانا مبينا .

أما مغازيه [15] رحمه الله ، فقال شارح **الزهرة** : كان نزول النصارى بمرسى الحلق سنة اثنتين وعشرين وألف . وكان هذا الحلق مضرا بالمسلمين ، ولقوا منه شدة . ولما اجتمعت الكلمة على سيدي محمد العياشي ورد الله من نكث للعهد ، كان أول ما بدأ به

---

13 إبراهيم بن أحمد ت 1637/1047.ينظرعنه: محمد حجي ، حركة ،2:491.

14 أسجير في الحجرية وم1سيجير ،في م3،سجير في م4.

15 جاء عنوانا في م1 وم3 وم4 وم5:ذكر مغازي سيدي محمد العياشي رحمه الله.

أنه تهيأ للخروج للحلق ، واستعد لقتاله ومنازلة من فيه من النصارى ، طمعا في فتحه ، ليتقوى بذخائره المسلمون . وكان المسلمون قد حاصروه أيضا فلم يقدروا له على شيء ، وصعب عليهم الأمر . وكان سيدي محمد العياشي رحمه الله إذا أراد الله أن يظفره بغنيمة ، رأى في نومه أنه يسوق [377]خنازير.ولما سار بجموعه للحلق ، ونزل عليه ، رأى قطعتين من الخنازير والعنوز معها . فكان من قضاء الله أنه في صبح تلك الليلة قدمت أغربة من السفائن بقصد الدخول للحلق . فضيق عليهم الرماة من الخندق ، فأرادوا أن ينحرفوا للبحر، فردهم البحر لساحل الرمل ، فتمكن منهم المسلمون وقتلوا وسلبوا ونهبوا ووجدوا في الأغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين ، فأعتقهم الله ، وأسروا من النصارى أكثر من ثلاثمائة، و مات أكثر من مائة [16]منهم . وظفر بقبطان من عظمائهم ، ففدي به طائف [17] رئيس أهل الجزائر ، وكان عندهم في قفص من حديد . ومنها غزوة العرائش ، وكانت سنة أربعين وألف . وذلك أنه صرف همته للتضيق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم . فكمن بالمسلمين بالغابة نحوا من ستة[18] أيام . فخرجوا بغتة ، فمكن الله له من رقابهم، وطحنهم في ساعة واحدة . ووقع له مع نصارى العرائش أيضا أنه أخذ حناشا من عرب طليق ، يقال له ابن عبود ، فأراد قتله : فقال له : استبقني ، فإني أنفع المسلمين، وإني تائب إلى الله عز وجل ، فتركه . وذهب إليهم ، وكان موثوقا به عندهم حتى أنهم كانوا يؤدون له الراتب على ذلك [378] فقال لهم : إن أحياء العرب وحللهم قد نزلوا بوادي العرائش [19]، فلو أغرتم عليهم لغنمتموهم ، فخرجوا مبادرين مكثرين . فما شعروا إلا أن أحاط بهم سيدي محمد العياشي ، فلم ينج منهم أحد . وكان عدد من قتل

16 مائتين ، في م 1 وم 3 وم 4.

17 طابور في م 1 وم 3،طابق في م 4.

18 سبعة ،في م 1 وم 3 وم 4.

19 واد القرابس في م 1.

من الكفرة نحو الألف [20]. فأخذوا ابن عبود ، إذ بقي في يدهم ، فقلعوا أسنانه ، ومثلوا به وراموا قتله لولا أنه رفعهم إلى شرعهم فسرحوه .

ومن غزواته رضي الله عنه غزوة الحلق الكبرى . وذلك أن أهل فاس نزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكمنوا فيه ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع خرج النصارى على غرة فثار المسلمون عليهم . وكانت الغنيمة أربعمائة من العدة ، وقتل من النصارى ستمائة . وكان النصارى لما خرج جيش فاس بقصد الغزو ، أعلمهم مسلم مرتد كان عندهم . فأعطوه سلعا وجاء المرتد لسلا بقصد بيعها . فأخذ وقتل فعمي عليهم الخبر ، إذ كانوا ينتظرونه من يرد عليهم بالخبر . فلم يشعروا حتى صاحبتهم الخيل . فأحيط بهم ولم ينج منهم إلا القليل، حتى لم يبت في الحلق تلك الليلة إلا نحو الأربعين رجلا منهم . ولم يحضر سيدي محمد العياشي بنفسه في هذه الغزوة ، لأنه ذهب لطنجة حنقا على يوم المسامير ؛ حيث صنعوا مسامير بثلاثة رؤوس تنزل على الأرض والرابع يبقى مرفوعا مكيدة عظيمة تضرر منها الفرسان والرجالة من المسلمين.ولما رجع وأعلم بضعف من بقي في الحلق،بعث إلى الأندلس بسلا [379] يصنعون له السلاليم يصعد منها لمن بقي في الحلق. فتثاقلوا عليه في صنعها غشا منهم للإسلام ، ومناوأة لسيدي محمد العياشي ، حتى جاء المدد لأهل الحلق .فلما أتي بها لم تغن شيئا بعد أن ركبها.ومن هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين أهل الأندلس . وكان أهل الأندلس أعلموا النصارى بأن محلة سيدي محمد النازلة في محاصرة الحلق ليس لها إقامة . فبلغ ذلك لسيدي محمد ، فأقام عليهم الحجة ، وشاور العلماء في قتالهم . فأفتى سيدي العربي الفاسي بجواز مقاتلتهم ، لأنهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصحوهم ، ولأنهم تصرفوا في مال المسلمين ، ومنعوهم من الراتب ، وقطعوا البيع والشراء على الناس ، وخصوا به أنفسهم،وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام

---

[20] ألفين وثلاثمائة في م2.

والسلاح.وكان الإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله لم يجب عن ذلك إلى أن رأى بعينه ، حيث قدم لسلا ، الأندلس يحملون الطعام للكفار ويعلمونهم بغرة المسلمين ، فأفتى بجواز مقاتلتهم . وحكم في رقابهم السيف أياما إلى أن أخمد بدعتهم ، ورجع بهم إلى الكلمة .

ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى ، جاءت الوفود بتهنئة سيدي محمد بما منح الله له من الظفر . فحضهم على استئصال شأفة من بقي به ، وعير العرب بترك النصارى في بلادهم . [380] وكان ممن حضر من العرب جماعة من الخلط وبني مالك والطاغي والدخيسي وغيرهم . فقال لهم سيدي محمد : والله والله والله إن لم يأخذكم النصارى ليأخذنكم البربر ، فقالوا له : ياسيدي وكيف يكون ذلك ، وأنت فينا؟ فقال لهم اسكتوا ، أنتم الذين تقطعون رأسي . فكان كذلك ، وهذا من كراماته رضي الله عنه .

وأما مقاتلته أهل البريجة فسببها ، كما رأيته في رحلة الفقيه العلامة قاضي تامسنا في حينه أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الغنامي الشاوي[21]، بخطه ، أن أهل البريجة عقدوا المهادنة مع أهل أزمور مدة . فكان من عزة النصارى وذلة الإسلام في هذه المدة ما تتفطر منه الأكباد وتخر الجبال هدا . فمن ذلك أن زوجة القبطان خرجت ذات يوم في محفتها ومعها صواحبها إلى أن وصلت حلة العرب . فتلقاها أهل الحلة بالولاول -أي الزغـــــاريت -والفرح ، وصنعوا لها من الأطعمة ، وحملوا لها هدايا من الدجاج والحليب والبيض . فظلت عندهم في فرح عظيم،ولما كان الليل رجعت . ووقع لها أيضا مرة أخرى أنها أمرت زوجها القبطان أن يخرج بجيوشه ، ويبعث لقائد أزمور ويخرج بجيوش المسلمين ، فيلعبون فيما بينهم وهي تنظر إليهم وتتنزه فيهم فكان ذلك ، فجعلوا يلعبون وهي تتفرج فيهم . فما كان إلا أن حمل كافر على مسلم فقتله . فكلم قائد المسلمين القبطان [381]،

---

21 رحلة القاصدين ورغبة الزائرين ، للغنامي الشاوي ، حج سنة 1729/1141 .منها مخطوطة بالخزانة الحسنية،رقم 5656.ينظر : المنوني ، مصادر ، 189:1.

وأخبره بما وقع ، فقال القبطان : فما يضرك إن مات شهيدا ، يهزأ به ويسخر بالمسلمين . قال : وكان الولي الصالح العابد الزاهد المجاهد رافع لواء الإسلام ومحيي منهاج النبي عليه الصلاة والسلام ، سيدي محمد العياشي ، كلما سمع أو رأى شيئا من ذلك تغير وبات لا يلتذ بطعام ولا منام ، وهو ينظر كيف تكون الحيلة في زوال المعرة عن المسلمين وغسل أعراضهم من وسخ الإهانة ، وهو مع ذلك يخاف من العيون التي ترصده من صاحب مراكش وقائد أزمور ومن قبطان البريجة . فمكث كذلك مدة من ثلاث سنين . فلما رأى الأمر لا يزيد إلا شدة أشار لبعض أولاد الذويب [22] من أولاد أبي عزيز أن يجلبوا للنصارى شيئا من الزرع خفية . ويكون شيئا قليلا فشيئا قليلا حتى تطمئن نفوسهم ويذوقوا حلاوته ، ويريهم النصيحة والمحبة . فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم وأخبروه بذلك وأطلعوه على غرة النصارى فعزم على قصد البريجة ، ثم بدا له تقديم العرائش ، ثم يأتي البريجة بغتة . وكان ذلك في رابع صفر عام تسعة وأربعين وألف . ثم تحرك للبريجة ، فذكروا له أن وادي أم الربيع في نهاية المد والامتلاء . فلم ينته عن ذلك ، وسار حتى بلغ الوادي ، فوجده ممتلئا جدا لا يكاد يدخله أحد إلا غرق . فقال لأصحابه ومن معه : توكلوا على الله،واجتهدوا في الدعاء . ثم اقتحم [382]الوادي بفرسه ، متوكلا على الله تعالى . وتبعه الناس فعبروا جميعا ولم يتأخر منهم أحد.وكان الماء يصل إلى قريب من ركب خيولهم ، مع أن ذلك الوادي حين امتلائه لا يدرك له قعر عند الناس ، كما شوهد ذلك . وهذه كرامة عظيمة وبرهان عظيم وقع له رضي الله عنه ، ولم نسمع بمثل هذا وقع إلا للصحابة رضي الله عنهم ؛ كما وقع للعلاء ابن الحضرمي [23] في فتوح العراق . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.و بلغ البريجة ووجد طائفة من أولاد بو عزيز شعروا به ولجأوا للقبطان خوفا من سيدي محمد العياشي أن يمكر بهم .

---

22 ينظر عن أولاد ذويب:محمد الشياظمي ،معلمة ،910:3

23 العلاء بن عبد الله ،ت 642/21.ينظر :زركلي ،أعلام ،245:4

فخرج في خيله . وكان سيدي محمد كامنا بإزاء البريجة بالغابة ، فلما انفصل القبطان بجيشه عن البريجة ، حمل عليهم سيدي محمد العياشي بخيله فقطعهم عن الهرب إلى البريجة ، فهربوا للبحر فماتوا كلهم قتلا وغرقا ، إلا نحو من سبع وعشرين . فتغير صاحب مراكش على ذلك وأنكر ما صنع هو وقاضيه الفقيه سيدي عيسى بن عبد الرحمن .

وبالجملة ، فغزوات سيدي محمد العياشي رحمه الله كثيرة ، وحمايته للدين شهيرة ، وذبه عن الإسلام مما هو واضح عند الخاص والعام . وكان رحمه الله عازما على أخذ العرائش ، فحال بينه وبينها الموت . وكذلك كان ملحا على أخذ طنجة ، فلم تساعده الأقدار . ومن خط الفقيه العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد ما صورته : حدثني من أثق به من الإخوان [383]، عن ابنه الفقيه العلامة الأشهر سيدي عبد الله ابن سيدي محمد العياشي ، أنه وجد مقيدا بخط والده رحمه الله أن جملة ما قتل من الكفار في جملة غزواته سبعة آلاف كافر وستمائة كافر ونيف وسبعون كافرا . وكان الذي استولى عليه سيدي محمد العياشي سلا ونواحيها وعلى تامسنا وعلى أعراب الغرب ، كل ذلك كان تحت طاعته وفي ولايته . ولم يزل في نحر العدو حتى أمن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين . وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله في شيء إلا استجيب له ، شوهد ذلك منه مرارا . وكان من كراماته أنه يعلم الناس بالغنيمة قبل وجودها . وكان فقيها مشاركا في فنون من العلوم وله أتباع ظهرت عليهم بركاته ولاحت عليهم أسرار سره ونفحاته.

الفصل الثاني والسبعون

ذكر الخبر عن قتله رحمه الله وسببه وما وقع له في ذلك

قد ذكرنا قبل أن الأندلس الذين بسلا ، تحزبوا عليه ورموه عن قوس واحدة.وأنه كان اطلع على خيانتهم للإسلام وأهله، ونصيحتهم للكفر وذويه . وأنه استفتى العلماء في مقاتلتهم ، فأفتوا بإباحة مقاتلة من اتصف بهذه الصفة . فأطلق سيدي محمد فيهم السبيل أياما فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم ، فمنهم طائفة ذهبت لمراكش ، وطائفة ذهبت للجزائر وطائفة فرت للنصارى ، وفرقة ذهبت لأهل زاوية الدلاء . فجاء أهل الدلاء يستشفعون في الأندلس . فأبى سيدي محمد أن يقبل الشفاعة فيهم ، وقال إن الرأي في استئصال شأفتهم . فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورده شفاعتهم غضبوا [384]لذلك ، وأجمعوا على مقاتلته.فجاؤوه ، فخرج إليهم سيدي محمد بجموعه ، فأوقع بهم وهزم جمعهم ، وفتك بالعرب الذين كانوا مع الطاغي . فتفرقت الجموع وتبرأ التابع من المتبوع ، وذهب سيدي محمد لغزو طنجة.فلما رجع من طنجة وجد البربر مع أهل الدلاء وصلوا إلى أطراف أزغار ، ومعهم الطاغي وأهل حزبه من الكراردة [1] والدخيسي ، وعزموا على مصادمة سيدي محمد . فأراد سيدي محمد أن يغض طرفه عنهم ويصرف عنانه لغيرهم . فلم يساعفه أصحابه وأهله إلى أن برز لقتالهم . فلما التقى الجمعان كانت الوقيعة على سيدي محمد ، فهزم من معه وقتل فرسه تحته ، فرجع إلى بلاد الخلط . وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حزب الطاغي وعلى رأي الكرادي ، فرجعت البرابر لأوطانهم ، وبقي سيدي محمد عند الخلط أياما . فغدروا به وقتلوه رحمه الله

---

1 الكدادرة في م1 وم3 وم4.

بموضع يسمى عين القصب واحتزوا رأسه [2] وحملوه إلى سلا .

ومن كراماته المتواترة أنهم لما حملوا رأسه سمعوه ليلا يقرأ القرآن جهارا ، حتى عاينه جميع من حضر . فردوه لمكانه ، وتاب بسببه جماعة من الناس . ولما مات سيدي محمد فرح النصارى لموته غاية الفرح ، وأعطوا البشارة على ذلك ، وعملوا المفرحات ثلاثة أيام .

وحدث رجل كان بالإسكندرية أنه رأى النصارى [385]يوما يفرحون ويخلون أنفاضهم ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا له : قتل صانطوا في المغرب ، ومعناه المجاهد.وكان قتله رحمه الله تاسع عشر من المحرم سنة إحدى وخمسين وألف . وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم : مات زرب الاسلام بإسقاط ألف الوصل .

وفي **الرحلة** [3]، لأبي سالم سيدي عبد الله العياشي قال : أخبرني الشيخ محمد الفزاز [4]بمكة ، قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي مات فيها الو لي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العياشي ، فجاءني ذات يوم وقال لي:إني رأيت في النوم أختى [5] ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما ، فقلت من أنت ؟ فقال : أنا الإسلام ، قطعت يدي بسلا قال : فلما أخبرني قلت له الذي يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل . قال : وبعد ذلك في آخر العام قدم الحجاج من المغرب ، وأخبرونا بموته .

ولولده الفقيه العلامة سيدي عبد الله رحمه الله **أرجوزة** [6] نظم فيها أهل بدر وتوسل بهم إلى الله عز وجل،وفي هلاك أولائك

---

2 يظهر أن رأس العياشي دفن قرب مولاي بوسلهام ، وباقي الجسد بروضة مولاي بوشتا الخمار. ينظر :عبد الطيف الشادلي ، الحركة العياشية ،140.

3 الرحلة،2:46، بالحرف .

4 البزاز في الحجرية ،الفزازي في م1 و م3،البزار في م2 الفزار في م4

5 أجنة في الحجرية.

6 تنظر في : الحركة العياشية ،281.

الذين تمالئوا على قتل أبيه . فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ، ولم ينج منهم أحد .

وقد رثى سيدي محمد العياشي بقصائد كثيرة ، منها ما قاله الفقيه الأديب[386] البليغ أبو العباس سيدي أحمد الدغوغي[7] :

إن غاظ أن فاض من أفاض بحر ندا   فجف روض منى كم سح منه ندا
فليحكه الدمع طوفانا طفا هو عن   من لا نظير له في غربنا وجدا
وأطفأ النور والنيران موقدها   مالا انطفاء له من لوعة أبدا
فلا جمود لدمع لا خمود به   لما تلظى فؤادي منه مفتئدا
والشمس إن طلعت أفلاكها عضلت   أحلاكها من تجليها ببدر هدى
كم شادكم سادكم سد الثغور وكم   أودى وأرذى غياث الغيث مقتصدا
وكم أباد جموع الروم قهرا وكم   أردى العدا وعن الإسلام ذاد ردى
ياعين ويحك سحي وادرفي وكفي   ويا فؤادي تفتت والزم الكمدا
مات السرور فساءتك الشرور وقد   سرت وفاة نصير الحق من عندا
القائم الصائم المحيي الليالي في   رباط بالشتاء والصيف مجتهدا
العالم الدائم الحروب في مدد   واليوم صوما وصونا للعلا اعتمدا
لا خطب أفظع من هذا الملم لقد   دهى وأذهل حتى لم يدع جلدا
بحر المكارم روح المكرمات مضى   غيظ الحسود وحيد العصرمنذ بدا
وقرة العين قاهر البغاة غدا   وعصمة الدين والدنيا معا لحدا
هل كان إلا جنا للمجتني وردا   لمن غدا بعدو الدين معتضدا
وماجدا منجدا للمهتدى وقذى   للمعتدى وهدى للمتقي وهدى
يرجو ويرهب اذ يدعو ويرغب أن   يدنو مع الشهداء الصفوة السعدا
حتى استجاب له رب وطاب له   قرب وقابله إرب فكم جهدا
فوق المنى نال لكن حسن مقتله   في الله يوثر من أمثاله عددا
للذات والنفس لذات لقد هجرت   منه لوصل معال ما لهن مدا[387]

---

[7] ينظر عنه وعن ديوانه: محمد حجي ، زاوية ،49،حركة،1:28.

ما كان أمنع تلك النفس لو رهبت ... لكنها هربت من ارتهاب ردى
خلق له الخلق الصعب الأبر حلا ... من الحفاظ زكي النفس سهل ندا
فبعده كل أرباب العلا سئموا ... عيشا فلا عاش مولود ولا ولدا
أجر أجر ليث قد جرى دمه ... بين الكلاب كأن لم يفترس أسدا
لم يمس قط ولم يصبح سوى قدم ... يلقي فيلحم جمعا من بيوت عدا
كأن لم يصل في الله مستاصلا ... لله منتصرا بالله من جحدا
كأنه لم يقم بالحق منتقما ... للحق أو لم يقم من مبطل أودا
منه اكتسى جسد الدين الحياة إلى ... أن راح فارتاح روح فارق الجسدا
قد جاء في نص وحي لا يموت فتى ... قد فاز بالروح والريحان في الشهدا
من اسمه اسم أبيه واسمه صفة ... توليهما صفة للشاكرين يدا
كل المحاسن مولاها محمدها ... وكل وجدان حمد بعده فقدا
وكل حسن وإحسان زها شيما ... قولا وفعلا ففي وجدانه وجدا
من لي ولا من بإتيان الزمان به ... في المكرمات بمثل يستحي صمدا
من لي ولا من بحام للثغور ومن ... لي به لا من بأن أحظى به أبدا
من لي ولا من بحام بعده بطل ... لا في الوغا عدد يخشى ولا عددا
نار القرى في القراع من مهنده ... وكم قرى الضيف من لحم من عندا
فغادروه وقوم غرروه لهم ... شيئان حكمهما سيان فاتحدا
عدوا وليسوا ذوي قربى ولا أمنا ... كانوا فخانوا من استدناهم بعدا
لو جملة بحسام العدل صبحها ... ما بيتته جموع الجور منفردا
لكنهم نفر ضلوا وقد نفروا ... راعيهم فليظلوا يجأرون سدا
فليضحكوا اليوم وليبكوا فقد ذهلوا ... عن علم ما جهلوا مما يرون غدا
وتلك أيامها دنيا مداولة ... من بات يفرح ساءته الغداة غدا
وعيشكم آل عياش فلا تهنوا ... بعد ابن أحمد إن يذمم فقد حمدا
[388]إن غاب مرءاه فالآثار شاهدة ... مشهورة فليبؤ بالرغم من جحدا
في الخلد حياه رضوان وهنأه ... من مالك الملك بالرضوان إذ وفدا

يا أولياء قتيل الظلم حسبكم … سلطان نصربنص الذكرقد شهدا

ما غاض بل فاض بحر بعدما انفجرت … من لجه فجرت صفوابحور ندا

بل في ابنه وبنيه الأسد ثم لهم … يمد إلى العدا قنا ويدا

وينتهي الأمر منكم في الأنام لما … عقباه ترضي وتردي أولياء عدا

قلبي بما لي من ود في مدحه ولكم … ما فيهما من مصيب جد واجتهدا

كما أفوز بحسن الحسنيين معا … والله حسبي كفاني صدقه الفندا

الفصل الثالث والسبعون

ذكر الخبر عن أهل زاوية الدلاء ومبدأ أمرهم وكيفية انتشار ذكرهم وكمال فخرهم

أما نسبهم : فهم برابر مجاط ، ومجاط بطن من صنهاجة ، حسبما ذكره ابن خلدون وغيره ، [وقيل غير ذلك][1] كما رأيته بخط شيخنا الإمام أبي عبد الله المسناوي رحمه الله . وأما مبدأ أمرهم،فإن جدهم الولي الأشهر سيدي أبا بكر بن محمد وهو المعروف بحمي بن سعيد بن أحمد بن عمر بن حسن المجاطي ، كان ممن أخذ عن الشيخ الصالح أبى عمرو المراكشي ، وسكن الدلاء واتخذ هناك زاوية . فجاء ولده الولي الأظهر محمد بن أبي بكر ، فكمل من الفضائل ما بقي وأبدى من الأسرارما خفي . فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية في الآفاق ، وقصدها الناس من كل جهة على الإطلاق ، إلى أن كان من أولاد الرجلين ما كان . وها نحن نرتب القول في ذلك .

فأما السيد أبو بكر بن محمد فكانت ولادته سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.ويقال [389] إن الذي سماه أبا بكر، هو الشيخ الشهير أبوالحسن علي بن ابراهيم البوزيدي دفين أكرط[2]. وأنه جاز بتلك البلاد أيام ولادته وأدرك يوم عقيقته ، فأتوه بطعام من العقيقة وقالوا له : بم نسميه ؟ فقال : أبو بكر، فقالوا له : إن البرابر يغيرون الأسماء فيصيرون أبا بكر:بريك ، فقال إنهم : لا يغيرونه إن شاء الله . فكان الأمر كذلك . ثم إن السيد أبا بكر- لما سبق له من العناية الربانية -تعلقت همته بابتغاء شيخ يسلك على يديه ، فرحل إلى الشيخ أبي عمرو المراكشي . فلما جلس بين

1 سقط ما بين المعقوفين في م1 و2 وم4 وم6

2 ت 1549/956.ينظر عنه: محمد حجي ،زاوية ،45.

يديه ، أقبل عليه الشيخ في أول مرة إقبالا عظيما وضمه إليه وألبسه قلنسوته بيده . وكان رأس أبي بكر أضخم من رأس الشيخ أبي عمرو، فلم تسع القلنسوة رأسه ، فجعل الشيخ يوسعها ويكلفها رأسه . فأخبر سيدي أبوبكر أنه فتح له في ذلك الإلباس أمر عظيم من الملك والملكوت وعلم الملائكة ثم الغيبة عن ذلك كله .
ويقال إن الشيخ أبا عمرو أمره بحراسة بستان له ، فأقام في خدمته مدة إلى أن أذن له بالتوجه إلى بلاده ،فتوجه إليها. إلا أنه كان يتردد لزيارة الشيخ مع الإخوان . وحكى أنه هاجت عليه المحبة يوما وهب نسيم الشوق للشيخ ، فسار إليه وحده فوجده في جنازة ،والوباء إذاك بمراكش ولعله وباء خمس وستين وتسعمائة.فقال له الشيخ : ما جاء بك ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ؛ *إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها*[3]. فقال : لا عقل لي. فقال:وأين رفقاؤك ؟ فقال : إنما جئت وحدي . فقال له : ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم [390] : *الواحد شيطان والإثنان شيطانان*[4]؟ فقال : لا عقل له : فقال له : وأين عصاك ؟ فإنه ما من نبي إلا وكانت له عصا. فقال له : لا عقل لي ، فعذره .
ولما توفي الشيخ وجد أبو بكر في حاله نقصا ، وفقد ما كان يألفه في نفسه ، ولم تقله أرض ولم تظله سماء ، وهام على وجهه في البرية مع الوحوش والسباع ، وأقبل على تلاوة القرآن ، فقرأ ختمات كثيرة ، فلم يرجع إليه حاله . ثم أقبل على ذكر لا إله إلا الله مدة مديدة فلم ينجبر حاله. ثم اشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاهدا في الدنيا غير ملتفت إليها ، فعاد إليه حاله ووجد ما كان فقد. وكان رحمه الله محافظا على السنة قائما بالشريعة ، بحاثا عن العلم حريصا على تعلمه وتعليمه ، تاليا

---

3 حديث شريف ،ونصه في صحيح البخاري ، كتاب الطب ،168:6 "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها . وفي مسند ابن حنبل،192:1 "إذا كان الوباءبأرض، ولست بها، فلا تدخلها .وينظر كذلك :عمدة القاري،58:16

4 جاء بلفظ:الراكب شيطان والراكبان شيطانان ، رواه الإمام مالك .

للقرآن كثير الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، زاهدا في الدنيا ، غير ملتفت إليها ولا ناظر إلى زهرتها . وكل ما فتح عليه منها ، يصرفه في الحين في مصاريفه ولا يتلبس بقليل منها ولا بكثير. وقال صاحب مرآة المحاسن في حقه : إنه من أكابر مشايخ المسلمين ومن أولياء الله المقربين واحد عصره ونسيج وحده، متوسم بالشريعة متحقق بالحقيقة، بحرجود لا ساحل له يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

فلو رأى من مضى بعضا من مكارمه لم يذكروا في الندا معنا ولا هرما

أقام الله به رسم الجود ، [393] وأفاض به نعمته على الوجود يكل اللسان والقلم عن استيفاء فضائله التي هي أشهر من نار على علم . وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وانهدت أركان الملك به فاختل النظام وماج الناس ، كان مأوى لأهل العلم والدين وموردا للضيوف والمساكين . فاعتصم الإسلام منه بحصن حصين وربوة ذات قرار مكين.فهو الذي أمسك رمقه وأبقى رواءه ورونقه. فدارهم مازلت، ولاتزال إن شاء الله ، دار العلم والدين ومشرع الجود العذب المعين والنهوض بأعباء مصالح المسلمين.

وقد زاره الشيخ الحافظ أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الفاسي في محرم فاتح ثمانية عشر وألف، فأقام عنده أياما ، وأخذ عنه وانتفع به . فلما رجع إلى فاس سألوه عنه ، فقال : أخذ الناس بالأوصاف وأخذ سيدي أبو بكر بالاتصاف . وكان رحمه الله كثير الإطعام بحيث بلغ فيه النهاية . ويطعم الناس على أقدارهم تمسكا بحديث : *أمرت أن أنزل الناس منازلهم* [5].وكراماته وبركاته شهيرة. توفي رحمه الله عند طلوع شمس يوم السبت الثالث من شعبان المبارك سنة إحدى وعشرين وألف ، ودفن في الدلاء .

وأما ولده سيدي [394] محمد بن أبي بكر فهو واسطة العقد وخاتمة مشايخ المغرب وغرة السعود. إليه انتهت رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتبة العلية الجميلة ، بلغ في الولاية مبلغا لم يكن لأحد من أهل وقته في دهره ، وشاع

5 لم نتمكن من تخريجه .

له من الذكر وحسن الصيت ما لم يشع مثله لغيره . وناهيك أن الفقيه المحدث أبا الحسن سيدي علي بن عبد الواحد الأنصاري السلاوي[4] كتب رسالة إلى شيخه الحافظ الفقيه أبي العباس أحمد المقري عام سبعة وثلاثين وألف، وهوإذاك بمصر فكان من جملة ما أخبره به فيها أن قال له : ومحبكم الأكبر ووليكم الأظهر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي في سلوكه أهل الحقيقة ، العارف بالله تعالى ، الشيخ الرباني ذو الكرامات العديدة ، والمقامات الحميدة ، سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يحبكم ويعظم قدركم . ولسانه لكم ناشر شاكر. وهو على خير. وهذه الرسالة مثبتة في **نفح الطيب**[6] للمقري المذكور. وقال في كتابه **الإعلام**[7] في حقه ما صورته : لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان مستقل لم يجمع منها إلا ما ينزر ويقل ،ولو صنف من أنواعها أصنافا وألف من أعدادها آلافا.

ولد رضي الله عنه تقريبا سنة سبع وستين وتسعمائة ، حسبما ذكره شيخنا في **فهرسته** . وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم الشرقي بعد أن تطوف على صلحاء المغرب غاضا الطرف عن سيدي محمد بن أبي القاسم [393] المذكور. فلم يقع اختياره على أحد غيره. فتتلمذ له إلى أن حصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره.وكان شيوخ الوقت كالحافظ أبي العباس المقري ، وسيدي عبد الواحد بن عاشر،والحافظ أبى العباس أحمد بن يوسف الفاسي ، والفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة وغيرهم ، يقصدون زيارته والتبرك به ويراجعونه في عويص المسائل العلمية . وكان رحمه الله عالما حافظا دراكا متوسعا في علم التفسير ، ومعاني الحديث ، وعلم الكلام ، والعربية ، واللغة، حسن المشاركة فيها وفي غيرها . وقال صاحب **بذل المناصحة** في حقه ما نصه : امتدت أعناق

---

4 ت 1644/1054.ينظر عنه : محمد حجي ، زاوية ،126.

6 وردت في النفح ،478:2.

7 ص :33 في المحقق .

الخلائق للعطاء منه شرفاء وعلماء وغيرهم . وقد بسط رحمه الله يده في ذلك ما استطاع ، حتى عز القاصد زيارته في الله عز وجل وإنما قصدوه فيما ينتثلون من يده . وحتى أن من لم يرضه يطلق فيه اللسان لقلة الإنصاف من الإنسان . وهل يقتضون ديونا ترتبت لهم عليه او اختدموا له فيما يعنون لديه . يعرف صحيح البخاري ويتقن ضبطه ، لقيته وتذاكرت معه عقيدة الواحدي.

وما أحسن ما قال في مدحه الأديب البليغ الفقيه أبو العباس سيدي أحمد الدغوغي ، رحمه الله تعالى :

أعجب لما أتحاماه فسر بـه	هل لا تحاماه عار من حلا أدبه
أمدعي الأدب اقصر لا أبا لك ما	أنت بكفء لما أصبحت تفرح بـه
[394]مالي وللشعر لولا ما كلفت بـه	من مدح ابن أبي بكر على رتبه
محمد القطب ما أغنى شمائلـه	عن وصفه فهو مصباح على لهبه
لكنه الشمس نورا بل له شرف	من فوق ذلك لا يرقى لمكتسبه
العالم العلم الهادي الأنام إلـى	أهدى سبيل وذاك الوصف من قربه
حامي النزيل مزيل الباس منزلـه	على وفاق رضى الجبار أو غضبه
أحيى الشرائع بل أفنى البدائع بل	سد الذرائع منه الجد عن لعبه
وربما ارتاح طورا للمزاح وكم	أزرى بذي الجد مرتاحا على لغبه
أما ومعطيك من كل الفضائل ما	لم يعطه طالب قد جد في طلبه
لبعض ما حزت كل المكرمات حكا	ك البحر فالدر والعقيان من حصبه
أمسى حمى العلم آهلا وفي حرس	لولاك أصبح يوم الجهل في خربه
كم نال منك غنى مسكين متربة	وآل ذو سغب للخفض من سغبه
وكم فككت أسيرا لا نصير لـه	وكم جبرت كسيرا هيض من نوبه
وكم أخا كرب خلصته فنجا	مما دهاه ونال الأمن من كربه
وكم سليب من الدنيا وآخر من	دين يرى بك كل رد مستلبه
وكم ظلوم ومظلوم أجرت على	نصر على ذاك مع رد لمنتهبه
وكم دفعت ولا دفع الغضنفر عن	أشباله الرخص عن ذي الجيل من عطبه
وكم كان لم يكن للمسلمين أب	سواك والناس كل يعتزى لأبه

مازلت مذكنت أتقى الناس أكرمهم	وأكرم الناس أتقاهم على رهبه
وأنت أحزمهم رفقا وأعزمهم	سبقا إذا احتاز ذو سبق مدا قصبه
نعم وأرسنهم حلما وأرسخهم	علما وأرصنهم عرضا على حسبه
بل أنت أجودهم كفا وأرشدهم	كفا لهم عن أذى يخشى وعن سببه
يا ليت شعري لو جاء الأوائل من	قس البيان ومن جاراه في خطبه
[395]هل يستطيعون أن يثنوا إذا اعتسفوا	على كمالك بالمعشار من نخبه
من مرتضى كملت أوصافه وزكا	أصلا وفرعا إلى حيث انتهى نسبه

وكان لبرارة ملوية فيه اعتقاد عظيم وخدمة تامة . يتبركون بآثاره ولا يتجاوزون رأيه ، ويقفون عند حده ومقداره وكان للزاوية صيت عظيم ، وكان بها من معطاة العلوم والدؤوب على التدريس والإقراء ليلا ونهارا ، حتى تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم ، وكانت له الرحلة في المغرب لا يعدوها طالب ولا يأمل غيرها راغب . وحدثني غير واحد من الأشياخ أنه لما دنت وفاته رحمه الله جمع أولاده وذويه وقال لهم : إن الله عز وجل أخبر عن قول طالوت لقومه: *إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده* [8]. وأنا أقول لكم : ولا من اغترف غرفة بيده . يشير لهم بذلك إلى ما يتجاذبونه من أمر الرياسة بعده ويبتلون به من أبهة الخلافة . وذلك من مكاشفاته رحمه الله . وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله : وأنا أقول ، بأنه سوء أدب لمقابلته كلام الله تعالى بكلامه . وأجاب عن ذلك من أحفاده شيخنا الفقيه العلامة الشهير أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي ابن سيدي محمد بن أبي بكر برسالة مستقلة ،لولا الاطالة لجلبناها بنصها .وكانت وفاته رحمه الله سنة ست وأربعين وألف . فكان عمره نحوا من ثمانين سنة بحال تقريب . ولما توفي سيدي محمد بن أبي بكر خلف من الأولاد عدة . فكان أكبرهم هو السيد محمد الملقب بالحاج لأنه حج مع أبيه ووحده مرارا [396] ، ولقي بالحجاز ومصر عدة

8 قرآن كريم ، سورة البقرة ،الآية :249.

من المشايخ . ويقال إنه خطب بالناس يوم عرفة على ظهر الجبل لأمر اقتضاه . ولم يكن ذلك لأحد من أهل المغرب قبله .

وكان السيد محمد الحاج فقيها عالما مشاركا جوادا ،رأيت بخط الفقيه الأديب أبي العباس أحمد بن سليمان الداودي،رحمه الله،ما صورته:كتبت لسيدي محمد الحاج ، حفظه الله تعالى بمنه :

أيا سيد الأقوام أن ارتحالنا	ولابن السبيل في جنابك مطمع
حميل ولا حملان إلا بحملكم	عديم ولا عدوان لكن سميذع
فإن لم يك طرف فائتني ببغلة	وإلا بعير فيه مرءى ومسمع

قال : ففرح بالأبيات وتضاحك منها ، وبعث له ثلاثين مثقالا ، وقال : هي لك أخف مؤنة . وكان لأهل الزاوية اعتناء بعلم الأدب وارتياح لرائق الأشعار ومنتخب الخطب . ولقد نبغ من أبنائهم جماعة ممن لهم السبقية في ذلك المضمار والإجادة التي أشرقت إشراق الأقمار . فقد وجدت بخط العلامة سيدي عبد الوهاب الفاسي رحمه الله ، قال : أنشدني سيدي الشرقي بن أبي بكر بيتا يستفهمني [405]فيه عن زوال الشمس :

هل زالت الشمس أم لا فاقضين أربي	لا زال ظلك ممدودا علي الأدب

فأجبته :

قد زالت الشمس لا زالت مكارمكم	تنور الأفق في الدنيا مدى الحقب
وإن تك الشمس غابت في مغاربها	فشمسكم في سماء الفضل لم تغب
وإن يك الأفق الغربي يطلعها	فما لنا في سوى الشرقي من أرب

ولسيدي الشرقي المذكور :

الصفح يرتقب الإجابة منكم	والحلم يخدم كالأسير الأعجم
إن السهولة والسماحة والنهى	للمرء والإحسان خير توسم
الندب من ظهرت بشاشة حلمه	والغمر من يصمي العقول بأسهم
اجعل مريضا إن أتاك أجاجه	عذبا تسوغه لذيذ المطعم

ومن أشهرهم الأديب العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن المسناوي ابن سيدي محمد بن أبي بكر ، وأشعاره

وموشحاته مشهورة.ومن أعيانهم في التضلع بالعلوم وخصوصا علم العربية أبو عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر[9].له شرح على **التسهيل**[10] لم يؤلف مثله وشرح **البسط والتعريف**[11] وشرح **الورقات**[12]، وغير ذلك ، وكان له في الأدب الباع المديد .

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ،وفضائل أهل الدلاء طويلة عريضة . ولو تتبعت ما لهم من النظام والنثار لأدى ذلك إلى الملل والإكثار ، ولا يجهل فضلهم إلا الأغمار الذين قلوبهم بداء الحسد مريضة وإلا فرياض مفاخرهم بالكمالات أريضة.

إذا لم يكن للمرء عين بصيرة   فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

[407]وكان السيد محمد الحاج رحمه الله أحسن سيرة الفقهاء وسيرة الملك . فقام بالوظيفتين وأجمل الطريقتين .وفي أيامه تكامل أمر أهل الزاوية الدلائية وشاع ، وعلا صيته وذاع ، حتى ملأ الاسماع .

وتمهد الأمر لأبي عبد الله محمد الحاج وأولاده وإخوته وبني عمه . إلى أن تملك مدينة فاس و مكناسة وأحوازهما ، وكافة القطر التادلي . واجتمعت برابر ملوية عليه وأذعنوا له بالطاعة واعصوصبوا عليه . ووقعت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وقعة أبي عقبة . فهزم فيها السلطان المذكور وانتثرت جموعه وذلك في حدود الخمسين[13]والألف . ومن ثم قطع النظر عما وراء وادي العبيد . وفي ضحى يوم السبت ثاني عشر ربيع النبوي سنة ست وخمسين وألف ، كانت وقعة الكارة بينه وبين صاحب سجلماسة أبي عبد الله محمد بن مولانا الشريف الحسنى ، فوقعت الكائنة على سيدي محمد بن الشريف ودخل

---

9 ت 1089/1678.ينظر عنه: محمد حجي،زاوية،87.

10 نتائج التحصيل في شرح التسهيل ،:محمد حجي زاوية،278.

11 فتح اللطيف على البسط والتعريف ينظر:محمد حجي ،زاوية،278.

12 المعارج المرتقات إلى معاني الورقات ،ذكره:محمد حجي ،زاوية،277.

13 تسعة وأربعين ، في م2، وم6.

السيد محمد الحاج سجلماسة وفعل البربر فيها الأفاعيل العظيمة.ثم انبرم الصلح بينهما على أن من الصحراء إلى جبل بني عياش ، فهو لمولاي محمد بن الشريف . وما دونه لناحية الغرب لأهل الدلاء . وشرط أهل الدلاء على مولاي محمد خمسة مواضع مما هو تحت مولاي محمد ، وجعلوها لهم . وهي : الشيخ مغفرفي أولاد عيسى ، والسيد الطيب في قصر السوق ، وأحمد بن علي في قصر بني عثمان ، وقصر حليمة في وطن اغريس وأسرير فركلا . فهذه الخمسة الأماكن شرطوا عليه ألا يحرك لهم فيها ساكن. وانبرم الصلح بينهما على ذلك ، ورجع أهل الدلاء بجموعهم . فما كان غير بعيد حتى اطلع مولاي محمد بن الشريف على ما أوجب الفتك بالشيخ مغفر وبعض من شرطوا عليه إبقاءه .فبلغ ذلك أهل الدلاء فجمعوا جموعهم وقصدوا سجلماسة وعزموا على ألا يدعو لمولاي محمد بن الشريف قليلا ولا كثيرا، وأن يستأصلوه . وكتبوا له كتابا هددوه فيه ورموه بالغدر، وأنه عاقد ناكث ، قاسم حانث،وأغلظوا له في الكتاب وأفحشوا عليه في الخطاب . فأجابهم مولاي محمد بن الشريف برسالة منها باختصار:

إلى السيد محمد الملقب بالحاج ابن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن محمد وهو حمي بن سعيد بن أحمد بن عمر ابن سيد الوبر الزموري ، ومن شمله معه رداء الديوان من الأبناء والأعمام والإخوان سلام على جلهم سلام استحباب وسنة . فقد كتبناه إليكم من سجلماسة ، كتب الله لها من شركم أنفع تمائم ، [398] وألبسها من الظفر بكم أرفع عمائم . وبعد السلام ، فإن نيران هذه الفتن التي أضرمتموها بعد خمودها لستم لها بأهل . لم يعرفكم أهل الغرب إلا بإطعام قصاع العصائد وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد . وأما العلوم فقد أقررنا لكم فيها بإنصاف التسليم ، لو قصدتم بها العمل وأجر التعليم . وإيم الله لئن نظم فينا الديان شمل الديوان حتى تعاين أنت أوبنوك ما تبقيه لنا البنون والإخوان . ولقد حدثت السادات أهل السريرة، بأن ستدور عليكم منا الدوائر المبيرة . أتطمعون في النجاة بعد

ترويعكم الشرفاء والشريفات والعابدين والعابدات النظيفات .
فشمر إن شئت عن ساعد الجد في الصلح ، واغتنم السلم ما دام يساعدكم وقته . فإن الحرب نار والتخلف عنها بعد وقودها شنار.
والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم وما نشبهكم عند الهراش إلا بما يطير حول المصابيح من الفراش . بل المراد الأوكد نشر لواء التبري لئلا تجأروا متى أنشبنا فيكم مخالب التجرى . وما قذفتم به أعراضنا من خسة الغدر وأننا قساة لا نصغي لقبول العذر. فأنتم تنهون عن الفحشاء وقد ملأتم منها الأحشاء . وإن زجرتم عنها قلتم كلا وحاشى[399] . ولكن من أنتج نسلا نسب إليه ومن خاف من شيء سلط عليه . وأما ما احتوى عليه بساط الغرب من بربر وعرب فقد طمعنا من الله كونه في القبضة إن لم أكنه بالذات والديوان ، فبالأبناء والإخوان .كعوائد الدول يشرف الأخير بما أسسه الحازم الأول . وانظروا ما يكون لخاطركم به اطمئنان ، فنساعدكم عليه ، ويكون الوقوف عنده ولديه .فلله دره من دغوغي أشاع عارك بأبيات أنشدها لنا مولاي محمد بن مبارك وهي هذه :

واعلم بأنك من دجاجيل مغرب	فبسيف صولة نصره ستموت
أنتم عكاكيز [14] خلفتكم عاهر	وأبو سعيد جدكم جالوت
شبانكم مرد وكل كهولكم	قرنان صنعة شيخكم ديوت
كرهت لدولتكم سماوات العلا	واستثقلتها الأرض والبهموت

وما أنت في الحقيقة إلا قرد من القرود ، والقراد اللاصق في كل كلب مجرود . وما صرحت به من أن الصلح بين الملوك مكيدة قد سبقك به السلطان أبو حم رحمه الله . وحتى الآن آخر المراجعة بيننا هذا الكتاب . فإن رغبتم في الخير فهو مطلبي ومغناطيس طبي ، وإن عشقتم الغير فجوابي لكم قول أبي الطيب المتنبي :

فلا كتب إلا المشرفية والقنا   ولا رسل إلا بالخميس العرمرم

والسلام .

---

14 الإشارة إلى الطائفة العكازية .ينظر عنها: محمد حجي ، حركة: 237:1 وخصوصا :عبد الله نجمي ، العكاكزة.

والدغوغي الذي سلف ذكره ونقل مولاي محمد الشريف في رسالته هجوه هو من موالي أهل الدلاء ، ونشأ فيهم فبرع في الأدب . وكان هجّاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد . وحكي أنه كان يجلس عند موضع معد لطرح الكناسات والقمامات فلا يمر به ذكر ولا أنثى إلا هجاه نظما ونثرا ، وكان مصيبا في غرض الهجاء . وهجا عدة من الشعراء فتحاموه . قيل :ولم يفحمه إلا رجل إسلامي كان ممن رضع ثدي الأدب في الزاوية . فقال فيه ، وكان الدغوغي فيه نقط من البرص ، ما نصه :

يا نقمة جلست في مربض البقر ونقطة ظهرت في أقبح الصور

إذا رآك أناس قال قائلهم سبحان من أظهر الشيطان للبشر

ولم يزل مولاي محمد بن الشريف رحمه الله مقتصرا على ما وقع عليه الصلح بينه وبين أهل زاوية الدلاء . إلى أن بعث له أهل فاس ،كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، فبايعوه وأقام عندهم مدة مديدة . فجهز له السيد محمد [400]الحاج جيشا عظيما فوقعت الكائنة على ظهر الرمكة بظاهر فاس يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة تسع وخمسين وألف . فهزم مولاي محمد مع أهل فاس هزيمة شنيعة وذهب مولاي محمد لسجلماسة ودخل أهل الدلاء مدينة فاس ، وعادت لهم الدولة فيها . ولم يزل أمر أهل الزاوية مستقيما بعد ذلك ، إلى أن ثار السلطان الأفخم مولانا الرشيد ابن مولاي الشريف ببلاد الجريد ، وقدم بجيوش يقودها من عرب أنكاد من أنجادها وكماتها ، فحاصر فاسا مدة إلى أن استولى عليها ، كما سيأتي إن شاء الله . ثم توجه نحو الدلاء ، فجهز له أبو عبد الله محمد الحاج عسكرا عظيما من البربر وغيرهم ، فالتقت الفئتان بمضع يقال له بطن الرمان [15]، فوقعت الهزيمة على أهل الدلاء ، وذلك أوائل المحرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف .

قال الشيخ أبو علي اليوسي في محاضراته [16]: ولما وقعت

15 ينظر عنه: محمد حجي،معلمة،1275:4.

16 محاضرات ،102.

الهزيمة، دخلت على أبي عبد الله محمد الحاج ، وكان لم يحضر المعركة لكبر سنه ، فأظهر أولاده وإخوانه حزنا شديدا وضيقا عظيما . فلما رأى منهم ذلك ، قال لهم : ما هذا الجزع وما هذا الحزن ؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم ، يريد الله تعالى .

ولما دخل مولانا الرشيد الزاوية غير محاسنها وفرق جمعها وطمس معالمها وصارت حصيدا كأن لم تغن بالأمس . وكانت مشرقة كإشراق الشمس ، فمحت الحوادث ضياءها ، وقلصت ظلالها وأفياءها . وطالما أشرقت بأبي بكر وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت . ارتحلت عنها فرسان الأقلام الذين ينجاب بوجودهم الظلام ، وبانت منها ربات الخدور وقامت آثارا للصدور. ولقد كان أهلها يعفون آثارالرياح ، وأذهبت أبدانهم وأبقت أخبارهم .فثل ذلك العرش واغتالتهم الليالي حين أمنت من الأرش . ولم يدفع الرمح ولا الحسام ، ولم تنفع تلك المنن الجسام . فسحقاً لدنيا ما راعت لهم حقوقا ولا أبقت شروقا . وهي الأيام لا تبقي من تجنيها ولا تبغي موليها ومدنيها . محت آثار جلق وأخمدت نار المحلق . وذلت عزة ابن شداد وأهوت القصر ذا الشرفات من سنداد. وكل يلقى معجله ومؤجله ، ويبلغ الكتاب أجله .

ولقد أحسن ربيّ نعمهم المقر بإحسانهم الإمام الذي وقع على علمه الاتفاق ، شيخ مشايخ المغرب على الإطلاق ، أبو علي الحسن ابن مسعود اليوسي رحمه الله في رائيته التي رثى بها زاوية الدلاء وبكى أيامهم ، وأولها :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها جمرا

وهي طويلة ولشهرتها تركنا جلها.

وأمر الرشيد بسيدي محمد الحاج وأولاده وأقاربه أن يحملوا لفاس ويسكنوا بها . فحملوا إليها واستوطنوها مدة، ثم أمر بهم أن يذهبوا عنها لتلمسان ، فذهبوا إليها وسكنوها . وحدثونا أن السيد [401] محمدا الحاج لما دخل تلمسان قال : وجدت في بعض كتب الحدثان أنى أدخل تلمسان فظننت أني أدخلها دخول الملوك ،

فدخلتها كما ترون . ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله بعد الثمانين ، ودفن بضريح الإمام السنوسي [17] رضي الله عنه .

ولما توفي مولانا الرشيد رحمه الله رجع أولاده وأقاربه لفاس ،فسكنوها بإشارة من السلطان المظفر مولانا إسماعيل ، قدس الله روحه في الجنان . وفي ذلك أنشدني غير واحد من أصحابنا الفاسيين ، للفقيه أبي محمد عبد الوهاب ابن العلامة سيدي العربي الفاسي ،من قصيدة له يمدح أهل زاوية الدلاء :

أهل الدلاء أهل نجد وأرضهم أرض رامة
لن يبرح المجد فيهم حتى تقوم القيامة

وعاقبه السلطان الرشيد بن الشريف على ذلك وحرمه من عطائه ، وقال له : إن هذا المدح لا يليق إلا بأهل البيت . ومن اللطائف الأدبية أن السلطان مولانا الرشيد رحمه الله لما استولى على أهل الزاوية ، كما ذكرنا قبل ، كان أبو عبد الله محمد المرابط [18] يوما في مجلسه ، فأنشد السلطان الرشيد معرضا به

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

ففهم أبو عبد الله إشارته ، فقال له : أيد الله الأمير، إن من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا [19] . فأعجبه ذلك ، واستحسن الحاضرون بديهته ولطافة منزعه . والله ولي من تولاه .

---

17 ت 1490/895 .ينظر عنه: زركلي ،أعلام،154:7.

18 أو الصغيربن محمد بن أبي بكر ، ت 1678/1089:محمد حجي زاوية ،87

19 مثل سائر ،الميداني ،مجمع الأمثال ،329:2.

[405] الفصل الرابع والسبعون

ذكر الخبر عن قيام أبي الحسن علي بن محمد بالسوس وما وقع في ذلك

هو علي بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن موسى السوسي السملالي رحمه الله . كان بدء أمره أنه لما ضعف زيدان عن القيام بالأمر بالصقع السوسي وفشل ريحه فيه ، نبغ هو فدعا لنفسه ،وجر نار الرياسة لقرصه، وتألفت عليه البرابر من بسائط جزولة وحزونها ، واجتمعت عليه غالب القبائل السوسية . واستولى على تارودانت وعمالتها إلى أن أخرجه عنها الفقيه المرابط أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، بعد حروب وفتن عظيمة . و لما مات أبو زكرياء صفا لأبي الحسن قطر سوس ونفذ به أمره وسمعت كلمته . ثم مد يده لدرعة فاستولى عليها . ثم استولى على سجلماسة وعلى نواحيها. واستحكم أمره وتقوى عضده . ولم يزل أمره بسجلماسة إلى أن ثار عليه عقاب التنائف الأسد الهصور مولاي محمد بن الشريف.فأخرجه من سجلماسة بعد معارك وزلازل يشيب لها الرضيع . ثم أخرجه من درعة أيضا . ووقع بينهما بدرعة حروب فظيعة . ولم يزل أبو الحسن قائما بالسوس إلى أن توفي سنة سبعين وألف .

وكان رحمه الله لين الجانب ، محمود السيرة ، موصوفا بالعفة ، متوقفا في الدماء . ولما مات خلفه ولده أبو عبد الله محمد بن علي ،إلى أن هجم عليه السلطان مولانا الرشيد -رحمه الله- كما يأتي . فبلغ مقر أبي الحسن إيلغ السوس وتركه كأمس الدابر، والملك لله وحده.

الفصل الخامس والسبعون

ذكر الخبر عن قيام عبد الكريم بن أبي بكر الشباني بمراكش

لما قتل السلطان مولانا العباس بن مولانا الشيخ ابن زيدان ، كما ذكرنا ذلك قبل، قام بمراكش كبير حي الشبانات،عبد الكريم ابن القائد أبي بكر الشباني الحريزي.وهو فخذ النبعة والصميم من الشبانات . وعبد الكريم هذا يعرف بكروم الحاج ، على ألسنة العامة . فدخل لمراكش ودعا الناس لبيعته ، فبويع بها سنة تسع وستين وألف . وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها. وسار في الناس سيرة حميدة. وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر، حتى أكلت الجيف .

ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش إلى أن توفي بها ، سنة تسع وسبعين وألف ، قبل أن يتولى مولانا الرشيد بأربعين يوما . ولما مات بويع ولده أبو بكر ، واستقام له الأمر بمراكش ، وسار في الناس سيرة أبيه . إلى أن قبض عليه وعلى بني عمه مولانا الرشيد ، فقتلهم وأفنى الشبانات قتلا ، وأخرج عبد الكريم من قبره وأحرقه بالنار.

والبقاء لله سبحانه .

الفصل السادس والسبعون

ذكر الخبر عن الدولة الشريفة الحسنية

[406] وذكر لمع من محاسنها ومفاخرها البهية

لا بد أولا من ذكر نسبهم الشريف ، وإن كان أجلى من الشمس وغنيا عن التعريف ، فنقول : الملوك الثلاثة الأول منهم ؛ وهم مولانا محمد ومولانا الرشيد ومولانا إسماعيل ، أبناء [1] مولانا الشريف ابن مولانا علي ابن مولانا محمد ابن مولانا علي ابن مولانا يوسف ابن مولانا علي الملقب بالشريف ابن مولانا الحسن ابن مولانا محمد ابن مولانا الحسن ابن مولانا القاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا أبي القاسم ابن مولانا الحسن ابن مولانا عبد الله ابن مولانا أبي محمد ابن مولانا عرفة ابن مولانا الحسن ابن مولانا أبي بكر ابن مولانا على ابن مولانا الحسن ابن مولانا أحمد ابن مولانا اسماعيل ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمد المدعو النفس الزكية ابن مولانا عبد الله الكامل ابن مولانا الحسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا ذكر هذا النسب ،الذي هو حقيق أن يسمى سلسلةالذهب ،جماعة من العلماء الأكابر؛ كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي ، والشيخ الإمام أبي عبد الله

---

1 ألف الإفراني كتاب روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ،أو الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف .ويطابق السمط الثاني من هذا التأليف ، وعنوانه "في ذكر نسبه الحسني مع إضافة فوائد أبهي من الدر السني" ، مطابقة تامة هذا الفصل من النزهة .

محمد العربي بن يوسف الفاسي ، ورأيته في كتاب الدر **السنى فيمن بفاس من النسب الحسني**[2] لشيخ شيوخنا أبي محمد عبد السلام القادري[3]، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة . وقد وقفت على كتاب الشيخ النسابة الشريف أبي عبد الله الأزورقاني فوجدته ذكرهم ، فقال : ومن نسب السيد محمد النفس الزكية ، بينبوع النخل ، السيد [407]محمد والسيد الحسن أبناء عبد الله بن محمد بن أبي عرفة .

وكان أصل سلفهم باليبنبوع ،وهو نجار أجداده ، لأن جدهم مولانا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- كان النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه إياه ، فلذلك بقيت فيه سلالته،رضي الله عنهم.

وأول من دخل بلاد المغرب من أجداده الحسن بن قاسم . قرأت بخط بعض الفضلاء من أهل بلدنا -حرسها الله - ما صورته : أخبرنا شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي ، قال:أخبرني سيدي ومولاي وسمط عقد محياي ؛ أبو محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني أن جدهم الداخل للمغرب من ينبع النخيل ، هو الحسن بن قاسم ، قال : وكان دخوله للمغرب أواخر المائة السابعة ، وكان حينئذ من أبناء الستين أو نحو ذلك ، وتوفي رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة . وذكر بعضهم أن دخوله سنة أربع وستين وستمائة ، قال الشيخ الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن هلال[4]: إن دخوله كان في الدولة المرينية ، ذكره في **منسكه**[5]. وعلى هذا فيكون دخوله في دولة أبي بكر بن عبد الحق المريني[6] ووفاته ، حسبما يأتي ، في خلافة السلطان يعقوب بن عبد

---

2 ورد هذا النص في مخطوط خ ع بالرباط رقم 3994 د ورقة 24 وجه ،25 ، ظهر.وقد طبع بفاس سنة 1308 .ينظر: محمد المنوني ،مصادر 180:1.

3 ت 1698/1110.ينظر عنه:القادري،نشر،86:3

4 السجلماسي ، ت 1497/903.ينظر:عبد الوهاب بنمنصور ،أعلام ، 142:1.

5 كذا في جميع النسخ ، وقد ذكر له ابن منصور من المؤلفات : **المناسك** .

6 ت 1258/656.ينظر:عبد الوهاب بنمنصور ،أعلام ، 242:1.

الحق ، أخي أبي بكر المذكور . ونقل صاحب **الأرجوزة** عن ابن هلال أنه دخل في المائة السادسة . وقال شيخ شيوخناالإمام أبو سالم العياشي في **رحلته** [408]: إن مولانا الحسن دخل المغرب في المائة السابعة ، وإليه أشار صاحب **الأرجوزة** بقوله :

ثم أبو سالم عبد الله أكرم به من عالم أواه
ذكر في **رحلته** الفاضلة دخول ذا الأمجد في السابعة

وكان سكناه بينبع النخيل بمدشر يعرف بمدشر بني ابراهيم،وذكر صاحب **الأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**[7] أن سبب قدوم مولانا الحسن،أن ركائب الحج المغربية كانت تتوارد على الأشراف هناك ، وكان أمير الركب المغربي إذاك أحد أهل سجلماسة أظنه ، والله أعلم ، السيد أبا ابراهيم . فلما حج في بعض السنين ، اجتمع هناك بالسيد الحسن المذكور ، وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنى الأشراف بها.فلم يزل السيد أبو ابراهيم يحسن له موطنها ويزين له الإقامة بالمغرب،حتى استماله.فأجمع السيرمعهم وقدموا به مع ركبهم إلى المغرب . فرغب في سكناه ببلدهم سجلماسة .

وقال حفيده الإمام أبو محمد عبد الله بن طاهر ، فيما قيد عنه : وكان الذين أتوا به من أهل سجلماسة من أهلها أولاد البشير وأولاد المغزاري[8] وأولاد ابن عاقلة وأولاد المعتصم ، وصاهره منهم أولاد المغزاري. وذكر صاحب **الأرجوزة** أن الشيخ أبا ابراهيم ، أحد الذين جاءوا به ، من ذرية سيدنا عمر [409]بن الخطاب ، رضي الله عنه . وقال بعضهم : إن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثماربيلدهم، فذهبوا للحجاز بصدد أن يأتوا برجل من أهل البيت ، فأتوا بمولانا الحسن المذكور ، فحقق الله رجاءهم وأصلح لهم ثمارهم ، حتى عادت بلادهم هي هجر المغرب ونقل بعضهم على ما رأيته بخط بعض أصحابنا أيضا ، أن سبب مجيئهم ، أن

---

7 مؤلفه هو أحمد بن محمد العلوي ،ت بعد 1689/1101.وصدر عن مطبعة فضالة ، 1966/1386،بتحقيق عبد الكريم الفيلالي .

8 المغراوي في م1 وم2 وم3.

الشرفاء الأدارسة تفرقوا ببلاد المغرب وانتثر نظامهم ، واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء زناتة . فقل الشرف بالمغرب ، وأنكره كثير من الأشراف حقنا لدمائهم . فلما طلع نجم الدولة المرينية أكبروا الأشراف ورفعوا أقدارهم واحترموهم . فلم يكن ببلاد سجلماسة أحد من الأشراف ، فأجمع رأي أعيانهم وكبرائهم على أن يأتوا بمن يتبركون به من النسب الشريف . فقيل : إن الذهب يطلب من معادنه ، والياقوت يجلب من مواضعه ، وإن بلاد الحجاز هي مقرالأشراف وصدف جوهر ذلك النسب ، فذهبوا إليه ، وأتوا بمولانا الحسن على ما ذكرنا . فأشرقت شمس النبوءة على أهل سجلماسة ، وضاءت أرجاؤها ، حتى قيل إن مقبرة أهل سجلماسة هي بقيع أهل المغرب . وليس لأهل سجلماسة مزية أعظم من هذه المزية ، ولولا هي ما رفعت لهم راية ولا شاع لهم ذكر . وفي ذلك أنشد شيخ شيوخنا أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ، رحمه الله ، هذا البيت :

لولا المكارم من آل المصطفى نزلوا بأرضهم آخر الزمان ما ذكروا

[410]وهذا البيت من مقطعة له يهجو بها بعض فقهاء أهل سجلماسة ، وهي هذه :

حي الأحبة عني أينما ذكروا	وخص من جيرتي قوما هم الغرر
ولا تحي لئاما قد عهدتهم	سجية فيهم الإيذاء والضرر
وقل لذاك السجلماسي إن لنا	عرضا مصونا فلا تهتكه يا غدر
إن المنافق للعورات ملتمس	والمؤمنون إذا ما استبصروا عذروا
وليس من عجب إن كنت منتهشا	لحم الورى فعل كلب ليس ينزجر
فإن أسلافك الأنذال قد أكلوا	لحم الكلاب فذاك الطبع مدّخر
أهل سجلماسة الأبذون إن نطقوا	وألأم الناس أحلاما إذا قدروا[9]
لولا المكارم من آل المصطفى نزلوا	بأرضهم آخر الزمان ما ذكروا

وذكر بعضهم أن أهل سجلماسة لما طلبوا من مولانا قاسم أن يبعث معهم أحد أولاده للمغرب ، لأنه كان أكثر شرفاءالحجاز في

---

9 وألأم الناس إن ذلوا وإن ظهروا، في م4

وقته شهرة وديانة ، اختبر أولاده من يليق بذلك . فيقال أنه كان له من الولد ثمانية [10]. فكان يسأل منهم الواحد بعد الواحد ، ويقول له : من فعل فيك الخير ما تفعل معه ؟ فيقول : أفعل معه الخير. فيقول ومن فعل معك الشر ؟ فيقول له : أفعل معه الشر. فيقول له : اجلس .إلى أن بلغ مولانا الحسن الداخل ، فقال له : ومن فعل معك الشر ؟ فقال له : أفعل معه الخير . قال : فيرد ذلك بالشر ، فيقول له : أعود له بالخير إلى أن يغلب خيري على شره . فاستنار وجه مولانا قاسم وتهلل فرحا به ، ودخلته أريحية هاشمية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه . فأجاب الله دعوته .

وأما ما اشتهر على الألسنة أنهم وزنوه لأبيه بالمال ، فحكاية [411]واهية لارأس لها ولا ذنب ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وبين مولانا الحسن الداخل وبين جده محمد النفس الزكية خمسة عشر أبا كما تقدم . قال صاحب كتاب **الأنوار السنية** : وعمود نسبه لم يزل محفوظا عدده عند بنيه موصولا نسبه فيما بينهم . ونقل كذلك أيضا عن كثير من الأئمة الأعلام ؛ كالسيد أحمد بن يحيى العلمي [11]جد الشرفاء الشفشاونيين ،حسبما قيده من خطه صاحب **مرءاة المحاسن** . انتهى باختصار . وقد سلف ما يعضد ذلك أيضا . وبالجملة فإن شرف السادات السجلماسيين مما لا نزاع فيه ولا في صراحته ، ولا خلاف في صحته عند أهل المغرب قاطبة . قال الشيخ أبو علي اليوسي :إن شرفهم مقطوع بصحته ، كالشمس الضاحية . وحدثني صاحبنا الفقيه المؤرخ أبو العباس أحمد الوزير الغساني ، قال : سمعت شيخنا أبا العباس محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي [12]يقول : ما ولي الملك بعد الأدارسة أصح نسبا من شرفاء تافيلالت.وسمعت بعض أشياخنا يذكر عن شيخه الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي [13]رحمه الله أنه قسم

---

10 سبعة ، في م3

11 ت 1592/1001.ينظر عنه: القادري ،نشر،1:33

12 ت 1651/1062 . ينظر عنه:القادري ، نشر،2:55.

13 ت 1681/1091.ينظر عنه: القادري ،نشر،2:270.

الأشراف أهل المغرب ، بحسب القوة والضعف ، إلى خمسة أقسام،ومثل القسم الأول - وهو المتفق على صحته - بأفراد من الأعيان . ومنهم هؤلاء السادات السجلماسيون .

وكان مولانا الحسن الداخل رحمه الله رجلا صالحا ناسكا ، له مشاركة في العلوم وخصوصا علم البيان ، فإنه كانت له فيه اليد الطولى . ولما استقر [412]بسجلماسة واطمأنت به الدار ، زوجه السيد أبو ابراهيم ابنته . وسكن على ما يقال في موضع يقال له المصلح . ولما توفي رحمه الله تنازع في دفنه أهل سجلماسة ، حتى كادت نار الفتنة تشب بينهم . فاجتمع رأيهم على أن يقسموا أرض سجلماسة بالحبال ، فقسموها أرباعا ودفنوه في موضع يتوسط جميع النواحي الأربعة ، بحيث لا يكون أقرب لجهة دون جهة . وكانت وفاته رحمه الله ، حسبما يستفاد مما تقدم ، سنة ست أو سبع وسبعمائة .

قال المؤلف - سدده الله -في دخول مولانا الحسن للمغرب وإيواء أهل سجلماسة وإكبابهم عليه كإكباب أهل المغرب في الزمان المتقدم على التاج ادريس رضي الله عنه ، تصديق للحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال في **الجمان**[14] : روي أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لها : إمض إلى السوق بها ، وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمن قبلها منك فائتني به . فمضت الجارية إلى السوق وقالت : من يقبل مني صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رجل مغربي : أنا موضع صدقة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأعطته الصدقة ، وقالت له : أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : نعم . فلما بلغ الباب ، سألته من أنت ؟ فقال لها : أنا رجل مغربي . فقالت له : من أي المغرب ؟ فقال : من البربر. فبكت فاطمة وقالت : قال

---

14 الجمان في أخبارالزمان ،للحاج الشطيبي ، محمد بن علي ، ت 1556/963 ينظر عن مؤلفه :محمد المنوني ، مصادر ،119:1.

لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي حواري ، وحواري ذريتي [413]البربر [15]، يا فاطمة سيقتل الحسن والحسين،ويفر أولادهما إلى المغرب ، فلا يأويهما إلا البربر . فيا شؤم من فعل بهم ذلك ، وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم . انتهى بلفظه.

ولم يخلّف مولانا الحسن من الأولاد إلا ولدا واحدا ؛ وهو مولانا محمد.وترك مولانا محمد هذا ولدا واحدا؛ مولانا الحسن ، سمى باسم جده . وهو الآن مدفون حول المدينة العظمى بإزاء سيدي محمد الخرازبسجلماسة . وخلف السيد الحسن هذا ولدين أحدهما ؛ السيد عبد الرحمن المكنى بأبي البركات ، وهو أكبرهما،ومن بنيه أولاد السيد أبي حميد بالتصغير القاطنين بوادي الرتب [16]بالقصر الجديد على مرحلة من سجلماسة . ومنهم الشرفاء الساكنون ببني زروال . ومولانا علي المعروف بالشريف،ومنه تكاثرت فروع المحمديين . وكان رجلا صالحا ، مجاب الدعوة ، كثير الأوقاف والصدقات ، حاجا مجاهدا ذا همة سنية وأحوال مرضية . رحل في بعض الأوقات إلى فاس وسكنها مدة طويلة . وكان سكناه منها بالحومة المعروفة بجزاء ابن عامر ، من عدوة فاس الأندلس ، وترك هنالك دارا . وأقام مدة بقرية صفرو ، وخلف بها عقارا وآثارا هي بها الآن . وأقام ببلد جرس الوين [17]، على مرحلتين [414]ونصف من سجلماسة ، وترك بها مثل ذلك . وكذلك رحل إلى عدوة جزيرة الأندلس برسم الجهاد مرارا ، وأقام بها مدة طويلة . ثم رحل إلى سجلماسة ، فكاتبه أهل الأندلس يطلبون منه الرجوع إليهم ، ويحضونه على الاعتناء بأمور الجهاد ، ويظهرون له ضعف الجزيرة ، وأنها شاغرة ممن تجتمع عليه القلوب . وقد كانوا يراودونه وهو مقيم عندهم في أن يملكوه عليهم ويبايعونه ، والتزموا له الطاعة والنصرة . فرغب عن ذلك كله ، زهدا منه فيه وورعا . وغض طرفه عن زهرة

---

15 لم نتمكن من تخريجه .

16 ينظر عنه :الوزان ، وصف ، 55:1، 123:2، 254:2.

17 ينظر :الوزان ،وصف ، 370:1. والهامش 164 .

الدنيا،رضي الله عنه .

وقد وقفت على رسائل عديدة بعثها إليه علماء غرناطة ، أعادها الله دارالإسلام ، يحرضونه على الجواز إليهم والنفور إلى حماية بيضة الإسلام . ويذكرون أن كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم ، دون توظيف سلطان عليهم ، أمولا كثيرة برسم الغزاة الواردين معه من المغرب . وحَلّوْه في بعض تلك الرسائل بما نصه : إلى الضرغام الهمام ، وقطب دائرة فرسان الإسلام ، الشجاع المقدام ، الأسد الهصور الفاتك الوقور الناسك . طليعة جيش الجهاد وعين أعيان الأنجاد المؤيد بالفتح في هذه البلاد ، المسارع إلى مرضاة رب العباد ،أبي الحسن مولانا علي[415] الشريف . انتهى نص التحلية.

وكتبوا كذلك لعلماء فاس يأمرونه أن يحضوا مولانا عليا على العبور إلى العدوة . فكتب إليه علماء فاس بمثل ذلك، وحثوه على المسارعة إلى إغاثتهم.وذكروا له فضل الجهاد ، وأنه من أفضل أعمال البر. وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة أنه عزم على المشي إلى الحج . فقالوا له في بعض الرسائل : وعوض هذه الوجهة الحجية التي اجتمع رأيكم وتوفر عزمكم عليها ، بالعبور إلى الجهاد، فإن الجهاد ، أصلحكم الله تعالى، عند أهل المغرب أفضل من الحج ، كما أفتى به ابن رشد [18] رحمه الله ، حين سئل عن ذلك . وقد بسط الكلام عليه في **أجوبته** ووجه ما ذهب إليه ذلك . وكان الذي كتب إليه من علماء غرناطة جماعة منهم شيخ المواق الإمام أبو عبد الله بن سراج [19]، قاضي الجماعة . ومن

---

18 محمد بن أحمد القرطبي ،ت 1126/520 .

19 أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي ت 1443/847.ترجم له: الونشريسي،وفيات ،143 ، ابن القاضي ، لقط ،251.

شيوخ فاس الذين كتبوا له : الشيخ أبو عبد الله العكرمي[20] شيخ الإمام ابن غازي ، وأبو العباس المواسي[21] شارح الروضة[22]، وأبو زيد عبد الرحمن الرقعي[23]، صاحب الرجز المشهور ، وغير هؤلاء رضي الله عنهم ، ممن تركنا ذكره اختصارا. ومما ضمنوه في بعض تلك الرسائل ، قصيدة طنانة في مدح مولانا علي الشريف وصاحبه الفاضل أبي [416]عبد الله محمد بن ابراهيم العمري[24]. وحثوهما على إجابتهم . وهي من إنشاء العلامة أبي فارس بن الربيع الغرناطي[25]، وهذا نصها :

أيا راحلا يطوي المفاوز والقفرا	رشدت ولقيت السلامة والخيرا
ترحل وجد السير يوما وليلة	وسافر تجد ما في مطالعها زهرا
تحمل حماك الله مني إلى الحمى	تحية مشتاق تهيجه الذكرى
وأم ديار الحي من سجلماسة	فتلك ديار تجمع العز والفخرا
وسلم على تلك الخيام وأهلها	سلام محب لم يطق عنهم صبرا
فعندي لهم حب جرى في جوارحي	ومازج مني العظم والدم والشعرا
فتلك بقاع الدين والخير والهدى	فكم من تقي في سماها سما بدرا
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم	يضوع عبير الزهرمن بينهم نشرا[26]

20 ت 1438/842.ترجم له :الونشريسي،وفيات ،142.ابن القاضي ،لقط ،249، جذوة، 239:1.وورد في روضة التعريف، ص:28 باسم محمد القوري ، وتنظر ترجمة القوري في الهامش 40 فيها .

21 أحمد بن محمد ،ت بعد 1581/989.ينظر عنه :محمد حجي ،حركة ،355:2،

22 روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، لعبد الرحمن الكادري ت 839/ 1435.ينظر عنه:محمد حجي ،حركة، 158:1.

23 ت 1454/859.له :النظم في العبادات .ترجم له :ابن القاضي ،لقط،256.

24 لم نتمكن من الوقوف علي ترجمته .

25 لم نتمكن من الوقوف علي ترجمته .

26 سقط البيت من كل النسخ وأثبتناه من روضة التعريف ، ص:29

وقل يا أهل القبلة السادة الألى إذا ما دعوا في حادث أسرعوا النفرا
وخص سليل الهاشمي ابن صهره علي الذي يعلو على زحل قدرا
أبا الحسن المولى الشريف الذي به على الغرب شمس النصر أشرق بالصحرا
ولاحت بآفاق القلوب عجائب بها سلب الألبتب تحسبها سحرا
هو الصقر مهما اهتز كل مجلجل هزبر إذا ما أنشب الناب والظفرا
هو الغوث إن دارت رحى الحرب للقا وغيث إذا ما المزن ما أمطرت قطرا
أغار على الأعلاج فاجتاح جمعهم وجندلهم قتلى وشردهم أسرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة بنصرتها ترجو من الملك الأجرا
دعاها بأدنى السوس قدما فأسرجوا من الصافنات الجرد لم يأخذوا الحذرا
فهبت ركاب القوم والشمس أشرقت وأرهق جيش الله أعداءه خسرا[417]
ولا عجبا أن الألى هو منهم ليوث الشرى إن عاد من جبها شبرا
أجر جارك اللهفان من غمراتها أبا حسن وانصر جزيرتك الخضرا
ونادي أبا عبد الإله خليلكم به تجلب السراء في حادث الضرا
سليل أبي اسحاق أكرم به أبا لقد خلف الفرع الزكي الرضى البرا
أليس الذي لبى ندا أهل طنجة وجمع أهل الغرب من حينه طرا
وأوقع بالكفار أي وقيعة فمن لم يمت بالسيف مات بها ذعرا
وأصبح ثغر الدين أشنب باسما وأرهق وجه الكفر من حزن قترا
ونال من الله السعادة والرضى وجنات عدن في المعاد له ذخرا
وقل أيها العدل الذي اتخذ التقى شعارا وسامى في منازلها الشعرا
أرى كل من في الغرب أصبح قانطا وأندلس ترجو بطلعتكم نصرا
وغرناطة الغراء نادتكما اقبلا وبالراية البيضاء كي تنر الحمرا
فسكانها وقف عليكم رجاؤهم كبيرهم والطفل والكاعب العذرا
فجيئا بمن في أرضكم حاميا لهم رجالا وفرسانا غطارفة غرا
حماة أباة الضيم من كل ماجد كريم يباري الغيث والسيل والبحرا
لقد طمع الكفار ملك رقابنا بإهلاكهم في أرضنا الحرث والثمرا

فدونكم الكفار تفنى طغاتهم ... وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا

منازلنا من كل حصن وقرية ... تناديكما غوثا لخطب أتى مرا

فكم من ضعيف لا حراك لجسمه ... وشيخ بها أربى على مائة عشرا

وسمر وبيض من أوانس كالدمى ... وصبية مهد لا تعي النفع والضرا

ومنبر جمع للخطابة والدعا ... ومسجد دين للصلاة وللإقرا

وكرسي علم مقعد لمهذب ... تصدر يملي ما يضيء لنا الصدرا

وأجداث أبناء الصحابة فوقها ... وكل ولي أشعث لابس طمرا [418]

تناديكما غوثا من الله سرعة ... فقد كاد أن يستأصل الكفر ذا البرا

فحثا لنا السيرا بعدا وقربة ... أجيرانا من كيد من أضمر الجورا

وعزما بأخرى مثل تلك التي مضت ... ليبصر هذا الفنش ملتكم كبرا

وأنتم بحمد الله تدرون ما أتى ... عن المصطفى في الغزو من خر خبرا

فلله ما أنسى وددت لو أنني ... قتلت فأحيى ثم أقتل مد مرًا

وما في كتاب الله من آية أتت ... كشمس ضحى في الصحو سافرة غرا

خذاها بحمد الله عذراء جبينها ... يضوع شذا المغناكما عطرا

وتبلغ عني للكرام تحية ... بأندلس للغرب قد عبروا بحرا

فغوثا رجال الله عزما لعدوة ... أحاطت بها البأساء واشتدت الضرا

فأنتم لنا الجند القوي ونحوكم ... تشوفنا فاستعجلوا نحونا السيرا

ونثني على خير البرية ذي الهدى ... محمد المبعوث بالملة اليسرا

وآل وصحب ثم تال لنهجه ... ومن لذوي الإسلام قد قصد النصرا

وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ ، المستوفية الألحاظ ، يعلم أن مولانا عليا الشريف كان مشهورا في عصره ، متقدما على كافة أهل مصره ، وأنه كان ملحوظا بعين الإجلال عندهم ، وأن هذه الدار معظمة من قديم مشهود لها بالتقديم .

ولم يزل رحمه الله ورضي عنه دؤوبا على فعل الخير ، حريصا على أسباب الطاعة . وقسم عمره بين حج وجهاد . ويحكي

أنه في بعض السنين رجع من حجة حجها ، فسنح له أن يذهب إلى ضاحية أكدج [27]، بالكاف المعقودة قبل الدال ، وهي بلدة في بلاد السودان . فحارب مدينة من مدن الكفار وليس لها إلا طريق واحدة وهي قنطرة من الحديد . فلما ضيق بهم رفعوا تلك القنطرة.فحمل على فرسه [419] نحوهم ، فلم يجد لهم مدخلا . فارتمى نحو الباب بفرسه . فلما رأوه دخل عليهم ألقوا عليه قطعة من الحديد قطعت الفرس نصفين ، وسلمه الله . فتساقط عليه أصحابه ، والمسلمون في الحفير ، فطلعو إليهم ، وأخذوا المدينة قهرا ، وجلس في بابها . وأتاه الكفار بجاريتين فائقتين في الحسن والجمال ، فقالوا له اختر أيهما شئت . فاختار واحدة . فأخذ الكفار الجارية المختارة وذبحوها وضيفوه بها . فلما جاءوه بالطعام عليه اللحم استنكره ، مكاشفة أو فراسة ، رضي الله عنه . فسألهم عن اللحم فقالوا له لحم الجارية المختارة . فقتلهم عن آخرهم ، إلا من أسلم .

وذكر صاحب كتاب **الأنوار** بعد ما تقدم قبله، أن مولانا عليا الشريف المذكور مكث أربع عشرة [28]سنة لا يولد له شيء. ثم ولد له بعد ذلك ولدان ؛ وهما مولانا محمد بفتح الميم ، ومولانا أبو الجمال يوسف ، وهو أصغرهما. أما مولانا محمد فترك أربعة أولاد السيد الحسن والسيد عبد الله والسيد عليا والسيد قاسما ، وهم على هذا الترتيب في السن . ويقال لسائرهم أولاد محمد ، نسبة إلى هذا الجد، وفروعهم كثيرة يطول بنا تتبعها . وأما مولانا يوسف فإنه ولي زاوية[29] أبيه وأجمع الناس على أنه المتأهل لها دون غيره ؛ لرزانته ووفور عقله . فتولاها بعد نزاع ، ورسم توليته لها لم يزل موجودا بيد بعض أحفاده . وذلك كله كان في دولة بني مرين .[421] وقال صاحب كتاب **الأنوار**: قيل إنه لم يكن له أولاد حتى بلغ ثمانين سنة . فولد تسعة من الولد خمسة

---

27 ينظر عنها :الوزان ،وصف ،1:38و2:152 ، هامش 75.

28 أربعين في الحجرية وم2.

29 راية ،في م2.

منهم أشقاء وأمهم السيدة حليمة من ذرية بعض المرابطين الذين بسجلماسة ؛ وهم السيد علي وهو جد مولانا نصره الله، والسيد أحمد والسيد عبد الله ، والسيد الطيب والسيد عبد الواحد المكنى بأبي الغيث لكثرة ما نزل من المطر عند ولادته ، وكان الناس قبله في جذب شديد .وهم على هذا الترتيب في السن . وأربعة منهم أشقاء أيضا، أمهم السيدة الطاهرة [30] من ذرية بعض المرابطين هناك أيضا ؛ وهم السيد الحسن بالتكبير ، والسيد محمد ، والسيد الحسين بالتصغير، والسيد عبد الرحمن . ومن منازل الأشقاء الخمسة اليوم أخنوس . وتفصيل أنساب أولاده الثمانية يطول ، ولنقتصر على مولانا علي لأنه الغرض المقصود .

ولد لمولانا علي ثلاثة من الولد ، وهم مولانا محمد بالفتح ، ومولانا محرز ، ومولانا هاشم ، وهو جد أهل زاوية الامراني . وكلهم قد عقبوا . فأما مولانا محمد فولد له : مولانا علي . وهو الجد الأقرب لمولانا نصره الله ، مع عدة أولاد غيره . وتوفي بمراكش رحمه الله . وبنى عليه حفيده أمير المؤمنين مولانا الرشيد قبة تلقاء ضريح القاضي أبي الفضل عياض رضي الله عنه . وذكر بعض العلماء أن رجلا من الأولياء قدم مراكش من أهل المشرق ، فتحدث أناس [421]بأنه من أهل المكاشفة . وادعى أنه يميز بين الأموات في القبور ، ويعرف الصالح من الطالح والكامل من الناقص . فذهب به بعض الفقهاء لزاوية القاضي عياض بقصد الاختبار . فأدخله القبة التي بمقبرة أبي الفضل ، فلما دخلها قال : إني أرى هنا خنازير. فكان كذلك لأن هذه القبة لم يدفن فيها إلا الأعلاج . فأدخله لقبة مولانا علي.فقال : إني أشم هنا رائحة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وفي الحكاية طول.وبعضهم يزيد فيها مالا أعتقد صحته .

وولد لمولانا علي تسعة من البنين مولانا الشريف ، والد مولانا نصره الله ، والسيد الحفيد ، والسيد حجاج ، والسيد

---

30 الطاهرية ،في م1 وم3.

محرز، والسيد مروان [31]، والسيد فضيل ، والسيد أبو زكرياء ، والسيد مبارك ، والسيد سعيد. فهؤلاء عدد أولاد مولانا علي . وكان مولانا الشريف أفضلهم وأشهرهم . وله رحمه الله أولاد كلهم نجوم زاهرة ، وهمم باهرة.منهم مولانا اسماعيل نصره الله ، وهو واسطة عقدهم . ومنهم مولانا محمد بفتح الميم ، وهو أكبرهم . ومنهم مولانا الرشيد ، وهو أفضلهم حلما . وسيأتي خبرهما في السمط الثاني[32] إن شاء الله تعالى . ومنهم مولانا الحران ، ومولانا محرز ، ومولانا يوسف ، ومولانا أحمد ، ومولانا الكبير، ومولانا حمادي ، ومولانا العباس ، ومولانا سعيد ،ومولانا هاشم،ومولانا علي [422]، ومولانا المهدي ، وهو شقيقه نصره الله هذا ما تيسر جمعه وذكره في نسبهم الشريف ، وفيه كفاية .

---

31 الحران ، في م 1 وم3.

32 المقصود : السمط الثاني من كتاب الظل الوريف المقسم إلي ثمانية أسماط ، خصص الثاني منها ل " ذكر ولادته (مولاي إسماعيل) ونشأته إلى أن ملكه الله أمر رعيته "

الفصل السابع والسبعون

ذكر الخبر عن كيفية اتصال مولاي محمد بن الشريف رحمه الله بالملك وركوبه في ذلك الفلك

كان أبو الأملاك مولانا الشريف -رحمه الله- وجيها عند عند أهل سجلماسة وكافة أهل المغرب يقصدونه في المعضلات ، ويستشفعون به في الأزمات ويهرعون إليه فيما جل وقل من الملمات . وكان رحمه الله ، وهو صبي صغير ، مر ذات يوم على الإمام العالم العامل الرباني أبي محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني ، فسأل عنه أبو محمد ، إذ لم يكن يعرفه ، فقيل له هو ابن مولانا علي بن محمد . ففرح به ومسح على ظهره ، وقال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين. فتيقن الناس أن هذا الأمر يقع لما يعلمون من ولاية أبي محمد رضي الله عنه . فكان مولانا الشريف ، بعد أن كبر وتزايد له الأولاد ، يشيع ذلك ويقول:إن هذا الأمر لا بد أن يصير إلى بنيه ويملكون ، وأنه سيكون لهم الشأن العظيم ، اعتمادا منه على فراسة مولانا عبد الله بن علي بن طاهر ، رحمه الله. وكان بين مولاي الشريف وبين أهل تابوعصامت [1]، وهو حصن منيع من حصون سجلماسة ، عداوة تامة . فاستصرخ عليهم بأبي الحسن علي بن محمد ، صاحب السوس ، المتقدم الذكر ، لمحبة كانت بينه وبينه . واستصرخ أهل تابوعصامت بأهل زاوية الدلاء فأغاثوهم . وتوافى عسكر أبي الحسن وعسكر أهل الزاوية بسجلماسة . فانفصل [423]الجمعان من غير قتال ، صلحا وحقنا لدماء المسلمين . وكان ذلك سنة ثلاث وأربعين وألف . ولما رأى أهل تابوعصامت ما بين مولاي الشريف وأبي الحسن علي بن محمد السوسي من المصادقة والمحبة ، مالوا

1 ينظر عنها:الوزان ،وصف ،125:2، وخصوصا الهامش 21

بكليتهم لأبي الحسن وخدموه بأنفسهم وأولادهم ، وأظهروا له النصيحة والمحبة وصدق الخدمة ، طمعا في أن يفسدوا ما بينه وبين مولانا الشريف من الصداقة ، إذ كان ظاهرا عليهم به . فلم يزالوا يفسدون ما بينهما ، إلى أن أظلم الجو بينهما ، واستحكمت القطيعة . ثم إن السيد مولانا محمد بن الشريف ، لما رأى ذلك ، انتهز الفرصة في أهل تابوعصامت ، وخرج ليلا في نحو مائتين من الفرسان مظهرا أنه قاصدا لبعض النواحي. فما راع أهل تابوعصامت إلا ومولاي محمد تسور عليهم وحكم السيف فيهم ، ومكنه الله منهم ، واستولى على ذخائرهم . فقرت بذلك عين مولانا الشريف وبلغه الله في أعدائه ما كان يرجو . ثم إنه نما خبر أهل تابوعصامت لأبي الحسن، فغضب لذلك غضبا شديدا ، وكتب لعامله على سجلماسة أن يحتال على مولاي الشريف ، حتى يقبض عليه ويبعثه إليه حبيسا . ففعل ذلك العامل ، وحمل مولانا الشريف لصاحب السوس ، فاعتقله في قلعة هنالك مدة ، إلى أن افتكه ولده مولاي محمد بمال عظيم . فراح لسجلماسة في حكاية طويلة أضربنا عنها اختصارا. وكان ذلك في حدود عام سبعة وأربعين وألف .وفي أيام اعتقال مولانا الشريف، كان ولده مولاي محمد مجمعا على إهلاك من بقي من أهل تابوعصامت [424] وحريصا على استئصال شأفتهم.وقوي عضده بما أخذ من أموال أهل تابوعصامت واتخذ جيشا لا بأس به ،وانضاف له جمع من أهل سجلماسة ونواحيها، لأن أصحاب السيد أبي الحسن علي بن محمد أساؤوا السيرة بسجلماسة ، ونصبوا حبالة الطمع حتى بذروا بذور بغضه في قلوب أهلها . ولقد كان أصحابه بسجلماسة ضربوا الخراج على كل شيء حتى على من يجدونه في الشمس زمان الشتاء أو في الظل زمان الصيف ، وضيقوا على الناس . فازدرتهم العيون وكرهتهم القلوب . فلما ثار مولاي محمد ، وجد فيهم الداعية للخلاف . فاعصوصبوا عليه ،ووجهوا وجه العناية إليه، وأجلوا أصحاب أبي الحسن عنه ، وأخرجوا عماله من بلادهم ، وأعلنوا بعدم طاعته . فوافقهم القدر المقدور ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وإلى الله تصير الأمور.

الفصل الثامن والسبعون

ذكر الخبر عن بيعة مولاي محمد بن الشريف وبقية أخباره إلى أن قتل رحمه الله تعالى

كانت مبايعة مولاي محمد بن الشريف رحمه الله بسجلماسة،بعد جلاء أصحاب أبي الحسن عنها سنة خمسين وألف ، ووافق على بيعته أهل الحل والعقد يومئذ بسجلماسة . ولما تمت له البيعة ، شمر لمضايقة أبي الحسن بدرعة ، إذ كانت تحت ولايته.فوقع بينهما حرب عظيم وقتال فظيع يشيب له الرضيع . وانقشع سحاب الفتنة عن غلبة مولاي محمد وهزيمة أبي الحسن وفراره . فاستولى مولاي محمد على درعة . ولما عظمت إيالة مولانا محمد ، وتوافرت جموعه ، وانتشر في البلاد صيته ، بعث له أهل فاس وعرب الغرب يطلبون منه [425]المجيء إلى أرضهم ويواعدونه بالنصرة له ، وتقويته بالعدة والعدد. فأقبل نحوهم مسرعا ، إلى أن دخل لفاس الجديد دخول الشمس بدائرة الحمل، منسلخ جمادى الثانية سنة تسع وخمسين وألف . فبايعه أهل فاس القديمة والجديدة ، وبقي هنالك مدة إلى أن أجلاه عنها أهل الزاوية ، كما ذكرناه قبل ، في السنة المذكورة . فرجع لسجلماسة،ولم يزل مقتصرا على ما صفا له من درعة وسجلماسة ونواحيهما ، إلى أن ثار عليه أخوه مولانا الرشيد بن الشريف بعرب أنجاد [1]، بعد أن كان تحت طاعته وفي خدمته . فوقع بينهما ما أوجب البغضاء ،إلى أن فر مولانا الرشيد منه خوفا على نفسه.ولم يزل يجول في البلاد طامعا في اقتناص الملك ، إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل . فوجد فيها يهوديا من أهل الذمة ، له أموال طائلة وذخائر نفيسة ، وله على المسلمين

---

1 ينظر عنها : عكاشة برحاب ،معلمة،858:3.

صولة واستهزاء بالدين وأهله . فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي، إلى أن أمكنه الله منه في قضية يطول جلبها [2]. فقتله وأخذ أمواله وذخائره ، وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه . فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه وتناقل الركبان حديثه . ولما انتهى خبره لمولاي محمد ، تخوف منه لما يعلم من صرامته . فتوجه لمقاتلته والقبض عليه . فلما التقى الجمعان كانت أول [426] رصاصة في نحر مولاي محمد رحمه الله.فوافته منيته ، وقضى نحبه يوم الجمعة التاسع من المحرم فاتح خمسة وسبعين وألف[3] . فأسف مولانا الرشيد رحمه الله على قتله ، وأظهر الحزن عليه . ولما قتل رحمه الله انحشرت جموعه برمتها لأخيه مولانا الرشيد ، ودخلوا تحت طاعته أجمعين ، وتقوى أمره في الحين ، والملك لله وحده يوتي الملك من يشاء.

وكان مولانا محمد رحمه الله شجاعا ، مقداما لا يبالي بنفسه ولا يجول في خاطره خوف أحد من أبناء جنسه . ولقد أحسن أهل زاوية الدلاء حيث قالوا في حقه أنه أجدل لا تؤذيه سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبة ، لا يقنعه المال عن حسم الرقبة . وشجاعته شهيرة ، وكان قويا أيِّدا لا يقاوم في المصارعة . وحكي أنه في بعض حصاره لتابوعصامت ، جعل يده في بعض ثقب سورالقصر وصعد عليها ما لا يحصى من الناس كأنها خشبة منصوبة أو لبنة مضروبة . وكان سخيا جوادا ، حتى أنه أعطى للأديب الشهير المتقدم في صناعة الشعرالملحون أبي عثمان سعيد التلمساني [4]نحوا من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب ، جائزة له على بعض أمداحه فيه . وحكاياته في هذا المعنى شهيرة . ولما قتل قام ولده مولانا محمد مقامه . لكنه [427] لم يتم له الأمر في قضية يطول ذكرها .

---

2 تنظر التفاصيل عند :عبد الرحمن ابن زيدان ،إتحاف،3:4 3.

3 هكذا في المعتمدة والحجرية و م2 وم5 و6 ،وهو الصحيح.وفي باقي النسخ سبعة وخمسين ينظر :الناصري ،استقصا،7:1 3.

4 لا يعرف تاريخ وفاته.ينظر عنه:زهراء إخوان ، علاقات ،5:1365

الفصل التاسع والسبعون

ذكر الخبر عن دولة السلطان الأعظم مولانا الرشيد بن الشريف وما وقع فيها إلى أن مات رحمه الله تعالى

لما قتل مولانا محمد بن الشريف، كما سلف، استولى مولانا الرشيد على جيوشه، وتوجه لتازى فافتتحها بعد محاربة طويلة وتمكن منها. ثم توجهت عنايته لفاس. فلما بلغها حاصره أهلها، فأناخ عليهم بكلكله، وأوجف عليهم بخيله ورجله مدة، إلى أن اقتحمها عليهم قهرا، وفتك بأبطالها وأوقع بحماتها.

وكانت فاس قبله تقاسمها الثوار ونبغ منها في كل جهة قائم،وصاح في كل كدية ديك. فكان ابن صالح حامي بيضة الأندلسيين وما انضاف إليهم، كما ألمعنا إليه قبل هذا. وكان ابن الصغير كبير اللمطين ومن انضاف إليهم. ووقع بين الفريقين حروب كثيرة، كما ألمعنا إليه قبل هذا. وكان أمر فاس الجديد في يد رجل يقال له الدريدي. فاقتحم مولانا الرشيد فاسا الجديدة أولا وقتل قائمها المذكور وسكن روعة البلاد ثم افتتح فاسا القديمة، فأفنى رؤساءها قتلا وحكم فيهم السيف. فتمهدت له البلاد واجتمعت له الكلمة. وكان دخوله لفاس القديمة صبيحة يوم الإثنين الأول من ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف. وبويع له بها يومه ذلك. ولما تمت له البيعة أفاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا وبسط جناح الشفقة على أهلها، [428] وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة. فحل من قلوبهم بالمكان الأرفع، فتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة. ولم يلبث فيها إلا يسيرا، ثم توجه للدلاء فأطفأ جمرتهم، وفرق جماعتهم، وبدد شملهم وكلمتهم، حسبما شرحناه قبل. ثم توجه لمقاتلة

الشبانات بمراكش وجمع الكلمة بهم . فلما بلغهم الخبر بتوجهه إليهم هربوا عنها رعبا منه ، لما بلغهم أنه فتك بأهل الزاوية الدلائية ومزقهم كل ممزق . فخامر قلوبهم من الجزع ما حملهم على الفرار من المدينة إلى بعض شواهق الجبال . فدخل مراكش ، وأفنى من وجد فيها من الشبانات قتلا ، واستنزل تلك الفئة الشريدة من الصياصي وأخذهم بالأقدام والنواصي . ثم توجه إلى سوس الأقصى،فمهد جوانبه وسكن روعته ، وأناخ على إيليغ -مقر أبي الحسن - فتركه شذر مذر. فتمهدت له بلاد المغرب من تلمسان إلى وادي نون من تخوم الصحراء .

وكان رحمه الله محبا في جانب العلماء موثرا لأغراضهم ، مولعا بمجالستهم محسنا إليهم حيثما كانوا. وكان جوادا سخيا رحل الناس إليه من المشرق فما دونه،وقصده بعض طلبة الجزائر ومدحه ببيتين وهما :

فاض بحر الفرات في كل قطر ... من ندا راحتيك عذبا فراتا

غرق اليأس فيه والتمس الف ... قرخلاصا فلم يجده فماتا

فوصله بألفين ونصف دنانير. وشأوه رحمه الله في السخاء لا يلحق . والحكايات عنه بذلك شهيرة .وفي أيامه كثر [429] العلم وظهر للعلماء أبهة ورياسة ،واعتز العلم وأهله .وكانت أيامه أيام سكون ودعة ورخاء عظيم .وكانت وفاته رحمه الله بمراكش ليلة الجمعة عاشر[1] ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف . ودفن بها إلى أن نقل منها ،فدفن بروضة الولي الصالح العالم العلم الواضح أبي الحسن سيدي علي بن حرزهم بفاس ، لوصية منه بذلك . وسبب وفاته أنه كان ركب على فرس جموح ، فأجراه فلم يملك عنانه إلى أن قصد به شجرة نارنج فهشم غصن منها رأسه ، فكانت فيه منيته . وفي ذلك قال بعضهم :

وما شج ذاك الغصن رأس إمامنا ... لسوء ولا قدر المحبة جاحد

ولكنه قد غار من لين قده ... وإن من الأشجارمن هو حاسد

---

1 حادي عشر ،في م2

الفصل الثمانون

ذكر الخبر عن دولة السلطان المظفر مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف رحمه الله [1]

لما توفي مولانا الرشيد رحمه الله تعالى بمراكش ، بلغت وفاته أبا النصر مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى ، وكان خليفته بفاس الجديد ، ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة إثنين وثمانين وألف . فبويع رحمه الله ، وحضر بيعته أعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينازع في أنه أحق بها وأهلها أحد ممن يشار إليه . وكانت مبايعته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر[2] من ذي الحجة متم عام إثنين وثمانين وألف.ووافق ذلك ثالث يوم من شهر أبريل . وكانت سنه رحمه الله يوم بويع ستا وعشرين سنة [430]، لأن ولادته كانت في وقعة الكاعة [3] وهي مؤرخة بخط من أثق به سنة ست وخمسين وألف .

ولما تمت له البيعة ، نهض بأعباء الخلافة وأحسن السيرة وضبط الأمور كلها . وتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها ، بعد محاربة طويلة ومنازلات عديدة مع الثوار عليه . كابن أخيه أبي العباس مولانا أحمد بن محرزبن الشريف فإنه ثار عليه بمراكش وغيرها . ولم يزل في دفاعه إلى أن قتل في أواسط ذي القعدة عام ستة وتسعين وألف . ووقعت بينهما وقائع عظام يطول

---

1 أيده الله تعالى في م 1.ويلاحظ اختلاف النسخ في الدعاء لمولاي إسماعيل، بين الترحم والدعاء بالنصر والتأييد.وانظرعلاقة هذا بتاريخ تحرير النزهة.

2 سادس وعشرين ،في الحجرية وم5.

3 الكارة ،في م 1 وم 3 وم 4.

في بسطها القول . وشق عليه العصا أهل فاس ، فحاصرهم مدة من خمسة عشر شهرا إلى أن أتوه مذعنين في التاسع عشر من رجب عام أربعة وثمانين . وما وقع له رحمه الله من الحروب مع الباغين عليه يطول فيها الشرح ، والغرض الاختصار .

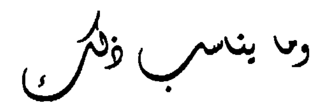
ولم يزل رحمه الله في مقاتلة أعدائه من الثوار والعاصين من القبائل إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها وطوعها وعرها وسهلها .واستولى على السودان ، وبلغ فيها ما وراء النيل . وانتشرت دولته في بلاد السودان وبلغ في ذلك ما لم يبلغه السلطان أبو العباس أحمد الذهبي المنصور، ولا أحد قبله . وامتدت دولته من جهة الشرق إلى قرب بلاد بسكرة [4] من بلاد الجريد ونواحي تلمسان.والله أعلم حيث يجعل رسالاته .

---

4 ينظر :الوزان ، وصف،2:138،142

الفصل الحادي والثمانون

ذكر الخبر عن محاسن هذه الدولة الإسماعيلية وعن مفاخرها



لا يخفى على من نظر [431]بعين الإنصاف ، وتحلى بقول الحق الذي هو أحمد الأوصاف ، أن هذه الدولة السعيدة لم ير الراؤون ولا سمع السامعون مثلها ؛ لما اشتملت عليه من المفاخر التي يكل في تعدادها الأول والآخر . ولقد ظهر فيها من الخيرات مالا يحصى ، ورأى الناس من الأمن والرخاء والهناء مالم يخطر لأحد ببال . وكل ذلك مما شاع وذاع وامتلأت منه الأسماع .

ومن محاسن هذه الدولة ، أدامها الله تعالى ، تنقية بلاد المغرب من نجاسة الكفر ورد كيد العدو الكافر . وقد فتح رحمه الله [1]عدة مدن كانت للنصارى[2] ، وكانت من مفاسد المغرب ،ولم يهنأ للمسلمين معها قرار.

من ذلك المعمورة المسماة بالمهدية ، فإنه فتحها عنوة بعد أن حاصرها مدة . وكان فتحها يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف . وأسر بها نحو الثلاثمائة من الكفار .

ومنها طنجة ، فإنه رحمه الله بعث لها جيوشه فضيقوا على من بها من النصارى ، إلى أن ركبوا سفائنهم وهربوا في البحر وتركوها خاوية على عروشها، وذلك في ربيع الثاني عام خمسة وتسعين وألف .

---

1 أيده الله في م4.

2 عنون الإفراني السمط السادس من الظل ب " فيما فتح من مدن النصارى التي بلغ بها في المجد القصارى "ورد في المحقق في ص :71

ومن ذلك مدينة العرائش ، فإن النصارى ، دمرهم الله ، استولوا عليها من يد السلطان محمد الشيخ بن المنصور الذهبي.ولم يزالوا بها إلى أن أخرجهم منها السلطان المظفر، مولانا اسماعيل رحمه الله . فبعث لها جيوشه وحاصروها نحوا من ثلاثة أشهر ونصف . ثم منّ الله عليه بفتحها بعد معاناة شديدة وحصار ومقاتلات عديدة .وذلك أنهم حفروا الكمائن وشحنوها بالبارود ، فأسقط [432]بعض سور المدينة ،فاقتحم منه المسلمون ووثبوا على من بالأسوار ، فوقعت ملحمة عظيمة . ثم فر الكفار للبساتين وأقاموا بها يوما وليلة . فدخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين . وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العلمين . وكان عدد نصارى العرائش قبل الاستيلاء عليها ثلاثة آلاف ومائتين . ولما ظفر بهم المسلمون أسروا منهم ألفين ، ومات منهم نحو اثنتي عشر مائة . ووجد بها من البارود مالا يحصى كثرة ، ومن الأنفاض نحو مائة وثمانين ، منها إثنان وعشرون من النحاس والباقي من الحديد . منها نفض يسمى بالقصاب [3]في طوله خمس وثلاثون قدما بالحساب، زنة كورته خمسة وثلاثون[4] من الأرطال ، بحيث حلق عليه بقرب خزانته أربعة رجال . كذا سمع من المشاهدين لذلك بعد السؤال عنه . فازداد المسلمون وأميرهم بذلك قوة ، وفرحوا بذلك فرحا عظيما وسروا به سرورا وفرحة. وحل بالكفارلأجل فتح العرائش ندامة وحسرة . فدخل الرعب جميعهم بحرا وبرا ، إذا دخلها المسلمون قهرا . وكان فتح العرائش في الثامن عشر من المحرم عام واحد ومائة وألف ، وفي فتح العرائش هذا ، أنشد الشيخ الخطيب البليغ أديب حضرة فاس ومفتيها أبو محمد عبد الواحد البوعناني الشريف [5]، يمدح السلطان مولانا اسماعيل ويهنيه ويحرضه ، فقال ،وما أحسن ما قال :

---

3 الغصاب في الحجرية،العطاب في م1 ،القصاب في م3، القضاب في م6.

4 ستة وثلاثون في م2 وم6.

5 المشهور ببوعنان ت 1106/1694 ، ترجم له القادري،نشر،3:79

ألا أبشر فهذا الفتح نور ... قد انتظمت بعزمكم الأمور[6]

[433]وطير السعد نادى حيث غنى ... قد انشرحت بفتحكم الصدور

وضوء النصر ساعده التهاني ... ونور الفخر نحوكم يدور

وقد وافتكم الخيرات طرا ... وطاب العيش واتصل السرور

حميتم بيضة الإسلام لما ... بثغر الحق قد خدش الثغور

وجاهدتم وقاتلتم فأنتم ... لدين الله أقمار بدور

وأطعمتم صوارمكم لحوما ... لدى الهيجاء صاحبها كفور

ففقت البدر يوم السلم حسنا ... وفي يوم الوغا الأسد الهصور

وفي ثغر العرائش قد تبدى ... لقدركم على الشعرى الظهور

لقد كان الملوك يساوموها ... وراموها فبان لها نفور

فلما جئتها نادت وقالت ... إليك يحق مولانا المصير

ملكت قياد ساكنها ببذل ... فما أغنى الحصار ولا العبور

قهرتهم بأبطال عظام ... على الهيجاء كلهم جسور

فكم رأس من الكفار أمسى ... قطيع الرأس مطروحا يخور

وكم نحر قلادته رماح ... وسن الرمح مركزه النحور

وكم أسرى وكم قتلى بأرض ... وكم جرحى دماؤهم تفور

تمر بها الطيور فتنتقيها ... وبات الذيب وهو لها شكور

وأضحى الناس كلهم نشاوى ... على طرب وما شربت خمور

فبشراكم فهذا الفتح نور ... وبشراكم به منّ الغفور

به زادت مآثركم علوا ... وقد عظمت به لكم الأجور

ألا يا معشر الكفار هذا ... مبددكم وليس له فتور[7]

ألا يا أهل سبتة قد أتاكم ... بسيف الله سلطان وقور

---

6 وردت هاته القصيدة في روضة التعريف ، ص :74 ، وجاء عجز البيت الأول كما يلي :بعين الحق قد حرس الثغور .

7 هذا البيت سقط في كل النسخ وأثبتناه من الروضة .

إذا ما جاء سبتة في عشي … تناديه إذا كان البكور

ووهران تنادي كل يوم … متى يأتي الإمام متى يزور

ألا يا معشر الكفار هذا … يبددكم وليس له فتور

متى يأتي ويفتحها سريعا … ويلحق أهلها منه التبور

فيهزمهم ويقتلهم ويسبي … وسيف الحق في يده ينور

أيا مولاي قم وانهض وبادر … لأندلس فأنت بها الأمير

وجاهدهم وحاربهم وفرق … جموعهم فربكم النصير

ولا يمنع بفضل الله منها … كما قد قيل بر أو بحور

لسان الحال ينشد كل يوم … ومعنى الحال تفهمه الصدور

بقرطبة تنال المجد طرا … ويأتي العز والملك الكبير

وذاكم بعون الله سهل … ومن بركاتكم أمر يسير

أيا مولاي اسماعيل هذا … عبيدكم الضعيف المستجير

يناديكم بناديكم ويدعو … دعاء لا توهنه الدهور

فيارب البرية يا إلاهي … ويا رحمان يا نعم المجير

أثب هذا الأمير بكل خير … ولا تجعل تجارته تبور

وأبق الملك فيه وفي بنيه … ولو كرهت زيود أو عمور

ونحن رعية نرجو هناء … وبالسلطان تنتظم الأمور

عليكم من عبيدكم سلام … مدى الدنيا يضمخه العبير

يعم جنابكم ما قال صب … ألا أبشر فهذا الفتح نور

وبالجملة ، فمحاسن هذه الدولة السعيدة مما يضيق القول في استقصائها ، ويكل اللسان والقلم عن إحصائها . وقد أجمع أهل العقول الكاملة على أن مثل هذه الدولة السعيدة المنصورة [435] لم يكن ولا سمع بنظيرها فيما غبر من الدول . وقد بلغت من ضخامة المملكة وعظم السلطنة ما أنسى دول المغرب السالفة . نسأل الله أن يديم علينا ظلها الوريف ، ويحفظ من الآفات جانبها

الشريف . فإن وجوده عصمة من طوفان الفتن وملجأ من ياجوج المحن . وقد قرأت في كتاب **الحلية**[8] للحافظ أبي نعيم رحمه الله ، قال : مرّ هارون الرشيد على الفضيل بن عياض ، رضي الله عنه،فوقف الفضيل ينظر فيه وفي أصحابه إلى أن غاب عنه . فقال : ماذا يرى الناس من الفتن عند غروب شمس هذا الرجل .

وإذا كان ذلك في زمانهما ، الذي الغالب على أهله الخير والصلاح ، فما ظنك بزماننا هذا الذي اضطربت فيه أمواج الفساد ، وصار الشر هو ديدن العباد . وما أحسن ما أنشدنيه صاحبنا الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي لنفسه ، من قصيدة في مدح هذه الدولة :

مولاي إسماعيل يا شمس الورى ... يا من جميع الكائنات فدى له

ماأنت إلا سيف حق منتضى ... الله من دون الخليقة سله

من لا يرى لك طاعة فالله قد ... أعماه عن قصد الهوى وأضله

قال مؤلفه، عبيد الله سبحانه ،محمد الصغيربن الحاج محمد بن عبد الله الإفراني النجار ، المراكشي الوجار، جبر الله صدعه،وسكن روعه :هنا انتهى ما حم لنا تسطيره ، ووفى ما وافى روض سطورنا مطيره، من أخبار الملوك والرؤساء، وذكر طبقات من أحسن منهم ومن أساء. مع الإلماع بفوائد مستملحة ، وبدائع يقع عليها اختيار من لمحه، وأدبيات بدورها في أفق المحاضرات زواهر، وغرائب جواهر فوائدها للعقول بواهر.وقد بلغت في التنقير عن ذلك غاية،وصرفت لجمعه عنان العناية،وبذلت فيه جهدي ، على قدر ما عندي.

وقد كنت جمعت محصله في بطائق، فإذا رمت تهذيبه عاق منه عائق. ولما ألمت بنا تلك المصيبة الفادحة، ورمتنا بأسهمها التي هي في عرض الدين قادحة ، غادر فكري شجاها،عافيا غير

8 حلية الأولياء ،للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني ت 1038/430
ينظر عنه:حاجي خليفة، كشف، 689:1

معافى، واستولى عليّ ما صيرت به أحاديث النشاط ضعافا وأحاديث الكسل صحاحا لطافا، واشتغلت الجوانح والجوارح ، برعي أحزان همل وسوارح.، ونبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران،حتى نسجت عليها عناكب النسيان .وصرت ، إذا وجهت الوجهة لإكمال تلك النزهة ،أنشد لسان حال الجد العاثر:

هذا زمان دراهم لا غيرهـــا فدع الدفاتر للزمان الفاتـــر

ثم تكرر الطلب إلي ، وأكد في جمع ذلك التأليف علي ، من لا أستطيع مقابلة أمره بالإهمال، ولا أقدر[437] أن أسجل على بينة غرضه إلا بالإعمال . وهو عين الأعيان ، وصدر أرباب البلاغة والبيان، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه،والأديب الذي تقتدي البلغاء بيراعة قلمه، بقية السلف وقدوة الخلف ، الولي الصالح ، أبـــو عبد الله سيدي محمد الصالح، ابن الولي العارف سيدي محمد المعطي ، حفيد تاج العارفين وخاتمة الأولياء المحبوبين، أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي ، نفع الله به وأبقى جلاله محروسا، وأدام ذكره في روض المكارم مغروسا. فهو الذي أعاد لفكري قوة النشاط، ونشر عليه بساط الانبساط. فانقشع عني سحاب الكسل وانجاب ، وناديت فكري -مع ضعفه-للتأليف فأجاب .ورقمت ما فاق به الخطاب وطاب الوطاب. وأنا في ثوب العي رافل ، وقلمي -إن لم يذعن - عن الإصابة غافل.

فالحمد لله الذي يسر لي هذا القدر ،مع تكدر منهل الصدر. ومنّ به ، على نزر البضاعة والتطفل على هاته الصناعة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلي الله على سيدنا محمد ،خاتم النبيئين وشفيع المذنبين . ورضي الله تعالي عن آله [438]وصحبه الأكرمين .وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

في الخامس والعشرين من المحرم الحرام ،فاتح تسعة وثلاثين ومائة وألف.

فهرس الفهارس

لائحة مصادر النزهة[1]

- ابتهاج القلوب بمناقب سيدي عبدالرحمن المجذوب ،لعبدالرحمن الفاسي.
- الأرجوزة (؟)
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض
-إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت ،لابن أبي محلي .
- الإعلام بمن مضى وغبر من أهل القرن الحادي عشر، لمحمد بن عبدالله الفاسي.
-الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، لأحمد المدغري .
- أوراق مجهولة المؤلف (تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية)
- بذل المناصحة في فعل المصافحة ، لأحمد البوسعيدي
- بستان الأدب (؟)
- البيان المعرب في أخبار المغرب ،لمحمد بن عذاري
- تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء، لأبي سالم العياشي .
- تحفة الطالب، للشريف السمرقني
-تحفة القادم، لمحمد ابن الأبار.
- جامع شامل بهرام.
-جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ،لأحمد ابن القاضي .
- جمهرة ابن حزم.

---

1 ذكر الإفراني في مقدمة النزهة : " واعلم أني ألفت هذا التصنيف من عدة كتب تزري بزهور الروض المنيف ، وسوف في الآخر أعين لك أسماءهم ." ولم ترد هذه اللائحة في أية نسخة مما اطلعنا عليه، فعمدنا إلى استخراجها من المتن وقد اقتصرنا على معتمد الإفراني من المصادر دون ذكر المؤلفات الواردة عنده عرضا.وقد سبق أن أثبت ليفي بروفنصال لائحة مصادر الإفراني ،ووردت في الترجمة العربية،ص:278.وسوف ننبه على مابين تلك اللائحة وهاته من اختلاف.

-جمهرة الزبيدي .

- الحلية ، للحافظ أبي نعيم .

-الدر السني فيمن بفاس من النسب الحسني، لعبدالسلام القادري.

-الدر المشرق الحلوك ، لأحمد ابن القاضي

-درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، لأحمد ابن القاضي.

-درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، لأحمد ابن القاضي.

-الدوحة ، لأبي عبد الله الزورقاني.

-دوحة الناشرلمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، لمحمد ابن عسكر.

- رحلة أبي سالم العياشي.

- رحلة ابن بطوطة.

- رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب ، للحجري .

-رحلة الغنامي.

-روض القرطاس ،لأحمد ابن القاضي.

زهرة الشماريخ في علم التاريخ ، لعبد الرحمن الفاسي

-شرح دلائل الخيرات [2]، للعربي الفاسي .

-شرح زهرة الشماريخ .

- شرح منظومة فيما جري العمل به في فاس ،لعبد الرحمن الفاسي.[3]

- طبقات ابن السبكي [4].

- العبر،لابن خلدون[5].

- فتح المتعال في مدح النعال ،لأحمد المقري[6].

---

2 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

3 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

4 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

5 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

6 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

-فهرس محمد ابن يعقوب الأيسي.

-فهرس محمد بن سعيد المرغيتي.

-فهرس أحمد المنجور.

-الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، لعبد الرحمن التمنارتي.

- قواعد أحمد زروق [7].

-قوت القلوب ، لأبي طالب المكي [8].

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي ،

- كناشة الحسن الزياتي ، شرح فيها شعرا للمنصور.

- لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد ،لأحمد ابن القاضي .

- المحاضرات،للجسن اليوسي.

- مرأة المحاسن ،لمحمد العربي الفاسي .

- المسامرات ،لمحيي الدين ابن عربي .[9]

-مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي ، لأحمد التواتي .

-ممتع الأسماع ، لمحمد المهدي الفاسي .

- الممدود المقصور ،لمحمد بن عيسى .

-مناهل الصفا ، لعبد العزيز الفشتالي .

-المنتقى المقصور ، لأحمد إبن القاضي .

-منجنيق الصخور ،لابن أبي محلي.[10]

- منسك ابراهيم بن هلال .

-منظومة محمد بن عبد الله الهبطي .

- نصيحة أهل السودان ، للتكروري .

- نفح الطيب ،لأحمد المقري.

---

7 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

8 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

9 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

10 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

-النفحة المسكية في السفارة التركية، للتمكروتي .

-نوازل السكتاني .

-وفيات الأعيان ، لابن خلكان .

-وفيات محمد بن علي الفشتالي [11].

-وفيات محمد بن أحمد المكلاتي [12]

11 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

12 لم يرد في لائحة ليفي بروفنصال.

فهرس المؤلفات الوارد ذكرها في النص

الهمزة

---

13 نقتصر على ذكر المؤلفات الوارد ذكرها في نص النزهة ، دون اعتبار ما أوردناه في التقديم ولا ما جاء في الهوامش ، إلا ما كان إضافة أو تعريفا ، فنميزه برقم غليظ .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس الأعلام البشرية [1]

حرف الهمزة

1نلتزم في هذا الفهرس بالمقاييس التالية :

- ترتب الأعلام حسب حروف الهجاء المشرقية .

- ترتب الأعلام حسب اسم الشهرة وليس حسب الإسم الشخصي .فتجد محمد الصغير الإفراني مرتبا في حرف الهمزة (الإفراني) وأحمد بن موسي السملالي في حرف السين (السملالي)فإذا لم يوجد للعلم اسم شهرة رتب حسب اسمه الشخصي .

-عندما تتعدد أسماء الشهرة ، نعتمد ما نظنه أكثرها شيوعا ،ونحيل علي ما بقي منها عليه .فتجد السملالي أحمد بن موسى في حرف السين ، كما تجد السوسي =السملالي أحمد بن موسى.

-لا تعتبر الأبناء والآباء والأولاد وما ماثلها .فيرتب إبن القاضي في حرف القاف ، وأبو الروايين في حرف الراء وأولاد طلحة في حرف الطاء .

- يذكر إسم العلم المقصود في النص ، حسب الصفحة التي ورد فيها ، دون اعتبار آبائه وأجداده .فإذا ذكر في صفحة ما : زيدان بن أحمد المنصور بن محمد الشيخ المهدي ، يقتصر على زيدان .

- لتسهيل استعمال الفهرس ، أدرجت أسماء الخلفاء والسلاطين في أسرهم فرتبنا المنصور الذهبي في اسم السعدي ، ومولاي رشيد في العلوي .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الگاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأعلام البشرية[1]

حرف الهمزة

1نلتزم في هذا الفهرس بالمقاييس التالية :

- ترتب الأعلام حسب حروف الهجاء المشرقية .
- ترتب الأعلام حسب اسم الشهرة وليس حسب الإسم الشخصي .فتجد محمد الصغير الإفراني مرتبا في حرف الهمزة (الإفراني) وأحمد بن موسي السملالي في حرف السين (السملالي)فإذا لم يوجد للعلم اسم شهرة رتب حسب إسمه الشخصي .
- عندما تتعدد أسماء الشهرة ، نعتمد ما نظنه أكثرها شيوعا ،ونحيل علي ما بقي منها عليه .فتجد السملالي أحمد بن موسى في حرف السين ، كما تجد السوسي =السملالي أحمد بن موسى
- لا تعتبر الأبناء والآباء والأولاد وما ماثلها .فيرتب إبن القاضي في حرف القاف ، وأبو الروائن في حرف الراء وأولاد طلحة في الطاء .
- يذكر إسم العلم المقصود في النص ، حسب الصفحة التي ورد فيها ، دون اعتبار أبائه وأجداده .فإذا ذكر في صفحة ما : زيدان بن أحمد المنصور بن محمد الشيخ المهدي ، يقتصر على زيدان .
- لتسهيل استعمال الفهرس ، أدرجت أسماء الخلفاء والسلاطين في أسرهم فرتبنا المنصور الذهبي في اسم السعدي ، ومولاي رشيد في العلوي .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الگاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

مصادر التحقيق

1) القرآن الكريم -مطبعة فضالة 1395

2) إبن الأبار، محمد القضاعي البلنسي : تحفة القادم

أعاد بناءه وعلق عليه :الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى 1986/1406

3) إبن أبي زرع الفاسي

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، 1973

4) إبن أبي محلي ، أحمد بن عبد الله

إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت خ ح،رقم 100

5) إبن بطوطة، محمد بن عبدالله الطنجي

رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه : عبدالهادي التازي.5 مجلدات 1997/1417

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة "التراث"

6) إبن تاويت ،محمد

الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى .3 ج ،دار الثقافة 1982/1402

7) إبن تجلات أبو عبدالله

إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين

تحقيق محمد رابطة الدين .بحث لنيل ددع. كلية الآداب . الرباط. 1985-86 ،

8) إبن خلكان، أبو العباس وشمس الدين أحمد ابن أبي بكر

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت / دت ، 8 أجزاء

9) إبن زيدان ،عبدالرحمن

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس5 أجزاء- 1410-1990

10) إبن سودة ،عبدالسلام بن عبدالقادر المري

دليل مؤرخ المغرب الأقصى

جزءان ، طبع ونشر وتوزيع :دار الكتاب - الدارالبيضاء-الطبعة الثانية 1960

11) إبن عبدالله ،عبدالعزيز

تاريخ المغرب،دت ،

12) إبن عذاري المراكشي
البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب
تحقيق : محمد ابراهيم الكتاني و محمد بن تاويت ومحمد زنيبر و عبدالقادر زمامة.
دار الغرب الإسلامي ،بيروت/ دار الثقافة ،الدار البيضاء،الطبعة الأولى 1985/1406
13) إبن عسكر ، محمد بن الحسن الشفشاوني
دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر
مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشسلسلة التراجم (1)
تحقيق محمد حجي ، دار المغرب ، الرباط 1976/1396
14) إبن القاضي ، أحمد
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس
دارالمنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، 1973
15) إبن القاضي ، أحمد
درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور-3 أجزاء
دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى - 1970/1390
16) إبن القاضي ، أحمد
درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك خ ع ،الرباط،رقم 763 د
17) إبن القاضي ، أحمد
الدر الحلوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك ،خ ع بالرباط 763 د
18) إبن القاضي ، أحمد
لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد
تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ضمن كتاب:ألف
سنة من الوفيات ،الرباط 1976/1396
19) إبن القاضي ، أحمد
المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور
دراسة وتحقيق : محمد رزوق -مكتبة المعارف ،1986 - جزءان
20) إبن قنفد، أحمد
شرف الطالب في أسني المطالب
تحقيق محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشرضمن كتاب : ألف
سنة من الوفيات ،الرباط 1976/1396
21) إبن منصورعبدالوهاب
أعلام المغرب العربي -5 أجزاء -المطبعة الملكية 1979/1399- 1410/1990

22) إبن منصورعبدالوهاب
أحمد بن قاسم الفقاي الحجري :آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام
.المطبعة الملكية ، الرباط، 1416-1996 .
23) إخوان زهراء
العلاقات المغربية الخارجية في القرن 17/11
أطروحة دولة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 1990
24) إخوان زهراء
مساهمة في التعريف بابن أبي محلي من خلال وثيقة إنجليزية معاصرة
متنوعات محمد حجي .
25) أفا عمر
النقود المغربية في القرن التاسع عشر:أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس
منشورات كلية الآداب بالرباط-سلسلة بحوث ودراسات (6) 1993
26) الإفراني ، محمد الصغير
صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر -طبعة حجرية
27) الإفراني محمد الصغير
روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف
تحقيق: عبدالوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة ، الطبعة الثانية ، 1995/1415
28) أفوقاي ، أحمد بن قاسم الحجري
ناصر الدين على القوم الكافرين:مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب
تحقيق :محمد رزوقمنشورات كلية الآداب ،الدارالبيضاء ، 1407 /1987
29) البغدادي/البابانى ،إسماعيل باشا
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون
دار الفكر 1982/1402
30) البدر العيني ، محمود بن أحمد
عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، المسمى بالعيني على البخاري .دار الفكر .دت
31) البغدادي/البابانى، إسماعيل باشا
هدية العارفين :أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون دار الفكر 1402/
1982
32) بلعربي ،الصديق
فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش،منشورات كلية الآداب ، مراكش.
33) بوكاري ،أحمد

الزاوية الشرقاوية : زاوية أبي الجعد ،إشعاعها الديني والعلمي -1985/1406
الزاوية الشرقاوية : زاوية أبي الجعد ،دورها الاجتماعي والسياسي -1989/1409
34) التازي ،عبد الهادي
من تاريخ المغرب الدبلوماسي:الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ
نشر : المعهد الجامعي للبحث العلمي،1983/1403
35) التمكروتي ،علي بن أحمد
النفحة المسكية في السفارة التركية،خ ع، الرباط،رقم 2829 ك
36) التمنارتي ، عبد الرحمن بن محمد
الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، خ ع ، الرباط، رقم 3693 د
37) التنبكتي ، أحمد بابا
كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،دراسة وتحقيق محمد مطيع
بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب، الرباط ،1987
38) الجراري ،عباس
بيوبيبليوغرافيا اليوسي - المناهل - العدد 15 السنة 6 شعبان 1399/ يوليو 1979
39) الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
معلمة المغرب ، نشر مطابع سلا - 8 أجزاء ، الجزء 1: 1989/1410- الجزء 8: 1418/ 1995
40) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر 1402-1982
41) حجي ، محمد
الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، سلسلة التاريخ (2)جزءان
42) حجي ، محمد
فهرس الخزانة الصبيحية بسلا
منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الطبعة الأولى - الكويت 1985/1406
43) حجي ، محمد
من تاريخ المغرب في القرن 17:الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي
طبعة ثانية موسعة ومنقحة ، 1988/1409
44) حجي ، محمد
جولات تاريخية

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،دار الغرب الإسلامي جزءان ، 1995
45) حجي ، محمد
مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا
مجلة دعوة الحق،العدد 8،السنة 9 ،يونيه 1966 ،ص:70
46) داود ، محمد
تاريخ تطوان –مطبوعات معهد مولاي الحسن،1377–1958 – 7 مجلدات
47) رزوق ، محمد
الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17إفريقيا الشرق ، 1989
48) الزركلي ،خير الدين
الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين –دار العلم للملايين– بيروت –ط 5 ، 1980 ، 8 أجزاء
49) السراج ، محمد بن محمد
الحلل السندسية في الأخبار التونسية
تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة –دار الغرب الأسلامي، 1984 3 مجلدات
50) السكتاني ،عيسى بن عبد الرحمن
نوازل ،خ ع، الرباط ،رقم 1016 ج
51) السوسي، محمد المختار
المعسول،20 جزءا – مطبعة النجاح،الدارالبيضاء 1381/1961ومطبعة الجامعة الدارالبيضاء 1380/1960
52) السوسي ، محمد المختار
إليغ قديما وحديثا
هياه للطبع وعلق عليه :محمد بن عبدالله الروداني،المطبعة الملكية 1386/1966
53) الشادلي ،عبداللطيف
الحركة العياشية : حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17
منشورات كلية الآداب ، الرباط سلسلة أطروحات ورسائل 10. 1982.
54) الشادلي ،عبداللطيف
التصوف والمجتمع ، نماذج من القرن العاشر الهجري
منشورات جامعة الحسن الثاني سلسلة رسائل وأطروحات 4، 1989
55) الصادقي حسن
مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية

منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، سلسلة بحوث (2)1996

56) الضعيف ، محمد الرباطي

تاريخ الدولة السعيدة

تحقيق وتعليق وتقديم : أحمد العماري -دار المأثورات ،الطبعة الأولى ، 1986/1406

57) الضعيف، محمد الرباطي

تاريخ الضعيف الرباطي

دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي ، دار الثقافة، 1988/1408 ، جزءان

58) طوريس ،دييكو دي-

تاريخ الشرفاء-ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر.

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1988

59) العزفي ، أبو العباس

دعامة اليقين في زعامة المتقين: مناقب الشيخ أبي يعزي

تحقيق أحمد التوفيق-مكتبة خدمة الكتاب - 1989

60) عنان ، محمد عبدالله

فهارس الخزانة الملكية - فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات الرباط 1980/1400

61) العياشي ، أبو سالم عبد الله بن محمد

الرحلة العياشية أوماء الموائد-طبعة ثانية مصورة بالأوفسيط ، وضع فهارسها محمد حجي -مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة الرحلات (1) الرباط 1977/1397.جزءان

62) العياشي ،أبو سالم عبد الله بن محمد

إتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاءخ ع ،الرباط،رقم 1421 ك

63) العياشي ،أبو سالم عبد الله بن محمد

اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر

تحقيق ودراسة نفسية الذهبي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط سلسلة رسائل وأطروحات 1996

64) الفاسي، محمد العابد

فهرس مخطوطات خزانة القرويين

قدم له وترجم له ابنه : محمد الفاسي الفهري -4 أجزاءالطبعة الأولى 1979/1399-دار الكتاب - الدارالبيضاء

65) الفاسي ، العربي

مرءاة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن طبعة حجرية ،فاس ،1324.

66) الفاسي ، محمد المهدي بن أحمد
ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع ، طبعة حجرية .
67) الفاسي ، عبد الرحمن بن عبد القادر
ابتهاج القلوب بخبرالشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب ،تحقيق :حفيظة الدازي
بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط
68) الفاسي ، عبد الله بن محمد
الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تحقيق :فاطمة نافع
بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط
69) الفشتالي ،عبدالعزيز بن محمد
مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا: مختصر الجزء الثاني
حققه وقدم له ووضع فهارسه : عبدالله كنون -منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بالرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي ، وتحت إشراف معهد مولاي الحسن
للبحوث . المطبعة المهدية ، تطوان ، 1384-1964
70) الفشتالي ،عبدالعزيز بن محمد
مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا
تحقيق : عبدالكريم كريم مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة
71) القادري ، محمد بن الطيب
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني
تحقيق محمد حجي و أحمد التوفيق -مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة
والنشر-سلسلة التراجم (3) ج 1 1977/1397-ج 2 1982/1402-ج 3 1986/1407
ج 4 1986/1407
72) القادري ، عبد السلام بن الطيب
الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني خ ع الرباط،رقم 3994
73) قدوري ، عبدالمجيد
ابن أبي محلي الفقيه الثائر ، ورحلته الإصليت الخريت . منشورات عكاظ - 1991
74) الكانوني محمد بن أحمد
جواهر الكمال في تراجم الرجال
75) الكتاني ، عبدالحي بن عبدالكبير
فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات-باعتناء الدكتور
إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية 1982/1402 - جزءان
76) ليفي-بروفنصال ، إيفارست

مـؤرخو الشرفـاء-تـعريب عبدالقـادر الخلادي -مطبـوعات دار المغرب للتأليـف والتـرجمـة والنشر، سلسلة التاريخ (5) الرباط 1977/1397
77) مجهول الإسم
تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية
تقديم وتحقيق :عبدالرحمان بنحادة ،عيون المقالات ، الطبعة الأولى 1994
78) المراكشي ، العباس بن ابراهيم
الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تحقيق عبدالوهاب ابن منصور المطبعة الملكية ، 1974- 1403/ 1983 -10أجزاء
79) المراكشي ،عبدالواحد
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
تحقيق:محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي دار الكتاب ، 1978
80) المرغيتي ، محمد بن سعيد
فهرس العوائد المزرية بالموائد، مخطوط الخزانة العامة بالرباط،رقم 285 د
81) مرمول، كربخال
إفريقيا - ترجمه عن الفرنسية :محمد حجي و محمد زنيبر و محمد الأخضر و أحمد التوفيق وأحمد بنجلون. -الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1984/1404 -1989/1408
82) المريني ، نجاة
شعر عبدالعزيز الفشتالي :جمع وتحقيق ودراسة ،مكتبة المعارف ، 1986
83) معكول ،علال
علي مصباح الزرويلي ، حياته وآثاره بحث لنيل ددع ، كلية الآداب ،فاس ،1987
84) المقري ، أحمد بن محمد
أزهار الرياض في أخبار عياض -ضبطه وحققه وعلق عليه : مصطفى السقا - ابراهيم الأبياري - عبدالحفيظ شلبي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1358/ 1939
85) المقري ، أحمد بن محمد
روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس
تحقيق:عبدالوهاب ابن منصور-الطبعة الثانية 1403/ 1983 ،المطبعة الملكية
86) المقري أحمد بن محمد
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تحقيق :إحسان عباس ،دار صادر ، بيروت ، 8 أجزاء ، 1388-1968

87) المنالي ،محمد الزبادي
سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية-دراسة وتحقيق :نعيمة بنونة .
بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب،مراكش ،1996
88) المنجور، أحمد
فهرس -تحقيق :محمد حجي -مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الفهارس (1)-الرباط 1976/1396
89) المنوني ، محمد
المصادر العربية لتاريخ المغرب ، من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث . الجزء الأول 1983/1404منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
90) المنوني ، محمد
فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية،حسب أرقامها على الرفوف
المطبعة الملكية 1983/1403
91) المنوني ، محمد
تاريخ حفلات الشموع بالمغرب
مجلة الفنون، السنة الأولي ، عدد 6 و7 .1974/1394
92) المنوني ، محمد
تاريخ المصحف الشريف بالمغرب
مجلة دعوة الحق ، العدد 4 ، السنة 22، 1981/1401
93) المنوني ، محمد
صناعة الأسلحة النارية بالمغرب
مجلة دعوة الحق ، العدد 8 ، السنة 13، 1970/1390
94) المنوني ، محمد
ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين -منشورات كلية الآداب بالرباط.
95) الناصري ، أحمد بن خالد
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
تحقيق وتعليق ولدي المؤلف :جعفر الناصري ومحمد الناصري
دار الكتاب 1954 - 9 أجزاء
96) نجمي، عبدالله
مساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16و17 : طائفة العكاكزة -بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا،كلية الآداب ،الرباط 1986/1407
97) هنين ، خورخي دي -

وصف الممالك المغربية (1603- 1613)
ترجمة :عبد الواحد أكمير ،تقديم وتعليق :توركواتو بيريس دي كوثمان
منشورات معهد الدراسات الإفريقية – 1997
98) الوزان ، الحسن بن محمد
وصف افريقيا–ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر–دار الغرب الإسلامي –
بيروت –الطبعة الثانية 1983 ، جزءان
99) ونسك ،دكتور أ.ي.
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي
عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند ابن حنبل
8 أجزاء ، مكتبة بريل ، ليدن 1992 .
100) الونشريسي ، أحمد
وفيات –تحقيق محمد حجي ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب
مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1976/1396
101) اليوسي ،الحسن
المحاضرات
أعدها للطبع : محمد حجي –مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،سلسلة
الأدب (1) الرباط 1976/1396
102) اليوسي ، الحسن
زهر الأكم في الأمثال والحكم
تحقيق : محمد حجي ومحمد الأخضر –منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب
1981/1401 ثلاثة أجزاء

103) Bertier, Paul
Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques.
Etude archéologique et d'histoire économique
Rabat- 1966
104) Bressolette, Henri & Delarozière, Jean
El Mosara, jardin royal des mérinides.
Hespèris -Tamuda, Volume XVIII, Fascicule unique, 1978-79.
105) Caillé, Jacques
la petite histoire du Maroc
Casablanca 1950, 3 volumes
106) Castries, Henry de -
Tableau généalogique des princes Saadiens

SIHM.1ère série, France, Bibliographie et index général, 1926
107) Castries, Henry de-
le Cimetière de Djama el Mansour
Hespèris, Tome VII, Année:1927, 3° trimestre, p: 347
108) Cenival, Pierre de-
La légende du Juif Ibn Mechal et la fête des Tolba à Fès
Hespèris, Volume, V , Année 1925, 2° Trimestre, p:3
109) Colin, G.S
Note sur le système cryptographique du Sultan Ahmed Al-Mansour
Hespèris, Tome VII, Année:1927,2° trimestre, p: 221
110) Cour, Auguste
la dynastie marocaine des Beni Wattas (1490-1554)
111) Cour, Auguste
l'Etablissement des dynasties des Chérif au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger ,1509-1830
Paris, Ed.E.leroux, 1904
112) Deverdum, G
Un registre d'inventaire et de prêt de la mosquée Ali ben Youssef à Marrakech , daté de 1111/1700
Hespèris, Tome XXXI - Année:1944, Fascicule unique, p: 55
113) Dziubinski Andrzei
l'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne.
Hespèris -Tamuda, volume XIII, Fascicule unique, Année:1972, p:61
114) El Fasi, Mohamed
Une liste complète des oeuvres du grand polygraphe marocain Abd Abderrahman Al Fasi
Hespèris, Tome XXIX, Année:1942. Fascicule unique, p: 65
115) Epaulard, A
la procession des cièrges à Salé
Hespèris , Tome XXXV- Année:1948 ,1er-2° trimestres, p:192
116)EL Habib, Mustapha
Notes sur deux mesures d'aumône
Hespèris-Tamuda ,volume:X,Année:1969, p: 263
117) Koehler,R P. Henry
Relation de la vie et de la mort de sept jeunes gens ... le 4 Juillet 1585, écrite par un religieux de la Trés Sainte Trinité et Rédemption des captifs. Traduite et annotée par le R.P Henry Koehler - Rabat 1997
118) Koehler,R.P.Henry

La Kasba Saadienne de Marrakech, d'après un plan manuscrit de 1585
Hespèris, Tome XXVII, Année:1940, Fascicule unique , p:1
119)Levi- Provençal,Evariste
Les manuscrits arabes de Rabat
Publications de l'IHEM
Paris . Ed.E.Leroux ,1921
120) Loubignac , Victorien
La procession des cierges à Salé
Hespèris, Tome XXXIII, Année:1946,1er &2° Trimestres, p:5
121) Loupias, Bernard
Cronica de la vida y admirabeles hechos del Senor Abdelmelech Valence? 1577,
oeuvre en prose et en vers de Fray Bautista, 2° partie, Edition et traduction
Hespèris- Tamuda, Volume XXIV, Fascicule Unique ,1986. p:53
122) Meunier, Jean
Le grand Riad du palais du Badi
Hespèris, Tome XLIV. Année :1957, 1er &2° Trimestres, p:129
123) Pascon, Paul
Description des mudd et sà maghrebins
Hespèris-Tamuda, Volume XVI, Fascicule unique,1975, p:25
124) Pianel, Georges
Du nouveau sur Ahmed Ibn Isa,Historiographe et ministre de Moulay Ahmed Al Mansour le Doré
Hespèris, Tome XLI, Année :1954,1er & 2° trimestres, p:147
125) Rabino H.L
Liste des princes Saadiens
In Archives bèrbères, 1920- Volume :V, p1

فهرس المحتويات

أولا : التقديم



الإيداع القانوني رقم : 1998/1051